

دار الكتب المصرية

# نهاية البلاغ

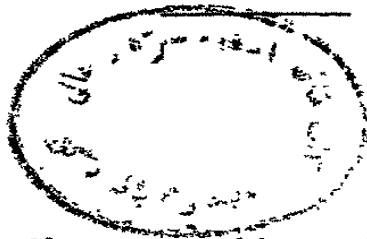
في

فنون البلاغ

تأليف

شهاب الدين محمد بن عبد الله النوني

السفر الأول



مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

سنة ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٣ م



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رافع السماء وفاتق رتقها ، ومُنشئ السحاب وموكف ودقها ، ومجرى  
 الأفلاك ومدبرها . ومطلع النيرات ومكورها ، ومرسل الرياح ومسخرها ، ومزين  
 السماء الدنيا بزينة الكواكب ، وحافظها عند استراق السمع بإرسال الشهب الثواقب ،  
 وهادي السارى بمطالع نجومها في ظلم الغياهب ، وجاعل الليل سكا ولباسا ، ومبدل  
 وحشة ظلماته بفلق الإصباح إيناسا ، وماحي آيته بأية النهار المبصرة ، ومذهب دجته  
 بإشراق شمسه النيره ، وباسط الأرض فراشا ومهادا ، ومرسي الجبال وجاعلها  
 أوتادا ، ومفجر العيون من جوانبها وخلالها ، ومضحك ثغور الأزهار بيبكاء عيون  
 الأمطار وأنهمالها ، ومكرم نبي آدم بتفضيلهم على كثير من خلقه ، ومذل الأرض  
 لهم ليمشوا في مناكبها وليأكلوا من رزقه ، وحاملهم على ظهر اليم في بطون الجوارى  
 المنشآت ، ومعوّضهم عن أعواد السفن غوارب اليعملات . خلق كل دابة من ماء  
 وأودعها من خفي حكيه ما أودع ، وبارن بين أشكالهم ( فمنهم من يمشى على بطنه  
 ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع ) . وهدى الطير إلى ما اتخذته  
 من الأوكار واتخذ لها من المباني ، وجعلها من رسائل المتايا ووسائل الأمانى .

أحمدده على نعمه التي كم أولت من منه ، ومنته التي كم وآلت من نعمه ، وأشكره  
 على الطافه التي كم كشفت من غمه ، وأزالت من نعمه .

(١) نعمة (فتح ناء، وانيم) الناقة النجبية المعتيلة المطبوعة والجمل يعمل . وهو اسم لاوصف .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة عبدٍ نطق بها لسانه وقلبه ،  
وأنس بها ضميره ولبه .

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، الذي جعلت له الأرض مسجدا وترابها طهورا ،  
وأُنزل عليه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ  
وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ . صلى الله وسلم عليه وعلى آله الذين رُفِعوا بنسبهم إليه أعلى المراتب ،  
وتسّموا من ذرّوة الشرف والثناء كاهل الكواكب ، وعلى أصحابه الذين اتّطدّت  
بهم قواعد الشريعة وعلا منارها ، وهُدِمَت معاقل الكفر وعفّت آثارها ، وأنفقوا من  
قبل الفتح وقاتلوا ، وجالدوا في دين الله وجادلوا : صلاة ترفع منار قائلها ، وترسل عليه  
سحاب المغفرة بوابها !

وبعد ، فمن أولى ما تدبّجت به الطروس والدفاتر ، ونطقت به السنة الأقلام عن  
أفواه المحابر ، وأصدرته ذوو الأذهان السليمة ، وأنسبت إليه ذوو الأنساب الكريمة ؛  
وجعله الكاتب ذريعة يتوصّل بها إلى بلوغ مقاصده ، ومحجّة لا يضلّ سالكها  
في مصادره وموارده : فنّ الأدب الذي ما حلّ الكاتب بواديه ، إلّا وعمرت بواديه ؛  
ولا وردّ مشارعه ، إلّا وأستعدّب شرائعه ؛ ولا نزل بساحته إلّا وأتّسعت له رحابها ،  
ولا تأمل مشكلاته إلّا وتبيّنت له أسبابها .

١٥

وكنّت ممن عدل في مباديه ، عن الإلمام بناديه ؛ وجعل صناعة الكتابة فنّه  
الذي يستظلّ بوارفه ، وفنّه الذي جُمع له فيه بين تليده وطارفه . فعرفتُ جليّها ،  
وكشفتُ خفيّها ؛ وبسطتُ الخرائد<sup>(١)</sup> ونظمتُ منها الأرتفاع ، وكنّتُ فيها كموقد نارٍ على

(١) لعلها : الخرائد . أى جرائد الحسابات التي يستخرج منها الأرتفاع أى مقدار الإيراد . وبقية

الكلام تدل على ذلك لأنه أستعار اصطلاحات أهل الحساب .

يَفَاعُ ؛ وَأَسْتَرْفَعْتُ الْقَوَانِينُ ، وَوَضَعْتُ الْمَوَازِينَ ؛ وَعَانَيْتُ الْمُقْتَرِحَاتُ ، وَأَعْتَمَدْتُ عَلَى الْمَقَائِيسَاتُ ؛ وَفَذَلِكْتُ عَلَى الْأَصْلِ وَمَا أُضِيفُ إِلَيْهِ ، وَحَرَرْتُ مَا بَعْدَ الْفَذَلِكَةِ فَكَانَ الْعَمَلُ عَلَى مَا أَسْتَقَرَّتْ الْجَمَلَةُ عَلَيْهِ ؛ وَأَسْتَخْرَجْتُ وَحَصَلْتُ ، وَجَمَلْتُ مِنْ عَرْضِهِ وَخَصَلْتُ ؛ وَسُقْتُ الْحَوَاصِلُ ، وَأُورِدْتُ الْحَاسِيبُ وَفَذَلِكْتُ عَلَى الْوَاصِلُ ؛ وَطَرِدْتُ مَا أَنْسَاقُ إِلَى الْبَاقِي وَالْمَوْقُوفُ ، وَنَضَّضْتُ شَوَاهِدُ الْمَصْرُوفُ ؛ وَشَطَبْتُ شَوَاهِدُ الْأَرْتِفَاعُ ، وَقَرَّنتُ أَعْمَالُ الْمَبِيعُ بِالْمَبْتَاعُ ؛ وَأَسْتَوْفَيْتُ أَعْمَالُ الْأَعْتَصَارُ وَتَوَالَى الْغَلَّاتُ ، وَتَأَمَّلْتُ سِيَاقُ الْأَصْنَافُ وَالْآلَاتُ ؛ وَنَظَرْتُ فِي سِيَاقَاتُ الْعُلُوفَاتُ وَالْعَوَامِلُ ، وَأَجَبْتُ عَنْ الْمُخْرَجُ وَالْمُرْدُودُ فَأَعْجَزْتُ الْمُنَاطِرُ وَالْمُنَاضِلُ ؛ وَأَتَقَنْتُ مَوَادَّ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ ، وَتَاجَرْتُ فِيهَا بِأَنْفُسُ بَضَاعِهِ .

ثُمَّ نَبَذْتُهَا وَرَاءَ ظَهْرِي ، وَعَزَمْتُ عَلَى تَرْكِهَا فِي سِرِّي دُونَ جَهْرِي ؛ وَسَأَلْتُ اللَّهَ تَعَالَى الْغُنْيَةَ عَنْهَا ، وَتَضَرَّعْتُ إِلَيْهِ فَيَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهَا . وَرَغِبْتُ فِي صِنَاعَةِ الْآدَابِ وَتَعَلَّقْتُ بِأَهْدَابِهَا ، وَأَنْتَظَمْتُ فِي سَلْكِ أَرْبَابِهَا ، فَرَأَيْتُ غَرَضِي لَا يَتِمُّ بِتَلْقِيهَا مِنْ أَفْوَاهِ الْفَضْلَاءِ شَفَاهَا ، وَمُورِدِي مِنْهَا لَا يَصِفُو مَالْمُ أَجْرَدُ الْعَزْمُ شَفَاهَا .

فَأَمْتَطَيْتُ جَوَادُ الْمَطَالَعَةِ ، وَرَكَضْتُ فِي مِيدَانِ الْمَرَاجِعَةِ . وَحَيْثُ ذَلَّ لِي مَرَكِبُهَا ، وَصَفَا لِي مَشْرَبُهَا ، آثَرْتُ أَنْ أَجْرَدُ مِنْهَا كِتَابًا أَسْتَأْنِسُ بِهِ وَأَرْجِعُ إِلَيْهِ ، وَأُعَوَّلُ فِيهَا يَعْزِضُ لِي مِنَ الْمَهْمَاتِ عَلَيْهِ . فَاسْتَخَرْتُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَأَثْبَتْتُ مِنْهَا خَمْسَةَ فَنُونِ حَبْسَةِ التَّرْتِيبُ ، بَيِّنَةُ التَّقْسِيمِ وَالتَّبْوِيبِ : كُلُّ فَنٍّ مِنْهَا يَحْتَوِي عَلَى خَمْسَةِ أَقْسَامٍ .

## الفرس الأول

في السماء والآثار العلوية ، والأرض والمعالم السفلية

ويشتمل على خمسة أقسام :

القسم الأول — في السماء وما فيها .

وفيه خمسة أبواب :

الباب الأول — في مبدأ خلق السماء .

الباب الثاني — في هيئتها .

الباب الثالث — في الملائكة .

الباب الرابع — في الكواكب السبعة .

الباب الخامس — في الكواكب الثابتة .

القسم الثاني — في الآثار العلوية .

وفيه أربعة أبواب :

الباب الأول — في السحاب ، وسبب حدوثه ، وفي الثلج ، والبرد .

الباب الثاني — في الصواعق ، والنيازك ، والرعد ، والبرق .

الباب الثالث — في أسطُقس الهواء .

الباب الرابع — في أسطُقس النار ، وأسمائها .

القسم الثالث — في الليالي ، والأيام ، والشهور ، والأعوام ، والفصول ،

والمواسم ، والأعياد .

وفيه أربعة أبواب :

الباب الأول — في الليالي ، والأيام .

## في فنون الأدب

الباب الثاني — في الشهور، والأعوام.

الباب الثالث — في الفصول.

الباب الرابع — في المواسم، والأعياد.

القسم الرابع — في الأرض، والجبال، والبحار، والجزائر، والأنهار، والعيون.

وفيه سبعة أبواب :

الباب الأول — في مبدأ خلق الأرض.

الباب الثاني — في تفصيل أسماء الأرض.

الباب الثالث — في طول الأرض، ومساحتها.

الباب الرابع — في الأقاليم السبعة.

الباب الخامس — في الجبال.

الباب السادس — في البحار، والجزائر.

الباب السابع — في الأنهار، والغدران، والعيون.

القسم الخامس — في طبائع البلاد، وأخلاق سكانها، وخصائصها، والمباني

القديمة، والمعقل، والقصور، والمنازل.

وفيه خمسة أبواب :

الباب الأول — في طبائع البلاد، وأخلاق سكانها.

الباب الثاني — في خصائص البلاد.

الباب الثالث — في المباني القديمة.

الباب الرابع — فيما وُصِفَتْ به المعقل.

الباب الخامس — فيما وُصِفَتْ به القصور، والمنازل.

## الفن الثاني

في الإنسان وما يتعلق به

ويشتمل على خمسة أقسام:

القسم الأول — في اشتقاقه ، وتسميته ، وتنقلاته ، وطبائعه ، ووصف

أعضائه ، وتشبيهها ، والغزل ، والنسيب ، والمحبة ،  
والعشق ، والهوى ، والأنساب .

وفيه أربعة أبواب :

الباب الأول — في اشتقاقه ، وتسميته ، وتنقلاته ، وطبائعه .

الباب الثاني — في وصف أعضائه ، وتشبيهها . وما وُصِفَ به

طيب الرِّيق ، والنَّكْهَة ، وحسن الحديث  
والنَّغْمَة ، وأعتدال القُدُود . ووصف مشي  
النساء .

الباب الثالث — في الغزل ، والنسيب ، والهوى ، والمحبة . والعشق .

الباب الرابع — في الأنساب .

القسم الثاني — في الأمثال المشهورة عن النبي ( صلى الله عليه وسلم ) .

وعن جماعة من الصحابة ( رضی الله عنهم ) ، والمشهور  
من أمثال العرب ، وأوابد العرب ، وأخبار الكهنة ،  
والزجر ، والقال ، والطيرة ، والفِرَاسَة ، والدِّكَاء ،  
والكنايات ، والتعريض ، والأحاجي ، والألغاز .

وفيه خمسة أبواب :

الباب الأول — في الأمثال .



- الباب الثاني — في أوابد العرب .
- الباب الثالث — في أخبار الكهنة ، والزجر ، والفأل ، والظيرة ،  
والفراسة ، والذكاء .
- الباب الرابع — في الكليات ، والتعريض .
- الباب الخامس — في الأحاجي ، والألغاز .
- القسم الثالث — في المدح ، والهجو ، والمجون ، والفكاهات ، والملح ،  
والخر ، والمعاقرة ، والتدمان ، والقيان ، ووصف آلات  
الطرب .
- وفيه سبعة أبواب :
- الباب الأول — في المدح .
- وفيه ثلاثة عشر فصلا . وهي :
- حقيقة المدح ، وما قيل فيه .
- ما قيل في الجود ، والكرم ، وأخبار الكرام .
- ما قيل في الإيعطاء قبل السؤال .
- ما قيل في الشجاعة ، والصبر ، والإقدام .
- ما قيل في وفور العقل .
- ما قيل في الصدق .
- ما قيل في الوفاء ، والمحافظة .
- ما قيل في التواضع .
- ما قيل في القناعة ، والنزاهة .

- ما قيل في الشكر، والثناء .  
 ما قيل في الوعد، والإنجاز .  
 ما قيل في الشفاعة .  
 ما قيل في الاعتذار، والاستعطاف .

الباب الثاني - في الهجاء .

وفيه أربعة عشر فصلا :

- ما قيل في الهجاء، ومن يستحقُّه .  
 ما قيل في الحسد .  
 ما قيل في السَّعاية والبنَى .  
 ما قيل في الغيبة والنميمة .  
 ما قيل في البُخل واللُّؤم ، وأخبار البخلاء ،  
 واحتجاجهم .  
 ما قيل في التطفُّل . ويتصل به أخبار الأَكَلَة  
 والمؤاكلة .  
 ما قيل في الجُبْن ، والفرار .  
 ما قيل في الحمق ، والجهل .  
 ما قيل في الكذب .  
 ما قيل في الغدر، والخيانة .  
 ما قيل في الكِبَر، والعُجْب .  
 ما قيل في الحِرص ، والطمع .  
 ما قيل في الوعد، والمَطْل .  
 ما قيل في البِغْي، والحَصْر .

الباب الثالث — في المُجُون، والنوادر، والفكاهات، والمُلح .

الباب الرابع — في الخمر، وتحريمها، وآفاتهما، وجنباياتها،

وأسمائها. وأخبار مَنْ تنزه عنها في الجاهلية،

ومن حُدِّ فيها من الأشراف، ومن أشتهر بها،

وليس ثوب الخلاعة بسببها . وما قيل فيها

من جيد الشعر، وما قيل في وصف آلاتها،

وآتيها، وما قيل في مبادرة اللذات، وما

وُصفت به المجالس، وما يجري هذا المجرى .

الباب الخامس — في الندمان، والسُّقاة .

الباب السادس — في الغناء، والسماع، وما ورد في ذلك من الحظر

والإباحة، ومن سمع الغناء من الصحابة

(رضوان الله عليهم) والتابعين، والأئمة،

والعباد، والزهاد، ومن غنى من الخلفاء،

وأبنائهم، والأشراف، والقواد، والأكابر،

وأخبار المغنين ممن نقل الغناء من الفارسية

إلى العربية .

الباب السابع — فيما يحتاج إليه المغني، ويضطرُّ إلى معرفته،

وما قيل في الغناء، وما وُصفت به القيّان،

وما وُصفت به آلات الطرب .

القسم الخامس - في المَلِك ، وما يُشترط فيه ، وما يُحتاج إليه ؛ وما يجب له على الرعية ، وما يجب للرعية عليه . ويتصل به ذكر الوزراء ، وقادة الجيوش ، وأوصاف السلاح ، وولاية المناصب الدينية ، والكتّاب ، والبُلغاء .

وفيه أربعة عشر بابا :

- ٥ الباب الاول - في شروط الإمامة : الشرعية ، والعرفية .
- الباب الثاني - في صفات المَلِك وأخلاقه ، وما يفضّل به على غيره . وذكر ما نُقل من أقوال الخلفاء والملوك الدالة على علوّ همتهم ، وكرم شيمتهم .
- ١٠ الباب الثالث - فيما يجب للملك على الرعايا من الطاعة ، والنصيحة ، والتعظيم ، والتوقير .
- الباب الرابع - في وصايا الملوك .
- الباب الخامس - فيما يجب على المَلِك للرعايا .
- الباب السادس - في حُسن السياسة ، وإقامة المملكة . ويتصل به الحزم ، والعزم ، وانتهاز الفرصة ، والحلم ، والعفو ، والعقوبة ، والانتقام .
- ١٥ الباب السابع - في المشورة ، وإعمال الرأي ، والاستبداد ، ومن يُعتمد على رأيه ، ومن كره أن يستشير .
- الباب الثامن - في حفظ الأسرار ، والإذن ، والإيجاب .

الباب التاسع — في الوزراء، وأصحاب الملك،

الباب العاشر — في قادة الجيوش، والجهاد، ومكايد الحروب؛

ووصف الوقائع، والرباط، وما قيل

في أوصاف السلاح .

الباب الحادي عشر — في القضاة، والحكام .

الباب الثاني عشر — في ولاية المظالم، وهي نيابة دار العدل .

الباب الثالث عشر — في نظر الحسبة، وأحكامها .

الباب الرابع عشر — في ذكر الكتاب، والبلغاء، والكتابة، وما تفرع

عنها من الوظائف والكتابات، وهي: كتابة

الإِثْشاء، وكتابة الديوان، والتصرف، وكتابة

الحُكْم، والشروط، وكتابة النسخ، وكتابة

التعليم .

## الفن الثالث

### في الحيوانات الصامت

ويشتمل على خمسة أقسام :

القسم الأول — في السباع، وما يتصل بها من جنسها.

وفيه ثلاثة أبواب :

الباب الأول — في الأسد، والبيّر، والنمر.

الباب الثاني — في الفهد، والكلب، والذئب، والضبع،

والنمس.

الباب الثالث — في السنجاب، والثعلب، والذئب، والهر،

والخنزير.

القسم الثاني — في الوحوش، والظباء، وما يتصل بها من جنسها.

وفيه ثلاثة أبواب :

الباب الأول — فيما قيل في الفيل، والكركدن، والزرافة،

والمهامة، والإيل<sup>(١)</sup>.

الباب الثاني — في الحمر الوحشية، والوعل، واللمط.

الباب الثالث — فيما قيل في الظبي، والأرنب، والقرد، والنعام.

(١) ويقال أيضا : الأيل والأيل (قاموس) .

القسم الثالث - وفيه ثلاثة أبواب :

الباب الأول - في الخيل .

الباب الثاني - في البغال، والحمير .

الباب الثالث - في الإبل، والبقر، والغنم .

القسم الرابع - وفيه بابان :

الباب الأول - في ذوات السموم القواتل .

الباب الثاني - فيما هو ليس بقاتل بفعله، من ذوات السموم .

القسم الخامس - وفيه سبعة أبواب : ستة منها في الطير، وباب في السمك .

(وذيلتُ عليه بباب ثامن ، أوردت فيه ما قيل

في آلات صيد البر، والبحر) .

الباب الأول - في سباع الطير، وهي : العقبان، والبوازي،

والصقور، والشواهين .

الباب الثاني - في كلاب الطير، وهي : النسر، والرحم، والحداة،

والغراب .

الباب الثالث - في بهائم الطير، وهي : الدراج، والحباري،

والطاووس، والدبك، والدجاج، والإوز،

والبط، والنحام، والأئيس، والقاوند،

والخُطَّاف، والقيق، والزرزور، والسَّمَانِي<sup>(١)</sup>،

والهذهد، والعقَّع، والعضاير .

(١) في الأصل السَّمان . وقال في الصحاح والسَّمانى ولا شدد الميم .

الباب الرابع — في بُغَاث الطَيْرِ، وهو: القُمَزِيُّ، والدُّبْسِيُّ،  
والوَرَشَاتُ، والقَوَاخِطُ، والشَّفِينِ،  
والعَبَّطَبُ، والنَّوَّاحُ، والقَطَاةُ، واليَمَامُ،  
وأصنافه، والبيِّغَاءُ.

٥. الباب الخامس — في الطَيْرِ اللَّيْلِ، وهو: الحَفَّاشُ، والكِرْوَانُ،  
والبُومُ، والصدى.

الباب السادس — في الهمَجِ، وهو: النَّمْلُ، والزُّنْبُورُ، والعنكبوتُ،  
والجرادُ، ودود القَزِّ، والذُّبَابُ، والبعوضُ،  
والبراغيثُ، والحُرْقُوصُ.

١٠. الباب السابع — في أنواع الأسماك.

الباب الثامن — يشتمل على ذكر شيء مما وُصِفَتْ به آلات الصيد  
في البرِّ، والبحرِ، ووصف رُماة البُنْدُقِ،  
وما يجري هذا المجرى.



## الفن الرابع

### في النبات

ويشتمل على خمسة أقسام :

(وذيلت على هذا الفن ، في القسم الخامس ، بشيء من أنواع الطيب ، والبخورات ،  
والغوالي ، والنُدود ، والمستقطرات ، وغير ذلك) .

القسم الأول — في أصل النبات ، وما تختص به أرض دون أرض .

(ويتصل به ذكر الأقوات ، والخضراوات ، والبقولات) .

وفيه ثلاثة أبواب :

الباب الأول — في أصل النبات ، وترتيبه .

الباب الثاني — فيما تختص به أرض دون أرض ، وما يستأصل

شأفة النبات الشاغل للأرض عن الزراعة .

الباب الثالث — في الأقوات ، والخضراوات ، والبقولات .

القسم الثاني — في الأشجار .

وفيه ثلاثة أبواب :

الباب الأول — فيما لثمره قشر لا يؤكل .

الباب الثاني — فيما لثمره نوى لا يؤكل .

الباب الثالث — فيما ليس لثمره قشر ولا نوى .

القسم الثالث - في الفواكه المشمومة .

وفيه بابان :

الباب الأول - فيما يُشْم رَطْبًا، وَيُسْتَقَطِر .

ويشتمل على أربعة أنواع : وهي "الورد،

والنَّسْرِينُ، وَالْحِلَافُ، وَالنَّيْلُوفَرُ" .

الباب الثاني - فيما يُشْم رَطْبًا، وَلَا يُسْتَقَطِر .

ويشتمل على ما قيل في البتِّسَجِ، والنرجس،

والياسمين، والآس، والزعفران، والحبق .

القسم الرابع - في الرياض، والأزهار .

(ويتصل به الصموغ، والأمانان، والعصائر) .

وفيه أربعة أبواب :

الباب الأول - في الرياض، وما وُصفت به نظمًا، ونثرًا .

الباب الثاني - في الأزهار، وما وُصفت به .

الباب الثالث - في الصموغ .

وفيه ثمانية وعشرون صنفًا .

الباب الرابع - في الأمانان .

القسم الخامس - في أصناف الطيب، والبَحُورَاتِ، والغوالي، والندود،

والمُسْتَقَطِرَاتِ، والأدهان، والنَّضُوحَاتِ، وأدوية

الباه، والخواص .

وفيه أحد عشر بابًا :

الباب الأول - في المسك، وأنواعه

١٠

١٥

٢٠

الباب الثاني — في العنبر، وأنواعه، ومعادنه .

الباب الثالث — في العُود، وأصنافه، وأنواعه، ومعادنه .

الباب الرابع — في الصُّنْدَل، وأصنافه، ومعادنه .

الباب الخامس — في السُّنْبُل الهندي، وأصنافه، والقرنفل،

وجوهره .

الباب السادس — في القُسط، وأصنافه .

الباب السابع — في عمل الغَوَالِي، والتُّدُود .

الباب الثامن — في عمل الرامك، والسك من الرامك والأدهان .

الباب التاسع — في عمل النَّضُوحَات، والمياه المستقطرة، وغير

المستقطرة .

الباب العاشر — في الأدوية التي تزيد في الباه، وتُلذِّذ الجماع،

وما يتصل بذلك .

الباب الحادي عشر — فيما يفعل بالخاصية .

## القرن الخامس

### في التاريخ

ويشتمل على خمسة أقسام :

القسم الأول — في مبدأ خلق آدم (عليه السلام) وحواء ، وأخبارهما ،

ومن كان بعد آدم إلى نهاية خبر أصحاب الرس .

وفيه ثمانية أبواب :

الباب الأول — في مبدأ خلق آدم (عليه السلام) ، وموسى

(عليه السلام) ، وما كان من أخبارهما إلى

حين وفاتهما .

١٠ الباب الثاني — في خبر شيث بن آدم (عليهما السلام) ، وأولاده .

الباب الثالث — في أخبار إدريس : النبي (عليه السلام) .

الباب الرابع — في قصة نوح (عليه السلام) ، وخبر الطوفان .

الباب الخامس — في قصة هود (عليه السلام) مع عاد ، وهلاكهم

بالريح العقيم .

١٥ الباب السادس — في قصة صالح (عليه السلام) مع ثمود ،

وعقرهم الناقة ، وهلاكهم .

الباب السابع — في أخبار أصحاب البئر المعطلة ، والقصر المشيد ،

وهلاكهم .

الباب الثامن — في أخبار أصحاب الرس ، وما كان من أمرهم .

القسم الثاني - في قصة إبراهيم، الخليل (عليه السلام)، وخبره مع نمرود؛

وقصة لوط؛ وخبر إسحاق، ويعقوب؛ وقصة يوسف؛

وأيوب؛ وذى الكفل؛ وشعيب (عليهم السلام).

وفيه سبعة أبواب :

الباب الأول - في قصة إبراهيم، الخليل (عليه الصلاة والسلام)، وأخبار نمرود بن كنعان .

الباب الثاني - في خبر لوط (عليه السلام) مع قومه، وقلب المدائن .

الباب الثالث - في خبر إسحاق، ويعقوب (عليهما السلام) .

الباب الرابع - في قصة يوسف بن يعقوب (عليهما السلام) .

الباب الخامس - في قصة أيوب (عليه السلام)، وأبنته، ودايته .

الباب السادس - في خبر ذى الكفل بن أيوب (عليهما السلام) .

الباب السابع - في خبر شعيب (عليه السلام)، وقصته مع مدين .

القسم الثالث - يشتمل على قصة موسى بن عمران (عليه السلام)،

وخبره مع فرعون؛ وخبر يوشع، ومن بعده؛ وحزقيل،

وإلياس، وأليسع، وعيلا، وأشمويل، وطالوت،

وجالوت، وداود، وسليمان بن داود، وشعيا،

وأرميا، وخبر بخت نصر، وخراب بيت المقدس،

وعمارته؛ وما يتصل بذلك من خبر عزير؛ وقصة

يونس بن متى ، وخبر بلوقيا ، وزكريا ، ويحيى ،  
وعمران ، ومريم ، وعيسى (عليهم السلام) ، وقصص  
الحواريين ، وما كان من أمرهم فيمن أرسلوا إليه ،  
وخبر جرجيس .

وفيه ستة أبواب :

(وذيلت على هذا القسم ذيلا يشتمل على أربعة أبواب ، ذكرت فيها  
ما قبل في الحوادث التي تظهر قبل نزول عيسى - عليه السلام - إلى  
الأرض ومدّة إقامته بها ، ووفاته ، وما يكون بعده ، وشيئا من أخبار  
الحشر والمعاد) .

١٠ الباب الأول — في قصة موسى بن عمران ، وهرون ، وغرق  
فرعون ، وأخبار بني إسرائيل ، وأخبار  
قارون ، وخبر بلعم بن باعوراء ، والجبّارين ،  
وغير ذلك .

١٥ الباب الثاني — فيما كان بعد موسى بن عمران ( عليه السلام )  
من أخبار يوشع بن النون ، ومن بعده ، وخبر  
حزقييل ، وإلياس ، وأليسع ، وعيلا ،  
وأشمويل ، وطالوت ، وجالوت ، وداود ،  
وسليان .

٢٠ الباب الثالث — في أخبار شعيا ، وأرميا ، وخبر بخت نصر ،  
ونحراب بيت المقدس ، وعمارته ، وما يتصل  
بذلك من خبر عزير .

الباب الرابع — في قصة ذى النون يونس بن متى ( عليه السلام ) ، وخبر بلوقيا .

الباب الخامس — في خبر زكريا ، ويحيى ، وعمران ، ومريم أبنته ؛ وعيسى بن مريم ( عليهما السلام ) .

الباب السادس — في أخبار الحواريين الذين أرسلهم عيسى ( عليه السلام ) ، وما كان من أمرهم بعد رفعه ؛ وخبر جرجيس .

التذييل على هذا القسم — ويشتمل على أربعة أبواب :

الباب الأول — في ذكر الحوادث التي تظهر قبل نزول عيسى بن مريم .

الباب الثاني — في خبر نزول عيسى إلى الأرض ؛ وقتل الدجال ؛ وخروج أجوج ، ومأجوج ، وهلاكهم ؛ ووفاة عيسى ( عليه السلام ) .

الباب الثالث — في ذكر ما يكون بعد وفاة عيسى بن مريم إلى النفخة الأولى .

الباب الرابع — في أخبار يوم القيامة والحشر ، والمعاد ؛ والنفخة الثانية في الصور .

القسم الرابع — في أخبار ملوك الأصقاع، وملوك الأمم، والطوائف؛

وخبر سبل العرم، ووقائع العرب في الجاهلية .

وفيه خمسة أبواب :

الباب الأول — في أخبار ذى القرنين، المذكور في سورة الكهف .

الباب الثاني — في أخبار ملوك الأصقاع، وهم : ملوك مصر،

والهند، والصين، وجبل القمح .

الباب الثالث — في أخبار ملوك الأمم من الأعاجم . وهم : ملوك

الفرس الأول، وملوك الطوائف منهم ؛

والمملوك الساسانية ؛ وملوك اليونان والسريان ؛

والكلدانيين ؛ والصقالبة ؛ والبوكبرد ؛

والإفريقية ؛ والجلائقة ؛ وطوائف السودان .

الباب الرابع — في أخبار ملوك العرب .

(ويتصل به خبر سبل العرم) .

الباب الخامس — في أيام العرب، ووقائعها في الجاهلية .

القسم الخامس — في أخبار الملة الإسلامية؛ وذكري شيء من سيرة نبينا محمد

(صلى الله عليه وسلم) ، وأخبار الخلفاء من بعده

(رضي الله عنهم) ؛ وأخبار الدولة الأموية ؛

والعباسية ؛ والعلوية ؛ ودول ملوك الإسلام .

وأخبارهم، وما فتح الله (سبحانه وتعالى) عليهم — على

ماسنين ذلك — إن شاء الله (تعالى) .

وفيه اثنا عشر بابا :



الباب الأول — في سيرة سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

الباب الثاني — في أخبار الخلفاء من بعده : أبي بكر، وعمر،

وعثمان، وعليّ، وآبنة : الحسن (رضى الله

عنهم أجمعين) .

الباب الثالث — في أخبار الدولة الأموية بالشام وغيره .

الباب الرابع — في أخبار الدولة العباسية بالعراق، ومصر .

الباب الخامس — في أخبار الدولة الأموية بالأندلس، وأخبار

الأندلس بعد انقراض الدولة الأموية .

الباب السادس — في أخبار إفريقية، وبلاد المغرب، ومن وليها

من العمال، ومن استقل منهم بالملك .

الباب السابع — في أخبار من نهض في طلب الخلافة من

الطالبين، في مدة الدولتين : الأموية،

والعباسية، فقتل دونها، بعد مقتل الحسين

أبن عليّ (رضى الله عنهما) .

الباب الثامن — في أخبار صاحب الزنج، والقرامطة، والخوارج

بالموصل .

الباب التاسع — في أخبار من استقل بالملك، والممالك، بالبلاد

الشرقية والشالية، في خلال الدولة العباسية،

وهم : ملوك خراسان، وما وراء النهر،

والجبال، وطبرستان، وغزنة، والغور،

وببلاد السند، والهند : كالدولة السامانية ،  
والصَّفَّارِيَّة ، والغزنوية ، والغورية ، والدَّيْلَمِيَّة  
الختليَّة .

الباب العاشر — في أخبار ملوك العراق ، وما والاه ، وملوك  
الموصل ، والديار الجزيرية ، والبكرية ، والبلاد  
الشامية ، والخلبية : كالدولة الحمدانية ،  
والدَّيْلَمِيَّة البويهية ، والسُّلْجُوقِيَّة ، والأتابكية .  
الباب الحادي عشر — في أخبار الدولة الخوارزمية ، والجنكزخانية ،  
وهي دولة التتار ، وما تفرع منها .

الباب الثاني عشر — في أخبار ملوك الديار المصرية الذين ملكوا  
في خلال الدولة العباسية ، نيابةً عن خلفائها ،  
وهم : الملوك العبيديون الذين آنتسبوا إلى  
علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ، وما كان  
من أمرهم ، وما ملكوه من بلاد المغرب ،  
وكيف آستولوا على الديار المصرية ، والبلاد  
الشامية ، والخلبية ، والثغور ، والسواحل ،  
وغير ذلك إلى أن آتقرضت دولتهم ، وقيام  
الدولة الأيوبية ، وأخبار ملوكها بمصر ، والشام  
إلى حين آتقراضها ، وقيام دولة الترك ، ومن  
ملك منهم من آبنائهم ، وما حازوه من الأقاليم ،  
وما فتحوه من الممالك ، وغير ذلك من

أخبارهم ، وما استنقر في ملك مملوك هذه الدولة  
إلى حين وضعنا لهذا التأليف في سنة ... ..  
وسبعائة ( في أيام مولانا السلطان السيد  
الأجل المالك الملك الناصر ، ناصر الدنيا  
والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ،  
أبي الفتح محمد ، بن السلطان الشهيد ، الملك  
المنصور ، سيف الدنيا والدين ، أبي المظفر  
قلاون ، الصالحى . خلد الله ملكه على ممر  
الزمان ، وسقى عهد والده صوب الرحمة  
والرضوان ، بركة سيد ولد عدنان ! )

هذا مجموع ما يشتمل عليه هذا الكتاب ، من فنون وأقسام وذبول وأبواب .  
ثم ينطوى كل باب منها على فصول وأخبار ، ويحتوى على وقائع وآثار .  
ولما آتته أبوابه وفصوله ، وأنحصرت جملته وتفصيله ، ترجمته :

## بنهاية الأرب في فنون الأدب

وأنتيت فيه بالمقصود والغرض ، وأثبت الجوهر ونهيت العرض ، وطوقتته بقلائد  
من مقولى ، ورصعته بفرائد من متقولى . فكلامى فيه كالسارية تلتها السحاب ، أو السرية  
ردفتها الكائب . فما هو إلا مترجم عن فنونه ، وحاجب لعيونه .

وما أوردت فيه إلا ماغلب على ظنى أن النفوس تميل إليه ، وأن الخواطر تشتمل  
عليه . ولو علمت أن فيه خطأ لقبضت بنانى ، وغضضت طرفى ، ولو خبرت طريق

المعترض لعطف عِنَانِي ، وثبت عِطْفِي . لكنني تبت في آثار الفضلاء قبلي ،  
وسلكت منهم فوصلت بمجالهم حيلي . فإن يكن اعتراض ، فعلى علام لا على  
العار . وقد علمت أنه من صنف كتابا فقد استهدف ، وأصم الأسماع وإن كان  
لبعضها قد شنف .

وخليق للواقف عليه أن يسد ما يجد به من خلل ، وأن يغفر ما يلمح فيه من زلل .  
فأسبل عليها ستر معروفك الذي سترت به قدما على عواري . والذي أدى إليه  
أجتهادي من تأليفه فقد أصدرته ، والذي وقفت عنده غايي فقد أوردته . قد  
تبلغت فيه وسعي ، لكن ليس من عثرة الكتاب أمان . وبالله سبحانه المستعان !  
وعليه أتوكل ، واليه أتضرع في التيسير وأتوسل ؛ ومن فضله أستمد الصواب ،  
وباسمه أستفتح الكتاب<sup>(١)</sup> !

(١) ورد في النسخة الفوتوغرافية التي أعتمدنا الطبع عليها (وهي المحفوظة بكتبخانة الكوبريل بالقسطنطينية)  
ما نصه في هذا الموضع : "هذا آخر الفهرست لهذا الكتاب . ولنبتدى إن شاء الله تبارك وتعالى بما بدأ به  
مؤلفه عفا الله تعالى عنه وهو الفن الأول . ورجو بعون الله وحوله وقوته الإتمام بسلام . وصلى الله  
وسلم على أشرف الأنام ، سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام" - وهي من زيادات الناسخ .

## الفرس الأول

### في السماء والآثار العلوية، والأرض والمعالم السفلية

وقد أوردت في هذا الفن نبذة من وصف السماء، التي هي قبلة الدعاء، وباب  
الرجاء؛ والكواكب السيّارات ذوات السنن والسناء؛ والملائكة الذين هم أولو أجنحة،  
مثنى، وثلاث، ورباع؛ والسحاب التي تجود بوبائها فتعدل في قسّمها بين السهل  
واليفاع؛ والرعد الذي إن وئت يحمها؛ والريج الذي إن اجتمعت يئها؛ والبرق الذي  
شبهه بنان الحاسب والكف الخضيب؛ والثلج الذي خلع على الأرض رداء المشيب؛  
وقوس السحاب الذي تنكبه الجوفأفرغ عليه مصبغات الحلال، ورمى الجذب ببنادق  
البرد فتباشرت بالخصب أهل الحلال؛ والنيران وعبادها وعددها، والمياه وأمدادها  
ومددها؛ والليالي والأيام، والشهور والأعوام؛ والسنة وفصولها ومباديها، والأعياد  
والمواسم وممّخذيها؛ والأرض والجبال، والبراري والرمال؛ والجزائر والبحار، والعيون  
والأنهار؛ وطبائع البلاد، وأخلاق من سكنها من العباد؛ والمباني والمعاقل،  
والتصور والمنازل .

وجعلته خمسة أقسام يُستدل بها عليه، ويتوصل من أبوابها إليه .

## القسم الأول

في السماء وما فيها

وفيه خمسة أبواب :

### الباب الأول

من القسم الأول من الفن الأول

#### ١ - في مبدأ خلق السماء

قال الله تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ صُحَّاهَا﴾ .

§ والسماء تُذَكَّرُ وتُؤنَّثُ .

١٠ فشاهد التذكير قول الله (عزَّ وجلَّ) : ﴿السَّمَاءُ مُنْفِطِرَةٌ بِهِ﴾ ؛ وقول الشاعر :

فلورفع السماء إليه قوما ، \* لحقنا بالسماء مع السحاب !

وشاهد التأنيث ، قوله (تبارك وتعالى) : ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾ ؛ وقول الشاعر :

\* ياربِّ ، ربِّ الناس في سماته !<sup>(١)</sup> \*

(١) هكذا في الأصول ، أى بالناء المثناة . ولو همزت ، لفات الشاهد .

## ٢ - ذكر ما قيل في أسماء السماء وخلقها

قد نطقت العرب للسماء بأسماء .

منها : الجرباء . وسميت بذلك لكثرة النجوم بها .

ومنها : الخلقاء . لملاستها .

وبرقع . والرقيق .<sup>(١)</sup> ومنه قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لسعد بن معاذ :

« لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع أرقعة » . أى من فوق سبع سماوات .

ومنها : الطرائق . قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ ﴾ .

والسماء مخلوقة من دُخان .

## ٣ - حكي في سبب حدوثه

أن الله تعالى خلق جوهره ، ووصف من طولها وعرضها عظاما . ثم نظر إليها نظر

هيبه ، فأتمعت ، وعلاها من شدة الخوف زبداً ودُخان . فخلق الله من الزبد الأرض ،

وفتقها سبعا ، ومن الدخان السماء ، وفتقها سبعا . ودليله قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَىٰ

السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ . قال : ولما فتق الله تعالى السماوات ، أوحى في كل سماء أمرها .

وآختلف المفسرون في الأمر ، ما هو؟ فقال قوم : خلق فيها جبلا من برد وبحارا ،

وقال قوم : جعل في كل سماء كوبجا ، قدر عليه الطلوع والأفول ، والسير والرجوع .

وقال قوم : أسكنها ملائكة يخبرهم للعالم السفلى ، فوكل طائفة بالسحاب وطائفة

بالريح ، وجعل منهم حفظة لبنى آدم وكاتبين لأعمالهم ومستغفرين لذنوبهم .

(١) كزبرج وقنذكا في القاموس .

## الباب الثاني

## ١ - في هيئتها

ذهب المفسرون لكتاب الله عز وجل أن السماء مسطوحة ، بدليل قوله تعالى :  
﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ  
نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ .

ويطلق على مجموعها فلَكُ ، لقوله تعالى : ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ .

وذهب الحسن إلى أن الفلك غير السماوات ، وأنه الحامل بأمر الله تعالى للشمس  
والقمر والنجوم .

١٠ قالوا : ولما فتق الله تعالى رتق السماوات ، جعل بين كل سماء وسماء مسيرة  
نعمائة عام .

وروى عن أبي هريرة (رضي الله عنه) ، قال : ” بينا رسول الله (صلى الله عليه  
وسلم) جالس هو وأصحابه ، إذ أتى عليهم سحاب . فقال النبي (صلى الله عليه وسلم)  
هل تدرون ما هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : هذا العنان ، هذه رَوَايا الأرض ،

١٥ يسوقها الله تعالى إلى قوم لا يشكرونه ولا يدعون له . ثم قال : أتدرون ما فوقكم ؟ قالوا :  
الله ورسوله أعلم . قال : هذا الرقيع : سقف محفوظ ، وموج كنفوف . ثم قال : هل  
تدرون ما بينكم وبينها ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : بينكم وبينها نعمائة سنة .  
ثم قال : هل تدرون ما فوق ذلك ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : سماء في بعد ما بينهما

(١) العنان السحاب . واحده بهاء . (قاموس) .



نعمائة سنة . قال ذلك حتى بلغ سبع سماوات ، ما بين كل سماءين ، ما بين السماء والأرض . ثم قال : هل تدرون ما فوق ذلك ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : إن فوق ذلك العرش . وبينه وبين السماء بعد ما بين السماءين . ثم قال : هل تدرون ما تحتكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : إن تحتها أرضاً أخرى ، بينهما مسيرة نعمائة سنة . حتى عد سبع أرضين ، بين كل أرض وأرض نعمائة سنة . أخرجه أبو عيسى الترمذى ، في "جامعه" .

ويروى عن ابن عباس (رضى الله عنهما) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان جالسا بالطحاء ، بين أصحابه ، إذ مرت عليهم سحابة . فنظروا إليها . فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هل تدرون ما اسم هذه ؟ قالوا : نعم . هذا السحاب . فقال (صلى الله عليه وسلم) : والمزن . قالوا : والمزن . قال : والعنان . فقال : هل تدرون ما بين السماء والأرض ؟ قالوا : لا ندري . قال : نعمائة عام . وبينها وبين السماء التي فوقها كذلك . (حتى عد سبع سماوات) . ثم قال : وفوق السماء السابعة بحر ، بين أعلاه وأسفله كما بين سماء إلى سماء (وفي لفظ : كما بين السماء والأرض) . وفوق ذلك ثمانية أوعال ، بين أظلافهم وركبتهم مثل ما بين سماء إلى سماء ، ثم فوق ظهورهم العرش ، بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض .

وجاء في رواية أخرى ذكر الكرسي ، وقال : « ثم ما بين السماء السابعة والكرسي مسيرة نعمائة عام . ثم ما بين الكرسي إلى السماء مسيرة نعمائة عام . والعرش فوق الماء . » ولم يذكر الأوعال .

وجاء في رواية أخرى ذكر الكرسي ، وأن السماوات في ضمنه . وهي بالنسبة إليه  
تخلقة مُلقاة في أرض فلاة ، والكرسي بالنسبة إلى العرش كذرة مُلقاة في أرض فلاة  
فيحاء . (وفي رواية تخلقة) .

وروي أن أبا ذر (رضي الله عنه) قال : "يارسول الله : أي آية أنزلت عليك  
أعظم؟ قال : آية الكرسي . ثم قال : يا أبا ذر ! أتدرى ما الكرسي ؟ قلت : لا ؛  
فعلمني يارسول الله ، مما علمك الله . فقال : ما السماوات والأرض وما فيهن  
في الكرسي ، إلا تخلقة ألقاها مُلقٍ في فلاة . وما الكرسي في العرش ، إلا تخلقة ألقاها  
مُلقٍ في فلاة . وما العرش في الماء ، إلا تخلقة ألقاها مُلقٍ في فلاة . وما الماء في الريح ،  
إلا تخلقة ألقاها مُلقٍ في فلاة . وجميع ذلك في قبضة الله كالحبة ، وأصغر من الحبة ،  
في كف أحدكم . تعالى الله سبحانه " . رواه أبو حاتم في كتاب العظمة .

والقول في هيئة السماء ، على مذاهب أصحاب علم الهيئة ، كثير . أغضينا عنه ، لأنه  
لا يقوم عليه دليل واضح . فلذلك أقتصرنا على ذكر المنقول دون المعقول .  
فلنذكر ما جاء في الأمثال التي فيها ذكر السماء ، وما وصفها الشعراء به وشبهوها .

## ٢ — أما الأمثال

فقولهم : أرفع من السماء ، للبالغة .  
وقول الشاعر :

من ذا رأى أرضاً بغير سماء ؟

إت السماء تُرَجَى حين تَحْتَجِبُ .

إت السماء ، إذا لم تبتك مُقلَّتْها ، \* لم تضحك الأرض عن شيء من الزهير .

## ٣ - واما الوصف والتشبيه

فمنه قول عبد الله بن المعتز :

كَأَنَّ سَمَاءَنَا، لَمَّا تَجَلَّتْ \* خِلَالَ مُجُومِهَا عِنْدَ الصَّبَاحِ،  
رِيَاضٌ بِنَفْسِجِ خَضِيلٍ، نَدَاهُ \* تَفْتَحُ بَيْنَهُ نَوْرُ الْأَقَاحِ .

وقال آخر :

كَأَنَّ سَمَاءَنَا، وَالشُّهْبُ فِيهَا، \* وَأَصْغَرُهَا لِأَكْبَرِهَا مُزَاجِحُ،  
بِسَاطِ زُمُرْدٍ تُثِرْتُ عَلَيْهِ \* دَنَائِيرٌ مُخَالِطُهَا دَرَاهِمُ .

ونحوه قول الآخر :

كَأَنَّ سَمَاءَ الْأَرْضِ نَطَعُ زُمُرْدٍ، \* وَقَدْ فَرِشَتْ فِيهِ الدَّنَائِيرُ لِلصَّرْفِ .

وقال آخر :

وَرَأَيْتُ السَّمَاءَ كَالْبَحْرِ إِلَّا \* أَنَّ مَرَسُوبَهُ مِنَ الدَّرَطَافِي .  
فِيهِ مَا يَمَلَأُ الْعُيُوتَ كَبِيرٌ \* وَصَغِيرٌ مَا بَيْنَ ذَلِكَ خَافِي .

وقال التنوخي يصف ليلة :

كَأَنَّهَا مُجُومُهَا، \* نُصِبَ عُيُونِ الرَّمَقِ،  
دَرَاهِمٌ قَدْ تُثِرْتُ \* عَلَى إِسَاطِ أَرْزَقِ .

وقال أبو طالب الرقي :

وَكَاَنَّ أَجْرَامَ السَّمَاءِ، لَوَامِعًا، \* دَرَرْتُ ثُرُنَ عَلَى إِسَاطِ أَرْزَقِ .

وقال ظافر الحداد :

كَأَنَّ مُجُومَ اللَّيْلِ، لَمَّا تَبَلَّجَتْ، \* تَوْقُدُ جَمْرِي فِي خِلَالِ رَمَادِ .  
حِكِي، فَوْقَ مَمْتَدِّ الْمَجْرَةِ شَكْلُهَا، \* فَوَاقِعَ تَطْفُوفِ فَوْقَ بُلْحَةِ وَاوَدِي .

وقال آخر:

كَانَتْ النُّجُومَ ، نَجُومَ السَّمَاءِ ، \* وقد لُحِنَ لِلْعَيْنِ مِنْ فَرَطِ بُعْدِ ،  
مَسَامِيرٍ مِنْ فِضَّةٍ سُمِّرَتْ \* على وجه لَوْحٍ مِنَ اللَّأَزْوَرِدِ .

وقال محمد بن عاصم :

تُرَى صَفْحَةَ الْخَضْرَاءِ ، وَالنَّجْمَ فَوْقَهَا ، \* كَكَفِّ سُدُوسِي بَدَأَ فِيهِ دَرَاهِمُ ،  
تُرَى ، وَعَلَى الْآفَاقِ أَثْوَابُ ظُلْمِيَّةٍ ، \* وَأَزْرَارُهَا مِنْهَا شَمَالٌ وَمَرْزَمٌ (١) .

#### ٤ - ومما قيل في الفلك

قال أبو العلاء المعري :

بَالَيْتَ شِعْرِي ! وَهَلْ لَيْتَ بِنَافِعِيَّةٍ ؟ \* مَاذَا وَرَاءَكَ أَوْ مَا أَنْتَ يَا فَلَكَ ؟  
كَمْ خَاصٌّ فِي إِثْرِكَ الْأَقْوَامُ وَأَخْتَلَفُوا \* قَدَمًا ! فَمَا أَوْضَحُوا حَقًّا وَلَا تَرَكَوْا .  
شَمْسٌ تَغِيْبُ وَيَقْفُو إِثْرَهَا قَمَرٌ ، \* وَنُورٌ صُبْحٍ يُوَافِي بَعْدَهُ حَلَكٌ .  
طَحَنَتِ طَحْنِ الرَّحَى مِنْ قَبْلِنَا أُمَّمًا \* شَيْءٌ ، وَلَمْ يَدْرِ خَلْقُ آيَةٍ سَلَكَوْا .  
وَقَالَ ، إِنَّكَ طَبَعٌ خَامِسٌ ، نَقَرٌ \* عَمْرِي ! لَقَدْ زَعَمُوا بَطْلًا وَقَدْ أَفْكُوا !  
رَامُوا سِرَائِرَ لِلرَّحْمَنِ حَجَّيْبَهَا ، \* مَا نَاهُنَّ نَبِيٌّ ، لَا وَلَا مَلَكٌ .  
وقال الرئيس أبو علي بن سينا (٢) :

يَرْبِّكَ ! أَيُّهَا الْفَلَكَ الْمُسْدَارُ ، \* أَقْصِدْ ذَا الْمَسِيرِ أَمْ أَضْطِرَارُ ؟  
مَدَارُكَ ، قُلْ لَنَا ، فِي أَيِّ شَيْءٍ ؟ \* فَنِي أَفْهَامِنَا مِنْكَ أَنْبَهَارُ !

(١) المرزم : الثابت القائم على الأرض .

(٢) قال صاحب عيون الأنبياء (ج ١ ص ٢٤٨ - ٢٤٩) إن بعض الناس ينسب هذه القصيدة

٢٠ لأبن سينا وليست له ، ونص على أنها لأبن الشبل البغدادي وقد أوردتها في خمسين بيتا .

وَعِنْدَكَ تُرْفَعُ الْأَرْوَاحُ؟ أَمْ هَلْ \* مَعَ الْأَجْسَادِ يُدْرِكُهَا الْبَوَارُ؟  
 وَفِيكَ الشَّمْسُ رَافِعَةٌ شُعَاعًا ، \* بِأَجْنِحَةٍ قَوَادِمُهَا قِصَارُ؟  
 قُطُوفٌ، ذِي النُّجُومِ أَمْ اللَّالِي؟ \* هَلَالٌ أَمْ يَدٌ فِيهَا سِوَارُ؟  
 وَشُهْبٌ ، ذِي الْمَجْرَةِ أَمْ ذُبَالٌ <sup>(١)</sup> \* عَلَيْهَا الْمَرْخُ يُقَدِّحُ <sup>(٢)</sup> وَالْعَفَارُ <sup>(٣)</sup>؟  
 وَتَرْصِيعٌ ، نُجُومُكَ أَمْ حَبَابٌ \* تُؤَلِّفُ بَيْنَهَا اللَّجَجَ الْغِزَارُ؟  
 تَمَدُّ رُقُومُهَا لَيْلًا وَتُطْوَى \* نَهَارًا، مِثْلَ مَا طَوَى الْإِزَارُ!  
 فَكَمْ بِصِقَالِهَا صَدِيَّ الْبَرَايَا ! \* وَمَا يَصْدَا لَهَا أَبَدًا غِرَارُ.  
 وَتَبْدُو تُمْ تَحْنِسُ رَاجِعَاتٍ \* وَتَكْنِسُ مِثْلَ مَا كَنَسَ الصُّوَارُ <sup>(٤)</sup>.  
 فَبَيْنَا الشَّرْقُ يُقَدِّمُهَا صُعُودًا \* تَلْقَاهَا مِنَ الْغَرْبِ أَنْجِدَارُ .  
 هِيَ الْعَشْوَاءُ ، مَا خَبَطَتْ هَشِيمٌ \* هِيَ الْعَجَمَاءُ ، مَا جَرَحَتْ جُبَارُ <sup>(٥)</sup>.

وقال أبو عبادة البُحْتَرِيُّ :

أَنَاةُ ! أَيُّهَا الْفَلَكَ الْمُدَارُ ! \* أَنَّهُبُ مَا تُصَرِّفُ أَمْ خِيَارُ؟  
 سَتَبَلِي مِثْلَ مَا نَبَلِي ، وَتَفْنِي \* كَمَا نَفْنِي ، وَيُؤَخِّدُنِي نَارُ .

(١) الذبَالُ : الفتائل .

(٢) الْمَرْخُ : شجر سريع الوري كثيره . وقد وصفه المؤلف فيما بعد (ص ٣٩) بأنه شجر تحنك بعض أغصانه ببعض فتورى نارا .

(٣) الْعَفَارُ : شجر يتخذ منه الزناد وهو من شجر النار .

(٤) الصُّوَارُ كالصيار بكسر الصاد وضمة : القطيع من البقر .

(٥) الْجُبَارُ (بضم الجيم) الهدر .

## الباب الثالث

## من القسم الأول من القرن الأول

## ١ - في ذكر الملائكة

- قال رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) : " أَطَّتِ السَّمَاءُ ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَنْطَبَّ .  
 ما فيها موضع أربع أصابع ، إلا وعليه ملك قائم أو راكع أو ساجد " .  
 والملائكة أولو أجنحة : منثى ، وثلاث ، ورباع ، وأكثر من ذلك . فإنه قد  
 ورد أن جبريل ( عليه السلام ) له ستمائة جناح . وهي الصورة التي رآه النبي  
 ( صلى الله عليه وسلم ) فيها مرتين :
- إحداهما في الأرض ، وقد سد ما بين الخافقين . ووصفه الله تعالى بالقوة ،  
 فقال تعالى : ﴿ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ . ومن قوته ، أنه أقتلع مدائن  
 قوم لوط ، وكانت خمس مدائن ، من الماء الأسود ، وحملها على جناحه ، ورفعها إلى  
 السماء ، حتى إن أهل السماء يسمعون نباح كلابهم ، وأصوات دجاجهم ، ثم قلبها .  
 والمرة الثانية ، رآه ( صلى الله عليه وسلم ) عند سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى . قال الله تعالى :  
 ﴿ وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴾ .
- وكان هبوط جبريل ( عليه السلام ) على الأنبياء ( صلوات الله عليهم ) ورجوعه  
 في أَوْحَى مِنْ رَجْعِ الطَّرْفِ .<sup>(٢)</sup>

(١) أط : صوت .

(٢) أسرع .

وعُظَاء الملائكة أربعة، وهم : إسرافيل ، وميكائيل ، وجبرائيل ، وعزرائيل .  
وأقربهم من الله تعالى منزلةً ، إسرافيل .

فإذا أراد الله تعالى بوحيٍ ، جاء اللوحُ المحفوظُ حتى يقرعَ جبهةَ إسرافيل ، فيرفع رأسه ، فينظر فيه . فإن كان إلى السماء ، دفعه إلى ميكائيل ؛ وإن كان إلى الأرض ، دفعه إلى جبرائيل ؛ وإن كان بموت أحد ، أمر به عزرائيل . صلوات الله عليهم !

وقد روى في قوله تعالى : ﴿ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾ ، هم أربعة من الملائكة :  
جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وعزرائيل . فجبريل على الجنود والرياح ،  
وميكائيل على القَطَرِ والنبات ، وعزرائيل على قبض الأرواح ، وإسرافيل يبلغهم  
ما يؤمرون به .

وجعل الله تعالى لهم أن يتمثلوا للبشر على ما شاءوا من الصور ، كما كان جبريل يتمثل  
لسيدنا رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) على صورة دحية الكلبي مرارا ، وفي صورة  
غيره من الرجال ؛ وكما تمثل لمريم عليها السلام بشرا سويا . ونزلت الملائكة في غزوة  
بدر على الخيول المسومة ، وقد سدلوا ذوائب عمائمهم على مناكبهم . وهم مخلوقون من  
نور . صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين !

## الباب الرابع

من القسم الأول من الفن الأول

١ - في الكواكب السبعة المتحيرة

قال الله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ الْجَوَارِي الْكُنُوسِ﴾ . ذهب المفسرون إلى

• أنها هي الكواكب السبعة : زُحُلُ ، والمَشْتَرِي ، والمِرْيَجُ ، والشمسُ ، والزُّهْرَةُ ،  
وَعُطَارِدُ ، والقمر .

وقالوا: إن هذه الكواكب هي المعنيّة بقوله تعالى: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ .

وسميت كُنُوسًا لأنها تجرى في البروج ثم تَكُنُسُ أي تستتر كما تَكُنُسُ الظباءُ ؛ وَخُنُوسًا

لأستقامتها ورجوعها . وقيل الخُنُوسُ والكُنُوسُ منها خمسة ، دون الشمس والقمر .

١٠ . وسميت خُنُوسًا لأن الخُنُوسُ في كلام العرب الأتقباض . وفي الحديث الشريف

” الشيطانُ يُوَسْوِسُ للعبد ، فإذا ذكر الله تعالى خُنَسَ “ أي أتقبض ورجع . فيكون

في الكوكب بمعنى الرجوع . وَكُنُوسًا من قول العرب كَنَسَ الظبيُّ إذا دخل الكِنَاسَ ،

وهو مقعره ؛ ويكون في الكوكب اختفائه تحت ضوء الشمس .

وأسماء هذه الكواكب عند العرب مشتقة من صفاتها .

١٥ § فقالوا في زحل : زَحَلُ فَلَانٌ إذا أَبْطَأَ ، وبذلك سُمِّيَ هذا الكوكب لبطئه في السماء .

وقيل الزَّحَلُ والزَّحِيلُ الحقد وهو في طبعه . وهذا الكوكب عند المفسرين هو المعنى

بقول الله عز وجل ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ .

(١) الذحل الذي بمعنى الحقد بالذال المعجمة ولم يذكره أحد من أئمة اللغة في الزاى . فهو اشتباه على الناقل .

والذي ” في اللسان “ أنه سمي بذلك لبطئه :



§ وقالوا في المشتري : إنه إنما سُمِّيَ بذلك لحسنه ، كأنه اشترى الحسن لنفسه . وقيل لأنه نجم الشراء والبيع ، ودليل الأموال ، والأرباح .

§ وقالوا في المريخ : إنه مأخوذ من المرخ ( وهو شجر تحتك بعض أغصانه ببعض فتورى نارا ) فسمي بذلك لأحمراره . وقال آخرون المريخ سهم لاريش له إذا رمي به لا يستمر في ممته . وكذلك المريخ ، فيه آلتواء كثير في سيره وحكمه ، فشبه بذلك .

§ وقالوا في الشمس : إنها لما أن كانت واسطة بين ثلاثة كواكب علوية وثلاثة سفلية ، سميت بذلك لأن الواسطة التي في الختقة تسمى "شمسة" .

§ وقالوا في الزهرة : إنها مشتقة من الزاهر ، وهو الأبيض النير من كل شيء .

§ وقالوا في عطارد : إنه النافذ في الأمور ، ولهذا سُمِّيَ بالكاتب . وهكذا هذا الكوكب كثير التصرف مع ما يلبسه ويقارنه .

§ وقالوا في القمر : إنه مأخوذ من القمرة ، وهي البياض ، والأقمر الأبيض .

§ والقُرس تسمى هذه الكواكب بلفتها "كيوان" ، ويعنون به زحل ؛ و"تير" ، ويعنون به المشتري ( وبعضهم يسميه "البرجيس" ) ؛ و"بهرام" ، ويعنون به المريخ ؛ و"مهر" ، ويعنون به الشمس ؛ و"أناهيد" ، ويعنون به الزهرة ( وبعضهم يسميها : "بيدخت" ) ، و"هرمس" ( ويعنون به عطارد ) ، و"ماه" ( ويعنون به القمر ) .

§ وقد جمع بعض الشعراء أسماء هذه الكواكب في بيت واحد من بيتين يمدح بهما بعض الرؤساء فقال :

لازلت تَبْقَى وتَرْقَى للعَلَا أبداً \* مادامَ للسَّبْعَةِ الأَفلاكِ أَحكامُ !

مِهرٌ ، وِماهٌ ، وِكيوانٌ ، وِتيرٌ معاً \* وِهرمسٌ ، وِأناهيدٌ ، وِبهرامُ !

## نهاية الأرب

وقال أبو إسحاق الصابى :

نَلِ الْمُنَى فِي يَوْمِكَ الْأَجْوَدِ، \* مُسْتَنْجِحًا بِالطَّالِعِ الْأَسْعَدِ!  
وَأَرَقَ كَمَرَقِي زُحَلٍ صَاعِدًا \* إِلَى الْمَعَالِي أَشْرَفَ الْمُقْصِدِ!  
وَفِضْ كَفَيْضِ الْمُشْتَرَى بِالنَّدَى \* إِذَا أَعْتَلَى فِي أَفْقِهِ الْأَبْعَدِ!  
وَزِدْ عَلَى الْمَتْرِيخِ سَطْوًا بَمَنْ \* عَادَاكَ مِنْ ذِي تَحْوَةٍ أَصِيدِ!  
وَأَطْلَعْ كَمَا تَطْلَعُ شَمْسُ الضُّحَى \* كَاسْفَةَ لِلْحِنْدِسِ الْأَسْوَدِ!  
وُخِذْ مِنَ الزُّهْرَةِ أفعالَهَا \* فِي عَيْشِكَ الْمُسْتَقْبَلِ الْأَرْغَدِ!  
وَضَاهِ بِالْأَقْلَامِ فِي جَرِيهَا \* عُطَارِدَ الْكَاتِبِ ذَا السُّوَدِ!  
وَبَاهِ بِالْمَنْظَرِ بَدْرَ الدُّجَى \* وَأَفْضَلُهُ فِي بَهْجَتِهِ وَأَزْدِ!

- ١٠ . وقد آخِضَ كُلُّ كَوْكَبٍ مِنْ هَذِهِ الْكَوَاكِبِ بِقَوْلِ . سَنَذَكُرُ مِنْ ذَلِكَ مَا تَقُومُ بِهِ  
الْحِجَّةُ ، وَيَنْهَضُ بِهِ الدَّلِيلُ مِنَ الْكُتَابِ وَالسَّنَةِ ، وَمَا يُتِمُّلُ بِهِ مِمَّا فِيهِ ذِكْرُهَا ، وَمَا وَرَدَ  
فِي ذَلِكَ مِنَ الْأَوْصَافِ وَالتَّشْبِيهَاتِ : نَظْمًا وَنَثْرًا مِمَّا وَقَفْتُ عَلَيْهِ فِي أَثْنَاءِ مَطَالَعَتِي لِكُتُبِ  
الْفَضْلَاءِ وَتَصَانِيْفِهِمْ وَدَوَاوِينِهِمْ . وَعَدَلْتُ عَنْ أَقْوَالِ الْمُتَجَمِّينَ لِمَا فِيهَا مِنْ سُوءِ الطَّوِيلَةِ  
وَقَبِيحِ الْإِعْتِقَادِ : لِأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَرَى أَنَّ لِلنَّجُومِ فِي الْوُجُودِ تَأْثِيرَاتٍ وَأَفْعَالًا . أَعَاذَنَا اللَّهُ  
تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ !

١٥

## ٢ - ذكرا ما قيل في الشمس

(والشمس هي النير الأعظم)

وقد ذهب بعض المفسرين لكتاب الله تعالى إلى أن نور الشمس والقمر في سائر  
السيارات بدليل قول الله عز وجل ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ .

وجاء في الحديث عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "الشمس والقمر وجوههما إلى السماء وأقفاؤهما إلى الأرض" وفي حديث آخر "وجوههما إلى العرش وأقفاؤهما إلى الأرض". وفي حديث آخر "إن الشمس تكون في الصيف في السماء الخامسة، وفي الشتاء في السماء السابعة تحت عرش الرحمن".

٥ § وزعموا أن حركتهما وحركة سائر الكواكب مستقيمة غير مستديرة، وأن الشمس تقطع سماء الدنيا في يومها، وتغيب في الأرض في عين حَمِيَّة . ومعنى حَمِيَّة ذات حَمَاة . وقد جاء في تفسير قوله تعالى ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ﴾ أى إلى موضع قرارها، لأنها تجرى إلى أبعاد منازلها في الغروب، ثم ترجع؛ ومن قرأ "لامستقر" لها أى هى دائبة السير ليلا ونهارا . وهى قراءة شاذة<sup>(١)</sup> .

١٠ وقد قال الله تعالى ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ﴾ وروى عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إنها تجرى لمستقر لها تحت العرش، فتسخر ساجدة؛ فلا تزال كذلك حتى يُؤَدَّن لها في الطلوع . ويوشك أن يقال لها: أرجعي من حيث جئت؛ وذلك طلوعها من مغربها .

١٥ وذهب وهب بن منبه إلى أن الشمس على عجلة لها ثلثمائة وستون عروة، وقد تعاقب بكل عروة ملك؛ يمحرونها في السماء ودونها البحر المسجور في موج مكفوف كأنه جبل ممدود في الهواء، ولو بدت الشمس من ذلك البحر لأحرقت ما على وجه الأرض من شيء حتى الجبال والصحور. وروى عن كعب أنه قال: "خلق الله القمر من نور وخلق الشمس من نار".

(١) هذا الرأي هو الذى أستقر عليه علماء الفلك أخيرا، بعد التحقيق والتدقيق . فلهذا در صاحب ! فإنه ، وإن كان قد خالفه فيه الدهماء ، لكنه قد أقتره الراستخون فى العلم الآن .

وقال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا  
 وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ . والسراج لا يكون إلا من نار، وهما مضيآن لأهل  
 السماوات؛ كما يضيآن لأهل الأرض .  
 وقد تقدم الدليل على ذلك .

### ٣ - ذكر ما يمثل به مما فيه ذكر الشمس

يقال : أشهر من الشمس . أحسن من الشمس . أدل على الصبح من الشمس .

ومن أنصاف الآيات :

- \* وهل شمسٌ تكونُ بلا شعاعٍ ؟ \* في طلعةِ الشمسِ ما يُغنيكَ عن زُحَلٍ \*  
 \* ولو لم تغبْ شمسُ النهارِ، ملَّتِ \* الشمسُ نمامةً والليلُ قوادُ \*  
 \* الشمسُ طالعةٌ إن غيبَ القمرُ \* وربما تتكسِفُ الشمسُ \*  
 \* والشمسُ تنحطُّ في الحجرِ وترتفعُ \* إذا الشمسُ لم تغربْ، فلا طلعَ البدرُ \*

ومن الايات قول الطائي :

فإني رأيتُ الشمسَ زِيدتُ حبةً \* إلى الناسِ إذ لَيْستُ عليهم بسرمد .

وقال علي بن الجهم .

والشمسُ لولا أنها محجوبةٌ \* عن ناظرِكَ لما أضاءَ الفرقدُ .

وقال أبو تمام :

وإن صريحَ الرأي والحزمِ لأمرئ \* إذا بلغتُ الشمسُ، أن يتحوَّلَا .

وقوله :

وَكُلُّ كُـسُوفٍ فِي الدَّرَارِي شَنِيعَةٌ ، \* وَلِكِنَّهُ فِي الشَّمْسِ وَالبَدْرِ أَشْنَعُ .

وقوله أيضا :

أَعِنْدَكَ الشَّمْسُ تَجْرِي فِي مَنَازِلِهَا ، \* وَأَنْتَ مُشْتَغِلٌ بِالْحَظِّ بِالْقَمَرِ ؟

وقال البُحْتَرِيُّ :

كَذَلِكَ الشَّمْسُ تَبْعُدُ أَنْ تُسَامِيَ ، \* وَيَذْنُو الضُّوْءُ مِنْهَا وَالشُّعَاعُ .

وقال ابن الرومي :

وَرَأَيْتَهُ كَالشَّمْسِ : إِنْ هِيَ لَمْ تُتَلَّ \* فَالذَّفَاءُ مِنْهَا وَالضِّيَاءُ يُنَالُ .

وقال أيضا :

كَالشَّمْسِ لَا تَبْدُو فِضِيلَتُهَا \* حَتَّى تُغَشِّي الأَرْضَ بِالظُّلَمِ .

وقال أيضا :

كَالشَّمْسِ فِي كَيْدِ السَّمَاءِ مَحْمَلُهَا ، \* وَشِعَاعُهَا فِي سَائِرِ الآفَاقِ .

وقال العباس بن الأحنف :

هِيَ الشَّمْسُ مَسْكَنُهَا فِي السَّمَاءِ . \* فَعَزَّ النُّوَادَ عَزَاءً جَمِيلاً !

وقال أبو عبيد البكري :

وَالشَّمْسُ يُسْتَفْنَى ، إِذَا طَلَعَتْ ، \* أَنْ يَسْتَضَاءَ بِغُرَّةِ البَدْرِ .

وقال أبو الطيب المتنبي :

كَالشَّمْسِ لَا تَبْتَنِي بِمَا صَنَعَتْ \* مِنْفَعَةٌ عِنْدَهُمْ وَلَا جَاهَا .

وقال ابن لنكك البصرى :

وَهَبَكَ كَالشَّمْسِ فِي حُسْنِهَا أَلَمْ تَرَهَا \* يُفَرُّ مِنْهَا إِذَا مَالَتْ إِلَى الضَّرَرِ؟

وقال ابن عباد :

قَلْتُ : وَشَمْسُ الضُّحَى مُتَحَمِّيًا \* إِذَا بَسَطَتْ فِي المَصِيفِ الأَذَى .

وقال ابن مسعويه الخالدي :

لَا يُعْجِبَنَّكَ حُسْنُ القَصْرِ تَنْزِلُهُ \* فَضِيلَةُ الشَّمْسِ لَيْسَتْ فِي مَنَازِلِهَا .

وقال أبو الفتح البستي :

فَالْحُرُّ حُرٌّ عَزِيزُ النَّفْسِ حَيْثُ نَوَى ، \* وَالشَّمْسُ فِي كُلِّ بُرْجٍ ذَاتُ أَنْوَارِ .

#### ٤ — ذكر ما جاء في وصف الشمس وتشبيهها

§ من ذلك قول الوزير المهلبى :

الشَّمْسُ فِي مَشْرِقِهَا قَدْ بَدَتْ \* مُنِيرَةً لَيْسَ لَهَا حَاجِبٌ .

كَأَنَّهَا بَوَدَقَةٌ أُحْمِيَتْ ، \* يُجُولُ فِيهَا ذَهَبٌ ذَائِبٌ .

وقال ظافر الحداد :

أَنْظُرْ لِقَرْنِ الشَّمْسِ بِأَرْغَةِ \* فِي الشَّرْقِ تَبْدُو ثَمَّ تَرْتَفِعُ !

كَسَيْبِكَةِ الرَّجَاجِ ذَائِبَةٍ \* حَمْرَاءَ يَنْفُخُهَا فَتَتَّسِعُ .

وقال أبو هلال العسكري :

وَالشَّمْسُ وَاضِحَةٌ الجَيِّينِ كَأَنَّهَا \* وَجْهُ المَلِيحَةِ فِي الحِمَارِ الأَزْرَقِ !

## في فنون الأدب

وكانها عند أنيساط شعاعها \* تبرد يدوب على فروع المشرق!

وقال أحمد بن عبد العزيز القرطبي :

أو ما ترى شمس الأصيل عيلة \* تزداد من بين المغارب مغربا؟

مالت لتخجب شخصها فكانها \* مدت على الدنيا ملاء مذهباً!

§ ومما وصفت به - وقد قابلت القمر - قول الشاعر :

أما ترى الشمس، وهي طالعة، \* تمنع عنا إدامة النظر؟

حمراء صفراء في تلونها \* كأنها تشتكي من السهر.

مثل عروس غداة ليلتها \* تمسك مرآتها من القمر.

وقال مؤيد الدين الطغرائي، عفا الله عنه ورحمه :

وكانما الشمس المنيرة إذ بدت، \* والبدر يجنح للغيب وما غرب،

متحاربان : لذا مجن صاغه \* من فضة، ولذا مجن من ذهب.

§ ومن أحسن ما وصفت به في الطلوع والزيوال والغروب قول أعرابي .

مخبأة : أما إذا الليل جنها \* فتخفي وأما في النهار فتظهر.

إذا أنشق عنها ساطع الفجر وأنجلي \* دجى الليل وأنجاب الحجاب المستر

وأليس عرض الأفق لونا كأنه \* على الأفق الغربي ثوب معصفر

عليها دروع الزعفران، يشوبه \* شعاع تلالا فهو أبيض أصفر:

ترى الظل يطوى حين تبدو وتارة \* تراه إذا زالت عن الأرض ينشر.

فأفنت قرونا، وهي في ذلك لم تزل \* تموت وتحي كل يوم وتُنشر!

وقال آخر:

وبذالنا تُرْس من الذَّهَبِ الذي \* لم يُنتَرَع من مَعْدِن بتعمَل .  
 مِرْآة نُور لم تُسَن بِصِيَاغَة \* كَلَّوْلا جُلِيَتْ بِكَفِّ الصَّيْقَلِ .  
 تَسْمُو إلى كَيْدِ السَّمَاءِ كَأَنَّهَا \* تَبْغِي هُنَاكَ دِفَاعَ أَمْرِ مُعْضَلِ .  
 حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ إلى حَيْثُ آتَيْتِ \* وَقَفْتَ كَوَقْفَةِ سَائِلٍ عَن مَنزِلِ .  
 ثُمَّ آتَيْتِ تَبْغِي الحُدُورَ كَأَنَّهَا \* طَيْرَ أَسْفَ مَخَافَةٍ مَن أَجْدَلِ .

§ ومما وصفت به ، وقد قابلت الغيم ، قول ابن المعتز :

تَظَلُّ الشَّمْسُ تَرْمُقُنَا بِطَرْفِ \* خَفِيٍّ لِحَظِّهِ مَن خَلْفِ سِتْرِ .  
 تُحَاوِلُ فَتَقَّ غَيْمٍ وَهُوَ يَا بِي \* كَعَيْنِ يَحَاوِلُ نَيْلَ بَكْرِ .

وقال آخر:

وَعَيْنُ الشَّمْسِ تَرْنُو مَن بَعِيدِ \* رَنُوَ البِكْرِ مَن خَلْفِ السُّتُورِ .

وقال محمد بن رشيق :

فَكَأَنَّ الشَّمْسَ بِكْرِ حُجْبَتِ \* وَكَأَنَّ الغَيْمَ سِتْرٌ قَدْ سَتِرَ<sup>(١)</sup> .

هـ - ذكر شيء مما وصفت به على طريق الذايم

١٥ فن ذلك ما قاله عبد الملك بن عمير ، وقد سئل عنها فقال : مُظْهَرَةٌ لِلدَّاءِ ، مَثْقَلَةٌ لِلهَوَاءِ ، مَبْلَاةٌ لِلثَّوْبِ ، جَالِبَةٌ لِلهَبِ .

وقال آخر : الشمس تشحب اللون ، وتغير العرق ، وتزحى البدن ، وتثير المِرَّة .  
 إذا آحتجمت فيها ، أمرضتك ؛ وإن أطلت النوم فيها ، أفلجتك ؛ وإن قربت منها ، صرت زنجيًّا ، وإن بعدت عنها ، صرت صقيليًّا .



وقال ابن سنا الملك :

لا كانت الشمسُ! فكم أصدأت \* صفحة خد كالحسام الصَّقيل!  
 وكم وكم صَدتْ بِوَادِي الكَرِي \* طيف خيالِ جاءني عن خليل!  
 وأعدمتني من نُجُوم الدُّجَى \* ومنه روضًا بين ظلِّ ظليل!  
 تكذبُ في الوعد؛ وبرهانه \* أت سراب القفرِ منها سليل.  
 وهي إذا أبصرها مُبصرٌ \* حديدُ طرف، راح عنها كليل.  
 ياعلة المهوم، يا جِلدة الممحموم، يا زفرة صبَّ نجيل!  
 ياقرحة المشرق عند الضحى، \* وساحة المغرب عند الأصيل!  
 أنت عجوز، لم تبرجت لي، \* وقد بدأ منك لعاب يسيل؟

وقال التيفاشي، عفا الله تعالى عنه ورحمه :

في خلقية الشمس وأخلاقها \* شتى عيوب ستة تذكر.  
 رمداء، عمشاء، إذا أصبحت؛ \* عمياء عند الليل، لا تبصر.  
 ويغتدي البدر لها كاسفا \* وجرمها من جرمه أكبر.  
 حرورها في القيظ لا تنقى \* ودفوها في القرر مستحقر.  
 وخلقها خلق المليك الذي \* ينكث في العهد ولا يصبر.  
 ليست بحسنا، وما حسن من \* يجسر عنه اللط لا يبصر؟

وقال أبو الطيب المتنبي :

تسود الشمس منا بيض أوجها \* ولا تسود بيض العذير والتميم.  
 وكان حالهما في الحكم واحدة \* لو أختصمنا من الدنيا إلى حكم.

## ٦ - ذكر ما قيل في الكسوف

رُوي أن الشمس كُست في عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ووافق ذلك موت إبراهيم بن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال الناس: إنما كست الشمس لأجله فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) "إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى يُخَوِّفُ بِهِمَا عِبَادَهُ، وَإِنَّمَا لَا يَكْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ. فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ، فَادْعُوا اللَّهَ وَكَبِّرُوا وَصَلُّوا حَتَّى يَكْشِفَ مَا بِكُمْ".

وقال محمد بن هاني في الكسوف .

هي الحوادثُ لا تُتَّبَعُ ولا تُذَرُّ! \* ما لِلْبَرِيَّةِ مِنْ مَحْتَمِهَا وَزَرُّ!  
لو كان يُنْجِي عُلوُّ من بَوَائِقِهَا، \* لم تُكْسَفِ الشَّمْسُ بل لم يُخْسَفِ القَمَرُ!

## ٧ - ذكر أسماء الشمس اللغوية

وللشمس أسماء نطقت بها العرب . فمنها: ذُكَاءُ، والجارية، والجَوْنَةُ، والغزَّالَةُ،  
واللَّاهَةُ،<sup>(١)</sup> والضُّحَى، والضُّحُّ، ويُوح (بالياء المثناة والباء الموحدة)، والشَّرْقُ، وحنَّاذ،  
والعَيْنُ، والمؤوِّبَةُ، والسَّرَاجُ.

(١) الذي في كتب اللغة أن اللاهة اسم للحيمة . وأما الشمس فأسمها إلهة مثلثة وألَّهة . فلعل ما هنا

نصحيح من النسخ .

## ٨ - ذكر عباد الشمس

قال الشهرستاني في كتابه المترجم "بالمثل والنحل": إن عبدة الشمس طائفة من الهنود يسمون الديبكيئية<sup>(١)</sup> أي عباد الشمس، ومذهبهم مذهب الصابئة، وتوجههم إلى الهياكل السماوية دون قصر الإلهية والربوبية عليها. ويزعمون أن الشمس ملك من الملائكة، وأن لها نفسا وعقلا، ومنها نور الكواكب، وضياء العالم، وتكون الموجودات السفلية. وهي ملك يستحق التعظيم، والسجود، والتبخير، والدعاء. ومن سنتهم أنهم اتخذوا لها صنما بيده جوهرة على لون النار. وللصنم بيت خاص بنوه بأسمه ووقفوا عليه ضياعا، وله سدنة وقوام. فتأتي هذه الطائفة إلى البيت، ويصلون فيه ثلاث كرات. ويأتي أصحاب العلل والأمراض فيصومون له، ويصلون، ويدعون، ويستشفون به.

## ٩ - ذكر ما قيل في القمر

(وهو النير الثاني)

ذهب وهب بن منبه أن القمر موضوع على عجلة في فلك، والفلك يدور بأمر الله تعالى إلى ناحية المغرب، والعجلة يجزها ثلاثمائة وستون ملكا إلى ناحية المشرق، وتدوير العجلة من تدوير الفلك الأعظم، وتدوير فلك القمر من تدوير العجلة.

ويقال: إن القمر كان كالشمس في الضياء. فلم يكن يعرف الليل من النهار، فأمر الله تعالى جبريل أن يتر عليه بجناحه، فتر عليه، فمجاه. فهو ماترى فيه من السواد.

(١) الذي في الشهرستاني طبع لوندرة: "الديبكيئية". وهو الأقرب للصواب ويقول مترجمه الألماني

العلامة هاربردكرانه ولعله من "ديناكرت" ومعناه «صانع النهار».

وبهذا القول فسرقوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ .

قالوا: ولا يسمى قمرًا إلا بعد مضي ثلاث ليالٍ من استهلاله . والأقمر هو الأبيض .

### ١٠ - ذكر ما قيل في القمر

- من استهلاله إلى آتقضاء الشهر وأسماء لياليه ( قالوا: وللقمر من أول الشهر إلى آخره خمس حالات، ولياليه عشرة أسماء . § أما حالاته الخمس :

فالأولى: الهلالية، وهي نروجه من تحت شعاع الشمس وظهوره في الغرب في أول الشهر .

- ١٠ الثانية: أن يفضل فيه النور على الظلمة، وذلك في الليلة السابعة من الشهر .

الثالثة: الاستقبال، وهو كونه في البرج السابع من بروج الشمس، ويسمى الأمتلاء لامتلاء القمر فيه نورا، وذلك في الليلة الرابعة عشرة من الشهر، ويسمى القمر فيها بدرًا لكامله، ويسمى بذلك لامتلائه، وقيل لمبادرته الشمس بالطلع، وتسمى الليلة التي قبلها (وهي الثالثة عشرة) ليلة السواء لاستواء القمر فيها، وقيل: لاستواء ليالها ونهارها في الضياء، وهي ليلة التمام .

١٥

الرابعة: أن تفضل الظلمة فيه على النور، وذلك في الليلة الثانية والعشرين من الشهر .

الخامسة: المحاقبة، وهي مدة أستتاره بشتاع الشمس، ويسمى ذلك أيضا سرارا، وذلك في الليلة التاسعة والعشرين، ويمكن أن يغيب ثلاث ليال لا يرى ويهل في اليوم الرابع، ويسمى حينئذ قمرالاهلالاً، والشمس تعطيه من نورها كل ليلة ما يستضيء به نصف سبع قرصه حتى يكمل، ثم يسلبه من الليلة الخامسة عشرة، في كل ليلة نصف سبع قرصه حتى لا يبقى فيه نور فيستتر.

وأما أسماء لياليه، فإنه يقال لأول ثلاثة منها غرر، والثانية شهب، والثالثة زهر، والرابعة بهر، والخامسة بيض، والسادسة درع<sup>(١)</sup>، والسابعة حنادس، والثامنة ظلم، والتاسعة دآد، والعاشر ليلتان منها يحاق وليلة سرار، ويسمون الليلة الثامنة والعشرين الدنجاء، واللييلة التاسعة والعشرين الدهماء، واللييلة الموفية ثلاثين الليلاء، ويسمونها ليلة البراء لتبرى القمر من الشمس.

### ١١ - ذكر أسماء القمر اللغوية

وللقمر أسماء نطقت بها العرب. فمنها: القمر، والباهر، والبدر، والطوس، والظلم، والغاسق، والوباص، والزبرقان، والمنشق، والواضح<sup>(٢)</sup>، والباحور، والأبرص، والزمهير. ومنه قول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَا يَرُونَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ وقول بعض العرب.

وليلة ظلامها قد اعتكر \* قطعتها والزمهير ما ظهر.

(١) الذي في اللسان والقاموس: ان الظلم، ثلاث ليال يلبين الدرع. والحنادس، ثلاث ليال بعد

الظلم. ويؤيده ما في الصحاح: ان الحنادس الليل الشديد الظلمة. وقد ذكر ابن سيدة هذه الأسماء

في المخصص (ج ٩ ص ٣٠ - ٣١) وأوردتها على هذا الترتيب. وعليه فصواب العبارة هكذا:

(والسادسة درع، والسابعة ظلم، والثامنة حنادس الخ) اه.

(٢) الذي في كتب اللغة: ان الواضح القمر، فلعله تحريف من الواضح.

ومن أسمائه : السَّيَّارُ، والسَّاهُورُ .  
 § والفَخْتُ ضَوْءُهُ، والأَخْذُ مَازِلُهُ <sup>(١)</sup> . وكذلك الوَكْسُ، وهي المنزلة التي يُكْسَفُ فيها .  
 والهَالَةُ دَارَتُهُ .

## ١٢ - ذكر ما يمثل به مما فيه ذكر القمر

يقال في أمثالهم :

أضِيعُ من قمر الشتاء! قيل لأنه لا يُجَلَسُ فيه .  
 إن يَبِّغَ عَلَيْكَ قَوْمُكَ، لا يَبِّغُ عَلَيْكَ القَمَرُ .  
 ويقال : أضوا من القمر؛ وأتم من البدر .

ومن أنصاف الأبيات :

١٠ \* أَرِيهَا السَّمَا وَثَرِيْنِي القَمَرَ \* لا تَخْرُجُ الأَقْمَارُ من هَالَاتِهَا \*  
 \* هَكَذَا البَدْرُ فِي الظَّلامِ يُوافِي \* كَذَلِكَ كُسُوفُ البَدْرِ عِنْدَ تَمَامِهِ \*

ومن الأبيات قول الطائي :

إِنَّ الهِلَالَ إِذَا رَأَيْتُ نُمُوهُ \* أَيْقَنْتُ أَنْ سَيَكُونُ بَدْرًا كَامِلًا .

وقال ابن أبي البغل، والبيت الثاني لابن بحر :

١٥ المَرْءُ مِثْلُ هِلَالٍ حِينَ تُبْصِرُهُ \* يَبْدُو ضَعِيفًا ضَبْطًا ثُمَّ يَنْتَشِقُ .  
 « يَزْدَادُ حَتَّى إِذَا مَاتَ أَعْقَبَهُ \* كَرَّ الجَدِيدِينَ نَقْصًا ثُمَّ يَنْمَحِقُ » .

وقال أبو الفرج البغا :

سَتَخَلُّصٌ من هَذَا السَّرَارِ وَأَيْمًا \* هَلَالٌ تَوَارَى فِي السَّرَارِ فَمَا خَلَّصَ !

(١) عبارة اللسان في مادة (اخ ذ) : ويجوز الأخذ منازل القمر لأن القمر يأخذ كل ليلة في منزل منها اء .

## ١٣ - ذكر ما قيل في وصفه وتشبيهه

من ذلك قول عبد الله بن المعتز في الهلال:

وَأَنْظُرْ إِلَيْهِ كَرُورِقٍ مِنْ فِضَّةٍ \* قَدْ أَثْقَلْتَهُ حُمُولُهُ مِنْ عَنَبٍ!

وقول عبد الجبار بن حمديس الصقلي:

وَرُبَّ صُبْحٍ رَقَبْنَاهُ، وَقَدْ طَلَعَتْ \* بَقِيَّةُ الْبَدْرِ فِي أُولَى بَشَائِرِهِ!

كَأَنَّمَا أَذْهَمُ الْإِظْلَامِ حِينَ تَجَا \* مِنْ أَشْهَبِ الصُّبْحِ، أَلْقَى نَعْلَ حَافِرِهِ!

وقال آخر:

قَدْ أَنْقَضَتْ دَوْلَةَ الصِّيَامِ وَقَدْ \* بَشَّرَ سَقْمُ الْهِلَالِ بِالْعَيْدِ!

يَتَلَوُ الثَّرِيًّا كِفَاغِيرِ شِرِهِ \* يَفْتَحُ فَاهُ لِأَكْلِ عُنُقُودِ!

وقال أبو هلال العسكري:

فِي هِلَالٍ كَأَنَّهُ حَيَّةُ الرَّمْلِ أَصَابَتْ عَلَى الْبِقَاعِ مَقِيلًا .

بَاتَ فِي مِعْصَمِ الظَّلَامِ سَوَارًا \* وَعَلَى مَفْرَقِ الدُّجَى إِكْلِيلًا .

وقال آخر:

وَابْجُوصَايِ وَالْهِلَالُ مُشَنَّفٌ \* بِالزُّهْرَةِ الزُّهْرَاءِ نَحْوَ الْمَغْرَبِ .

كَصَحِيفَةِ زَرْقَاءَ فِيهَا نُقْطَةٌ \* مِنْ فِضَّةٍ مِنْ تَحْتِ نُونِ مُذَهَبِ .

وقال آخر:

قُلْتُ لَمَّا دَنَتْ لَمَغْرِبِهَا الشَّمْسُ وَوَلَّاحَ الْهِلَالُ لِلنَّظَارِ :

أَقْرَضَ الشَّرْقُ صِنْوَهُ الْغَرْبَ دِينًا \* رَافِعَ طَاهُ الرِّهْنِ نِصْفَ سَوَارِ :

وقال أبو العلاء المعتزى :

ولاح هلالٌ مثلُ نُونٍ أجادها \* بدؤب النضار الكاتبُ ابنُ هلال .

وقال آخر :

وكان الهلالُ نُونٌ بلحين \* غرقت في صحيفة زرقاء .

وقال أبو عاصم البصرى من شعراء اليتيمة :

رأيتُ الهلالَ ، وقد أهدقت \* مجُومُ الثريا لكى تسيقه .

فشبهته وهو في إثرها \* وبينهما الزهرةُ المشرقة ،

بقوسٍ لرامٍ رمى طائرا \* فأتبع في إثره بُندقه .

وقال آخر :

ولاح لنا الهلالُ كشطِ طوقٍ \* على لباتِ زرقاءِ اللباس .

وقال الواو الدمشقى رحمه الله :

وكان الهلالُ تحتَ الثريا \* ملكٌ فوقَ رأسه إكليل !

وقال إبراهيم بن محمد المرادى ، من شعراء الأئمة ، ملغزا فيه :

دع ذا ! وقل للناس : ما طارق ، \* يطرقكم جهرا ولا يتسقى ؟

ليس له روحٌ على أنه \* يركبُ ظهرَ الأدهمِ الأبتى .

شئخٌ رأى آدمَ في عصره \* وهو إلى الآن بخد نقي .

ومد وسطَ السجين مع قومه \* لا ينبرى من نهجه الضيق .

هذا ويمشي الأرض في ليلته \* أعجب به من موقٍ مُطلق .



- فتارة يَنْزِلُ تحتَ الثَّرى \* وتارة وَسَطَ السَّما يَرْتَقِ .  
 وتارة يُوجَدُ في مَغْرِبِ \* وتارة يُوجَدُ في المَشْرِقِ .  
 وتارة تَحَسُّهُ ساجِحًا \* يَسْرِى بِشاطِى البَحْرِ كالرُّوقِ .  
 وتارة تَحَسُّهُ وهَوِّى \* أَسْتارِهِ والبعضُ منه بَقِ ،  
 دُبابةٌ من صايرِ مَرْهَفِ \* بارِزةٌ من جَفْنِهِ المُطَبَّقِ .  
 يَدْنُو إلى عِرْسِ لَه حُسْنُها \* يَخْتِطِفُ الأَبصارَ بالرُّوقِ .  
 حَتَّى إذا جامِعها يَرْتَدِى \* بِحُلَّةِ سَوْداءِ كالمُحْرَقِ .  
 وهو على عادَتِهِ دائِمًا \* يُجامِعُ الأَثى ولا يَتَّقِ .  
 ثم يَجُوبُ القَفْرَ من أَجْلِها \* مُشْتَمِلًا فى مُطْرِفِ أَرْقِ .  
 حَتَّى إذا قابَلها نائِبًا \* تَشْكُه بِالرَّيحِ فى المَفْرِقِ .  
 وَبَعْدَذا تُلبِسُه حُلَّةً \* يا حُسْنُها فى لَوْنِها المَوْنِ !  
 بِفَسْمِهِ من ذَهَبِ جامِدِ \* وَجِلْدِهِ صِيبِغِ من الزَّبْجِ .  
 وهو إذا أَبصرته هَكْذا \* أَمْلَحُ من صاحِبَةِ القُرْطِقِ .

وقال ابن المعتز:

- نَظَرْتُ فى يَوْمِ لَذَّةِ عَجَبًا \* وافي به للسُّعودِ مِقْدارُ .  
 يقابِلُ الشمسَ فيه بدرُ دُجى \* يأخُذُ من نُورِها وَيَمْتارُ .  
 كَصَيْرِفِيٍّ يروحُ مَتَقِيدًا \* فى كَفِّهِ دِرْهَمٌ ودينارُ .

وقال عبد الله بن عليّ الكاتب :

كَشَفَ البَدْرُ وَجْهَهُ لتمام ، \* فُجُوه النُّجُومِ مَسْتَبْرَاتُ .  
وَكَاثَ البَدْرِ التَّمَامَ عَرُوسُ ، \* وَكَأَنَّ النُّجُومَ مُسْتَنْقَبَاتُ .

### ١٤ - ذكر شيء مما قيل فيه على طريق الدم

- حكى أن أعرابيا رأى رجلا يُرَقِبُ الهلال . فقال له : ماترَقِب فيه ، وفيه عيوب لو كانت في الحمار لردّها؟ قال : وما هي؟ فقال : إنه يهدم العمر ، ويقرب الأجل ، ويحلّ الدين ، ويقرض الكنان ، ويشجب اللون ، ويفسد اللحم ، ويفضح الطارق ، ويدلّ السارق .

- ومن عيوبه أن الإنسان إذا نام في ضوءه حدث في بدنه نوع من الاسترخاء والكسل ، ويهيج عليه الزكام والصداع ؛ وإذا وضعت لحوم الحيوانات مكشوفة في ضوءه ، تغيرت طعومها وروائحها .

وقال ابن الرومي :

- رَبِّ عَرِيضٍ مُنْزِيهِ عَنِ قَبِيحٍ \* دَنَسَتْهُ مُعَرِّضَاتُ الهِجَاءِ .  
• لَوْ أَرَادَ الأَدِيبُ أَنْ يَهْجُوَ البَدْرَ \* رَأَى رَمَاهُ بِالنُّجُومِ الشَّنْعَاءِ .  
• قَالَ : يَا بَدْرُ أَنْتَ تَغْدِرُ بِالسَّاءِ \* رِي وَتُزِيرِي بِزُورَةِ الحَسَنَاءِ .  
• كَلَّفَ فِي شُحُوبٍ وَجْهَكَ يَمْحَى \* نَكْمًا فَوْقَ وَجْنَةِ بَرَصَاءِ .  
• يَمْتَرِكُ المِحَاقُ ثُمَّ يُحَلِّيكَ شَيْبَةَ القَلَامَةِ المَحْنَاءِ .

وَيْلِكَ النَّقْصَانُ فِي آخِرِ الشَّهْرِ فَيَمْجُوكَ مِنْ أَدِيمِ السَّمَاءِ .  
 فَإِذَا الْبَدْرُ نَيْلَ بِالْمَجْجِ، هَلْ يَا \* مِنْ دُو الْفَضْلِ أَلْسِنَ الشُّعْرَاءِ ؟  
 لَا لِأَجْلِ الْمَدِيحِ، بَلْ خَيْفَةَ الْمَجْجِ \* وَأَخْذَنَا جَوَائِزَ الْخُلَفَاءِ !  
 هذا ما أمكن إيرادَه في القمر، فلنذكر خبر عُبَاد القمر .

### ١٥ - ذِكْرُ عُبَادِ الْقَمَرِ

قال الشهرستاني: عُبَادُ الْقَمَرِ طَائِفَةٌ مِنَ الْهِنُودِ يَسْمَوْنَ الْخَنْدِرَ بِكُتَيْبَةٍ، أَيْ عُبَادَ الْقَمَرِ . يَزْعَمُونَ أَنَّ الْقَمَرَ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَسْتَحِقُّ التَّعْظِيمَ وَالْعِبَادَةَ، وَإِلَيْهِ تَدِيرُ هَذَا الْعَالَمَ السُّفْلَى، وَمِنْهُ نُضِجُ الْأَشْيَاءِ الْمَتَكُونَةِ وَأَتَصَالُهَا إِلَى كِبَالِهَا، وَبِزِيَادَتِهِ وَنَقْصَانِهِ تَعْرِفُ الْأَزْمَانَ وَالسَّاعَاتِ؛ وَهُوَ تَلُو الشَّمْسِ وَقَرِينُهَا، وَمِنْهَا نُورُهُ، وَبِالنَّظَرِ إِلَيْهَا زِيَادَتُهُ وَنَقْصَانُهُ؛ وَمِنْ سُنَّتِهِمْ أَنَّهُمْ آتَخَذُوا صِنَا عَلَى عَجَلَةٍ تَجْرُهُ أَرْبَعَةٌ، وَبِيَدِهِ جَوْهَرَةٌ؛ وَمَنْ دِينُهُمْ أَنْ يَسْجُدُوا لَهُ وَيَعْبُدُوهُ، وَأَنْ يَصُومُوا النِّصْفَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَلَا يَفْطُرُوا حَتَّى يَطْلُعَ الْقَمَرُ، ثُمَّ يَأْتُونَ الصَّنَمَ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَاللَّبَنِ، ثُمَّ يَرْغَبُونَ إِلَيْهِ وَيَنْظُرُونَ إِلَى الْقَمَرِ، وَيَسْأَلُونَهُ حَوَائِجَهُمْ؛ فَإِذَا آسْتَهَلَ الشَّهْرَ عَلَوْا السُّطُوحَ، وَأَوْقَدُوا الدُّخَانَ، وَدَعَوْا عِنْدَ رُؤْيَيْهِ، وَرَغَبُوا إِلَيْهِ، ثُمَّ نَزَلُوا عَنِ السُّطُوحِ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالنُّعْرُوحِ وَالسَّرُورِ، وَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَيْهِ إِلَّا عَلَى وَجْهِهِ حَسَنَةً . وَفِي نِصْفِ الشَّهْرِ إِذَا فَرَّغُوا مِنَ الْإِفْطَارِ، أَخَذُوا فِي الرِّقْصِ وَاللَّعْبِ بِالْمَعَازِفِ بَيْنَ يَدَيْ الصَّنَمِ وَالْقَمَرِ .

(١) في الشهرستاني طبع لوندرة: "الخنديركنية" . وأفادنا مترجمه إلى الألمانية أن "خنديركا"

معناه القمر في لغتهم .

(٢) الذي في الشهرستاني: صنما على صورة عجل وبيد الصنم الخ .

## ١٦ - ذكر ما قيل في الكواكب المتحيرة

والكواكب الخمسة الباقية من الكواكب السبعة تُسمى المتحيرة . ثلاثة منها علوية  
تعلو أفلاكها فلك الشمس ، وهي : زحل ، والمشتري ، والمريخ ؛ وأثنان سفلية  
فلكهما تحت فلك الشمس ، وهي : الزهرة ، وعطارد .

- وسميت هذه الكواكب المتحيرة لأنها ترجع أحيانا عن سمت مسيرها بالحركة  
الشرقية ، وتبتع الغربية . فهذا الارتداد فيها شبه التحير .

## ١٧ - ذكر عباد الروحانيات

( وما آحتجوا به في سبب عبادتهم لها<sup>(١)</sup> )

- وعباد الروحانيات هم الصابئة . يقال : صبا الرجل إذا مال وزاغ .  
ومذهب هؤلاء أن للعالم صانعا فاطرا حكما مقدسا عن سمات الحدثان .  
وكانت الصابئة تقول : إنا نحتاج في معرفة الله تعالى ومعرفة طاعته وأوامره  
وأحكامه ، إلى متوسط ؛ ولكن ذلك المتوسط يجب أن يكون روحانيا لاجسمانيا .  
وذلك لزكاء الروحانيات وطهارتها وقربها من رب الأرباب ؛ والجسماني بشر مثلنا  
ياكل مما نأكل ، ويشرب مما نشرب ، يماثلنا في الصورة والمادة .  
قالوا : (( وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ )) .

وقالوا : الواجب علينا معرفة العجز عن الوصول إلى جلاله ، وإنما يتقرب إليه  
بالموسطات المقربين لديه ، وهم الروحانيون المقدسون المطهرون ، جوهر اوفعلا وحالة .

(٢٢)

(١) نقل المؤلف هنا بعض عبارات الشهرستاني في الملل والنحل مع تقديم وتأخير (أنظر ص ٢٠٣ من  
طبعة الأب كرتون الانكليزي في لندرة سنة ١٨٤٢ - ١٨٤٦) .

أما الجوهر فهم المقدسون عن المواد الجسدية، المبرؤون عن القوى الجسدانية، أى متزهون عن الحركات المكانية، والتغيرات الزمانية؛ قد جبلوا على الطهارة، وفطروا على التقديس والتسبيح ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ .

وإنما أرشدنا إلى هذا معلمنا الأول، عاذيمون، وهرمس . فنحن نتقرب إليهم، ونتوكل عليهم، وهم أربابنا، وآلهتنا، ووسائلنا، وشفعاؤنا عند رب الأرباب، وإله الآلهة . فالواجب علينا أن نطهر نفوسنا من دنس الشهوات الطبيعية، ونهذب أخلاقنا عن علائق القوى الشهوانية والفضيية، حتى يحصل لنا مناسبة ما بيننا وبين الروحانيات . فحينئذ نسأل حاجتنا منهم، ونعرض أحوالنا عليهم، ونصبأ في جميع أمورنا إليهم . فيشفعون لنا إلى خالقنا وخالقهم، ورازقنا ورازقهم . وهذا التطهير والتهديب ليس إلا بآكتسابنا، ورياضتنا، وفطامنا لأنفسنا عن دنيآت الشهوات، بأستمداد من جهة الروحانيات؛ والأستمداد هو التضرع والأبتها بالذعوات، وإقامة الصلوات، وبذل الزكوات، والصيام عن المطعومات والمشروبات، وتقريب القرابين والذبايح، وتبخير البخورات، وتعزيم العزائم . فيحصل لنفوسنا أستعداد أو أستمداد من غير واسطة، بل يكون حكما وحكم من يدعى الوحي واحدا .

قالوا : والأنبياء أمثالنا في النوع، وأشكالنا في الصورة، ومشاركونا في المادة .  
ياكلون مما نأكل، ويشربون مما نشرب، ويساهموننا في الصورة . أناس بشر مثلنا، فنأين لنا طاعتهم، وبأية مزية لهم لزم مشايعتهم؟ ﴿وَلَيْنِ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ لَأِنَّكُمْ إِذَا نَحَلْتُمُوهُمْ﴾ .

قالوا: وأما الفعل، فالروحانيات هم الأسباب المتوسطون في الاختراع، والإيجاد،

وتصريف الأمور من حال إلى حال، وتوجيه المخلوقات من مبدأ إلى كمال، يستمتنون القوة من الحضرة القدسية، ويفيضون الفيض على الموجودات السفلية.

§ فمنها — مدبرات الكواكب السبعة السيارة في أفلاكها، وهي هياكلها، فلكل روحاني هيكل، ولكل هيكل فلك. ونسبة الروحاني إلى ذلك الهيكل الذي آختص به نسبة الروح إلى الجسد. فهو ربه ومديره ومدبره.

وكانوا يسمون الهياكل أربابا (وربما يسمونها آباء)، والعناصر أمهات.

ففعل الروحانيات تحريكها على قدر مخصوص ليحصل من حركاتها أنفعالات في الطبائع والعناصر، فيحصل من ذلك تركيبات وامتزاجات في المركبات فتتبعها قوى جسمانية، وتركب عليها نفوس روحانية، مثل أنواع النبات والحيوان. ثم قد تكون التأثيرات كلية صادرة عن روحاني كلي، وقد تكون جزئية صادرة عن روحاني جزئي. فمع جنس المطر ملك، ومع كل قطرة ملك.

§ ومنها — مدبرات الآثار العلوية الظاهرة في الجوّ مما يصعد من الأرض فينزل مثل الأمطار والثلوج والبرد والرياح؛ وما ينزل من السماء مثل الصواعق والشهب؛ وما يحدث في الجوّ من الرعد والبرق والسحاب وقوس قزح وذوات الأذنان والهالة والمجزة؛ وما يحدث في الأرض من الزلازل والمياه والأبخرة إلى غير ذلك.

§ ومنها — متوسطات القوى السارية في جميع الموجودات، ومدبرات الهداية الشائعة في جميع الكائنات، حتى لا ترى موجودا ما خاليا عن قوة وهداية، إذا كان قابلا لها. قالوا: وأما الحالة، فأحوال الروحانيات من الروح، والريحان، والنعمة، واللذة، والراحة، والبهجة، والسرور في جوار رب العالمين، كيف تحفى؟ ثم طعامهم وشرابهم

التسبيح والتقديس والتهليل والتمجيد ؛ وأنسهم بذكر الله وطاعته ، فمن قائم وراحم  
وساجد ، ومن قاعد لا يريد تبدل حالته لما هو فيه من النعمة واللذة ، ومن خاشع  
بصره لا يرفع ، ومن ناظر لا يغمض ، ومن ساكن لا يتحرك ، ومتحرك لا يسكن ،  
وكروبي<sup>(١)</sup> في عالم القبض ، وروحاني في عالم البسط (لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ) .

وقد جرت مناظرات ومحاورات بين الصابئة والحنفاء في المفاضلة بين الروحاني  
المحض والبشرية النبوية ، ليس هذا موضع إيرادها .  
فلنذكر إن شاء الله تعالى بيوت الهياكل ، تلو ما ذكرناه من عباد الروحانيات  
ومحبتاتهم !

## ١٨ - ذكر بيوت الهياكل

(وأما كنها ونسبتها إلى الكواكب)

قالوا: ثم لم تقتصر الصابئة على التقرب إلى الروحانيات بأعيانها ، والتلقى بذواتها  
حتى آخذوا أصناما على هيئة الكواكب السبعة ، وجعلوا لها بيوتا ، وسموا البيوت  
بالهياكل ، وجعلوا الهياكل بمنزلة الأفلاك للكواكب . وعظموا هذه الأصنام التي  
صنعوها ، وزعموا أنهم إذا عظموها تحركت لهم الكواكب السبعة العلوية بكل  
ما يريدون .

وحكى المسعودي في كتابه المترجم "بمروج الذهب ومعادن الجوهر" أن هذه  
الطائفة تزعم أن البيت الحرام هيكل زحل ، وإنما طال بقاء هذا البيت على مرور  
الدهور ، معظما في سائر العصور ، لأن زحل تولاه : إذ من شأنه الثبوت .<sup>(٢)</sup>

(١) الكروبيون سادة الملائكة المقربون .

(٢) راجع الشهرستاني طبعة كرن (ص ٤٣٠ - ٤٣١) .

ومن البيوت المشهورة <sup>(١)</sup> :

§ بيت علي رأس جبل أصفهان ، يسمي مارس <sup>(٢)</sup> ، ثم آتخذ بعض ملوك المجوس بيت نار ؛

§ وبيت ببلاد الهند ؛

• § وبيت ببلخ ، بناه منو شهر علي أسم القمر ، وكان الموكل بسدائه يسمونه برمك ، وإليه تنسب البرامكة ؛

§ وبيت عُثمان باليمن ، بناه الضحاك علي أسم الزهرة ؛

§ وبيت بقرغانة <sup>(٣)</sup> ، علي أسم الشمس ، يعرف بكاسات <sup>(٤)</sup> ، بناه كاس أحد ملوك الفرس ، وخربه المعتضد بالله <sup>(٥)</sup> ؛

١٠ § وبيت ببلاد الصين ، بناه ولد عامور بن شوبل <sup>(٦)</sup> بن يافت ، وقيل بناه بعض ملوك الترك <sup>(٧)</sup> .

§ وحكى غير المسعودي أن البيت الأول الكعبة . ويذكرون أن إدريس (عليه السلام) أوصى به ، وأوصى أن يكون الحج إليه وهو عندهم بيت زحل ؛ والبيت

(١) وراجع الشهرستاني (ص ٤٣١ ، ٤٣٢) .

(٢) في الشهرستاني : فارس .

(٣) من مدن خراسان .

(٤) في الأصل : مكارس [وهو خطأ من الناسخ . والتصويب عن المسعودي وعن الشهرستاني] .

(٥) في الشهرستاني أنه المعتصم .

(٦) في بعض نسخ المسعودي : سوبل (بالسين المهملة) .

٢٠ (٧) انظر الباب الرابع والستين من مروج الذهب ، ففيه تفصيل لما أورده النويري هنا بقاية التلخيص .



الثاني وهو بيت المتريخ، يزعمون انه كان بصور من الساحل الشامي؛ والبيت الثالث وهو بيت المشتري، كان بدمشق بناه جيرون بن سعد بن عاد، وموضعه الآن الجامع الأموي؛ والبيت الرابع وهو بيت الشمس بمصر، ويسمى عين شمس، وآثاره باقية الى وقتنا هذا؛ والبيت الخامس وهو بيت الزهرة، كان بمنبج ونحرب؛ والبيت السادس بيت عطارد، وكان بصيدا من الساحل الشامي ونحرب؛ والبيت السابع وهو بيت القمر، كان بحزان؛ وهو بيت الصابئة الأعظم.

## الباب الخامس

### من القسم الأول من الفن الأول

#### ١ - في الكواكب الثابتة

ذهب بعض من تكلم في ذلك أن هذه الكواكب معلقة في سماء الدنيا كالقناديل، وأنها مخلوقة من نور.

وقال آخرون: إنها معلقة بأيدي ملائكة. وفسر بهذا القول قوله تعالى ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾. يقال أنتثارها يكون بموت من كان يحملها من الملائكة.

وهذه الكواكب في سماء الدنيا بنص الكتاب العزيز، لقول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾.

(١) زالت هذه الآثار الآن.

- وقال قتادة : خلق الله تعالى هذه النجوم لثلاثة : جعلها زينة للسماء ، ورجوما للشياطين ، وعلامات يهتدى بها في البر والبحر . فمن تأول غير هذا فقد أخطأ .
- قالوا : وإنما سميت بالثوابت ، وإن كانت متحركة لأنها ثابتة الابعاد على الأبد ، لا يقرب أحدها من الآخر ، ولا يبعد عنه ، ولا يزيد ، ولا ينقص ، ولا تتغير عن جهاتها . لأنها تتحرك بحركتها الطبيعية حول قطبي العالم . ولهذا سميت ثابتة . وهي في فلك ثامن غير أفلاك الكواكب السبعة السيارة . ودليل ذلك أن للكواكب السبعة حركات أسرع من حركات هذه .

## ٢ - ذكر ما يمثل به مما فيه ذكر الكواكب

يقال : أنأى من كوكب ؛ أبعد من مناط النجم ؛ أهدى من النجم .

١٠ ومن أنصاف الأبيات :

\* وَأَيْنَ تَزِيلُ الْأَرْضِ عِنْدَ الْكَوَاكِبِ؟ \* \* وَأَيْنَ الثَّرِيًّا مِنْ يَدِ الْمُتَنَاوِلِ؟ \*  
\* وَالْكَوْكَبُ النَّحْسُ يَسْقِي الْأَرْضَ أَحْيَانًا \*  
١٥

ومن الأبيات قول أبي تمام عفا الله عنه :

كالتَّجْمِ إن سافرتَ كَانِ مَوَاكِجَا \* وَإِذَا حَطَّطَتِ الرَّحْلَ كَانَ جَلِيسَا .

وقال أبو نُوَّاس :

أَيْنَ النَّجْمُ الثَّابِتَا \* تُمِنَ الْأَهْلَةِ وَالْبُدُورِ؟

وقال آخر :

وَكُنَّا فِي أَجْتِمَاعِ كَالثَّرِيَّا ، \* فَصِرْنَا فُرْقَةً كَبَنَاتِ نَعْشِ !

وقال آخر:

كالفرقدين إذا تأمل ناظرًا \* لم يُعلِ موضع فرقيد من فرقيد.

وقال الوزير أبو الفتح البستي:

وللنجم من بعد الرجوع استقامة \* وللشمس من بعد الغروب طلوع.

وقال بحظة:

مثل الذي يربو البلو \* غ إلى الكواكب وهو مقعد.

وقال عمر بن أبي ربيعة:

أيها المنكح الثريا سهيلا \* عمرك الله! كيف يلتقيان؟

هي شامية إذا ما استهلّت، \* وسهيل إذا استهلّ يماني.

وقال آخر:

وكل أخ مفارقة أخوه، \* لعمر أيبك، إلا الفرقدان!

### ٣ - ذكر ما قيل في وصف الكواكب وتشبيهها

من ذلك ما قاله ابن حجاج في المجرة:

يا صاحبي استيقظا من رقدة \* تزرى على عقل اللبيب الأكيس!

هذي المجرة والنجوم كأنها \* نهر تدفق في حديقة نرجس!

وقال آخر:

وكانت المجرة جداول ماء \* نور الأخوان في جانبيه.

وقال المهذب بن الزبير فيها :

وترى المجرة والنجوم كأنها \* تسقى الرياض بمجدول ملآن .  
لو لم يكن نهراً، لماعمت به \* أبداً نجوم الحوت والسرطان .

وقال أبو هلال العسكري :

تبدو المجرة منجراً ذوائبها \* كالماء ينساح أو كالأيام ينساب .

وقال هشام بن إلياس في الجوزاء :

فكأنما جوزاؤه في غربها \* يضاء ساجحة ببركة زئبق .  
وكأنما أومت ثلاث أنامل \* منها تقول : إلى ثلاث نلتقى !

وقال آخر :

وكان الجوزاء لما استقلت \* وتدلت ، سرادق ممدود .

وقال العلوي فيها أيضا :

ها إنها الجوزاء في أفقها \* واهية ناعسة تسحب .  
نطاقها واه لدى أفقها \* ينسل منها كوكب كوكب .

وقال ابن وكيع فيها :

قم فأسقني ضافية \* تهتك جرح الغسق !  
أما ترى الصبح بدا \* في ثوب ليل خلق ؟

(١) الأيم، والأين : ضرب من الحيات . (عن النوادر في اللغة) .

أَمَا تَرَى جَوْزَاءَهُ \* كَأَنَّهَا فِي الْأَفُقِ،

مِنْطَقَةً مِنْ ذَهَبٍ \* فَوْقَ قَبَاءِ أَرْزَقِ؟

وقال كعب الغنوي :

وقد مالتِ الجوزاءُ حتى كأنها \* فساطيطُ ركبٍ بالقلاةِ نُزُولُ .

وقال امرؤ القيس في الثريا :

إذا ما الثريا في السماءِ تعرّضتُ \* تعرّضَ أثناءِ الوشاحِ المُفصّلِ .

وقال ابن الطّرية :

إذا ما الثريا في السماءِ كأنها \* جمانٌ وهي من سلكِهِ، فتبدّدا .

وقال المبرد :

إذا ما الثريا في السماءِ تعرّضتُ، \* يراها حديدُ العينِ ستةَ أنجم .

على كبدِ الجرباءِ وهي كأنها \* جبيرةٌ درُّ رُكبتِ فوقِ معصم .

وقال عبد الله بن المعتز :

فناولنيها، والثريا كأنها \* جنى نرجس حيا الندامى بها الساقى .

وقال أيضا :

كأن الثريا في أواحرِ ليّليها \* تفتحُ نورِ أُولِحامِ مُفَضّضُ .

وقال السلامي، شاعر اليتيمة فيها :

فسمونا، والفجرُ يضحكُ في الشرِّ \* قِ إلينا مبشرا بالصباح .

والثُرَيَّا كَرَايَةَ أَوْ لِحَامٍ \* أَوْ بَنَانٍ أَوْ طَائِرٍ أَوْ وِشَاحٍ،  
وَكَأَنَّ النُّجُومَ فِي يَدِ سَاقٍ \* يَتَهَادَى تَهَادَى الْأَقْدَاحِ.

وقال ابن المعتز :

وَلَا حَتَّ لِسَارِيهَا الثُّرَيَّا كَأَنَّهَا \* عَلَى الْأَفُقِ الْغَرْبِيِّ قُرْطٌ مُسَلَّسٌ.

وقال أبو نضلة :

وَتَأَمَّلْتَ الثُّرَيَّا \* فِي طُلُوعٍ وَمَغِيبٍ.  
فَتَحَضَّرْتُ لَهَا التَّشْبِيهَ فِي الْمَعْنَى الْمُصِيبِ.  
وَهِيَ كَأَسُّ فِي شُرُوقٍ \* وَهِيَ قُرْطٌ فِي غُرُوبٍ.

وقال آخر :

٢٥

١٠ كَأَنَّ الثُّرَيَّا هَوْدَجٌ فَوْقَ نَاقَةٍ \* يَسِيرُ بِهَا حَادٍ مَعَ اللَّيْلِ مُزْجَجٌ،  
وَقَدْ لَمَعَتْ بَيْنَ النُّجُومِ كَأَنَّهَا \* قَوَارِيرُ فِيهَا زَيْبِقٌ يَتَرَجَّرُ.

وقال ابن سكرة الهاشمي :

تَرَى الثُّرَيَّا، وَالْغَرْبُ يَجْذِبُهَا \* وَالْبَدْرُ يَهْوِي وَالْفَجْرُ يَنْفَجِرُ،  
كَفِّ عَرُوسٍ لَاحَتْ خَوَاتِمُهَا \* أَوْ عِقْدَ دُرٍّ فِي الْبَحْرِ يَنْتَثِرُ.

وقال محمد بن الحسن الخاتمي :

١٥

وَحِلَّتْ الثُّرَيَّا كَفَّ عَدْرَاءَ طَفَلَةٍ \* مُحْتَمَّةٍ بِالذَّرِّ مِنْهَا الْأَنَامِلُ،  
تَحِيلَتْهَا فِي الْجَوْ طَرَّةَ جَعْبَةٍ \* مُلُوكِيَّةٍ لَمْ تَعْتَلِفْهَا حَمَائِلُ،  
كَأَنَّ نِبَالَ سِتَّةٍ مِنْ لَالِيٍّ \* يُوَافِي بِهَا فِي قُبَّةِ الْأَفُقِ نَائِلُ.

وقال أحمد بن إبراهيم الضبي : شاعر اليتيمة :

خِلْتُ الثريا إذ بدت \* طالعة في الحِندس :  
مُرْسَلَةٌ من لؤلؤٍ \* أوباقة من نرجس

وقال أبو العلاء المعري في سهيل :

وسهيل كوجنة الحب في اللو \* ن وقلب المحب في الخفقان .  
مُسْتَبِدًّا كأنه الفارس المَعْلَمُ يبدو معارض الفُرسان .

وقال عبد الله بن المعتز :

وقد لاح للساير سهيل كأنه \* على كل نجم في السماء رقيب !

وقال الشريف بن طباطبا :

وسهيل كأنه قلب صب \* فاجأته بالخوف عين الرقيب .

وقال أبو عبادة البُحْثَرِيُّ :

كأن سهيلاً شخْصُ ظمان جانح \* من الليل في نهر من الماء يكرع .

وقال ابن طباطبا :

كأن سهيلاً والنجوم أمامه \* يعارضها ، راجع أمام قطيع .

وقال الشريف الرضي في الفرقدين :

وهبت لضوء الفرقدين نواظري \* إلى أن بدأ ضوء من الفجر ساطع .  
كأنهما إلفان قال كلاهما \* لشخص أخيه : قل فإني سامع !

وقال آخر:

قُلْتُ للفرقَدَيْنِ واللَّيْلِ مُرِيحٌ \* سِترَ ظُلُمَاتِهِ عَلَى الآفَاقِ:  
إِيقِيَا مَا بَقِيَّتِمَا سَوَفَ يُرْمَى \* بَيْنَ تَخَصُّصِكُمَا بِهِم الفِرَاقِ!

وقال القاضي التنوخي:

وأشقر الجوقد لاحت كواكبُه \* فيه كدرٌ على الياقوت منتور.

وقال القاضي الفاضل، عبد الرحيم من رسالة:

”سِرْنَا، وروضة السماء فيها من الزهر زهر، ومن المجرة نهر، والليل كالبنفسج تخلله من النجوم أقاح، أو كالزنج شعله من الريح جراح، والكواكب سائرات المواكب لأمعّرس لها دون الصباح، وسهيل كالظمان تدلّى إلى الأرض ليشرّب، أو الكريم أنف من المقام بدار الذل فتغزّب. فكأنه قبس تتلاعب به الرياح، أو زينة قدمها بين يدي الصباح، أو ناظر يغضه الغيظ ويفتحه، أو معنى يغمضه الحسن ثم يشرحه؛ أو صديق لجماعة الكواكب مغاضب، أو رقيب على المواكب مواكب؛ أو فارس يجي الأعقاب، أو دواع به إليها وقد شردت عن الأصحاب. والجوزاء كالسرادق المضروب، أو الهودج المنسوب، أو الشجرة المنورة، أو الخبر المصورة. والثريا قد هم عنقودها أن يتدلّى، وجيش الليل قد هم أن يتولّى“.



## القسم الثاني

من الفن الأول في الآثار العلوية

وفيه أربعة أبواب

### الباب الأول

من القسم الثاني من الفن الأول

١ - في السحاب، وسبب حدوثه، وفي الثلج والبرد

والسحاب من الآثار العلوية .

روى أبو الفرج بن الجوزي بإسناد يرفعه إلى عبيد ابن عمير أنه قال : يبعث الله ريحا فتقمُّ الأرض ، ثم يبعث المُنْثِرة فتثير السحاب ، وذلك أنها تحمل الماء فتَمَّجُه في السحاب ، ثم يَمْرِيه فيدرك كما تدر اللقحة .

وقد روى في الأثر أن الرياح أربع : ريح تَقْمُ ؛ وريح تُثِيرُ ، فتجعله كَسَقًا ؛ وريح تُولِّفُ ، فتجعله رُكَّامًا ؛ وريح تُمَطِّرُ .

وروى عن عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) أنه قال : إن الله تعالى يرسل الرياح فتثير سحابا ، وينزل عليه المطر فتتمخض به الريح كما تتمخض التَّوَجُّج بولدها .  
وروى عن عكرمة (رضي الله عنه) أنه قال : يُنْزِلُ اللهُ المَاءَ مِنَ السَّمَاءِ السَّابِغَةِ

فتقع القطرة على السحاب مثل البعير، والسحاب للطربال ينزل منه بقدر .  
ولولا ذلك لأفسد ما على الأرض .

وقال الزمخشري في تفسيره : السحاب من السماء ينحدر، ومنها يأخذ ماءه لا كزعم  
من يزعم أنه يأخذ من البحر . ويؤيد ذلك قوله عز وجل ﴿ وَيُنزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ  
جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ ﴾ .

## ٢ - ذكر ما قيل في ترتيب السحاب (وأسمائه اللغوية وأصنافه)

قال أبو منصور، عبد الملك بن محمد الثعالبي في فقه اللغة، ينقله عن أئمتها :  
أقول ما ينشأ السحاب، فهو نشء .

فإذا آنسحب في الهواء، فهو السَّحَابُ .

فإذا تغيرت وتغممت له السماء، فهو الغَامُ .

فإذا كان غيم ينشأ في عرض السماء فلا تبصره، وإنما تسمع رعدده، فهو العَقْرُ .

فإذا أطل وأظلم السماء، فهو العَارِضُ .

فإذا كان ذا رعد وبرق، فهو العَرَّاصُ .

فإذا كانت السحابة قطعة صغارا متدانياً بعضها من بعض، فهي النَمِرَةُ .

فإذا كانت متفرقة، فهي القَزَعُ .

فإذا كانت قطعة متراكمة، فهي الكِرْفِيُّ (واحدتها كِرْفِيَّةٌ) .

فإذا كانت قطعة كأنها قطع الجبال، فهي قَلْعٌ، وكنهور (واحدتها كَنُورَةٌ) .

فإذا كانت قطعة رِقَاقًا، فهي الطَّخَّارِيرُ (واحدتها طَخْرُورٌ) .

فإذا كانت حولها قطع من السحاب، فهي مُكَلَّلَةٌ .  
 فإذا كانت سوداء، فهي طَخِيَاءٌ، ومُتَطَخِيخَةٌ .  
 فإذا رأيتها وحسبها ماطرة، فهي مُحَيَّلَةٌ .  
 فإذا غَاطَّتْ السحاب وركب بعضه بعضاً، فهو المُكْفَهَرُ .  
 فإذا أرتفع ولم ينبسط، فهو النَّشَاطُ .  
 فإذا تقطع في أقطار السماء وتلبَّدَ بعضه فوق بعض، فهو القَرْدُ .  
 فإذا أرتفع وحمل الماء وكثف وأطبَّقَ، فهو العَمَاءُ، والعَمَايةُ، والطَّخَاءُ، والطَّخَافُ،  
 والطَّهَاءُ .

فإذا آعترض آعترض الجبل قبل أن يطبق السماء، فهو الحَيُّ .  
 فإذا عَنَ، فهو العَنَانُ .

فإذا أظل الأرض، فهو الدَّجَنُ .  
 فإذا آسودَّ وتراكب، فهو المُحْمَوِيُّ<sup>(١)</sup> .

فإذا تعلق سحاب دون السحاب، فهو الرَّبَابُ .  
 فإذا كان سحاب فوق سحاب، فهو الغِفَارَةُ .  
 فإذا تدلَّى ودنا من الأرض مثل هُدْبِ القَطِيفَةِ، فهو الهَيْدَبُ .

فإذا كان ذا ماء كثير، فهو القَنِيفُ .  
 فإذا كان أبيض، فهو المَزَنُ، والصَّبِيرُ .  
 فإذا كان لرعده صوتٌ، فهو الهَزِيمُ .

(١) اسم فاعل من آحوى الشيء إذا آسودَّ . يوصف به نحو السحاب والليل .

- فإذا آشتد صوتُ رعدِهِ، فهو الأَجْشُ .
- فإذا كان باردًا وليس فيه ماءٌ، فهو الصَّرَادُ<sup>(١)</sup> .
- فإذا كان ذا صوت شديد، فهو الصَّيِّبُ .
- فإذا أهرق ماءه، فهو الجَهَامُ (وقيل بل الجَهَامُ الذي لا ماء فيه) .

### ٣ — ذكر ما قيل في ترتيب المطر

- قال الثعالبي رحمه الله: أخف المطر وأضعفه الطَّلُّ، ثم الرِّذَادُ، ثم البَغْشُ والدُّثُّ ومثله الرِّكُّ، ثم الرَّهْمَةُ .
- ويقال أيضا: أوله رَشٌّ وطَشٌّ، ثم طَلٌّ ورذَادُ، ثم نَضْحٌ ونَضْحٌ، وهو قَطْرٌ بين قَطْرَيْنِ، ثم هَطْلٌ وتَمَّانٌ، ثم وَايَلٌ وجَوْدٌ .

### ٤ — ذكر ما قيل في فعل السحاب والمطر

- يقال إذا أتت السماء بالمطر اليسير الخفيف<sup>(٢)</sup>: حَفَشَتْ، وَحَشَكَتْ .
- فإذا استمرَّ قَطْرُهَا، قيل: هَطَلَتْ، وَهَتَدَتْ .
- فإذا صبَّت الماءَ، قيل: هَمَعَتْ، وَهَضَبَتْ .
- فإذا أرتفع صوتٌ وَقَعَهَا، قيل: أَنَهَلَتْ، وَاسْتَمَّتْ .

١٥ (١) في فقه اللغة بعده: فإذا كان خفيفا تسفره الريح فهو الرِّبْرِجُ، وبعده فإذا كان ذا صوت الخ .

(٢) كذا في فقه الثعالبي وعبارة اللسان: حَفَشَتْ السَّمَاءُ مَحْفِشَ حَفَشَا: جاءت بمطر شديد ساعة ثم أقلعت .  
ومثله حشكت وأغبت فالحفشة والحشكة والغيبه بمعنى واحد .

فإذا سأل المطر بكثرة، قيل: **أَنَسَكَبَ**، **وَأَنبَعَقَ**.  
 فإذا سال يركب بعضه بعضا، قيل: **أَنَعَجَرَ**، **وَأَنَعَجَجَ**.  
 فإذا دام أياما لا يُقْلِعُ، قيل: **أَنَجَّمَ**، **وَأَغْبَطَ**، **وَأَذَجَنَ**.  
 فإذا أقلع، قيل: **أَنَجَّمَ**، **وَأَفْصَمَ**، **وَأَفْصَى**.

### ٥ - ذكر أسماء أمطار الأزمنة

قالت العرب: أول ما يبدأ المطر في إقبال الشتاء، فأسمه **الْحَرِيفُ**، ثم يليه **الْوَشْمِيُّ**،  
 ثم **الرَّبِيعُ**، ثم **الصَّيْفُ**، ثم **الْحَمِيمُ**.  
 وقيل المطر الأول هو **الْوَشْمِيُّ**، ثم يليه **الْوَيْ**، ثم **الرَّبِيعُ**، ثم **الصَّيْفُ**، ثم **الْحَمِيمُ**.

### ٦ - ذكر أسماء المطر اللغوية

قال الثعالبي: ١٠  
 إذا أحيأ الأرض بعد موتها، فهو **الْحَيَا**.  
 فإذا جاء عقيب المحل أو عند الحاجة إليه، فهو **الغَيْثُ**.  
 فإذا دام مع سكون، فهو **الدَّيْمَةُ**. **والضَّرْبُ** فوق ذلك قليلا، **والهَطْلُ** فوقه.  
 فإذا زاد، فهو **الهِتْلَانُ**، **والهَتَّانُ**، **والتهَّتَانُ**.  
 فإذا كان القطر صغارا كأنه **شَدْرٌ**، فهو **القِطْقِطُ**. ١٥  
 فإذا كانت مطرة ضعيفة، فهي **الرَّهْمَةُ**.  
 فإذا كانت ليست بالكثيرة، فهي **الغَيْبَةُ**، **والخَفْشَةُ**، **والْحَشْكَةُ**.

فإذا كانت ضعيفة يسيرة، فهي الذَّهَابُ، والهِمِيمَةُ<sup>(١)</sup>.

فإذا كان المطر مستمرا، فهو الودُق.

فإذا كان صَخْمَ القَطْرِ شديد الوقع، فهو الوايِل.

فإذا أتبعق بالماء، فهو البُعَاق.

فإذا كان يروي كل شيء، فهو الجُود.

فإذا كان عاما، فهو الجَدَا.

فإذا دام أياما لا يُقْلِع، فهو العَيْن.

فإذا كان مسترسلا سائلا، فهو المُرْتِئِنُ.

فإذا كان كثير القطر، فهو الغَدَق.

فإذا كان شديد الوقع كثير الصَّوب، فهو السَّحِيفَةُ<sup>(٢)</sup>.

فإذا كان شديدا كثيرا، فهو العِزُّ، والعَبَاب.

فإذا جرف ما مرَّ به، فهو السَّحِيفَةُ<sup>(٢)</sup>.

فإذا قشرت وجه الأرض، فهي السَّاحِيَةُ.

فإذا أثرت في الأرض من شدة وقعها، فهي الحَرِيصَةُ.

فإذا أصابت القطعة من الأرض وأخطأت الأخرى، فهي التُّفْضَةُ.

فإذا جاءت المطرة لما يأتي بعدها، فهي الرُّصْدَةُ، والعِمَّادُ نحو منها.

(١) في فقه الثعالبي: الهيمة. بإسقاط الميم الأولى وهو تحريف كما يعلم من مراجعة القاموس.

(٢) نقل صاحب اللسان في مادة (س ح ف) عن الأصمعي: (ان السحيفة بالفاء، المطرة الحديدية التي تجرف كل شيء). والسحيفة بالقاف، المطرة العظيمة القطر الشديدة الوقع القليلة العرض) وهو

عكس ما نقله النويري عن الثعالبي.

فإذا أتى المطر بعد المطر، فهو الولى .

فإذا رجع وتكرر، فهو الرجع .

فإذا نتابع، فهو اليعلؤل .

فإذا جاءت المطرة دَفَعَاتٍ، فهي الشَّايِبُ .

### ٧ - ذكر ما يتمثل به مما فيه ذكر المطر

يقال: أبرد من غبِّ المطر. أرق من دمع الغمام. أسرع من السيل إلى الحدود. أطنى من السيل. أغشم من السيل. أمضى من السيل. يذهب يوم الغيم ولا يُشعر به. قد بلغ السيل الزبى. اضطره السيل إلى معطشه. أرنيها بمره، أريكها مطره. سبق سيله مطره. قبل السحاب أصابني الوكف .

ومن انصاف الأبيات :

\* هل يُرتجى مطرٌ بغير سحابٍ \* وأول الغيث طلٌّ ثم ينسكبُ \*  
 \* سحابةٌ صيفٍ عن قريبٍ تقشعُ \* فذكر كما در السحاب على الرعدِ \*  
 \* أسرع السحب في المسير الجهمُ \* ومن يسد طريق العارض الهطلِ ؟ \*  
 \* سحابٌ عداني فيضه وهو صيبٌ \* يحسب الممطور أن كُمل مطرٌ \*

\* سأل به السيل وما يدري به \*

ومن الأبيات قول الطائي :

وكذا السحائب، فلما تدعو إلى \* معروفة الرواد ما لم تبرق .

وقال البحتري عفى عنه :

وَأَعْلَمُ بَأَنَّ الْغَيْثَ لَيْسَ بِنَافِعٍ \* مَا لَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ فِي إِبَانِهِ .

وقال أبو الطيب :

لَيْتَ الْغَنَامَ الَّتِي عِنْدِي صَوَاعِقُهُ \* يُزِيلُهُنَّ إِلَى مَنْ عِنْدَهُ الدِّيمُ !

وقال كثير :

كَمَا أَبْرَقَتْ يَوْمًا عَطَاشًا غَمَامَةً \* فَلَمَّا رَجَّوْهَا، أَقْشَعَتْ وَتَجَلَّتْ .

وقال آخر :

أَنَا فِي ذِمَّةِ السَّحَابِ وَأَطْمَأ \* إِنَّ هَذَا لَوْصِمَةٌ فِي السُّحَابِ !

وقال آخر :

وَاللَّهِ يُنْشِئُ سَحَابًا تَطْمَئِنُّ بِهِ النَّفْسُ مِنْ قَبْلِ بَلِّ الْأَرْضِ بِالْمَطَرِ .

## ٨ - ذكر شيء مما قيل في وصف السحاب والمطر

قال أبو تمام الطائي :

سَحَابَةٌ صَادِقَةٌ الْأَنْوَاءِ \* تَجْرُ أَهْدَابًا عَلَى الْبَطْحَاءِ .

تَجْمَعُ بَيْنَ الضَّحْكِ وَالْبُكَاءِ : \* بَدَتْ بِنَارٍ وَثَلَّتْ بِمَاءِ .

وقال أبو عبادة البحتري عفا الله تعالى عنه :

ذَاتِ آرْتِجَاسٍ بِحَيْنِ الرَّعْدِ \* مَجْرُورَةَ الذَّيْلِ صَدُوقِ الْوَعْدِ ،

مَسْفُوحَةِ الدَّمْعِ بَغَيْرِ وَجْدٍ \* لَهَا نَسِيمٌ كَنَسِيمِ الْوَرْدِ ،



ورنةٌ مثل زئير الأسد \* ولمع برق كسيوف الهند.  
 جاءت بها ريح الصبا من نجد \* فانتثرت مثل أنتثار العقد.  
 وراحت الأرض بعيش رعد \* من وشي أنوار الثرى في برد.  
 كأنما عُذرانها في الوهد \* يلعبن ترحاباً بها بالرد.

وقال أبو الحسن علي بن القاسم القاشاني من شعراء اليتيمة عفى عنه :

إذا الغيومُ آرزجنَّ بأسفها \* وحف أرجاءها بوارقها،  
 وعبيت للثرى كئابها \* وانتصبت وسطها عقائقها،  
 وجلجل الرعدُ بينها فكي \* خفق طبول أح خافقها،  
 وأبتسمت فرحة لوامعها \* واختلقت عبرة حمالقها،  
 وقيل: طوبى لبلدة تُنجت \* يجرؤ أكافها بوارقها.  
 أية نعاء لا تحل بها؟ \* وأي بأساء لا تُفارقها؟

وقال القاضي التنوخي :

سحاب أتى كالأمين بعد تخوف \* له في الثرى فعل الشفاء بمدنف.  
 أكب على الآفاق إنجاب مطريق \* يفكر أو كالنادم المتلهف.  
 ومد جناحيه على الأرض جانحاً \* فراح عليها كالغراب المرفف.  
 غدا البرُّ مجرا زانراً وأنتى الضحى \* بظلمته في ثوب ليل مسجف.  
 فعبس عن برق به متبسّم \* عبوس بخيل في تبسم معتف.  
 تُحاول منه الشمس في الجو مخرجا \* كما حاول المغلوب تجريد مرهف.

وقال ابن الرومي :

سَحَابٌ قَيْسَتْ بِالْبِلَادِ فَأُنْفَيْتُ \* غِطَاءٌ عَلَى أَغْوَارِهَا وَجُودِهَا .  
حَدَّثَهَا النُّعَامَى مُقْبِلَاتٍ فَأَقْبَلْتُ \* تَهَادَى رُويْدَا سَيْلَهَا كُرْكُودِهَا .

وقال أبو هلال العسكري :

وَبَرَقَ سَرَى، وَاللَّيْلُ يُحْمَى سَوَادُهُ \* قَلْتُ : سِوَارٌ فِي مَعَاصِمِ أَسْمَارِ !  
وَقَدْ سَدَّ عُرْضَ الْأَفْقِ غَيْمٌ تَحَالَهُ \* يَزُرُّ عَلَى الدُّنْيَا قَيْصًا مُعْتَبَرًا .  
تَهَادَى عَلَى أَيْدِي الْحَبَائِبِ وَالصَّبَا \* تَحْرِقُ مِنَ الْفَتِيَانِ نَازِعَ مُسْكَرَا .  
تَحَالٌ بِهِ مِسْكًَا وَبِالْقَطْرِ لُؤْلُؤًا \* وَبِالرَّوْضِ يَاقُوتًا وَبِالْوَحْلِ عَنَبَرًا .  
سَوَادٌ غَمَامٍ يَبْعَثُ الْمَاءَ أَيْضًا \* وَغُزَّةٌ أَرْضٍ تُنْبِتُ الزَّهَرَ أَصْفَرًا .  
أَتَتْكَ بِهِ أَنْفَاسُ رِيحٍ مَرِيضَةٍ \* كَمُفْطَعَةٍ رَعْنَاءَ تَسْتَأْقُ عَسْكَرًا .  
فَالْقَى عَلَى الْغُدْرَانِ دَرْعًا مُسَرَّدًا \* وَأَهْدَى إِلَى الْقِيَعَانِ بُرْدًا مُحْبَّرًا .  
تَحَالُ الْحَيَا فِي الْجَوْدِ دُرًّا مَنْظَمًا \* وَفِي وَجَنَاتِ الرَّوْضِ دُرًّا مَنْثَرًا .  
وَأَقْبَلَ نَشْرَ الْأَرْضِ فِي نَفْسِ الصَّبَا \* فَبَاتَ بِهِ ثَوْبَ الْمَسْوَءِ مُعْطَرًا .  
إِذَا مَادَعَتْ فِيهِ الرَّعُودُ فَاسْمَعْتُ \* أَجَابَ حُدَاةً وَأَسْتَهَلَّ فَأَغْرَارًا .  
وَيَبْكِي إِذَا مَا أَصْحَكَ الْبَرْقُ سِنَهُ \* فَيَجْعَلُ نَارَ الْبَرْقِ مَاءً مُفْجَّرًا .  
كَأَنَّ بِهِ رُؤْدَ الشَّبَابِ نَحِيدَةً \* قَدْ انْتَحَدَتْ ثَنَى السَّحَابَةِ مِعْجَرًا .  
فَنَعْرُ يُرِينَا مِنْ بَعِيدٍ تَبَاجًا \* وَدَمْعٌ يُرِينَا مِنْ بَعِيدٍ تَحَدَّرًا .

وقال مؤيد الدين الطُّغْرَائِي :

سَارِيَةٌ ذَاتُ عُبُوسٍ بَرَقُهَا \* يَضْحَكُ وَالْأَجْفَانُ مِنْهَا تَهْمَلُ .  
كُلَّةٌ دَكَّاءٌ فِي حَاشِيَةِ \* فِيهَا طِرَازٌ مُدْهَبٌ مُسَلْسَلُ .  
إِذَا دَنَتْ عِشَارُهَا، صَاحَ بِهَا \* قَاصِفٌ رَعِدٍ وَحَدَّثَهَا الشَّمَالُ .

وقال عبد الله بن المعتز :

وَمُرْنَةٌ جَادٌ مِنْ أَجْفَانِهَا الْمَطْرُ : \* فَالرَّوْضُ مَسْتَضِيمٌ وَالْقَطْرُ مَسْتَتِرٌ .  
تَرَى مَوَاقِعَهُ فِي الْأَرْضِ لِأَمْحَةٍ \* مِثْلَ الدَّرَاهِمِ تَبْدُو ثُمَّ تَسْتَتِرُ .

وقال أيضا :

مَا تَرَى نِعْمَةَ السَّمَاءِ عَلَى الْأَرْضِ \* ضِيقُ وَشُكْرِ الرِّيَاضِ لِلْأَمْطَارِ ؟  
وَكَأَنَّ الرِّبْعَ يَجْلُو عَرُوسًا \* وَكَأَنَّ مِنَ قَطْرِهِ فِي نِثَارِ !

وقال ابن عوف الكاتب في إطباق الغيم وقربه :

فِي مُرْنَةٍ أَطْبَقَتْ فَكَادَتْ \* تُصَافِحُ الثُّرْبَ بِالْغَمَامِ .

وقال آخر :

تَبَسَّمتِ الرِّيحُ ، رِيحُ الْجَنُودِ \* بِ فِيهَا هَوَى غَالِبًا وَأَدْكَارًا .  
وَسَاقَتْ سَعَابًا كَمِثْلِ الْجِبَالِ \* إِذَا التَّبْرُقُ أَوْمَضَ فِيهِ ، أَنَارًا .  
إِذَا الرَّعْدُ جَلَجَلَ فِي جَانِبَيْهِ ، رَوَى النَّبَاتَ وَأَرَوَى الصَّحَارَى .  
تُطَالِعُنَا الشَّمْسُ مِنْ دُونِهِ \* طِلَاحَ فَتَاةٍ تَخَافُ أَشْتِهَارًا ،  
تَخَافُ الرَّقِيبَ عَلَى نَفْسِهَا \* وَتُحَدِّرُ مِنْ زَوْجِهَا أَنْ يَفَارَا .  
فَتَسْتُرُ غُرَّتَهَا بِالْحِمَا \* رِطُورًا ، وَطُورًا تُزِيلُ الْجِمَارَا .

فَلَمَّا رَأَاهُ هُبُوبُ الْجَنُوبِ \* بِ وَأَنْهَمَرَ الْمَاءُ فِيهِ أَنْهَمَارًا ،  
تَبَسَّمَتِ الْأَرْضُ لَمَّا بَكَتْ \* عَلَيْهَا السَّمَاءُ دُمُوعًا غِزَارًا !

وقال الأسعد بن بليطة من شعراء الذخيرة :

لَوْ كُنْتَ شَاهِدَنَا عَشِيَّةَ أَمْسِنَا ، \* وَالْمُزْنَ تَبْجِكِنَا بَعِيْنِي مُدْنِبِ ،  
وَالشَّمْسُ قَدْ مَدَّتْ أَدِيمَ شُعَاعِهَا \* فِي الْأَرْضِ تَجْنَحُ غَيْرَ أَنْ لَمْ تَذْهَبِ ،  
خِلَتْ الرِّدَادَ بُرَادَةً مِنْ فِضَّةٍ \* قَدْ غُرِبَلَتْ مِنْ فَوْقِ نِطْعِ مُذْهَبِ !

وقال أبو عبد الله محمد بن الحياط من شعرائها :

رَاحَتْ تُذَكِّرُ بِالنِّسِيمِ الرَّاحَا \* وَطَفَاءُ تَكْسِرُ لِلْجُنُوحِ جَنَاحَا .  
أَخْفَى مَسَالِكَهَا الظَّلَامُ فَأَوْقَدَتْ \* مِنْ بَرَقِهَا ، كَيْ تَهْتَدِي ، مِصْبَاحَا .  
وَكَأَنَّ صَوْتَ الرَّعْدِ خَلْفَ سَحَابِهَا \* حَادٍ إِذَا وَنَتِ السَّحَابُ ، صَاحَا .  
جَادَتْ عَلَى التَّلَاعَاتِ فَأَكْتَسَتِ الرُّبَا \* حُلَلًا أَقَامَ لَهَا الرَّيْبُوعُ وَشَاحَا .

وقال ابن برد الأصغر الأندلسي من شعرائها :

وَمَا زِلْتُ أَحْسَبُ فِيهِ السَّحَابَ ، \* وَنَارُ بَوَارِقِهَا تَلْتَهَبُ :  
بِحَاقَتِي تُوَضِعُ فِي سَيْرِهَا \* وَقَدْ قُرِعَتْ بِسِيَاطِ الذَّهَبِ .

### ومما ورد في وصفها نثرا

§ قال بعض الأندلسيين من رسالة :

ثم أرسل الله الرياح من كوائنها ، وأخرجها من خزائنها ؛ فجرت ذبولها ، وأجرت  
خيولها ؛ خافقة بنودها ، متلاحقة جنودها ؛ فأثارت الغمام ، وقادته بغير زمام ؛  
وأنشأت بحرية من السحاب ، ذات أتراب وأصحاب ؛ كثيرا عددها ، غزيرا مددها ،

فبشّرت بالقطر كلّ شائم ، وأنذرت بالورد كلّ حائم ، والريح تنثّنها ، والبرق يمحّنها ،  
 كأنه قضيب من ذهب ، أو لسان من لُهب ؛ وللسحاب من ضوء البرق هاد ، ومن  
 صوت الرعد حاد ؛ والريح توسع بلُحمتها سدّاهها ، وتُسرّع في حياكتها يداها . فلما  
 ألجم فتقّها ، وألتأم رتقّها ؛ وأمتدت أشطانها ، وآتسعت أعطانها ؛ وأنفسحت  
 أجنابها ، وأنسدلت أطنانها ؛ وتهتدل نملها ، وتمخض حملها ؛ ومدت على آفاق  
 السماء نطاقها ، وزرت على أعناق الجبال أطواقها ، كأنها بناء على الجؤ مقبوب ،  
 أو طبّق على الأرض مكبوب ؛ تمشي من الثقل هونا ، وتستدعي من الريح عوناً ؛  
 ومخايلها تقوى ، وعارضها أحوى . فلما أذن الله لها بالأنحدار ، وأنزل منه الودق  
 بمقدار ، أرسلت الريح خيوط القطر من رُود السحاب ، وأسبلتها إسبال  
 الذوائب . فدرّت من خلف مَصرور ، وثرّت ظلّها ثرّ الدرور . ثم أنخرق جيّبها ،  
 وأنبتق سيّبها ؛ وصار الخيط حبلا ، والطلّ وبلا . فالسحاب يتعلّق ، والبرق يتألّق ؛  
 والرعد يرتجس ، والقطر ينبجس ؛ والنقّط تترامى طباقا ، وتبارى آتساقا ؛ فيردف  
 السابق المصلّي ، ويتصل التابع بالموتى ؛ كما يقع من المنخل البر ، وينثر من النظام الدر ؛  
 بغيوب السماء تُسقطه ، وأكفّ الغدران تلقّطه ؛ والأرض قد فتّحت أفواها ،  
 وجرّعت أمواها . حتّى أخذت ريّها من المطر ، وبلغت منه غاية الوطر ، خفي من  
 الرعد تسبيحه ، وطفئت من البرق مصابجه ، وحسرت السماء نقابها ، وولّت المطر  
 أعقابها ؛ وحكت في ردها طلق السابق ، وهرب الآبق .

§ ومن رسالة لمحمد بن شرف القيرواني :

برئ عليل البرئ ، وأثرئ فقير الثرى ، وتاريخ ذلك أنصرام ناجر ، وقد بلغت القلوب<sup>(١)</sup>

(١) رجب أو صفر . وكل شهر من شهور الصيف (قاموس) .

الحناجر، مجازةً أحمرت لها خضرة السماء، وأغربت مرآة الماء، حتى أنهل طالع وشيبي،  
وتلاه تابع ولي، دنا فأسف، ووكف فماكف، ففاقت مسكوبا قطره، محجوبا شمسه  
وبدره، وجلت عروس الشمس، معذرة عن مغيها بالأمس: فعندها مرق عن  
الدعاء صحيح إهابها، وأختن دتر البر في أصداف ترابها. فما مررت أيام إلا والقيعان  
مسنده، والآكام مطوسه.

§ ومن رسالة لأبي القاسم، محمد بن عبد الله بن أبي الجلد في وصف مطر بعد حَقَط:

قال: لله تعالى في عباده أسرار، لا تُدرِكها الأفكار، وأحكام، لا تتألفها الأوهام.  
تختلف والعدل مُتَّفِق، وتفترق والفضل مجتمع مُتَّسق. ففي منحة نفاث المأمول،  
وفي منحة مداوس العقول. وفي أثناء فوائدها حدائق الإيغام راتقه، وبين أرجاء سرائرها  
بوارق الإعذار والإنذار خافقه. وربما تفتحت كجائم النوايب، عن زهرات المواهب.  
وأنسكبت غمام الرزايا، بنفحات العطايا. وصدع ليل اليأس صبح الرجاء، وخلع  
عامل البأس وإلى الرخاء. ذلك تقدير اللطيف الخبير، وتدير العزيز التقدير!

ولما ساءت بتبسط الغيث الظنون، وأتقبض من تبسط الشك اليقين، وأستراتبت  
حياض الوهاد، بعهود العهاد، وتأهبت رياض النجاد، لبرود الحداد، وأكتحلت  
أجفان الأزهار، بإئتمد النقع المثار، وتعطلت أجياد الأنوار، من حُلَى الديمة المذار،  
أرسل الله بين يدي رحمة ريحا بليلة الجناح، مُخِيلَةَ النَّجَاح، سريعة الإلتاح. فنظمت  
عقود السحاب، نظم السحاب، وأحكمت برود الغمام، راتقة الأعلام. وحين ضربت  
تلك المُخِيلَةُ في الأفق قبأها، ومدت على الأرض أطنابها، لم تلبث أن أنهت رواقها،

(١) جمع مَدْرَس [أى مصاقل العقول].

وَأَنْبَتِكَ وَشَيْكَ نِطَاقُهَا ، وَأَنْبَرَتْ مَدَامُهَا تَبْكِي بِأَجْفَانِ الْمُشْتَقِ ، غَدَاةَ الْفِرَاقِ ، وَتَحْكِي  
 بَنَانَ الْكِرَامِ ، عِنْدَ أَرْبَعِيَّةِ الْمُدَامِ ، فَاسْتَعْرَبْتَ الرِّيَاضَ ضَحْكَاً بَيْكَاثُهَا ، وَأَهْتَرَّ رُقَاتِ النَّبَاتِ  
 طَرَبًا لِتَغْرِيدِ مَكَاثُهَا ، وَأَكْتَسْتَ ظُهُورَ الْأَرْضِ مِنْ بَيْضِ إِنْثَاهَا ، خُضْرَ مَلَاثُهَا . فَكَأَنَّ  
 صِنْعَاءَ قَدِ نَشَرْتَ عَلَيَّ بِسَيْطِهَا بِسَاطًا مُقَوِّفًا ، وَأَهْدَيْتَ إِلَيْهَا مِنْ زَخَارِفِ بَزَّهَا وَمَطَارِفِ  
 وَشَيْهَا أَلطَافًا وَتَحْفًا . وَخَيْلٌ لِلْعُيُونِ أَنْ زَوَاهِرِ النَّجُومِ ، قَدِ طَلَعْتَ مِنْ مَوَاقِعِ التُّخُومِ ،  
 وَمِبَاسِمِ الْحَسَنِ ، قَدِ وَصَلْتَ بِأَفْتَرَارِ الْغَيْطَانِ . فَيَا بَرْدَ مَوْعِهَا عَلَيَّ الْقُلُوبِ وَالْأَجَادِ !  
 وَيَا خُلُوصَ رِيحِهَا إِلَى غُلْلِ النَّفُوسِ الصَّوَادِ ! كَأَنَّمَا اسْتَعَارَتْ أَنْفَاسَ الْأَحْبَابِ ، أَوْ تَرَشَّفَتْ  
 شَنْبَ الثَّنَائِيَا الْعِذَابِ ، أَوْ تَحَمَلَتْ مَاءَ الْوِصَالِ ، إِلَى نَارِ الْبَلْبَالِ . أَوْ سَرَتْ عَلَيَّ أُنْدَاءَ  
 الْأَسْحَارِ وَرِيحَانَ الْأَصَالِ . لَقَدْ تَبَيَّنَ لِلصَّنْعِ الْجَلِيلِ ، مِنْ خِلَالِ دِيمِهَا تَنْفَسَ وَنِصُولِ ،  
 وَتَمَكَّنَ لِلشُّكْرِ الْجَمِيلِ ، مِنْ ظِلَالِ نِعْمِهَا مَعْرَسَ وَمَقِيلِ . فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَيَّ ذَلِكَ مَا أَنْسَكِبُ  
 قَطْرًا ، وَأَنْصَدِعُ بِفَرْجٍ ، وَتَوَقَّدُ قَبَسٌ ، وَتَرْتَدُّ نَفْسٌ ؛ وَهُوَ الْكَفِيلُ تَعَالَى بِإِتْمَامِ النِّعْمِ ،  
 وَصَلَةُ أَسْبَابِ الْحَيَاةِ وَالْحَيَاةِ بَعِزَّتِهِ !

§ وقال الوزير أبو عمرو الباجي في مثل ذلك :

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَضَايَا وَاقِعَةً بِالْعَدْلِ ، وَعَطَايَا جَامِعَةً لِلْفَضْلِ ؛ وَنِعْمًا يَسْطُهَا إِذَا شَاءَ  
 إِنْعَامًا وَتَرْفِيهَا ، وَيَقْبِضُهَا مَتَى أَرَادَ إِلْهَامًا وَتَنْبِيهَا ؛ وَيَجْعَلُهَا لِقَوْمٍ صِلَاحًا وَخَيْرًا ،  
 وَلَا يَخْرِيْنَ فِسَادًا وَضَيْرًا . ( وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ  
 وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ) . وَإِنَّهُ كَانَ مِنْ أَمْتِسَاكِ السُّقْيَا ، وَتَوَقُّفِ الْحَيَاةِ ؛ مَا رِيَعُ بِهِ  
 الْأَمْنُ ، وَأَسْتِطِيرِلُهُ السَّاكِنُ ؛ وَرَجَعَتْ الْأَجَادُ فِرْعَا ، وَذَهَلَتْ الْأَلْبَابُ جَزَا ؛  
 وَأَذَكْتُ ذُكَاةً حَرًّا ، وَمَنْعَتِ السَّمَاءُ دَرَّهَا ؛ وَأَكْتَسَتْ الْأَرْضُ غُبْرَةً بَعْدَ خُضْرَةٍ ،  
 وَلَبِسَتْ شُحُوبًا بَعْدَ نَضْرَةٍ ؛ وَكَادَتْ بُرُودُ الرِّيَاضِ تُطْوِي ، وَبُدُودُ نِعْمِ اللَّهِ تُزْوِي ؛

ثم نشر الله تعالى رحمته ، وبسط نعمته ، وأتاح مَنِّته ، وأزاح مِحْنته . فبعث الرياح  
لَوَاقِحَ ، وأرسل الغمام سَوَافِحَ ؛ بماء يتدفق ، ورَواءَ غَدَقَ ، من سماء طبق . آسْتَهْلُ جفنها  
فدمع ، وسمح دمعها فهمع ، وصاب وبلها فنقع . فاستوفت الأرض رِيًّا ، وأستكملت  
من نباتها أثنائها وريًّا ؛ فزينة الأرض مشهوره ، وحلّة الزهر منشوره ، ومِنَّة الرب  
موفوره ؛ والقلوب ناعمة بعد بؤسها ، والوجوه ضاحكة إثر عبوسها ؛ وآثار الجزع  
ممحوه ، وسور الشكر متلوّه ؛ ونحن نستزيد الواهب نعمة التوفيق ، ونستهديه في قضاء  
الحقوق إلى سواء الطريق ؛ ونستعيد به من المِنَّة أن تعود فتنه . والمنحة أن تصير  
محنه ! والحمد لله رب العالمين !

### ٩ - ذكر شيء مما وصف به الثلج والبرد

قال أبو الفتح كشاجم :

الثلج يسقط أم بلحِينٌ يُسَبِّكُ ، \* أم ذا حصي الكافور ظلٌّ يُفْرَكُ ؟  
راحت به الأرض الفضاء كأنها \* في كل ناحية بشعر تَضَحُّكُ !  
شابت ذوائبها فبين ضحكها \* طرباً وعهدى بالمشيب ينسكُ !  
وتردت الأشجار منه ملاءة \* عما قليل بالرياح تهتكُ !

وقال أيضا :

ثلجٌ وشمسٌ وصوبٌ غادية \* فالأرض من كل جانب غره !  
باتت ، وقبعائها زبرجدة . \* فأصبحت قد تحولت دژه !  
كانها والثلوج تضحكها \* تعار من أحبه فغره !  
شابت فسرت بذلك وأبهجت \* وكان عهدى بالمشيب يستكره !



وقال الصاحب بن عباد :

أقبلَ الثلجُ في غلائلِ نَورٍ \* تَهَادَى بِلَوْؤِ مَنثورِ !  
فَكَأَنَّ السَّمَاءَ صَاهَرَتِ الأَر \* ضَ فِصَارِ النَّارِ مِنْ كَافُورِ !

وقال النمرى :

أهدى لنا بردًا يُلُوحُ كأنه \* في الجوحِبِّ لآلِيٍّ لم يُثَقِّبِ ،  
أو تُفَرُّ حَوَاءِ اللَّثَاتِ تَبَسَّمَتْ \* عن واضحٍ مثلِ الأَقَاحِي أَشْنَبِ !

## الباب الثاني

### من القسم الثاني من الفن الأول

في النيازك، والصواعق، والرعد، والبرق، وقوس قزح

(١) فأما النيازك، فهو ما يرى من الذوائب المتصلة بالشهب والكواكب .

روى عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال لجماعة من الأنصار: "ما كنتم تقولون في هذا النجم الذي يرمى به؟ قالوا: يارسول الله، كنا نقول إذا رأيناها يرمى بها: مات ملك، ولد مولود. فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ليس ذلك كذلك، ولكن الله تعالى كان إذا قضى في خلقه أمرا سمعه الملائكة فيسبحون، فيسبح من تحتهم لتسبيحهم، فيسبح من تحت أولئك حتى ينتهي إلى السماء الدنيا فيسبحون، ثم يقولون ألا تسألون من فوقكم ثم يسبحون؛ فيقولون قضى الله في خلقه كذا وكذا، للأمر الذي كان. فيهبط به الخبر من السماء إلى السماء حتى ينتهي إلى السماء الدنيا فيتحدثون به، فنسترقه الشياطين بالسمع على توهم واختلاف. ثم يأتون

به الكُهَّانَ، فيصيدون بعضاً، ويُخطئون بعضاً . ثم إن الله تعالى حجب الشياطين بهذه النجوم التي يُقذَّفون بها، فانقطعت الكُهَّانة، فلا كُهَّانةَ اليومَ“.

والشهب التي يُقذَف بها الشياطين غير النجوم الثابت التي منها البروج والمنازل لقول الله تعالى ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾.

وقال بعض الشعراء :

وَكُوْكِبٍ نَظَرَ العَفْرِيتَ مُسْتَرِقًا \* لِلسَّمْعِ فَانْقَضَ يَدُكِي إِثْرَهُ لَهَبِهِ  
كفَارِسٍ حَلٍّ مِنْ تَيْبِهِ عِمَامَتَهُ \* وَجَرَّهَا كُلُّهَا مِنْ خَلْفِهِ عَذْبَهُ

وكتب ابن الحرون إلى صديق له، وقد كثرت انقضاض الكواكب، وذلك في أيام

المتوكل على الله :

- ١٠ أما بعد . فإن الفلك قد تفرى عن شهب ثواقب ، كثيران الحباب ، مُتَقَدَّة كشرر الزنود ، وشعل زبر الحديد ، مازجها عرض حمرة البهرمان ، وصفرة العقيان<sup>(١)</sup> .  
فهي كأرسال جرادٍ منتشر ، وهشيم ذرته ریحٌ صرصرٌ ، في سُرعة الكف ، ووحى لحظ الطرف .

(ب) وأما الصواعق ، فهي ماقاله الزمخشري في تفسيره : الصاعقة قصفة

- ١٥ من رعد يتقض معها سُقَّة من نار .

وقالوا : إنها تنقدح من السحاب إذا أصطكَّت أجرامه . وهي نار لطيفة حديدية

لا تمر بشيء إلا أتت عليه ، إلا أنها مع حثتها سريعة الخمود . على أنها متى سقطت على نخلة أحرقت عاليها .

(١) العقيان الذهب .

وقال صاحب كتاب "مناهج الفكر ومباهج العبر" في كتابه :

ومن عجيب شأنها أنها تحرق ما في الكيس ، ولا تُحرق الكيس ؛ وإن احترق  
فإنما يحترق باحتراق ما ذاب فيه وسال . قال : وهي إذا سقطت على جبل أو حجر  
كلسته ونفذته ، وإذا سقطت في بحر غاصت فيه وأحرقت ما لاقت من جوانبه .  
وربما عرض لها عند أنطفائها في الأرض برد ويس ، فتكون منها أجرام حجرية ،  
أو حديدية ، أو نحاسية . وربما طبعت الحديد سيوفا لا يقوم لها شيء .

(ج) وأما الرعد وما قيل فيه . قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَيَسْبَحُ الرُّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ .

قال المفسرون : الرعد ملكٌ موكل بالسحاب ، معه كُرٌّ من حديد ، يسوقه من بلد إلى  
بلد كما يسوق الراعي إبله . فكلمها خالف سحاب ، صاح به فزجره . فالذي يُسمع هو  
صوت الملك .

وقال الزمخشري في تفسيره : الرعد الذي يسمع من السحاب ، كأن أجرام السحاب

تضطرب وتتنفض إذا حدثها الريح فتصوت عند ذلك .

وأما صوت الرعد ، تقول العرب : رعدت السماء .

فإذا ازداد صوتها ، قيل : آرتجست .

فإذا زاد ، قيل : أرزمت ، وقَعَقَعَتْ<sup>(١)</sup> .

فإذا بلغت النهاية ، قيل : جَاجَلَتْ ، وهَدَّهَدَتْ .

(١) عبارة فقه اللغة : (فإذا زاد ، قيل : أرزمت ، ودوت . فإذا زاد وأشدت ، قيل : قصفيت ،

وقعقت . فإذا بلغ النهاية الخ) اه .

## المثل

رُبَّ صَلْفٍ تَحْتَ الرَّاعِدَةِ . (البخيل المتكبر) .

(د) وَأَمَّا الْبَرْقُ وَمَا قِيلَ فِيهِ ، فَقَدْ ذَهَبَ الْمَفْسُرُونَ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى أَنَّهُ

ضَرَبُ الْمَلَكِ الَّذِي هُوَ الرَّعْدُ لِلْسَحَابِ مِخْرَاقٌ مِنْ حَدِيدٍ . وَرَوَى عَنْ مُجَاهِدٍ : أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَّلَ بِالسَّحَابِ مَلَكًا . فَالرَّعْدُ قَعْقَعَةٌ صَوْتُهُ ، وَالْبَرْقُ سَوِّطُهُ <sup>(٢)</sup> .

وَأَمَّا تَرْتِيبُهُ فِي لِمَعَانِهِ

تَقُولُ الْعَرَبُ إِذَا بَرَقَ كَأَنَّهُ يَتَبَسَّمُ ، وَذَلِكَ بِقَدْرِ مَا يَرِيكَ سِوَادَ النَّيْمِ مِنْ بَيَاضِهِ :

أَنْكَلٌ أَنْكَلًا .

فَإِذَا بَدَأَ مِنَ السَّمَاءِ بَرَقٌ يُسِيرُ ، قِيلَ : أَوْشَمَّتِ السَّمَاءُ . وَمِنْهُ قِيلَ : أَوْشَمَ النَّبْتُ إِذَا

أَبْصَرَتْ أَوَّلَهُ .

فَإِذَا بَرَقَ بَرَقًا ضَعِيفًا ، قِيلَ : خَفَا .

فَإِذَا لَمَعَ لِمَاعًا خَفِيفًا ، قِيلَ : لَمَحَ ، وَأَوْمَضَ .

فَإِذَا تَشَقَّقَ ، قِيلَ : أَنْعَقَ أَنْعَاقًا .

فَإِذَا مَلَأَ السَّمَاءَ وَتَكَشَّفَ وَأَضْطَرَبَ ، قِيلَ : تَبَوَّجَ .

فَإِذَا كَثُرَ وَتَتَابَعَ ، قِيلَ : أَرْتَعَجَ .

فَإِذَا لَمَعَ وَأَطْمَعَ ثُمَّ عَدَلَ ، قِيلَ لَهُ : خَلَبَ .

(١) فِي الْأَصْلِ نَغْنَمَةٌ : . وَهُوَ مُحْرَفٌ عَنِ قَعْقَعَةٍ بِالْقَافِ كَمَا يَقْتَضِيهِ السِّيَاقُ .

(٢) فِي الْأَصْلِ صَوْتُهُ . وَهُوَ مُحْرَفٌ عَنِ سَوِّطِهِ وَهُوَ مِخْرَاقُ الْحَدِيدِ الَّذِي ذَكَرَ فِي السُّطْرِ الَّذِي قَبْلَهُ .

المثل :

” ليس في البرق اللامع مستمتع “ .

ذكر ما قيل في وصف الرعد والبرق

قال أبو هلال العسكري ، عفا الله عنه :

والرعدُ في أرجائه مُترنِّمٌ \* والبرقُ في حافاتِه متلهَّبٌ .  
كالْبَلقِ ترعجُ ، والصَّوارمُ تُنتَضِي \* والجَوَيْبِيسُ ، والأناهلُ تُحسَبُ .

وقال آخر :

إذا وَنَتِ السُّحْبُ الثَّقَالُ وَحَمَّهَا \* من الرعدِ حادٍ ليس يُبَصِّرُ أَكْمَهُ ،  
أحاديثُه مُستَهْوِلَاتٌ وَصَوْتُهُ \* إذا أَنْخَفَضَتْ أَصْوَاتُهُنَّ مُتَهَيِّقَهُ ،  
إذا صاحَ في آثارهنَّ حَسِبْتَهُ \* يجاوبُهُ من خَلْفِهِ صاحِبٌ لَهُ .

وقال ابن الدقاق الأندلسي :

أرى بارقًا بالأبلى الفرد يومض \* يذهب أكف الدجى ويفضض .  
كان سلمي من أعاليه أشرفت \* تمد لنا كفا خضيبا وتقبض .

وقال إبراهيم بن خفاجة الأندلسي :

ويوم جى برقه أشقرا \* يطارد من مزنه أشهبا :  
ترى الأرض فيه وقد فضضت \* ووجه السماء وقد ذهب !

وقال أحمد بن عبد العزيز القرطبي ، شاعر الذخيرة :

ولما تجلَّى اللَّيْلُ والبرقُ لامعٌ \* كما سلَّ زنجي حُسامًا من التبر ،  
وبت سَمِيرَ النجم وهو كأنه \* على مِعْصَمِ الدنْيا جباثر من دُر .

وقال محمد بن عاصم ، شاعر الخريدة عفا الله عنه :

أضَاءَ بِوَادِي الْأَثَلِ وَاللَّيْلِ مُظْلِمٌ \* بَرِيقٌ كَحَدِّ السَّيْفِ ضَرَجَهُ الدَّمُ .  
إِذَا الْبَرْقُ أَجْرَى طَرْفَهُ فَصِيْلَهُ \* إِذَا مَا تَفَرَّى رَعْدُهُ الْمُتَرْتَمُ .  
فَشَبَّهَتْهُ إِذْ لَاحَ فِي غَسَقِ الدُّجَى \* بِأَسْنَانِ زَيْجِيٍّ بَدَتْ تَتَبَسَّمُ .

وقال أيضا :

وَالْبَرْقُ يَضْحَكُ كَالْحَبِيبِ وَعِنْدَهُ \* رَعْدٌ يُحَسِّنُ كَالرَّقِيبِ مَقَالَهُ !

وقال آخر :

أَرِقْتُ لِبَرْقِ غَدَا مَوْهِنًا \* خَفِيَ كَعَمَزِكَ بِالْحَاجِبِ .  
كَأَنَّ تَأْتِقَهُ فِي السَّمَاءِ \* يَدَا كَاتِبٍ أَوْ يَدَا حَاسِبِ .

وقال عبد الله بن المعتز ، يشير إلى سخابة :

رَأَيْتُ فِيهَا بَرْقَهَا مُنْذُ بَدَتْ \* كَمَثَلِ طَرْفِ الْعَيْنِ أَوْ قَلْبِي يُجِبُّ .  
ثُمَّ حَدَّثَتْ بِهَا الصَّبَا حَتَّى بَدَا \* فِيهَا إِلَى الْبَرْقِ كَأَمْثَالِ الشُّهْبِ .  
تَحْسَبُهُ فِيهَا إِذَا مَا أَنْصَدَعَتْ \* أَحْشَاؤُهَا عَنْهُ شُجَاعًا يَضْطَرِبُ .  
وَتَارَةً تُبْصِرُهُ كَأَنَّهُ \* أَبْلَقُ مَا لَ جُلَّهُ حِينَ وَتَبُّ .  
حَتَّى إِذَا مَا رَفَعَ الْيَوْمُ الضُّحَى \* حَسِبْتَهُ سَلَسَلًا مِنَ الذَّهَبِ .

قوله شجاعا يضطرب مأخوذ من قول دعبيل :

أَرِقْتُ لِبَرْقِ آحَرَ اللَّيْلِ مُنْصَبِ \* خَفِيَ كَبَطْنِ الْحَيَّةِ الْمُتَقَلِّبِ .

وقال أيضا :

مَا زِلْتُ أَكَلًا بَرْقًا فِي جَوَانِبِهِ \* كَطَرْفَةِ الْعَيْنِ تَحْبُو ثُمَّ تَحْتَطِفُ .  
بَرْقٌ تَجَاسَّرَ مِنْ حَفَانٍ لَامِعِهِ \* يَقْضِي اللَّبَانَةَ مِنْ قَلْبِي وَيَنْصَرِفُ .

(هـ) وأما قوس قزح وما قيل فيه . قالوا : وإنما سمي بذلك لتلوّنه .

وكان ابن عباس (رضي الله عنهما) يكره أن يسميه قوس قزح ، ويسميه قوس الله ، ويقول : قزحُ اسم الشيطان .

وزعم القدماء في علة تلوّنه وتكوّنه ، أنه إذا تكاثف جزء من الهواء بالبرد ثم أشرق عليه نور بعض الكواكب أنصبغ ذلك الجزء ، وأنعطف منه الضوء إلى ما يليه من الهواء ، كالجمرة الصافية إذا طلعت عليها الشمس سطع نورها ، وأنعطف منه ألوان مختلفة إلى ما يقرب منها . وحمرة وصفرتها من قبل الرطوبة واليبس .

قالوا : وقياس ذلك النار ، فإنها إذا كانت من حطب رطب ، كان لونها أحمر كدراً ، فإن كانت من حطب يابس ، كان لونها أصفر صافياً .

وقال آخرون : القوس يحدث عن رطوبة الهواء وصقالته ، حتى يمكن أن ترسم فيه دائرة الشمس كما ترسم الأشباح في المرايا ، وتشتبك الأشعة بما يكون فيه البخار الرطب فيتولد ، فيكون منها تلك الألوان . وإنما توجد دائرة على الناظر ، لأن الشمس أبداً تكون في قفاها ، ولذلك تُرى في مقابلة الجهة التي تكون فيها الشمس ، فتُرى في المغرب إذا كانت الشمس في المشرق ، وتُرى في المشرق إذا كانت في المغرب .

وزعم بعض القدماء أن أثر القوس غير حقيقي ، وإنما هو تخييل لا وجود له في نفسه . وقال إن إدراكه على نحو إدراك صورة الإنسان في المرآة من غير أن تكون منطبعة على الحقيقة فيها ولا قائمة بها . وذلك بحسب غلظ الحس الباصر ، وهو لا يرى إلا أن يكون وراء السحاب الصقيل ، إذ ذلك يكون كالمرآة مؤدياً للبصر على نحو تأدية البلّور ، إذا جعل وراءه شيء غير مشفّف . ولا يكون ذلك عن السحاب الصقيل وحده ، كما لا يكون عن البلّور وحده ، ولا عن غير المشفّف وحده . والله أعلم .

## ذكر ما قيل في وصفه وتشبيهه

قال أبو الفرج الواواء، عفا الله تعالى عنه ورحمه :

سَقِيًّا لِيَوْمٍ بَدَأَ قَوْسُ النِّمَامِ بِهِ \* وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ وَالْبُرْقُ خَلَّاسُ !  
كَأَنَّهُ قَوْسُ رَامٍ وَالْبُرُوقُ لَهُ \* رَشَقُ السَّهَامِ وَعَيْنُ الشَّمْسِ بُرْجَاسُ .

وقال سعيد بن حميد القيرواني، رحمة الله عليه :

أَمَا تَرَى الْقَوْسَ فِي النَّعَامِ وَقَدْ \* تَمَّتْ فِيهِ الْهَوَاءُ نُورًا؟  
حَكَى الطَّوَاوِيْسَ وَهِيَ جَاعِلَةٌ \* أَذْنَابَهَا لِلْيَاہِ أَسْتَارًا .  
أَخْضَرَ فِي أَحْمِرٍ عَلَى يَقْقِي \* عَلَى وِشَاحِ السَّحَابِ قَدِ دَارًا .  
كَأَنَّ الْمَزْنَ وَهِيَ رَاهِبَةٌ \* شَدَّتْ عَلَى الْأَفْقِ مِنْهُ زُنَارًا .

وقال ظاهر الدين الحريري . شاعر الخريدة عفا الله عنه :

أَلَسْتَ تَرَى الْجَوْ مُسْتَعْبِرًا \* يُضَاحِكُهُ بَرْقُهُ الْخُلْبُ؟  
وَقَدْ بَاتَ مِنْ قُزُجِ قَوْسِهِ \* بَعِيدًا وَتَحْسَبُهُ يَقْرُبُ؟  
كَطَاقِي عَقِيْقٍ وَفَيْرُوزِجٍ \* وَبَيْنَهُمَا آخِرُ مَذْهَبُ .

وقال سيف الدولة بن حمدان، من أبيات :

وَقَدْ نَشَرْتَ أَيْدِي الْجَنُوبِ مَطَارِفًا \* عَلَى الْجَوْدِ دُمًّا وَالْحَوَاشِي عَلَى الْأَرْضِ .  
يَطْرُرُهَا قَوْسُ السَّحَابِ بِأَصْفَرٍ \* عَلَى أَحْمِرٍ فِي أَخْضَرٍ وَسَطَ مُبَيِّضٍ .  
كَأَذْيَالِ خَوْدٍ أَقْبَلْتَ فِي غَلَائِلِ \* مُصَبَّغَةٍ ، وَالْبَعْضُ أَقْصَرُ مِنْ بَعْضِ .

وقال عبد المحسن الصوري، عفا الله تعالى عنه :

تَأْمَلِ الْجَوْ تَرَى وَإِيَّا \* قَدْ وُلِيَ الْعَهْدَ عَلَى السُّخْبِ !  
سَارَ ، وَقَوْسُ اللَّهِ تَأَجَّ لَهُ ، \* رَكُضًا مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ !



## الباب الثالث

### من القسم الثاني من الفن الأول

#### ١ - في أسطقس الهواء <sup>(١)</sup>

رُوي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : "الريح من رُوح الله تعالى ، تأتي بالرحمة ، وتأتي بالعذاب . فلا تسبوا ، وأسألوا الله خيرها ؛ وأستعينوا بالله من شرها" . أخرجه البيهقي في سننه .

وروى أبو الفرج بن الجوزي بإسناده أن الريح تنقسم إلى قسمين : رحمة وعذاب ؛ وينقسم كل قسم إلى أربعة أقسام . ولكل قسم أسم . فأسماء أقسام قسم الرحمة : المبشرات ، والنشُر ، والمرسلات ، والرثاء . وأسماء أقسام قسم العذاب : العاصف ، والقاصف (وهما في البحر) ، والعقيم ، والصرصر (وهما في البر) . وقد جاء القراءان بكل هذه الأسماء .

#### ٢ - ذكر ما قيل في حدّ الهواء

قال الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا في حدّه : الهواء حرم بسيط ، طباعه أن يكون حاراً رطباً مشفاً متحرّكاً إلى المكان الذي تحت كرة النار التي فوق كرة الأرض والماء .

(١) كلمة معربة عن اليونانية معناها : العنصر .

وقال إبقراط : إنَّ تغير حالات الهواء هو الذى يغير حالات الناس مرة إلى الغضب ، ومرة إلى السكون ، وإلى الهم والسرور ، وغير ذلك . وإذا آستوت حالات الهواء ، آستوت حالات الناس وأخلاقهم .

وقال : إن قوى النفوس تابعة لأمزجة الأبدان ، وأمزجة الأبدان تابعة لتصرف الهواء ، إذا برد مرة ، وسخن مرة ، نخرج مرة الزرع نضيجا ، ومرة غير نضيج ، ومرة قليلا ، ومرة كثيرا ، ومرة حارًا ، ومرة باردا ، فتتغير لذلك صورهم ومزاجاتهم . وإذا آستوى وأعتدل الهواء ، نخرج الزرع معتدلا ، فأعتدلت بذلك الصور والمزاجات . قال : والعلة في تشابه التُّرك ، هو أنه لما آستوى هواء بلادهم في البرد آستوت صورهم وتشابهوا .

وقال : إنَّ الرياح تقلب الحيوان حالا إلى حال ، وتصرفه من حرٍّ إلى برد ، ومن يبس إلى رطوبة ، ومن سرور إلى حزن ، وإنها تغير ما في البيوت من أصناف المآكل كالتمر ، والعسل ، والسمن ، والشراب ، فتسخنها مرة ، وتبردها أخرى ، وتصلبها مرة ، وتيبسها مرة . وعلة ذلك أن الشمس والكواكب تغير الهواء بحركاتها ، وإذا تغير الهواء ، تغير بتغيره كل شيء .

وقال : إنَّ الجنوب إذا هبت ، أذابت الهواء وبرّده ، وسخنت البحار والأنهار . فكل شيء في رطوبة تغير لونه وحالاته . وهى ترخى الأبدان والعصب ، وتورث الكسل ، وتحدث تقلا في الأسماع ، وغشاوة في الأبصار . وأما الشَّمال فإنها تصلب الأبدان ، وتصحح الأدمغة ، وتحسن اللون ، وتصفى الحواس ، وتقوى الشهوة والحركة ، غير أنها تهيج السعال ، ووجع الصدر .

وزعم بعض من تأخر في الإسلام من الحكماء : أن الجنوب إذا هبت بأرض العراق ، تغير الورد ، وتناثر الورق ، وتشقق القنبيط ، وسخن الماء ، وأسترخت الأبدان ، وتكثرت الهواء .

وزعم آخرون من القدماء : أن الهواء جسم رقيق متى تموج من المشرق إلى المغرب سمي ريح الصبا .

قيل : سميت ريح الصبا ، لأن النفوس تصبو إليها لطيب نسيمها ورؤوحها . والصبوة الميل . وجاء في بعض الآثار : ما بعث نبي إلا والصبيا معه ، وهي الريح التي سُخِّرَت لسلیمان ( عليه السلام ) غدوؤها شهر ، أي من أول النهار إلى الزوال ، ورواحها شهر ، أي من الزوال إلى المغرب . كان يغدو من تدمر من بلاد الشام فيقيل في إصطخر من بلاد فارس ، ويبيت بكابل من بلاد الهند .

وعن رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) أنه قال " نُصِرْتُ بِالصَّبَا ، وَأُهْلِكْتُ عَادٌ بِالذَّبُورِ " .

وإذا تموج من الجنوب إلى الشمال ، سمي ريح الجنوب ، وهي الريح التي أهلك الله عز وجل بها عادًا .

وسياتي ذكر ذلك إن شاء الله تعالى في الفن الخامس من كتابنا هذا .

وإذا تموج من الشمال إلى الجنوب ، سمي ريح الشمال .

وهم يزعمون أن مبادئ الرياح شمالية أخذت إلى الجنوب ، وغربية أخذت إلى المشرق للطف الهواء في هاتين الجهتين ، .

والعرب تُحبُّ الصبا لرقتها ، ولأنها تجيء بالسحاب . والمطر فيها والخصب . وهي عندهم اليمنية .

## ٣ - ذكر أسماء الرياح اللغوية

قال الثعالبي في فقه اللغة :

- إذا وقعتِ الرِّيحُ بينَ رِيحَيْنِ ، فهي النَّكْأُ .
- فإذا وقعت بين الجنوب والصبأ، فهي الجُرْبَاءُ .
- فإذا هبَّت من جهات مختلفة، فهي المتناوِحة .
- فإذا كانت لينةً، فهي الرِّيدَانَةُ .
- فإذا جاءت بنفيس ضعيف وروح، فهي النَّسِيمُ .
- فإذا كان لها حنين كحنين الإبل، فهي الحُنُونُ .
- فإذا ابتدأت بشدة، فهي العاصف، والسَّيْهُوجُ <sup>(١)</sup> .
- فإذا كانت شديدة ولها زَفْرَفَةٌ وهي الصوت، فهي الزَّفْرَافَةُ .
- فإذا آشتت حتى تقلع الخيام، فهي المَهْجُومُ .
- فإذا حركت الأغصان تحريكاً شديداً أو قلمت الأشجار، فهي الزَّعْزَاعُ، والزَّعْزَعَانُ،  
والزَّعْزَعُ .
- فإذا جاءت بالخصباء، فهي الحاصِبَةُ .
- فإذا درجت حتى ترى لها ذيلاً كالرَّسَنِ في الرمل، فهي الدَّرُوجُ .
- فإذا كانت شديدة المرور، فهي النَّوْجُ .
- فإذا كانت سريعة، فهي المُجْفِلُ، والجافِلَةُ .
- فإذا هبَّت من الأرض كالعمود نحو السماء، فهي الإِعْصَارُ .
- فإذا هبَّت بالغبرة، فهي الهَبُوةُ .

(١) عبارة الثعالبي . فإذا ابتدأت بشدة، فهي النابغة . فإذا كانت شديدة، فهي العاصف الخ .

- فإذا حملت المورَ وجرت الذيل ، فهي الهوجاء .  
 فإذا كانت باردةً ، فهي الحرجف ، والصرصر ، والعريّة .  
 فإذا كان مع بردها ندى ، فهي البليل .  
 فإذا كانت حارةً ، فهي الحرور ، والسّموم .  
 فإذا كانت حارة وأتت من قبل اليمين ، فهي الهيف .  
 فإذا كانت باردةً شديدةً تحرق البيوت ، فهي الحريق <sup>(١)</sup> .  
 فإذا ضعفت وجرت فوق الأرض ، فهي المسفسفة .  
 فإذا لم تُلغح شجرا ولم تحمل مطرا ، فهي العقيم . ( وقد نطق بها القرآن ) .

#### ٤ - فصل فيما يذكر منها بلفظ الجمع

- يقال : الرياح الحواشك : المختلفة الشديدة . البوارح : الشمال الحارة في الصيف .  
 الأعاصير : التي تهيج بالغبار . المعصرات : التي تأتي بالأمطار . المبشرات : التي تهبُّ  
 بالسحاب والغيث . السوافي : التي تسفي التراب .

#### ٥ - ذكر ما يمتثل به مما فيه ذكر الهواء

- يقال :  
 أخف من النسيم . أسرع من الريح . ريحهما جنوب ( يضرب للتصافين ) . هو ساكن  
 الريح ( إذا كان حليا ) . قد هبت ريحه ( إذا قامت دولته ) .  
 ومن أنصاف الآيات .

- \* إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصاراً \*      \* وبعض القول يذهب بالرياح \*  
 \* تجرى الرياح بما لا تشتهي السفن \*      \* لو كنت ريحاً كانت الدبورا \*

(١) في اللسان أنها الريح الباردة الشديدة الهبوب كأنها حرقت . أماتوا الفاعل بها . ٢٠

ومن الأبيات :

إذا هبَّت رياحُك، فأغتنمها . \* فإن لكل خافية سُكُونُ !

وقال آخر :

وكلُّ ريح لها هُبُوبٌ \* يوما فلا بدَّ من رُكُودِ .

وقال آخر :

والريحُ ترجعُ عاصفاً \* من بعد ما ابتدأتُ نسيما .

وقال أبو تمام، عفا الله عنه :

إن الرياح إذا ما أعصفت، قَصَفَتْ \* عيدانَ نَجْدٍ ولم يَعْبَأَنَّ بالرَّثَمِ .

وقال ابن الرومي، رحمة الله عليه :

لا تُطْفِئَنَّ جَوَى بَلْوَمِ إنه \* كالريح تُغَيِّرُ النَّارَ بالإحراق .

## ٦ - ذكر ما جاء في وصف الهواء ونشبيهه

قال عبد الله بن المعتز، رحمة الله عليه :

وتَسِيمُ يَبْشُرُ الأَرْضَ بالقَطْرِ كذيلِ الغِلالَةِ المَبْلُولِ .

ووجوهُ البلادِ تَنْتَظِرُ الغَيْثَ أنتظارَ المُحِبِّ رَدَّ الرِّسُولِ .

وقال ابن الرومي :

حَيْثُكَ عَنَّا شَمَالٌ طافَ طائِفها \* تَحِيَّةً، بَغَرَتْ رَوْحاً وريحانا .

هَبَّتْ مُخَيِّراً فَناجَى الغُصْنُ صاحِبَه \* سِرّاً بها، وتنادى الطيرُ إعلانا .

وَرُقٌّ تُغَنِّي عَلَى خُضِرٍ مُهَدَّلَه \* تَسْمُوبها وتَسْمُ الأَرْضَ أحيانا .

يُحَالُ طائِرُها نَشِوانٌ من طَرِبِ \* والغصنُ من هَزَّه عِطْفِيه نَشِوانا .

وقال أيضا :

كَأَنَّ نَسِيمَهَا أَرْجُ الحُزَامِي \* وَلَاهَا بَعْدَ وَسْمِي وُلِيُّ.  
هَدِيَّةٌ شِمَالٍ هَبَّتْ بِلِيلِ \* لِأَفْنَانِ الغُصُونِ بِهَا نَيْجِيُّ.  
إِذَا أَنْفَاسُهَا نَسَمَتْ سُحَيْرًا \* تَنْفَسُ كَالشَّجِيِّ لَهَا الخَلِيُّ.

وقال آخر :

وَأَنْفَاسٌ كَأَنْفَاسِ الحُزَامِي \* قُبَيْلَ الصُّبْحِ بَلَّتْهَا السَّمَاءُ.  
تَنْفَسُ نَشْرُهَا سَحْرًا بِخَاءَتْ \* بِهِ سَحْرِيَّةُ المَسْرَى رُخَاءُ.

وقال إسحاق الموصلي :

يَاحِبِّدًا رِيحُ الجَنُوبِ إِذَا بَحَرَتْ \* فِي الصُّبْحِ وَهِيَ ضَعِيفَةُ الأَنْفَاسِ !  
قَد حَمَلَتْ بَرْدَ النَّدَى وَتَمَلَّتْ \* عَبَقًا مِنْ الجَنَاجِثِ <sup>(١)</sup> وَالبَسْبَاسِ <sup>(٢)</sup> !

(١) في الأصل بالإهمال وهو من إهمال الناصح . فقد ورد في مادة ( ج ث ث ) من لسان العرب :  
« الجنجاث شجر أصفر مُرٌّ طيب الريح تستطيه العرب وتكثر ذكره في أشعارها » . وقال أبو حنيفة  
الدينوري إنه من أحرار الشجر وهو أخضر ينبت بالقيظ له زهرة صفراء كأنها زهرة العريفة طيبة  
الريح . وقال ابن البيطار : أول ما رأيته بساحل نيل مصر في أعلاه في صحاريه بمقربة من ضيعة  
هناك ، تسمى شاهور ، وهي على طريق الطرانة . وقال داود في تذكرته إنه يسمى باليونانية  
ترديسيون .

(٢) في اللسان : « البسباس نبات طيب الريح » . وهو المعروف عند علماء العرب بالاسم الفارسي « الرازيانج »  
وبهذا الاسم كان يعرف في الأندلس والمغرب ولا يزال معروفا به الى اليوم في قطر الجزائر واسمه  
السرياني « برهاليا » ويعرف في مصر والشام باسم « الشمار » ومنه نوع برى ينبت بالقبروان ويسميه  
أهلها « قزاج » .

وقال آخر:

إذا خلا الجَوُّ من هَوَاءٍ ، \* فعيثُهم عُمَّةٌ وبُوسُ .  
فهُوَ حَيَاةٌ لِكُلِّ حَيٍّ ، \* كَأَنَّ أَنْفَاسَهُ نُفُوسُ .

وقال ابن سعيد الأندلسي :

الرَّيْحُ أَقْوَدُ مَا يَكُونُ لِأَنَّهَا \* تُبْدِي خَفَايَا الرِّدْفِ وَالْأَعْكَانِ (١) .  
وَتُمِيلُ الْأَغْصَانَ بَعْدَ عُلُوقِهَا \* حَتَّى تُقَبِّلَ أَوْجُهَ الْعُذْرَانِ .  
وَكذَلِكَ الْعُشَّاقُ يَتَّخِذُونَهَا \* رُسُلًا إِلَى الْأَحْبَابِ وَالْأَوْطَانِ .

وقال آخر:

أَيَا جَبَلِي نَعْمَانَ بِاللَّهِ خَلِيًّا \* سَبِيلَ الصَّبَا يَخْلُصُ إِلَى تَسِيمِهَا .  
أَجْدُ بَرْدِهَا أَوْ تَشْفِي مَنِيَّ حَرَارَةٍ \* عَلَى كَبِيدٍ لَمْ يَبِيقَ إِلَّا صِيمِهَا .  
فَإِنَّ الصَّبَا رِيحٌ إِذَا مَا تَنَفَّسْتُ \* عَلَى كَبِيدٍ حَرَاءً ، قَلَّتْ هُمُومُهَا .

وقال ابن هتيميل البيني :

هَبَّتْ لَنَا سَحَرًا ، وَالصَّبْحُ مَلْتِمٌ ، \* وَاللَّيْلُ قَدْ غَابَ فِيهِ الشَّيْبُ وَالْهَرَمُ .  
سَقِيمَةٌ مِنْ بَنَاتِ الشَّرْقِ أضعفَهَا \* عَنْ قُوَّةِ السَّيْرِ ، لَمَّا هَبَّتْ ، السَّقَمُ .  
فَبَلَّغَتْ بِلِسَانِ الْحَالِ قَائِلَةً \* مَا لَمْ يُبَيِّغْهُ يَوْمًا إِلَى فَمٍ ،  
سِرًّا لِعَانِيَةِ تَسْرِي إِلَى يَهٍ \* مِنَ النَّسِيمِ رَسُولٌ لَيْسَ يَتَّهِمُ .  
أَصَافِحُ الرِّيْحِ إِجْلَالًا لِمَا حَمَلَتْ \* إِلَى مَنْ رِيحُ بَرْدِهَا وَأَسْتَلِمُ .

(١) واحده عككة بالضم ، وهي ما تنثني من لحم البطن سينا .



## الباب الرابع من القسم الثاني من الفن الأول

١ - في أسطقس النار وأسمائها، وعبادها، وبيوت النيران<sup>(١)</sup>

حكى أصحاب التواريخ في حدوث النار أن آدم عليه السلام لما هبط إلى الأرض  
وجج، نزل جبل أبي قبيس. فأنزل الله إليه مَرَّخَتَيْنِ من السماء، فحك إحداهما بالأنحرى  
فأورياً نارا. فلهذا سمي الجبل بأبي قبيس .

ويدل على أن النار من الشجر، قوله عز وجل : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ  
الْأَخْضِرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ .

والعرب تقول: "في كل شجر نار، وأستمجد المرخ والعفار". لأنهما أسرع اقتداحا .  
قال الله عز وجل : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ أَنَّتُمْ أَنشَأْتُم شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴾ .  
وقال أصحاب الكلام في الطبائع : إن الله عز وجل جمع في النار الحركة،  
والحرارة، واليبوسة، واللطافة، والنور . وهي تفعل بكل صورة من هذه الصور  
خلاف ما تفعل بالأنحرى .

فبالحركة تعلى الأجسام، وبالحرارة تسخن، وباليبوسة تجفف، وباللطافة تنفذ،  
وبالنور تضيء ما حولها .

(١) أنظر في كتاب الحيوان للمجاهد تفصيلات ومعلومات عن النار . وهي مما يجب الوقوف عليه  
والإحاطة به من الوجهة العلمية والفلسفية . أما من حيث اللغة والأدب فيراجع ما ورد في كتاب  
« سرور النفس بمدارك الحواس الخمس » للتيغاشي باختصار صاحب لسان العرب ، وهو موجود  
بالقنطرة في « دار الكتب المصرية » ومحل الشاهد هو الباب الثامن من ص ٣٩١ إلى ص ٤٢٣ .

ومنفعة النار تختص بالإنسان دون سائر الحيوان . فلا يحتاج إليها شيء سواه ،  
وليس به عنها غنى في حال من الأحوال .  
ولهذا عظمتها المجوس ، وقالوا : <sup>(١)</sup> إذ أفردتنا بنفعها ، فنفردها بتعظيمها . على أنهم  
يعظمون جميع ما فيه منفعة على العباد ، فلا يدفنون موتاهم في الأرض ، ولا  
يستنجون في الأنهار .

## ٢ - ذكر أسماء النار

( وأحوالها في معالجتها وترتيبها

أما أسماءها ، فمنها :

النار ، والصَّلاء ، والسَّكن ، والضَّرْمَةُ ، والحَرَق ، والْحَمْدَةُ (وهو صوتُ ألتهاها) ،  
والْحَمْدَةُ ، والجَحِيم ، والسَّعِير ، والوَحَى .

وأما تفصيل أحوالها ومعالجتها وترتيبها ، فقد قال الثعالبي في فقه اللغة :

إذا لم يُخْرِج الزَّئِدُ النَّارَ عِنْدَ القَدْحِ ، قِيلَ : كَمَا يَكْبُو .

فإذا صوت ولم يخرج ، قِيلَ : صَلَدَ يَصَلِدُ .

فإذا أخرج النار ، قِيلَ : وَرَى يَرَى .

فإذا ألقى الإنسان عليها ما يحفظها ويُدَكِّمها ، تقول : شَبَعْتَهَا وَأَنْقَبْتَهَا .

فإذا عالجها لتلتب ، قال : حَضَّأْتُهَا وَأَرَشْتُهَا <sup>(٢)</sup> .

فإذا جعل لها مذهباً تحت القدر ، قال : سَخَّوْتُهَا .

(١) guébros, mages. عند الفرنسيين . والمجوس لفظ مشتق من "موغ" و"مغ" ومعناه النور في اللغة الطورانية .

(٢) في فقه الثعالبي : وأرشتها بالشين وعبارة القاموس في مادة (ارش) وتأريش النار تأريشها .

فإذا زاد في إيقادها وإشعالها، قال : **أَجْتَمَّهَا** .

فإذا آسَتْ تَأَجَّجَهَا ، فهي **جَاحِمَةٌ** <sup>(١)</sup> .

فإذا طَفِئَتِ البتَّةُ ، فهي **هَامِدَةٌ** .

فإذا صارت رَمَادًا ، فهي **هَائِيَةٌ** .

والله تعالى أعلم .

### ٣ - ذكر عباد النار

( وسبب عبادتها وبيوت النيران )

§ أول من عبد النار قابيلُ بنُ آدم .

وذلك أنه لما قتل أخاه هابيلَ هرب من أبيه إلى اليمن ، فغناه إبليس لعنه الله ،

وقال له : **إِنَّمَا قِيلَ قُرْبَانَ هَابِيلَ وَأَكَلْتَهُ النَّارُ لِأَنَّهُ كَانَ يَخْدُمُهَا وَيَعْبُدُهَا** .

**فَأَنْصَبَ أَنْتَ أَيْضًا نَارًا تَكُونُ لَكَ وَلِعَقِيكَ ، فَبْنِيَ بَيْتَ نَارٍ** .

فهو أول من نَصَبَ النارَ وَعَبَدَهَا .

§ وأول من عظمها من ملوك الفرس ، جم . وهو أحد ملوك الفرس الأول ، عظمها

ودعا الناس إلى تعظيمها ، وقال : **إِنَّهَا تَشْبهُ ضَوْءَ الشَّمْسِ وَالْكَوَاكِبِ ، لِأَنَّ النُّورَ**

**عِنْدَهُ أَفْضَلُ مِنَ الظُّلْمَةِ** .

§ ثم عُبِدَتِ النارُ بالعراق ، وأرض فارس ، وكرمان ، وسجستان ، وخراسان ،

وطبرستان ، والجزبال ، وأذربيجان ، وأران ، وفي بلاد الهند ، والسند ، والصين .

(١) عبارة فقه اللغة بعده : ( فإذا سكن لها ولم يطفأ حرها فهي خامدة ) وبعده فإذا طَفِئَتِ البتَّةُ أي

§ وُيُنَى فِي جَمِيعِ هَذِهِ الْأَمَاكِنِ بِيُوتِ لِلنِّيرانِ ، نَذَرَها بَعْدَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

§ ثُمَّ أُنْقَطَعَتْ عِبَادَةُ النِّيرانِ مِنْ أَكْثَرِ هَذِهِ الْأَمَاكِنِ إِلَّا الْهِنْدَ . فَإِنَّهُمْ يَعْبُدُونَهَا إِلَى يَوْمِنَا هَذَا . وَهِيَ طَائِفَةٌ تَدْعِي الْإِكْنَوَاطِرِيَّةَ <sup>(١)</sup> . زَعَمُوا أَنَّ النَّارَ أَكْثَرُ الْعُنَاصِرِ حَرْمًا ، وَأَوْسَعُهَا حَيْزًا ، وَأَعْلَاهَا مَكَانًا ، وَأَشْرَفُهَا جَوْهَرًا ، وَأَنُورُهَا ضِيَاءٌ وَإِشْرَاقًا ، وَأَلْطَفُهَا جِسْمًا وَيَكَانًا ، وَأَنَّ الْاِحْتِيَاجَ إِلَيْهَا أَكْثَرَ مِنَ الْاِحْتِيَاجِ إِلَى سَائِرِ الطَّبَائِعِ ، وَلَا نُورَ فِي الْعَالَمِ إِلَّا بِهَا ، وَلَا نَمُوَ وَلَا أُنْعَقَادُ إِلَّا بِمَازَجَتِهَا .

وَعِبَادَتُهُمْ لَهَا أَنْ يَحْفِرُوا أَخْدُودًا مَرَبَعًا فِي الْأَرْضِ وَيَحْشُوا النَّارَ فِيهِ ، ثُمَّ لَا يَدْعُونَ طَعَامًا لَذِيذًا ، وَلَا شَرَابًا لَطِيفًا ، وَلَا ثَوْبًا فَانْحَرًا ، وَلَا عَطْرًا فَائِحًا ، وَلَا جَوْهَرًا نَفِيسًا ، إِلَّا طَرَحُوهُ فِيهَا : تَقَرُّبًا إِلَيْهَا ، وَتَبَرُّكًا بِهَا . وَحَرَّمُوا إِلْقَاءَ النَّفُوسِ فِيهَا ، وَإِحْرَاقَ الْأَبْدَانِ بِهَا ، خِلَافًا لِجَمَاعَةِ أُخْرَى مِنْ زُهَادِ الْهِنْدِ .

١٠

§ وَعَلَى هَذَا الْمَذْهَبِ أَكْثَرُ مَلُوكِ الْهِنْدِ وَعِظَمَائِهَا . يَعْظُمُونَ النَّارَ لِجَوْهَرِهَا تَعْظِيمًا بِالْغَا ، وَيَقْدُمُونَهَا عَلَى الْمَوْجُودَاتِ كُلِّهَا .

§ وَمِنْهُمْ زُهَادٌ وَعِبَادٌ يَجْلِسُونَ حَوْلَ النَّارِ صَاغِبِينَ ، يَسْتَدُونَ مِنْهَا نَفْسَهُمْ حَتَّى لَا يَبْصُلَ إِلَيْهَا مِنْ أَنْفَاسِهِمْ نَفْسٌ صَدَرَ عَنْ صَدْرٍ مُجْرَمٍ . وَسُئْتَهُمُ الْحَثُّ عَلَى الْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ ، وَالْمَنْعُ مِنْ أَضْدَادِهَا ، وَهِيَ : الْكُذْبُ ، وَالْحَسَدُ ، وَالْحِقْدُ ، وَالْكَفَّاحُ ، وَالْحَرِصُ ، وَالْبَغْيُ ، وَالْبَطْرُ . فَإِذَا تَجَرَّدَ الْإِنْسَانُ عَنْهَا ، تَقَرَّبَ مِنَ النَّارِ .

١٥

(١) أَوَادَنَا الْمُرْجَمُ الْأَلْمَانِي لِكِتَابِ الْمَلَلِ وَالنَّحْلِ أَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ مَأْخُودَةٌ مِنْ "أَجْنِيْتَرًا" وَهِيَ النَّارُ الْمُقَدَّسَةُ (أَيِ الَّتِي تَتَأَجَّجُ إِكْرَامًا لِإِلَهِهِ أَجْنِي .)

٤ — وأما بيوت النيران

(ومن رسمها من ملوك الفرس)

قال المسعودي :

§ أول من حكي ذلك عنه أفريديون الملك . وذلك أنه وجد نارا يعظمها أهلها ، [وهم] <sup>(١)</sup> معتكفون على عبادتها . [فسألهم عن خبرها ووجه الحكمة منهم في عبادتها . فأخبروه بأشياء آجتذبت نفسه إلى عبادتها] <sup>(١)</sup> وأنها واسطة بين الله تعالى وبين خلقه ، وأنها من جنس الآلهة النورية ، وأشياء ذكروها له . وجعلوا للنور مراتب وقوانين [وفرقوا بين طبع النار والنور] <sup>(١)</sup> وزعموا أن الحيوان يمتدبه النور ، فيحرق نفسه : كأنفراش الطائر بالليل فما لطف جسمه ، يطرح نفسه في السراج فيحرقها . وغير ذلك مما يقع في صيد الليل من الغزلان ، والوحش ، والطيور ، وكظهور الحيتان من الماء إذا قربت من السراج في الزوارق كما يصاد السمك ببلاد البصرة في الليل ، فإنهم يجعلون السراج حوالى المركب ، فيثب السمك من الماء إليها ، وأن بالنور صلاح هذا العالم ، وشرف النار على الظلمة إلى غير ذلك .

فلم أخبروا الملك أفريديون بذلك أمر أن تحمل جمره منها إلى نراسان ، فعملت . فاتخذ لها بيتا بطوس . [واتخذ بيتا آخر بمدينة بخارا يقال له برد سورة] <sup>(٢)</sup> . وبيتا آخر بسجستان كواكر ، <sup>(٣)</sup> كان آتخذ به من بن إسفنديار بن يُستاسف بن يهراسف .

(١) الزيادة عن المسعودي .

(٢) سماه الشهرستاني : "قبازان" (ص ١٩٧)

(٣) سماه الشهرستاني : "دكر كرا" (ص ١٩٧)

§ وبيت آخر ببلاد الشير والآن ، كانت فيه أصنام أخرجها منه أنوشروان ، وقيل إنه صادف هذا البيت ، وفيه نار معظمة فنقلها إلى الموضع المعروف بالبركة .

§ وبيت آخر للنار يقال له كوسجة<sup>(١)</sup> : بناه كيخسرو الملك .

§ وقد كان بقومس بيت نار معظم لا يدري من بناه ، يقال له حريش<sup>(٢)</sup> . ويقال إن الإسكندر لما غلب عليها ، تركها ولم يطفئها .

§ وبيت نار آخر يسمى كنگدز ، بناه سياوش بن كاوس الجبار ، وذلك في زمن كُتبه بشرق الصين مما يلي البركة .

§ وبيت نار بمدينة أترجان من أرض فارس ، بناه قمار .

§ وبيت بأرض فارس آتخذ في أيام يهراسف<sup>(٣)</sup> .

§ فهذه البيوت كانت قبل ظهور زرادشت .

§ ثم آتخذ زرادشت بعد ذلك بيوتا لليران . فكان مما آتخذ بيت بمدينة نيسابور

من بلاد خراسان ، وبيت بمدينة نسا والبيضاء من أرض فارس . وقد كان زرادشت

أمر يستاسف الملك بطلب نار كان يعظمها<sup>(٤)</sup> جم فطلبت ، فوجدت بمدينة خوارزم .

فنقلها يستاسف إلى مدينة دارا بجزد من أرض فارس ... .. والمجوس تعظم

هذه النار ما لا تعظم غيرها من النيران والبيوت ... .. وللفرس بيت نار

(١) سماه الشهرستاني : "كوسجة" (ص ١٩٧) .

(٢) سماه الشهرستاني : "حريش" (ص ١٩٧) .

(٣) هو طراسب .

(٤) في الشهرستاني : كشتاسف .

(٥) هو الملك جمشيد .

بإصطخر فارس، يعظمه المجوس . كان في قديم الزمان للأصنام، فأخرجتها جمان بنت بهمن بن آسپنديار وجعلته بيت نار . ثم نقلت عنه النار فحرب ... .. وفي مدينة سابور من أرض فارس بيت معظم عندهم آتخذه دارا بن دارا . وفي مدينة جور من أرض فارس ... .. بيت بناء أردشير بن بابك ... .. وقد كان أردشير بنى بيت نار يقال له بارنوا في اليوم الثاني من غلبته على فارس . وبيت نار على خليج القسطنطينية من بلاد الروم بناه سابور الجنود ابن أردشير بن بابك حين نزل على هذا الخليج وحاصر القسطنطينية . ولم يزل هذا البيت إلى خلافة المهدي . وكان سابور أشرت على الروم بقاء هذا البيت ... .. وبأرض العراق بيت نار بالقرب من مدينة السلام . بنته بوران بنت كسرى أبرويز، الملكة، بالموضع المعروف <sup>(٢)</sup> بأسنينا . وبيوت النيران كثيرة تعظمها المجوس . والذي ذكرناه هو المشهور منها <sup>(٣)</sup> .

## ٥ - ذكر نيران العرب

ونيران العرب أربعة عشر نارا .

١ - نار المزدلفة . توقد حتى يراها من دفع من عرفة . وأول من أوقدها قصي بن كلاب .

٢ - نار الأستسقاء . كانت الجاهلية الأولى، إذا نتابت عليهم الأزمات، وأشتد الجذب، وأحتاجوا إلى الأمطار . يجعون لها بقراً، معلقة في أذناها وعراقبها

(١) في الشهرستاني : توران .

(٢) في المسعودي : استينيا . وفي الشهرستاني : إسفينا .

(٣) هذا الباب كله منقول عن مروج الذهب (أنظر طبعة باريس ج ٤ ص ٧٢ - ٨٦)

السَّلْعُ والعُشْرُ، ويصعدون بها إلى جبل وَعَر، ويشعلون فيها النار، وَيَضْجُونَ بالدعاء والتضرع . وكانوا يرون ذلك من الأسباب المتوصل بها إلى نزول الغيث . وفي ذلك يقول البوديك الطائي :

لَادِرٌّ دَرُّ رَجَالٍ خَابَ سَعِيهِمْ ، \* يَسْتَمَطْرُونَ لَدَى الْأَزْمَاتِ بِالْعُشْرِ !  
أَجَاعِلُ أَتَ بَيْقُورًا مُسَلَّعَةً \* ذَرِيعَةٌ لَكَ بَيْنَ اللَّهِ وَالْمَطَرِ ؟  
وقال أمية بن أبي الصلت :

وَيَسُوقُونَ بَاقِرَ السَّهْلِ لِلطَّوِّ \* دِمَهَازِيلَ خَشِيَّةً أَنْ تَبُورَا .  
عَاقِدِينَ النَّيْرَانَ فِي بُكَرِ الْأَذِّ \* نَابٍ مِنْهَا ، لِكَيْ تَهَيِّجَ النَّحُورَا .  
سَلْعٌ مَا وَمِثْلُهُ عُشْرٌ مَا \* عَائِلٌ مَا وَعَالَتِ الْبَيْقُورَا .

٣ - نار الزائر والمسافر . ويسمونها نار الطرد . وذلك أنهم كانوا إذا لم يجبوا رجوع شخص ، أوقدوا خلفه نارا ودعوا عليه . ويقولون في الدعاء : أبعده الله وأسحقه ! وأوقدوا نارا إثره . قال الشاعر :

وَجَمَّةٌ قَوْمٌ قَدْ أَتَوْكَ وَلَمْ تَكُنْ \* لِتُوقِدَ نَارًا خَلْفَهَا لِلتَّنْدِمِ .

(١) قال العلامة الدكتور أوغست هفنز الألماني والأب المحقق الفاضل لويس شيخو اليسوعي في حاشية صفحة ٣٦ من كتاب النبات والشجر للأصمعي الذي عنيا بتحقيقه وطبعه في بيروت سنة ١٩٠٨ ، مانصه : السَّلْعُ نبات . وقيل شجر مر . وقيل أنه سم . له ورقة صغيرة شاكّة كأن شوكتها زغب . وهو بقلة تنفرش كأنها راحة الكلب .

(٢) قال الفاضلان المذكوران في ذلك الموضوع أيضا مانصه : "قيل إن العشر من بكار شجر العضاء وهو ذو صمغ حلو وحراق مثل القطن . يقتدح به . وهو عرض الورق . يخرج من شعبه ومواضع زهره سكر فيه شئ . من المرارة يقال له سكر العشر . ويخرج له نفاخ كشفاشق الجمال . وله نور كالدفلى ، مشرق حسن النظر . وله ثمر : L., Asclepias gigantea, Lc., Asclèpiade; Forsk., Calotropis procera

(٣) أما الافرنج والأمرى كان في هذا العصر فانهم يستنزلون الغيث باطلاق المدافع لاحداث الدوى والضجيج والالتهاب في الجو .



والجمعة : الجماعة يمشون في الدم، وفي الصلح . ومعنى هذا البيت : لم تندم على ما أعطيت في الجمالة عند كلام الجماعة، فتوقد خلفهم نارا كي لا يعودوا .

٤ - نار التحاليف . كانوا لا يعقدون حلفهم إلا عليها، فيذكرون منافعها، ويدعون الله بالحجرمان والمنع من منافعها على الذي ينقض العهد، ويطرحون فيها الكبريت والملح . فإذا فرقت هؤل على الحالف . قال الكمي :

هُمُ خَوْفُونِي بِالْعَمَى هُوَةَ الرَّدَى \* كَمَا شَبَّ نَارَ الْحَالِفِينَ الْمُهْوَلُ .

وقال أوس بن حجر :

إِذَا اسْتَقْبَلَتْهُ الشَّمْسُ، صَدَّ بِوَجْهِهِ \* كَمَا صَدَّ عَنْ نَارِ الْمُهْوَلِ حَالِفُ .

٥ - نار الغدر . كانت العرب إذا غدر الرجل بجاره، أوقدوا له نارا بمنى، أيام الحج على الأخشب (وهو الجبل المطل على منى). ثم صاحوا: هذه غدرة فلان . قالت امرأة من هاشم :

فَإِنَّ نَهْلِكَ فَلَمْ نَعْرِفْ عُقُوقًا \* وَلَمْ تُوقِدْ لَنَا بِالغَدْرِ نَارُ .

٦ - نار السلامة . وهي نار توقد للقادم من سفره، إذا قدم بالسلامة والغنيمة . قال الشاعر :

يَا سُلَيْمِي أَوْقِدِي النَّارَا \* إِنَّ مَنْ تَهْوِينَ قَدْ زَارَا .

٧ - نار الحرب . وتسمى نار الأهبة والإنذار. توقد على يفاع، فتكون إعلاما لمن بعد . قال ابن الرومي :

لَهُ نَارَانِ : نَارُ قِرَى وَحَرْبِ . \* تَرَى كَلْتَيْهِمَا ذَاتَ النَّهَابِ .

٨ - نار الصيد . يوقدونها لصيد الطباء، لتعشي أبصارها .

٩ — نار الأسد . كانت العرب توقدها إذا خافوه ، فإن الأسد إذا عين النار حرق إليها وتأملها .

١٠ — نار السليم . توقد للدوغ ، والمجروح ، ومن عضه الكلب الكلب حتى لا يناموا فيشتد بهم الألم . قال النابغة :

يَسْهَدُ مِنْ لَيْلِ النَّامِ سَلِيمُهَا \* لِحَلِي النَّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَايِعُ .

وذلك لأنهم كانوا يعلقون عليه حلي النساء ويتركونه سبعة أيام .

١١ — نار الفداء . وذلك أن ملوكهم كانوا إذا سبوا قبيلة وخرجت إليهم

السادات في الفداء وفي الأستيهاب ، كرهوا أن يعرضوا النساء نهارا فيفتضحن .  
وأما في الظلمة فيخفي قدر ما يجبسون من الصفي لأنفسهم ، وقدر ما يجودون به ،  
وما يأخذون عليه الفداء . فيوقدون لذلك النار . قال الشاعر :

نِسَاءُ بَنِي شَيْبَانَ يَوْمَ أَوَارَةٍ \* عَلَى النَّارِ إِذْ تُجْلَى لَهُ فَبَيَاتُهَا .

١٢ — نار الوسم . كانوا يقولون للرجل : ما نارك ؟ (في الاستخبار عن الإبل)

أو ما سميتك ؟ [فيقول] : حياط ، أو علاط ، أو حلقة ، أو كذا ، أو كذا .

حكى أن بعض اللصوص قرب إبلا كان قد أغار عليها وسلبها من قبائل شتى إلى

١٥ بعض الأسواق ، فقال له بعض التجار : ما نارك ؟ وإنما سأله عن ذلك ، لأنهم كانوا يعرفون مديهم كل قوم وكرم إبلهم من لومها ، فقال :

نَسَأْتُي البَاعَةُ : مَا نِجَارُهَا ، \* إِذْ زَعَزَعُوها فَسَمَتُ أَبْصَارُهَا ؟

وَكُلُّ دَارٍ لِأَناسٍ دَارُهَا ! \* وَكُلُّ نَارِ الْعَالَمِينَ نَارُهَا !<sup>(١)</sup>

(١) يقول العرب في أمثالهم : "كل نجار إبل نجارها" وشطره الثاني "ونار إبل العالمين نارها" يضر بون

المثل للخلط الذي فيه كل لون من الأخلاق وليس له رأى يثبت عليه .

١٣ - نار القريء . وهي من أعظم مفاخر العرب . كانوا يوقدونها في ليالي الشتاء ، ويرفعونها لمن يلمس القريء . فكلمها كانت أضخم وموضعها أرفع ، كان أخف . وهم يتمادحون بها ، قال الشاعر :

له نارٌ نُسِّبُ بِكُلِّ وادٍ \* إذا النَّيرانُ أُلِّسَتِ القِنَاعا .

وقال إبراهيم بن هرمة :

إذا ضلَّ عنهم ضيْفُهُم ، رَفَعُوا له \* من النار في الظُّلْماءِ أَلْوِيَةٌ حُمْرا .

١٤ - وكانت للعرب نار عظيمة تسمى نار الحزتين . وهي التي أطفأها الله

تعالى بخالد بن سنان العبسي . وكانت حرة ببلاد عبس ، تسمى حرة الحدنان .

(٤١)

روى عن ابن الكلبي أنه قال : كان يخرج منها عنق فيسيح مسافة ثلاثة أو أربعة

أميال ، لا تمر بشيء إلا أحرقتة . وأن خالد بن سنان أخذ من كل بطن من بني عبس

رجلاً نفرج بهم نحوها ، ومعه درة حتى انتهى إلى طرفها ، وقد نرج منها عنق كأنه

عنق بعير فأحاط بهم ، فقالوا : هلكت والله أشياخ بني عبس آحر الدهر ! فقال خالد

كلًا ! وجعل يضرب ذلك العنق بالدرّة ويقول : ” بدأ بدأ ، كلُّ هَدْيِ الله يُؤَدِّي !

أنا عبد الله خالد بن سنان ! ” فما زال يضربه حتى رجع ، وهو يتبعه والقوم معه كأنه

تعبان يملك حجارة الحزة حتى انتهى إلى قليب ، فأنساب فيه وتقدم عليه ، فكث

طويلاً . فقال ابن عم لخالد ، يقال له عروة بن شب : لأرى خالدًا يخرج إليكم أبدا !

نخرج ينطف عرقاء ، وهو يقول : زعم ابن راعية المعزى أني لا أخرج . فقيل لهم

بنو راعية المعزى إلى الآن .

وفي هذه النار يقول الشاعر :

نكار الحزتين لها زفيرٌ \* يُصمُّ مَسَامِعَ الرجلِ السَّميعِ .

## ٦ - ذكر النيران المجازية

ومن النيران، نيران مجازية لا حقيقية . فمنها :

§ نار البرق . وقد وصفها بعض الأعراب فقال :

نارٌ تُجَدِّدُ لِلْعِيدَانِ نَضْرَتَهَا \* والنارُ تُشْعِلُ عِيدَانَنَا فَتَحْتَرِقُ

إشارة إلى أن النار تُحْرِقُ العيدان، إلا نار البرق فإنها تبيء بالغيث .

§ نار المَعِدَّةِ . وهي التي تهضم الطعام . وهي كمار الحياة، ونار الغريزة . وقوتها مادة للصحة، كما أن ضعفها سبب للعدة .

§ نار الحُمَّى . وقد قيل : النيران ثلاثة : نار لا تأكل ولا تشرب، وهي نار الآخرة؛ ونار تأكل وتشرب، وهي نار الحمى، تأكل اللحم وتشرب الدم؛ ونار تأكل ولا تشرب، وهي نار الدنيا .

ومن النيران المجازية :

§ نار الشوق، نار الشره، نار الشباب، نار الشراب .

قال شاعر يمدح بعض الملوك :

وَقِيَّتَ نَارَ الْجَحِيمِ يَا مَلِكُ، \* أَرْبَعُ نَسِيرَانِهِ لَه نَسَقُ!

نارُ شَبَابٍ تَرُوقُ نَضْرَتُهَا، \* ونارُ رَاحٍ كَأَنَّهُ شَفَقُ،

ونارُ سُلْطَانِهِ، تَقَارِنُهَا \* نارُ قَرِيٍّ لَا تَزَالُ تَأْتَلِقُ،

## ٧ - ذكر النيران التي يضرب المثل بها

يُضْرَبُ المثل :

§ بنار الحُبَّاحِبِ . وهي نار لبخيل كان يوقدها . فإذا آستضاء بها إنسان ، أطفأها .

وقيل : إنها النار التي تُورِيها الخيل بسنابكها من الحجارة . قال الله تعالى :  
( فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ) . وقال النابغة :

\* وَيُوقِدُنَّ بِالصُّفَّاحِ نَارَ الحُبَّاحِبِ \*

وهذا المثل يضرب لما لا منفعة فيه ولا حاصل له .

§ نار الغَضِي ، يضرب بها المثل في الحرارة . وهي جمر أبيض لا يصلح إلا للوقود .

§ نار العَرَفِجِ . هي نار تنقد سريعا . قال قتيبة بن مسلم لعمر بن عباد بن الحصين :  
"لَسُوْدُ أَسْرَعِ إِلَيْكَ مِنَ النَّارِ فِي يَمِينِ العَرِجِ" . إذا ألتهمت فيه النار أنتشرتوتسمى نار الزُّحْفَتَيْنِ ، لأن العرج إذا أنتشرت فيه النار عظمت وأستفاضت .  
فمن كان بالقرب منها زحف عنها ، ثم لا تلبث أن تنطفئ من ساعتها . فيحتاج الذي  
زحف عنها أن يزحف إليها . فلا يزال المصطلى بها كذلك ، فلذلك سميت نار الزحفتين .

§ نار الحَلْفَاءِ . يضرب بها المثل في سرعة الاتقاد ، كما قيل :

فَاظْنُكْ بِالْحَلْفَاءِ \* ۞ أَدْنَيْتْ لَهُ نَارًا .

وفي سرعة الانطفاء ، كما قيل : نار الحلفاء ، سريعة الانطفاء .

٨ - ذكر ما جاء منها على لفظ أفعل

يقال :

أكل من النار؛ أحرّ من النار؛ أحرّ من الجمر؛ أحسنّ من النار؛ أسرع من شرارة في قصباء .

ويقال :

فلان وارى الزناد؛ ورئت بك زنادى؛ فلان ثاقب الزند؛ فلان كابي الزناد؛ صلدت زناده؛ فلان ما يسطلى بناره؛ هو القابس العجلان؛ هما زندان في وعاء .

ومن أنصاف الآيات :

\* والنار قد يُخمدُها النَّافِعُ \* \* كَلْتَمِيسٍ إِطْفَاءَ نَارٍ بِنَافِعٍ \*

\* والجمرُ يوضعُ في الرَّمادِ فيخمدُ \* \* كذا كُلُّ نَارٍ رُوحتُ تَتَوَجَّحُ \*

\* هيهات تُكتمُ في الظلامِ مَساعِلُ \*

ومن الآيات قول علي بن الجهم :

والنَّارُ في أحمجارها مَكْنُونَةٌ \* لا تُصْطَلَى إن لم تُبْرِها الأزندُ

وقال آخر :

والنَّارُ بالماءِ الذي هو ضدُّها \* تُعْطَى النَّضاجَ ، وطَبَعُها الإحراقُ .

وقال آخر :

والكَاتِمُ الأُمْرُ ليس يَنْفَى \* كالموقِدِ النَّارِ بِالْيَفَاعِ .

وقال آخر :

لا تَتَّبِعْ كُلَّ دُخَانٍ تَرى ، \* فالنَّارُ قد تُوقَدُ لِلْكَيِّ .

وقال أبو تمام :

لولا أشيغال النار فيما جاورت ، \* ما كان يُعرف طيبُ عَرَفِ العود .

وقال آخر :

وقبيلة المصباح تُحرقُ نفسها \* وتُضيئُ السَّاري ، وأنتَ كذاكا .

### ٩ - ذكر ما قيل في وصف النار وتشبيهها

قال عبد الله بن المعتز ، غفر الله له :

كانت الشرار على نارها \* وقد راق منظرها كل عين .

سحالة تبر إذا ماعلا ، \* فإما هوى ففتات الجين .

أخذه العسكري فقال :

أوقدت بعد الهدونا ناراً \* لها على الطارقين عين .

شرارها إن علا نضار ، \* لكنّه إن هوى بلجين .

وقال السري الرفاء :

والتهمت نارنا ، فنظرها \* يغنيك عن كل منظر تجب .

إذا رمت بالشرار فاطردت \* على ذراها مطارد اللهب ،

رأيت ياقوتة مشبكة \* تطير عنها قرأضة الذهب .

وقال إبراهيم بن خفاجة الأندلسي :

حمراء نازعت الرياح رداءها \* وهنا وزاحمت السماء بمنكب .

ضربت سماء من دخان فوقها ، \* لم تدر منها شعلة من كوكب .

وتنفحت عن كل نفحة بحرة \* باتت لها ريح الشمال يمرقب .

قد ألهمت فتذقت فكانها \* شقراء تمرح في عجاج الكهب<sup>(١)</sup> .

(١) الكهبة لون ليس بخالص في الحرة . وهو في الحرة خاصة (صحاح الجوهري)

وقال أبو الفتح كشاجم :

كأنما النارُ والرَّمَادُ وقد \* كاد يُوارى من نُورها النُّورَا :  
وَرَدَّ جِنِّي القِطَافِ أحمَرُ قد \* ذَرَّتْ عليه الأَكْفُ كَانُورَا .

وقال تاج الملوك بن أيوب :

أما ترى النارَ وهي تُضرمُ في \* أحشاء كَانُونِهَا وتَلْتَهَبُ ؟  
كأنما الفحمُ فوقها قُضِبُ \* من عَنَبٍ وهي تحتَهُ ذَهَبُ .

وقال أبو مروان بن أبي الخصال :

لأبنة الزنيد في الكوانين جمرٌ \* كالدراري في دُجى الظلماءِ .  
خبروني عنها ولا تكتُموني ، \* ألدّها صناعةُ الكيمياءِ ؟  
سبكتُ فخماً صفايح تيرٍ \* رصعتها بالفضة البيضاء .  
كلّما رُفرف النسيمُ عليها \* رقصت في غلالة حمراءِ .

هذا البيت مأخوذ من قول الخفاجي :

وكانها والريحُ عابثةٌ بها \* تُرهِى قَرَقُصٌ في قَمِيصِ أحمِرِ .

وقال أبو هلال العسكري :

نارٌ تَلَعَبُ بالسُقُوفِ كأنها \* حُلٌّ مُشَقَّقَةٌ على حُبشانِ .  
رَدَّتْ عليها الرِيحُ فَضِلَ دُخانها \* فَاتَتْ به سُبُجًا على عَقِيانِ .  
فألجُو بِضَحَكِ في أبيضاضِ شَرائِرِ \* منها وَيَعْبِسُ في آسودادِ دُخانِ .



وقال ابن أبي الحصّال :

وَعُوجُوا عَلَى يَاقوتَةَ ذَهَبِيَّةٍ \* يَهيمُ بِهَا المَقْرورُ بالسَّبَرَاتِ (١)  
إِذَا مَا أَرْتَمْتُم مِّنْ فُحْمِهَا بِشَرَارِهَا، \* رَأَيْتُمْ نُجُومَ اللَّيْلِ مُنْكَدِرَاتِ.

وقال سيف الدولة بن حمدان :

كَأَنَّمَا النَّارُ وَالرَّمَادُ مَعَا \* وَضَوْءُهَا فِي ظِلَامِهِ يُحْجَبُ :  
وَجَنَّةٌ عَذْرَاءٌ مَسَّهَا نَجَلٌ \* فَاسْتَتَرَتْ تَحْتَ عَنبرٍ أَشْهَبِ .

وقال آخر :

فَمِمْ كَيُومِ الفِرَاقِ تُشْعِلُهُ \* نَارُ كَارِ الفِرَاقِ فِي الكَيْدِ .  
أَسْوَدٌ قَدْ صَارَتْ تَحْتَ حُمْرَتِهَا \* مِثْلَ العُيُونِ آكُتَحَلْنَ بِالرَّمَدِ .

وقال أبو طالب المأموني :

مَا تَرَى النَّارَ كَيْفَ أَسْقَمَهَا الفُرُوقُ \* فَأَضْحَتْ تَجْبُو وَطَوْرًا تَسْعَرُ ؟  
وَغَدَا أَلْجَرُ وَالرَّمَادُ عَلَيْهِ \* فِي قَيْصِ مُدْهَبٍ وَمُعْشَبِ ؟

وقال أبو فراس الحمداني :

لِللَّهِ بَرْدٌ مَا أَشَدُّ وَمَنْظَرٌ مَا كَانَ أَعْجَبُ !  
جَاءَ الغَلَامُ بِنَارِهِ \* هَوَجَاءَ فِي فُحْمِ تَلْهَبِ .  
فَكَأَنَّمَا جَمَعَ الحُلِيَّ \* فَمُحْرَقٌ مِنْهُ وَمُدْهَبِ .  
ثُمَّ أَنْطَفَتْ فَكَأَنَّمَا \* مَا بَيْنَنَا نَدْمُ مُعْشَبِ .

١٠ - ذكر شيء مما قيل في الشمعة والشمعدان

(١) والسراج والقنديل (٢)

١ - أما الشمعة، فن جيد ما قيل فيها قول الأرجاني :

- تمت بأسرار ليلٍ كان يُخفيها \* وأطلعت قلبها للناس من فيها .  
 قلب لها لم يرعنا وهو مُكتمن \* إلا برقيقة نار من تراقبها .  
 سقيمة لم يزل طول اللسان لها \* في الحى ينجى عليها ضرب هاديا .  
 غريقة في دموع ، وهي تُحرقها \* أنفاسها بدوامٍ من تظنها .  
 تنفست نفس المهجور إذ ذكرت \* عهد الخليط فبات الوجد يبكيها .  
 يُحشى عليها الردى مهما ألم بها \* نسيم ریح إذا وافى يحياها .  
 بدت كنتجم هوى في إثر عفرية \* في الأرض فاشتعلت منه نواصيا .  
 نجم رأى الأرض أولى أن يبواها \* من السماء ، فأمسى طوع أهليها .  
 كأنها غرة قد سال شادخها \* في وجه دهاء يزهبها تجليها .  
 أوضرة خلقت للشمس حاسدة \* فكلما حجبت ، قامت تحاكيها .  
 وحيدة كشابة الریح هازمة \* عساكر الليل إن حلت بواديا .  
 ما طبنت قط في أرض مخيمة \* إلا وأقمر للأبصار داجيا .

(١) مما يجب التنبيه إليه ان "سورج" و"سرج" معناهما الشمس في اللغة الهندية عن السنسكريتية (أنظر القاموس الهندى الانكليزى تأليف فوربس) .

(٢) فى اللغة اللاتينية Candella وفى الفرنسية Chandelle بمعنى الشمعة وعنها Candélabre .  
 ويقول علماء الافرنج ان اختراع الشمع للاستضاءة مما توصل اليه الغاليون وعلى ذلك يكون الأصل افرنجيا ثم نقله العرب لمعنى المصباح المعروف بالقنديل .

لَهَا غَرَايِبُ تَبْدُو مِنْ مَحَاسِنِهَا ، \* إِذَا تَفَكَّرْتَ يَوْمًا فِي مَعَانِيهَا .  
 كَصَعْدَةٍ فِي حَشَا الظُّلَمَاءِ طَاعِنَةٍ \* تَسْقِي أَسَافِلَهَا رِيًّا أَعَالِيهَا .  
 فَالْوَجْنَةُ الْوَرْدُ إِلَّا فِي تَنَاوُلِهَا \* وَالْقَامَةُ الْغُصْنُ إِلَّا فِي تَنَتِّيهَا .  
 صَفْرَاءُ هِنْدِيَّةٍ فِي اللَّوْنِ إِنْ نُعِتَتْ ، \* وَالقَدُّ وَاللِّينُ إِنْ أُثِمَّتْ تَشْبِيهَا .  
 فَالْهِنْدُ تَقْتُلُ بِالنَّيْرَانِ أَنْفُسَهَا \* وَعِنْدَهَا أَنْ ذَاكَ الْقَتْلَ يُحْيِيهَا .  
 قَدْ أَثْمَرَتْ وَرْدَةً حَمْرَاءَ طَالِعَةٍ \* تَبْجِي عَلَى الْكَفِّ إِنْ أَهْوَيْتَ تَبْجِيهَا .  
 وَرَدُّ تُسَالِكُ بِهِ الْأَيْدِي إِذَا قَطِفَتْ ، \* وَمَا عَلَى غُصْنِهَا شَوْكٌ يُوقِّيهَا .  
 مَا إِنْ تَزَالَ تَبِيْتُ اللَّيْلَ سَاهِرَةً \* وَمَا بِهَا غَلَّةٌ فِي الصَّدرِ تُطْفِيهَا .  
 صَفْرَاءُ غَلَائِلُهَا ، حُمْرٌ عَمَائِمُهَا ، \* سَوْدٌ ذَوَائِبُهَا ، بَيْضٌ لِيَالِيهَا .  
 تُحْيِي اللَّيَالِي نُورًا ، وَهِيَ تَقْتُلُهَا . \* بئسَ الْجَزَاءُ لَعَمْرُ اللَّهِ تَجْزِيهَا !  
 قَدَّتْ عَلَى قَدِّ ثَوْبٍ قَدْ تَبَطَّنَا \* وَلَمْ يُقَدِّرْ عَلَيْهَا الثَّوْبَ كَاسِيهَا .  
 غَرَاءُ فَرَعَاءُ مَا تَنْفِكُ قَالِيَةً \* تَقْصُ لِمَتَهَا طَوْرًا وَتَقْلِيهَا .  
 شَبَاءُ شَعْنَاءُ لَا تُكْسِي غَدَائِرُهَا \* لَوْنُ الشَّيْبَةِ إِلَّا حِينَ تُبْلِيهَا .  
 قَنَاءُ ظُلَمَاءَ لَا تَنْفِكُ يَأْكُلُهَا \* سِنَانُهَا طَوَّلَ طَعْنٍ أَوْ يُسْطِيهَا .  
 مَفْتُوحَةُ الْعَيْنِ تُفْنِي لَيْلَهَا سَهْرًا ، \* نَعَمٌ ، وَإِفْنَاؤُهَا إِيَّاهُ يُفْنِيهَا .  
 وَرُبَّمَا نَالَ مِنْ أَطْرَافِهَا مَرَضٌ \* لَمْ يُشْفِ مِنْهُ بغيرِ الْقَطْعِ مُشْفِيهَا .



وقال آخر :

بَيْضَاءُ أَضْحَكِ الظُّلَامِ فَرَاعَهَا \* فَبَكَتْ وَأَسْبَلَتِ الدُّمُوعَ بَوَادِرَا .  
 جَفَّتْ دُمُوعُ جُفُونِهَا فَكَأَمَّا \* كَسِيَتْ مِنَ الطَّلَعِ النَّضِيدِ ضَفَائِرَا .

وقال أبو القاسم المطرّز من أبيات :

وللشُمُوعِ عِيُونٌَ كَمَا نَظَرْتُ \* تَظَلَّمَتْ مِنْ يَدَيْهَا أَنْجُمُ الْغَسَقِ .  
 مِنْ كُلِّ مُرْهَفَةِ الْأَعْطَافِ كَالْغُصْنِ \* لَكِنَّهُ عَارٍ مِنَ الْوَرَقِ .  
 إِنِّي لِأَعْجَبُ مِنْهَا وَهِيَ وَادِعَةٌ \* تَبْلِي ، وَعَيْشَتُهَا مِنْ ضَرْبَةِ الْعُنُقِ !

وقال آخر :

جَاءَتْ بِجِسْمٍ كَأَنَّهُ ذَهَبٌ \* تَبْكِي وَتَشْكِي الْمَوَى وَتَلْتَهَبُ .  
 كَأَنَّهَا فِي أَكُفِّ حَامِلِهَا \* رِيحٌ لَجِينِ سِنَانِهِ ذَهَبُ .

وقال محمد بن أبي الثبات ، شاعر اليتيمة :

وَمَجْدُولَةٌ مِثْلَ صَدْرِ الْقَنَاةِ \* تَعْرَتْ ، وَبَاطِنُهَا مُكْتَسَبِي .  
 لَهَا مُقَلَّةٌ هِيَ رُوحٌ لَهَا ، \* وَتَاجٌ عَلَى الرَّأْسِ كَالْبُرْنِيسِ .  
 إِذَا غَازَلْتَهَا الصَّبَا حَرَّكَتْ \* لِسَانًا مِنَ الذَّهَبِ الْأَمْلَسِ .  
 وَتُنَجُّ مِنْ حَيْثُ مَا أَلْقَعَتْ \* ضِيَاءٌ يُجَلِّي دُجَى الْحِنْدِسِ .  
 فَتَنْحُنُ مِنَ النُّورِ فِي أَسْعَدِ ، \* وَتِلْكَ مِنَ النَّارِ فِي أُنْحُسِ !

وقال آخر :

وَرَشِيقَةٌ بِيضَاءَ تَطْلِعُ فِي الدُّجَى \* صُبْحًا وَتَشْفِي النَّاطِرِينَ بِدَائِمَا .  
 شَابَتْ ذَوَائِبُهَا أَوَانَ شَبَابِهَا ، \* وَأَسْوَدَ مَفْرِقُهَا أَوَانَ فَنَائِمَا .  
 كَالْعَيْنِ : فِي طَبَقَاتِهَا وَدُمُوعِهَا \* وَبَيَاضِهَا وَسَوَادِهَا وَضِيَاءِهَا .

وقال صاحب بن عباد :

وَسَمْعَةٌ قُدِّمَتْ إِلَيْنَا \* تَجْمَعُ أَوْصَافَ كُلِّ صَبٍّ :  
صُفْرَةٌ لَوْنٌ ، وَذَوْبٌ جِسْمٌ ، \* وَفَيْضٌ دَمْعٌ ، وَحَرٌّ قَلْبٌ .

وقال السري الرفاء :

مَفْتُوَلَةٌ مَجْدُوَلَةٌ \* تَحْكِي لَنَا قَدَ الْأَسَلِ .  
كَأَنَّهَا تُعْمِرُ الْفَتَى \* وَالنَّارُ فِيهَا كَالْأَجَلِ .

ومما ورد في وصفها ثرا .

من رسالة لابن الأثير الجزري جاء منها :

وكان بين يدي شمعَةٌ تَعْمُ بِمَجْلِسِي بِالْإِينِاسِ ، وَتَغْنِي بِوَجُودِهَا عَنِ كَثْرَةِ الْجُلَاسِ ؛  
وَكَانَتِ الرِّيحُ تَتَلَعَّبُ بِشُعْبِهَا ، وَتَدُورُ عَلَى قُطْبِ لَهَبِهَا ؛ فَطَوْرًا تَقِيْمُهُ فَيَصِيرُ أُمَّمِلَهُ ،  
وَطَوْرًا تُمِيلُهُ فَيَصِيرُ سِلْسِلَهُ ؛ وَتَارَةً تُجَوِّفُهُ فَيَصِيرُ مُدْهِنَهُ ، وَتَارَةً تَجْعَلُهُ ذَا وَرَقَاتٍ فَيَمِثِلُ  
سَوَسَنَهُ ؛ وَأَوْنَةً تَنْشُرُهُ فَيَبْسُطُ مِنْدِيلًا ، وَأَوْنَةً تَلْفُهُ عَلَى رَأْسِهَا فَيَسْتَدِيرُ كَلِيلًا .

ومن رسالة أخرى له :

وَكَانَتِ الرِّيحُ تَتَلَعَّبُ بِلَهَبِهَا لَدَى الْحَادِمِ فَتَشْكَلُهُ أَشْكَالًا ، فَتَارَةً تُبْرِزُهُ نَجْمًا ، وَتَارَةً  
تُبْرِزُهُ هِلَالًا ؛ وَلرَبْمَا سَطَعَ طَوْرًا كَالْجَلْنَانَةِ فِي تَضَاعِيفِ أَوْرَاقِهَا ، وَطَوْرًا كَالْأَصَابِعِ  
فِي أَنْضَامِهَا وَأَفْتَرَاقِهَا .

§ وقال سيف الدين المشد في الفانوس :

وَكَأَنَّما الْفَانُوسُ فِي غَمَقِ الدُّجَى \* دَنَفٌ بَرَأهُ سُقْمُهُ وَسَهَادُهُ .  
حُنَيْتٌ أَضَالَعُهُ وَرَقٌّ أَدِيمُهُ \* وَبَحْرَتْ مَدَامِعُهُ وَذَابَ فُؤَادُهُ .

## ٢ - ومما قيل في السراج .

من رسالة لأبي عبد الله محمد بن أبي الخصال ، جاء منها :

- عذرا إليك أيُّدك الله! فإني خططت والنوم مُغَازِل ، والقُرُّ نازل ، والريح تلعب  
بالسراج ، وتصول عليه صَوْلَة المَجَّاج ؛ فطورا تبرزه سنانا ، وتحركه لسانا ؛ وآوِنَةٌ  
تَطْوِيه جُنَابَه ، وأحى تنشره دُؤَابَه ؛ وتارة تقيمه إبرة لهب ، وتعطفه بُرَّة ذهب ؛  
وحينا تقوسه حاجب فتات ، ذات غمزات ؛ وتسلمته على سليطه ، وتديله على  
خليطه ؛ وربما نصبته أُذُنَّ جَوَاد ، ومسخته حَذَقَ جَرَاد ؛ ومشقته حروف برق ،  
بكفِّ ودق ؛ ولثمت بسناه قِنْدِيلَه ، وألقت على أعطافه مَنْدِيلَه ؛ فلاحظ منه للعين ،  
ولا هداية في الطرس لليدين .

## ٣ - رسالة القنديل والشمعدان .

من إنشاء المولى الفاضل البارع البليغ تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني ،  
سمعتها من لفظه ، وقرأتها عليه ، وأجاز لي روايتها عنه . وهي الموسومة "بزهرة الجنان ،  
في المفارقة بين القنديل والشمعدان" .

ابتدأها بأن قال :

- الحمد لله الذي أثار حالك الظلماء ، بأنوار بدر السماء ؛ وحلّى جيدها ، بعقود النجوم ،  
وحرس مشيدها ، بسهام الرجوم ؛ وجعلها عبرة للأستبصار ، ونزهة للأبصار ؛ غشاؤها  
لأزورد مكلل بِنُضَار ، أو أقاحى مميعة تفتحت فيها أزرا الأزهار ؛ تهدي السارى  
بسواريتها ، وتزري بالدرر أنوار دراريتها ؛ كرع في نهر مجرتها النسران ، ورتع في مراعى  
رياضها الفرقدان .

أحمدية على نعمه التي لا يقوم بشكرها لسان، ولا يؤدي واجب حقها إنسان؛ حمدا  
يجلب إلى الحامد أنواع الإحسان، ويسوق إلى الشاكر ركائب الخيرات الحسان.

وأصلي وأسلم على سيدنا محمد الذي أنار الله بوجوده ظلمة الوجود، وأظهر  
بظهوره أفعال الركوع والسجود؛ صلى الله وسلم عليه وعلى آله الوافين بالعهود،  
وعلى أصحابه أهل الإفضال والجود، صلاة وسلاما دائماً إلى اليوم الموعود !

وبعد فإن فنون الآداب كثيرة الشعوب، متباينة الأسلوب؛ طالما تلاعب  
الأديب بفنونها بين جدٍّ ومجُون، وكيف لا والحديث ذو شجون، وكنت بحمد الله  
من هو قادر على إبراز مَلَجِ الأدب، وعلى إظهار لطائف لغة العرب، فتتمثل في خاطري  
المفارقة بين الشمعدان والقنديل، ولا بد من إبراز المفارقة بينهما في أحسن تمثيل؛  
لأنهما آلتا نور، ونديما سرور؛ طالما مرّقا جلباب الدجى بأضوائهما، وحسما مادة  
الظلمة بأنوارهما؛ وطلعا في سماء المجالس بدورا، وأنجلا نور الرياض لما أصدرنا من  
جوهرهما نورا. سما كل واحد منهما إلى أنه الأصل، وأن بمدحه يحسن الفصل  
والوصل؛ وأنه الجوهرة اليتيمه، والبدرَةُ التي ليست لها قيمة؛ سارت بحاسنه ركائب  
الركبان، ونُظمت في جيد مجده قلائد العقيان .

فأحببت أن أنظّمهما في ميدان المناظرة ليبرز كل واحد منهما خصائصه الواضحة،  
ويظهر نقائص صاحبه الفاضحة؛ وليتسنم غارب الاستحقاق بالفضيله، ويؤكد في تقرير  
فضائله الراجحة دليله؛ مع أنه لا تقبل الدعاوى إلا بالبرهان، ولعمري لقد قيل قديماً:  
من تحلّى بغير ما هو فيه \* فضحّته شواهد الإمتحان.

فأتلع الشمعدان جيدَه للطاوله، وعَرَضَ سَمَهْرِيَّهَ الجينيِّ للناضله. وقال :

\* اِسْتَنْتَ الفِصَالُ حَتَّى القَرَعَى \*

لستَ بنديم المملوك في المجالس، كَلَّا ولا الروضة الغناء للمجالس ! طالما أهدقتُ  
بي عساكرَ النظر، ووقفت في استحسان هياكلِ رؤية الأَبصار، وحملتُ على الرؤوس  
إذا أُتِّقَتَ بأذنانك، وجُيِّتُ كِجْلَاءِ المَرَهَفَاتِ إذا أسودَّ وجهك من دُخَانِكَ .

فنضض لسانَ القنديل نضضة الصَّلِّ، وأرتفع أرتفاع البازي المِطَّل. وقال :

إن كان نخرُك بمجالسة السلاطين، فأفتخاري بمجالسة أهل الدين ! ، طالما طلعتُ  
في أفق المحراب نجما أزدادُ علًا، وأزدانت الأماكن المقدسة بشموس أنوارى حُلا؛  
جمع شكلي مجموع العناصر، فعلى مثلي تُعقدُ الخناصر؛ يحسبني الرأى جوهرة العقد  
الثمين، إذا رأى أصفرار لونك كصفرة الحزين؛ ولقد علوتك في المجالس زمانا، ومن  
صبر على حرِّ المشقة أرتفع مكانا .

فنظر إليه الشمعدان مُغْضِبًا، وهمَّ بأن يكون عن جوابه منجبا. وقال :

أين ثمنك من ثمنى، ومسكنك من مسكنى؟ صفائحي صفحات الإبريز، فلذا سموت  
عليك بالتبريز؛ تنزه العيون في حائل الذهبية، وتسر النفوس ببزوغ أنوارى الشمسية؛  
ولا يملكنى إلا من أوطنته السعادة مهادها، وقربت له الرياسة جيادها؛ ولقد نفعتُ  
في الصحة والسَّقم، وأزدادت قيمتى إذا نقصت في القيم؛ إن أنقصت عُراك  
فلا تُشعب، ولا تعاد إلى سبك نار فتصب وتقلب؛ لست من فُرسان مناظرتى،  
ولا من قُرَناة مفاخرتى .

فالتفت القنديل ألتفات الضرغام، وفوق إلى قرينه سهام الملام . وقال :



أنت عندي كُتْعَالِه ، لآمحآله ، طآلك العنقود ، فأبرزت أنواع الحقود ؛ وأين الثريآ من يد المتناول ؟ أم أين السهآ من كف المتناول ؟ تآله إنك في صرفك بصُفرك مغلوط ! لقد خُصِصْتُ بالعلو وخُصِصْتُ بالهُبُوط . ترى بآطنى من ظاهرى مشرقآ ، وتخآلى لخزآئن الأنوار مطلقآ ، فحديث سيآدتى مُسَلْسَل ، وتآج فضآئلى بجواهر العلو مكلل .  
فلحظه الشمعدآن بطرف طرفه ، وأرسل فى مآيدآن المآظرة عِنَانِ طِرْفِه . وقال :

إن آفتخآرك بالعلو غير مفيد ، ومزىة آختصآصك به ليس له أهبه مزيد ؛ طآلمآ علا القتآم وآنحطت القُرسآن ، ومكث الجمر وسمآ الدُخَان ؛ ولقد صيرتكَ كنظر المشنوق آله ، وكضوء السهآ ذُبآله ؛ وأنت الخليق بآ قيل :

\* وَقَلْبٌ بِلَا لُبٍّ ، وَأُذُنٌ بِلَا سَمْعٍ \*

وسآسلك تشعر بعقلك ، وعلوك ينيء عن غلو إسقآط كمثلك ؛ عآدلت التبر كفة يكفه ، ووزنته إذ كآن فيه خفه بآصُحْ لمفآخرى الجليله ، وآستمع منآقبى الجميله . أطارِد جيوش الظلمآء برمى ، وآمزق آنوب الديجور بصبحى ؛ جمع عآملى بين طلع النخل ، وحلاوة النحل ؛ يتلو سورة النور لسآنى ، ويقوى فى مصادمة عسآكر الليل البهيم جَنَانى ؛ آسآمر المليك خَلْوِه ، ويستجلى من محآسنى آحسن جَلْوِه .

ولله در القائل :

أُنظر إلى شمِعدَانٍ شَكْلُه عَجَبٌ \* كروضه رَوُضتُ أزهارهَا السُّحْبُ .  
يُطَارِدُ الليلَ رُحٌّ فيه من وِرْقٍ \* سِنَانُه لُحْبٌ من دونه الذَّهَبُ .

فمثل هذه المناقب نتلى ، ومثل هذه المحآسن تظهر وتُجلى .

فأضرم نار تبيينه ، في أحشاء قرينه . فعندها قال القنديل :

لقد أطلت الأفتخار بحاسن غيرك ، لما وقفت في المناظرة ركائب سيرك ، فأشكر  
اليد البيضاء من شمعك ، وأحرص على معرفة قيمتك ووضعك ، وأما افتخارك بتلاوة  
سورة النور ، فأنا أحق بها منك إذ محلى الجوامع ، والفرقان فارق بيني وبينك مع أنه  
ليس بيننا جامع ، ففضيلتي فيه بينه ، وآية نوري في سورة النور مبينه ، فأقطع مواد  
المحاجة ، وأقرأ الآية المشتملة على الزجاجاة ، يظهر لك من هو الأعلى ، ومن بالافتخار  
الأولى ، بتخالني درة عُلقت في الهواء ، أو كوكبا من بعض كواكب الجوزاء .

ولله درّ القائل :

قنديلاً فاقَ بأنواره \* نورِ رياضٍ لم تزلْ مزهرة .  
دُبالةً فيه إذا أُوقِدَتْ \* حكمتْ بحسنِ الوَضْعِ نيلوفره .

لا يحمل الأقداء خاطري ، ولا يغتم مشاهدي وناظري ، فأنا خلاصة السبك ، والتبر  
الذي لا يفتقر إلى الحك ، اشتقاق أسمك من النحوس ، ومن حريمك تقام هياكل  
الفلوس ، لقد عرضت نفسك للنبيه ، وأنعمت عليك مواد الأمنيه ، مع أن الحق  
وضح من لبة الصباح ، وأسطع من ضوء المصباح ، والآن غصصت بريقك ، وخفيت  
لوامع بروقك ، فهذه الشهباء والحلبي ، وهذه ميادين المناضلة رحيه .

فأر الشمعدان في الجواب ، وجعل ما أبداه أولاً فصل الخطاب .

فقال القنديل :

لا بد من الإقرار بأن قدحى المعلى ، وأنى عليك بالتقديم الأولى ، وأن مقامى العالى ،  
ونورى المتوالى .

فقال الشمعدان :

لا منازعة فيما جاء به الكتاب من تفضيلك ، وكونك الكوكب التّرىّ الذى قَصُرَ  
عن بلوغك بأعْ مثيلك .

فجَنَحَ الشمعدان لاسّلم ، وترفع عن آستيطان مواطن الإثم ؛ وشرع يُبْدِي شعائر  
الخصوع ، وينشر أعلام الأوبة عما قال والرجوع ؛ وقال :

لولا حَمِيَّةُ النفوس ، ما تَجَمَّلت بمفانحننا صفحات الطروس ؛ ولولا القال والقيل ،  
ما صَمَّنا معرض التمثيل ؛ ولكن أين صفاؤك من كدرى ، وأين نظرك من نظرى ؛  
خصك الله بنوره ، وذكرك فى فرقانه وزبوره .

فَعِنْدَها تهللت أسارير القنديل ، وتبسم فرحا بالتعظيم والتبجيل . وقال :

حيث رجعنا إلى شرع الإنصاف ، وإظهار محاسن الأوصاف ؛ ففضلك لا يبارى ،  
ووصفك لا يجارى ؛ يحسبك الرأى نحيلة نور تفتّحت أزهارها ، وحاديقه نرجس أطردت  
أنهارها ؛ تُسَرِّبك النفوس ، وتدار على نضارتك الكؤوس ؛ وإن اللائق بحالنا طىّ  
بساط المنافسه ، وإنجاد شرر المقابسه ؛ والأستغفار فيما فرط من كلامنا ، والرجوع  
إلى الله فى إصلاح أقوالنا وأفعالنا .

وتقول :

الأصل فيما نقلناه عدمه ، فقد حَفِيَ كل واحد منا فى إبراز معانيه قَلْمُهُ . ونسأل الله  
أن تدوم لنا نِعْمُهُ ، ويتعاهدنا فى المساء والصبح كرمه ! بمنه وجوده وكرمه ! آمين !

## القسم الثالث من الفن الأول

في الليالي والأيام، والشهور والأعوام، والفصول والمواسم والأعياد  
وفيه أربعة أبواب

### الباب الأول

من هذا القسم

#### ١ - في الليالي والأيام

رُوى عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : خلق الله الخلق في ظلمة .  
(وروى : في عماء) ثم رش عليهم من نوره .

وهذا يدل على أن الظلمة خلقت قبل النور .

وروى أن عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) سئل عن الليل ، أكان قبيل  
أو النهار؟ قال : رأيتم حيث كانت السماوات والأرض رتقا ، هل كان بينهما إلا  
ظلمة ؟ ذلك لتعلموا أن الليل كان قبل النهار .

والذي ورد في القرآن من ذكر الليل والنهار، والظلمات والنور بدأ الله (عز وجل)

بذكر الليل قبل النهار، وبالظلمات قبل النور .

ويروى أن الله (عز وجل) لما خلق السماء والأرض ، وقع ظل السماء على الأرض

١٥

فأظلمت ، فجعل الشمس ضياء والقمر نورا .

ثم خلق الزمان وقسمه قسمين : ليلا، ونهارا . فجعل حصة الليل للقمر، وحصة النهار للشمس . فكانا يتعاقبان بالطلوع فيهما ، فلم يكن بين الليل والنهار فرق في الإضاءة .

فلما أراد الله عز وجل خلق النوع الإنساني - وعلم أنه لا يخفى له عن حركته للعاش نهارا وسكونه للراحة ليلا - أمر جبريل فأمرته جناحه على القمر فمحا نوره . فالسواد الذي يرى في القمر هو أثر المحو، وصار الليل مظلمًا، والنهار مبصرًا .

وروي أيضا أن الله (عز وجل) خلق حجبا من ظلمة مما يلي المشرق، ووكل به ملكا يقال له سراهيل . فإذا آنقضت مدة النهار، قبض الملك قبضة من تلك الظلمة وأستقبل بها المغرب، فلا تزال الظلمة تخرج من خلل أصابعه وهو يراعى الشفق . فإذا غاب الشفق، بسط كفه فطبق الدنيا ظلمة . فإذا آنقضت مدة الليل، قبض كفه على الظلمة، إصبعًا بعد إصبع إلى أن يذهب الظلام، حتى تنتقل الشمس من الشرق إلى الغرب . وذلك من أشراط الساعة . والله أعلم !

## ٢ - ذكر ما قيل في الليل وأقسامه

الليل طبيعي، وشرعي .

أما الطبيعي، فهو من حين غروب الشمس واستنارها إلى طلوعها وظهورها .

٤٨

وأما الشرعي، فهو من حين غروبها إلى طلوع الفجر الثاني، وهو المراد بقوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ .

§ والليل ينقسم إلى اثنتي عشرة ساعة، لها أسماء وضعتها العرب، وهي :

الشاهد، ثم الغسق، ثم العتمة، ثم الفحمة، ثم الموهن، ثم القطع، ثم الجوشن،  
 ثم العبكة<sup>(١)</sup>، ثم التباشير، ثم الفجر الأول، ثم الفجر الثاني، ثم المعترض .  
 هذا ما ذكره ابن النحاس في وصف صناعة الكتاب .

وحكى الثعالبي في فقه اللغة — عن حمزة الأصفهاني، قال : وعليه عهده — أسماء  
 غير هذه، وهي :

الجهمة، والشفق، والغسق، والعتمة، والسدفة، والزلة<sup>(٢)</sup>، والزلفة، والبهرة،  
 والسحر، والفجر، والصبح، والصبح .

## فصل

وقد عبّر بالليالي عن الأيام، كقول الله عز وجل : ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾  
 وقوله تعالى : ﴿وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشِيرٍ﴾ . فعبّر عن الأيام بالليالي، لأن كل ليلة تتضمن يوماً .

### ٣ — ذكر الليالي المشهورة

من الليالي المشهورة :

§ ليلة البراءة . وهي ليلة النصف من شعبان، قيل سميت بذلك لأنها براءة لمن يحييها ؛

§ وليلة القدر . والصحيح أنها في مفردات العشر الأخير من شهر رمضان ؛

§ وليلة الغدير . وهي ليلة الثامن عشر من ذي الحجة ؛

(١) كذا بالأصل والذي في كتب اللغة بهذا المعنى "المُتَكَّة" فلعل ما هنا تحريف من النسخ .

(٢) لا توجد هذه الكلمة بهذا المعنى لا في اللسان ولا في القاموس ولا في مستدرک شارحه . وهذا هو

الذي دعا الثعالبي لجعل العهدة على حمزة الاصفهاني .

§ وليلة الهَرِير. وهي ليلة من ليالى صَيِّين، قُتِلَ فيها خَلْقٌ كثير من أصحاب معاوية (رضى الله عنه) ؛

§ وليلة الخُلَعَاء. وهي ليلةُ باتها أبو الطَّمَحان القَيْنِيّ عند دَيْرانية، فأكل طَفَيْشِلها<sup>(١)</sup> بلحم الخنزير، وشرب نحرها، وزنى بها، وسرق كساءها؛

§ وليلة النابغة. يُضْرَبُ بها المثل في الخوف؛

§ وليلة المتوكل. تضرب مثلاً في موت تتج من سرور، لأنه قُتِلَ في مجلس أنسه، على ما نذكره في أخباره إن شاء الله تعالى .

#### ٤ - ذكر ما يتمثل به مما فيه ذكر الليل

يقال :

أطغى من الليل . أطفل من ليل على نهار . أحيّر من الليل . أستر من الليل . أظلم من الليل . أندى من ليلةٍ ماطرة .

ويقال :

الليل أخفى للويل . الليل نهار الأريب . الليل طويل وأنت مُقَمَّر . الليل وأهضام الوادى . الليل أعور (لأنه لا يُبصر فيه) .

ويقال :

آتخذ الليل جملاً . شمر ذيلاً ، وأدرع ليلاً . أمر نهارٍ قُضِيَ بليل .

(١) نوع من المرق (قاموس) . وقال ابن الخشاب في تفسير ألفاظ الكتاب المنصوري للرازي مانعه :

طَفَيْشِيل (هذا الضبط) طعام يتخذ من الحبوب كالباقليّ والحمص ونحوهما (عن تكملة المعجمات العربية لهدوزي) .

ومن أنصاف الأبيات :

- \* الليل حُبْلِيْ لَيْسَ تَدْرِي مَا تَلِدُ \*      \* مَا أَقْصَرَ اللَّيْلَ عَلَى الرَّاقِدِ ! \*
- \* مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ ! \*      \* وَلَيْلُ الْحُبِّ بِلَا آخِرِ \*
- \* إِحْدَى لِيَالِيكَ فَهَيْسَى هَيْسَى ! \*      \* فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي \*

ومن الأبيات :

إِنَّ اللَّيَالِيَّ لَمْ تُحْسِنْ إِلَى أَحَدٍ \* إِلَّا أَسَاءَتْ إِلَيْهِ بَعْدَ إِحْسَانِ .

وَاللَّيَالِي كَمَا عَاهَدَتْ حَبَالِي \* مُقْرِبَاتٌ يَلِدْنَ كُلَّ عَجِيبِ .

أَمَا تَرَى اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ \* جَارَيْنِ لَا يُقَيِّمَانِ جَارًا ؟

وقال حميد بن ثور :

وَلَنْ يَلْبَثَ الْعَصْرَانِ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ \* إِذَا طَلَبْنَا أَنْ يُدْرِكََا مَا تَمْنِيَا !

وقال أبو حية الثميري :

إِذَا مَا تَقَاضَى الْمَرْءَ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ ، \* تَقَاضَاهُ شَيْءٌ لَا يَمَلُّ التَّقَاضِيَا .

٥ - ذكرا ما قيل في وصف الليل وتشبيهه

١٥

قد أكثر الشعراء في وصف الليل بالطول والقصر . وذكروا سبب الطول الموموم

وسبب القصر السرور .

ولهذا أشار بعض الشعراء في قوله :

إِنَّ اللَّيَالِيَّ لِلْأَنَامِ مَنَاهِلُ \* تُطَوِّى وَتُنْشَرُ بَيْنَهَا الْأَعْمَارُ .

فَقِصَارُهُنَّ مَعَ الْمُمُومِ طَوِيلَةٌ ، \* وَطَوَاهُنَّ مَعَ السَّرُورِ قِصَارُ .



وقال آخر:

إن التَّوَّاصِلَ في أَيامِهِ قِصْرٌ، \* كما التَّهَاجُرُ في أَيامِهِ طُولٌ.  
فليس يَعْرِفُ تَسْهِيدًا وَلَا رَمَدًا \* جفنٌ بِرُؤْيَةٍ مَن يهواهُ مشغولٌ.

وقال ابن بسّام:

لا أَظْلِمُ اللَّيْلَ وَلَا أَدْعِي \* أن نجومَ اللَّيْلِ لَيْسَتْ تَفُورُ.  
ليلاً كما شاءت فإن لم تُزُرْ، \* طالَ؛ وإن زارتِ، فليلٌ قَصِيرٌ.

أصله من قول علي بن الخليل:

لا أَظْلِمُ اللَّيْلَ وَلَا أَدْعِي \* أن نجومَ اللَّيْلِ لَيْسَتْ تَعُولُ.  
ليلاً كما شاءت قصيرٌ إذا \* جادتِ، وإن صدتِ، فليلٌ طَوِيلٌ.

وقال آخر:

أخو الهوى يَسْتَطِيلُ اللَّيْلَ مِن سَهْرٍ، \* واللَّيْلُ في طُولِهِ جارٍ على قَدْرِهِ.  
ليلُ الهوى سِنَّةٌ في الهَجْرِ مَدَّتُهُ، \* لِكِنَّةِ سِنَّةٍ في الوَصْلِ مِن قِصْرِهِ.

وقال الوليد بن يزيد بن عبد الملك:

لا أسألُ اللهَ تَغْيِيرًا لما صَنَعْتَ: \* نامتُ وقد أسهرتِ عَيْنِي عَيْنَاهَا.  
فالليلُ أطولُ شيءٍ حينَ أَفْقَدُهَا \* والليلُ أقصرُ شيءٍ حينَ ألقاها.

٦ — وأما ما وُصِفَ به من الطول

قال الخباز:

وليلٌ كَوَاكِبُهُ لا تَسِيرُ \* ولا هُوَ مِنها يُطِيقُ البَرَّاحَا.  
كَيَوْمِ القِيَامَةِ في طُولِهِ \* على مَنْ يراقِبُ فيه الصَّبَّاحَا.

وقال ابن المعتز :

مالي أرى الليل مُسبلاً شعراً \* عن عُتْرَةِ الصُّبْحِ غيرَ مَفْرُوقِ .

وقال بشار :

خَلِيلِي ! ما بالُ الدُّجَى لا يُزَحِّحُ ، \* وما بالُ ضَوْءِ الصُّبْحِ لا يَتَوَصَّحُ ؟

أَضَلَّ النَّهَارُ المُسْتَدِيرُ طَرِيقَهُ ؟ \* أمِ الدَّهْرُ لَيْلٌ كُلُّهُ لَيْسَ يَبْرُحُ ؟

وقال الرِّفَاء :

أَلَا رَبَّ لَيْلٍ بَتُّ أَرعى نُجُومَهُ \* فلمِ اغْتَمِضْ فيه ولا اللَّيْلُ اغْمَضَا .

كَأَنَّ الثُّرَيَّا راحَةً تَشْبُرُ الدُّجَى \* لتَعْلَمَ طالَ اللَّيْلُ لى أمِ تَعَرَّضَا .

عَجِبْتُ لِلَّيْلِ بَيْنَ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ \* يُقَاسُ بِشِيرِ كَيْفِ يُرْجى له أَنْقِضَا ؟

وقال محمد بن عاصم :

أقول ، واللَّيْلُ دُجَى مُسَبَّلٌ \* والأَنْجُمُ الزُّهْرُ به مُثَلٌّ :

يا طُولَ لَيْلٍ ما له آخِرٌ \* مِنْكَ ، وَصَبْحٌ ما له أَوَّلٌ !

وقال التنوخي :

وَلَيْسَ لَها كَأَنَّها قُرْبُ أَمَلٍ \* ظِلَامُها كالِدَّهْرِ ما فيه خَلَلٌ .

كَأَنَّما الإِصْباحُ فيها باطِلٌ \* أَزْهَقَهُ اللهُ بِحَقِّ ، فَبَطَلٌ .

ساعاتُها أطولُ من يَوْمِ النَّوَى \* وَلَيْلَةُ المَهِجَرِ وساعاتُ العَدَلِ .

مؤَصَّدَةٌ على الوَرى أبوابُها \* كالنَّارِ لا يَخْرُجُ منها مَنْ دَخَلَ .

وقال أبو محمد ، عبد الله بن السيِّد البَطْلِيُّوسِي :

تَرى لَيْلَنا شابت نواصِيه كِبَرَةٌ \* كما شَبَّ ، أو في الجَوَرِ وَضُ نَهَارِ ؟

كَأَنَّ اللَّيالي السَّبْعَ في الأفقِ جُمِعَتْ \* ولا فَصَلَ فيما بَيْنَها نَهَارِ .

وقال الشريف البياضى :

أقول لَصْحِي والنجومُ كأنها ، \* وقد ركَّدت في بحرِ حديدٍ ما غمرقيا :  
أرى ثوبَ هذا الليلِ لا يعرفُ البلى ! \* فهل أرينَ للصُّبحِ في ذيله فتقا ؟  
وقال أيضا :

أقول وللدجى عُمْرٌ مديدٌ \* وآخره يُردُّ إلى معاد .  
وقد ضلَّتْ كواكبُه ، فظلتُ \* حيارى ما لها في الأفقِ هادى :  
لعلَّ الليلَ مات الصُّبحُ فيه ، \* فلازمَ بعده لبسَ الحداد .

وقال آخر :

أما لظلامِ ليلى من صباح ؟ \* أما للنَّجمِ فيه من برّاج ؟  
كانَّ الأفقُ سدًّا ، فليس يُرجى \* به نهجٌ إلى كُلى النواحي .  
كانَ الشمسَ قد مُسِختُ نجومًا \* تسييرُ مسيرِ رُقادِ طَلاج .  
كانَ الصُّبحَ مهجورَ طريدٍ ، \* كانَ الليلَ مات صريعَ راج .  
كانَ بناتِ نعشٍ متنَّ حزنًا ، \* كانَ النسرَ مكسورَ الجناح .

وقال آخر :

يا لَيْلَةَ طالَتْ على عاشقٍ ، \* مُتَّظِرٍ للصُّبحِ ميعادا !  
كادتْ تكونُ الحولَ في طولها ؛ \* إذا مضى أولها ، عادا .

وقال ابن الرومى :

رُبَّ لَيْلٍ كأنه الدهرُ طولًا \* قد تنهى فليس فيه مزِيدُ .  
ذى نجومٍ كأنهنَّ نجومُ الشَّيبِ \* ليست تَزُولُ ، لكن تَزِيدُ .



وقال أبو الأحنف :

حَدَّثُونِي عَنِ النَّهَارِ حَدِيثًا \* أَوْ صِفُوهُ، فَقَدْ نَسِيتُ النَّهَارَ.

وقال بشار :

طَالَ هَذَا اللَّيْلُ بَلَّ طَالَ السَّهْرُ ! \* وَلَقَدْ أَعْرِفُ لَيْلِي بِالْقِصَرِ.

لَمْ يَطُلْ حَتَّى دَهَانِي فِي الْهَوَى \* نَاعِمُ الْأَطْرَافِ فَتَّانُ النَّظَرِ.

فَكَانَتْ الْمَجْرَى شَخْصًا مَائِلًا \* كَلَّمَا أَبْصَرَهُ النَّوْمُ نَقَرَ.

وقال إبراهيم بن خفاجة الأندلسي :

يَا لَيْلَ وَجِدِي تَجِدِي \* أَمَا لَطِيفِكَ مَسْرِي ؟

وَمَا لِدَمْعِي طَلِيقٌ \* وَأَنْجُمُ الْجَوِّ أَسْرِي ؟

وَقَدْ طَمَأَ بَحْرُ لَيْلِي \* لَمْ يُعْقِبِ الْمَدَّ جَزْرًا .

لَا يَعْبرُ الطَّرْفُ فِيهِ \* غَيْرَ الْمَجْرَةِ جَ .

وقال أبو مروان بن أبي الخصال :

وَلَيْلٍ كَأَنَّ الدَّهْرَ أَقْضَى بِعُمُرِهِ \* جَمِيعًا إِلَيْهِ، فَاتَهَى فِي آتِدَائِهِ .

يُحَدِّثُ بَعْضُ الْقَوْمِ بَعْضًا بِطَوْلِهِ ، \* وَلَمْ يَمِضْ مِنْهُ غَيْرُ وَقْتِ عِشَائِهِ .

وقال إبراهيم ولد ابن لنكك البصري ، شاعر اليتيمة :

وَلَيْلَةَ أَرْقَنِي طَوْلَهَا \* فِيهَا فِي حَيْرَةِ الدَّاهِلِ .

كَأَنَّمَا أَشْتَقَّتْ لِإِفْرَاطِهَا \* فِي طَوْلِهَا مِنْ أَمَلِ الْجَاهِلِ .

وقال امرؤ القيس :

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ مَرْخِجِ سُدُولِهِ \* عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِي .

فَقُلْتُ لَهُ لِمَا تَمْطِي بِصُلْبِهِ \* وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكَلْكَلِي :

ألا أيها الليل الطويل، ألا أنجلي \* بصبح! وما الإصباح منك بأمثل!  
فيا لك من ليلٍ كأن نُجومه \* بأمراسٍ ككأن إلى صمَّ جندل .

وقال آخر:

أراقبُ في السماء بناتٍ نعشٍ، \* ولو أستطيعُ، كنتُ لمن حادي .  
كأنَّ الليلَ أوثقَ جانباهُ \* وأوسطه بأمراسٍ شداد .

وقال أنعم بن حميد :

وليلٍ طويلٍ الجانينِ قطعتهُ \* على كبدٍ، والدمعُ تجرى سواكبه .  
كواكبه حسرى عليه كأنها \* مقيدةٌ دونَ المسيرِ كواكبه .

وقال ابن الرقاع :

وكانَّ ليلى حينَ تغربِ شمسهِ \* بسوادٍ آخرَ مثلهِ موصول .  
أرعى النجومَ، إذا تغيبَ كوكبُ، \* أبصرتُ آخرَ كالسراجِ يحول .

وقال آخر:

ما لي نجومِ الليلِ لا تغربُ؟ \* كأنها من خلفها تُجذبُ!  
رواكِدُ ماغارٍ في غربها \* ولا بدأ من شرقها كوكبُ .

وقال سعيد بن حميد :

يا ليلُ، بلِ يا أبدًا! \* أنايمُ عنك غدُ؟  
يا ليلُ لو تلقى الذي \* ألقى بها أو تجدُ،  
قصر من طولك أو \* ضعف من الجلد!

وقال سيف الدين المشد :

مات الصُّباحُ بَلِيلٍ \* أَحْيَيْتُهُ حِينَ عَسَسَ .  
لو كَانَ فِي الدَّهْرِ صُبْحٌ \* يَعِيشُ ، كَانَ تَنْفَسَ .

٧ — أما ما وصف به من القصر

فمن ذلك قول إبراهيم بن العباس :

وَلَيْلَةٌ إِحْدَى اللَّيَالِي الرَّهْرِ ، \* قَابَلْتُ فِيهَا بَدْرَهَا يَبْدُرِي .  
لَمْ تَكْ غَيْرَ شَفِيقٍ وَفَجْرٍ ، \* حَتَّى تَوَلَّتْ وَهِيَ بِكُرِّ الدَّهْرِ .

وقال الشريف الرضي :

يَا لَيْلَةً كَادَ مِنْ تَقَاصُرِهَا \* يَعْتُرُّ فِيهَا الْعِشَاءُ بِالسَّحَرِ .

وقال آخر :

يَا لَيْلَةً جَمَعْتَنَا بَعْدَ فُرْقَتِنَا \* فَبِتُّ مِنْ صُبْحِهَا لَمَّا بَدَأَ فِرْقَانَا .  
لَمَّا خَلَوْتُ بِأَمَالِي بِهَا ، قَصُرْتُ \* وَكَادَ يَسْبِقُ فِيهَا بَجْرُهَا الْغَسَقَانَا .

وقال آخر :

يَا رَبَّ لَيْلٍ سُرُورِ خَلْتَهُ قِصْرًا \* يُعَارِضُ الْبَرْقَ فِي أَفْقِ الدُّجَى بَرَقَانَا .  
قَدْ كَادَ يَعْتُرُّ أَوْلَاهُ بِأَخْرِهِ \* وَكَادَ يَسْبِقُ مِنْهُ بَجْرُهُ الشَّقَقَانَا .

وقال القاضي السعيد بن سناء الملك :

يَا لَيْلَةَ الْوَصْلِ ، بَلْ يَا لَيْلَةَ الْعُمْرِ ! \* أَحْسَنْتِ ، إِلَّا إِلَى الْمَشْتَاقِ ، فِي الْقِصْرِ .  
يَا لَيْتَ زَيْدٍ بِحَكْمِ الْوَصْلِ فِيكَ لَنَا \* مَا طَوَّلَ الْهَجْرُ مِنْ أَيَامِكَ الْأَنْحَرِ .



- أوليتَ نَجْمِكَ لَمْ تَقِفُلْ رِكَابُهُ ، \* أوليتَ صُبْحَكَ لَمْ يَقْدُمِ مِنَ السَّفَرِ .  
 أوليتَ لَمْ يَصْفُ فِيكَ الشَّرْقُ مِنْ غَبِشٍ ، \* فذلِكَ الصَّفْوُ عِنْدِي غَايَةُ الكَدْرِ .  
 أوليتَ كُلاًّ مِنْ الشَّرْقَيْنِ مَا آبَسَمَا ، \* أوليتَ كُلاًّ مِنْ النَّسْرَيْنِ لَمْ يَطِيرِ .  
 أوليتَ كُنْتُ كَمَا قَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ : \* "لَيْلَ الضَّرِيرِ فَصُبْحِي غَيْرُ مُتَنَطَّرٍ" .  
 أوليتَ بَخْرِكَ لَمْ يَنْفِرْ بِهِ رَشْيٌ ، \* أوليتَ شَمْسِكَ مَا جَارَتْ عَلَى قَمْرِي .  
 أوليتَ قَلْبِي وَطَرْفِي تَحْتَ مَلِكِ يَدِي \* فزِدْتُ فِيهِ سَوَادَ القَلْبِ وَالبَصْرِ .  
 أوليتَ أَلْقَى حَبِيبِي سِحْرَ مُقَلَّتِيهِ \* عَلَى العِشَاءِ فَأَبْقَاهَا بِلَا سِحْرِ .  
 أوليتَ كُنْتُ سَأَلْتِيهِ مُسَاعِدَةً \* فَكَانَ يَجْهَلُكَ بِالتَّكْحِيلِ وَالشَّعْرِ .  
 كَأَنَّهَا حِينَ وُلَّتْ قَمْتُ أَجْذِبُهَا \* فَانْقَدَ فِي الشَّرْقِ مِنْهَا الثُّوبُ مِنْ دُبُرِ .  
 لَا مَرْحَبًا بِصَبَاحٍ جَاءَنِي بَدَلًا \* مِنْ غُرَّةِ النَّجْمِ أَوْ مِنْ طَلْعَةِ القَمَرِ !

وقال عبد الله بن المعتز :

يَا لَيْلَةً مَا كَانَ أَطْرَبَ بِهَا سِوَى قِصْرِ البَقَاءِ !  
 أَحْيَيْتَهَا فَأَمْتَهَا \* وَطَوَيْتَهَا طَى الرِّدَاءِ .  
 حَتَّى رَأَيْتُ الشَّمْسَ تُتَشَلُّو البَدْرَ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ .  
 فَكَأَنَّهُ وَكَأَنَّهَا \* قَدَحَانِ مِنْ نَحْمِرٍ وَمَاءِ .

وقال المهلبى :

قَدْ قَصَرَ اللَّيْلُ عِنْدَ أَلْفِتِنَا \* كَأَنَّ حَادِي الصَّبَاحِ صَاحَ بِهِ .

وقال آخر :

كَأَنَّمَا اللَّيْلُ رَاكِبٌ فَرَسًا \* مِنْهَزِمًا وَالصَّبَاحُ فِي طَلْبِهِ .

## ٨ - أما ما وصف به من الإشراق

فمن ذلك قول شاعر أندلسي :

رُبَّ لَيْلٍ عَمَّرَتْهُ \* فِيكَ خَالٍ مِنَ الْفِكْرِ .  
كَثُرَتْ حَوْلَهُ الْجُجُوجُ \* لُ وَسَارَتْ بِهِ الْغُرُورُ .

وقال أبو بكر الصنوبري :

يَا لَيْلَةً طَلَعَتْ بِأَسْعَدِ طَالِحِ \* تَاهَتْ عَلَى ضَوْءِ النَّهَارِ السَّاطِعِ .  
عِجَابِيْنَ مَقْرُونَةٍ بِمَحَاسِنِ \* وَبَدَائِعِ مَوْصُولَةٍ بِبَدَائِعِ .  
ضَوْءُ الشُّمُوعِ وَضَوْءُ وَجْهِكَ مَازَجًا \* ضَوْءَ الْعَقَارِ وَضَوْءَ بَرَقِ لَامِعِ .  
فَكَأَنَّمَا أَلْقَى الدُّجَى جَلْبَابَهُ \* وَأَرَاكَ جَلْبَابَ النَّهَارِ السَّاطِعِ .

## ٩ - أما ما وصف به من الظلمة

قال الله عز وجل : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ . فهذه أتم أوصاف الظلمة .

وقال مضر بن ربيعي :

وَلَيْلٍ يَقُولُ النَّاسُ فِي ظُلُمَاتِهِ : \* سَوَاءٌ صَحِيحَاتُ الْعُيُونِ وَعُورُهَا  
كَأَنَّ لَنَا مِنْهُ بَيْوتًا حَصِينَةً \* مَسُوحٌ <sup>(١)</sup> أَعَالِيهَا وَسَاجٌ كَسُورُهَا

وقال أبو تمام :

إِلَيْكَ هَتَكْنَا جُنْحَ لَيْلٍ كَأَنَّمَا \* قَدْ آكْتَحَلَّتْ مِنْهُ الْبِلَادُ بِإِمْدِ

(١) جمع مسح بكسر فسكون وهو اللساء، يتخذ من الشعر



وقال أبو نواس :

أَبْنِي: كَيْفَ صِرْتِ إِلَى حَرِيمِي، \* وَجَنُّنُ اللَّيْلِ مُكْتَحِلٌ بِقَارِ

وقال العلوي الأصفهاني :

وَرَبِّ لَيْلٍ بَاتَتْ عَسَاكِرُهُ \* تَحْمَلُ فِي الْجَوْسُودِ رَايَاتِ

لَامِعَةٍ فَوْقَهَا أَسْتَبْهَا \* مِثْلَ الْأَزَاهِيرِ وَسَطَرِ رَوْضَاتِ

ومن رسالة لابن عبد الله بن أبي الخصال . جاء منها :

والليل زنجي الأديم، تبرى النجوم؛ قد جللنا ساجه، وأغرقتنا أمواجه؛ فلا مجال

للحظ، ولا تعارف إلا باللفظ؛ ولو نظرت فيه الزرقاء لا كتحت، ولو خضبت به  
الشبية ما نصلت .

١٠ - ومما قيل في تباشير الصباح

قال أبو محمد العلوي :

كَأَنَّ أَخْضِرَارَ الْجَوْ صَرَّحَ مُمَرَّدٌ \* وَفِيهِ لَآلٍ لَمْ تُسَنَّ بِثُقُوبِ .

كَأَنَّ سَوَادَ اللَّيْلِ فِي ضَوْءِ صُبْحِهِ \* سَوَادُ شَبَابٍ فِي بَيَاضِ مَشِيْبِ .

وقال أبو علي بن لؤلؤ، الكاتب :

رُبَّ فَخْرٍ كَطَلْعَةِ الْبَدْرِ جَلِيٍّ \* جُنْحَ لَيْلٍ كَطَلْعَةِ الْمَجْرَانِ،

زَارَ فِي حُلَّةِ الْبُرْزَةِ فَوَتَّى اللَّسِيلُ عَنْهُ فِي حُلَّةِ الْغُرْبَانِ .

وقال الخالديان :

وَكَأَنَّما الصُّبْحُ الْمُنِيرُ وَقَدْ بَدَأَ \* بِأَزْ أَطَارَ مِنَ الظَّلَامِ غُرَابًا .

(١) البازلغة في البازي . (عن الجوهرى)، واخترنا ذلك لأنه منقول عن كلمة فارسية هي "باز" . وتركبة "طوغان" وهو نوع من الصقور وأشد الجوارح تكبرا وأضيقها خلقا . يوجد بأرض الترك ويؤخذ للصيد .

وقال النظام البلخي، من شعراء الخريدة :

فَلَا حَ الصَّبْحُ مَبْتَسِمَ النَّيَا \* وَطَارَ اللَّيْلُ مَقْصُوصِ الْجَنَّا  
يَطِيرُ غُرَابٌ أَوْ كَارِ الدِّيَاحِي \* إِذَا مَا حَلَّ بَازِي الصَّبَاحِ .

وقال تميم بن المعز :

وَكَأَنَّ الصَّبَاحَ فِي الْأَفْقِ بَازٍ \* وَالذُّجَى بَيْنَ مَحَلِّيهِ غُرَابٌ .

وقال ابن وكيع :

غَرَّدَ الطَّيْرُ فَنَبَهُ مِنْ نَعَسٍ . \* وَأَدْرُ كَأَسَكَ فَالْعَيْشُ خُلَسٌ !  
سَلَّ سَيْفُ الْفَجْرِ مِنْ غَمْدِ الذُّجَى \* وَتَعَرَّى الصَّبْحُ مِنْ ثَوْبِ الْغَلَسِ .  
وَأَنْجَلِي فِي حَلَةِ فَضِّيَّةٍ \* مَا بَهَا مِنْ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ دَنَسٌ .

وقال أبو مروان بن أبي الخصال :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْغَرْبَ قَدْ غُصَّ بِالذُّجَى \* وَفِي الشَّرْقِ مِنْ ثَوْبِ الصَّبَاحِ دَلَائِلُ ،  
تَوَهَّمْتُ أَنْ الْغَرْبَ بَحْرٌ أَخْوَضُهُ \* وَأَنْ الَّذِي يَبْدُو مِنَ الشَّرْقِ سَاحِلُ .

وقال أسعد بن بايطة الأندلسي :

بَحَرْتُ بِمَسْكَ الذُّجَى كَأَفْوَرَةِ السَّحَرِ \* فَغَابَ، إِلَّا بَقَايَا مِنْهُ فِي الطَّرْرِ،  
صَبَحٌ يَفِيضُ وَجُنْحُ اللَّيْلِ مُنْغِمَسٌ \* فِيهِ كَمَا غَرِقَ الزُّنْجِيُّ فِي نَهْرٍ،  
قَدْ حَارَ بَيْنَهُمَا فِي بَرَزَخٍ قَمَرٌ \* يُلُوحُ كَالشَّنْفِ بَيْنَ الْخَلْدِ وَالشَّعْرِ .

وقال أحمد بن عبد العزيز القرطبي :

بِتْنَا كَأَنَّ حِدَادَ اللَّيْلِ شَمَلْتَنَا \* حَتَّى بَدَا الصَّبْحُ فِي ثَوْبِ سَحُولِي .  
كَأَنَّ لَيْلَتَنَا، وَالصَّبْحُ يَتْبَعُهَا، \* زُنْجِيَّةٌ هَرَبَتْ قُدَّامَ رُومِي .

وقال أبو نُوَاس :

فَقُمْتُ وَاللَّيْلُ يَجْلُوهُ الصَّبَاحُ ، كَمَا \* جَلَا التَّبَسُّمُ عَنَّا عُمرُ الثَّنِيَّاتِ .

وقال عبد الله بن المعتز :

قَدِ اغْتَدَى وَاللَّيْلُ فِي جِلْبَابِهِ \* كَالْحَبَشِيِّ قَرَّ مِنْ أَصْحَابِهِ .  
وَالصُّبْحُ قَدِ كَثَّرَ عَن أَنْيَابِهِ \* كَأَنَّمَا يَضْحَكُ مِنْ ذَهَابِهِ .

وقال السري :

وَشَرَّدَ الصَّبْحُ عَنَّا اللَّيْلَ فَاتَّضَحْتُ \* سَطُورُهُ الْبَيْضُ فِي آيَاتِهِ السُّودِ .

وقال أبو فراس :

مَدَدْنَا عَلَيْنَا اللَّيْلَ ، وَاللَّيْلُ رَاضِعٌ \* إِلَى أَنْ تَرَدَّى رَأْسُهُ بِمَشِيبِ .  
بِحَالِ تَرَدُّ الْحَاسِدِينَ بَقِيظِهِمْ \* وَتَطْرُفُ عَنَّا عَيْنَ كُلِّ رَقِيبِ .  
إِلَى أَنْ بَدَأَ ضَوْءُ الصَّبَاحِ كَأَنَّهُ \* مَبَادِي نُصُولٍ فِي عِدَارِ خَضِيبِ .

وقال عبد الصمد بن بابك ، شاعر اليتيمة :

وَأَسْتَهَلَّتْ لِمَصْرَعِ اللَّيْلِ وَرُقٌ \* نَا كَلَّاتٌ ، حَدَادُهَا التَّطْوِيقُ .  
فَتَضَاحَكْتُ شَامِتًا وَكَأَنَّ الصَّبْحَ جِيبٌ عَلَى الدَّجَى مَشْقُوقُ .

وقال أبو بكر الصنوبري :

وَلَيْلَةٌ كَالرَّفْرِفِ الْمُعْلِمِ \* مَخْفُوفَةِ الظُّلْمَاءِ بِالْأَنْجَمِ .  
تَعَلَّقَ الْفَجْرُ بِأَرْجَائِهَا ، \* تَعَلَّقَ الْأَشْقَرُ بِالْأَدْهَمِ .

وقال السلامي ، شاعر اليتيمة :

وَقَدْ خَالَطَ الْفَجْرُ الظُّلَامَ كَمَا اتَّقَى \* عَلَى رَوْضَةِ خَضِرَاءَ وَرَدٌ وَأَدْهَمُ .

وَعَهْدِي بِهَا ، وَاللَّيْلُ سَاقٍ وَوَصَلْنَا \* عَقَارٌ ، وَفُوهَا الْكَأْسُ أَوْ كَأْسُهَا الْفَمُ .  
إِلَى أَنْ بَدَرْنَا بِالنَّجُومِ ، وَغَرِبْنَا \* يَفْضُ عُقُودَ الدَّرِّ وَالشَّرْقُ يَنْظُمُ .  
وَنَبَتْ فَيَانِ الصَّبُوحِ لِلدَّةِ \* تَلُوحُ كَدِينَارٍ يُغَطِّيهِ دِرْهَمُ .



٥ ومن رسالة للقاضي الفاضل عبد الرحيم البيهقي ، عفا الله عنه . جاء منها :

”فلما قضى الليل نخبه ، وأرسل الصباح على دهميه شهبه بشمر الليل إزاره ، ووضع  
النجم أوزاره ، ونزح بالطيف طارداً ، وظل وراء الصبح ناشداً ، وبخر الفجر نهر  
النهار ، وأسترده البنفسج وأهدى البهار ، فواكب الكواكب منهزمه ، وغرة الفجر  
كغرة مولاي مبتسمه“ .



١٠

ومما يدخل في هذا الباب ، ما حكي أن بعض الأعراب تزوج بأربع نسوة ، فأراد  
أن يختبر عقولهن .

فقال لإحداهن : إذا دنا الصبح فأيقظيني . فلما دنا الصبح ، قالت له : قم ،  
فقد دنا الصبح ! فقال : وما يدريك ؟ قالت : غارت صغار النجوم وبقى أحسنها  
وأضوءها وأكبرها ، وبرد الحلى على جسدي ، وأستلذت بأستنشاق النسيم . فقال  
١٥ لها : إن في ذلك دليلاً .

ثم بات عند الثانية ، فقال لها مثل مقالته للأولى . فلما دنا الصبح ، أيقظته .  
فقال لها : وما يدريك ؟ قالت : ضحكت السماء من جوانبها ، ولم تبق نابتة إلا فـ  
روائحها ، وعيني تطالبنى بإغفاءة الصباح . فقال لها : إن في ذلك دليلاً .

ثم بات عند الثالثة، فقال لها مثل ذلك . فلما دنا الصبح، أيقظته . فقال لها :  
وما يدريك؟ فقالت : لم يبق طائر إلا غرد، ولا ملبوس إلا برد، وقد صار للطرف  
في الليل مجال، وليس ذلك إلا من دتو الصباح . فقال لها : إن في ذلك لدليلا .  
ثم بات عند الرابعة، فقال لها مثل ذلك . فلما دنا الصبح، قالت له : قم، فقد دنا  
الصبح ! فقال لها : وما يدريك؟ قالت : أبت نفسي النوم، وطلبني فمي بالسواك  
وأحتجت إلى الوضوء . فقال لها : أنت طالق، فإنك أقبحهن وصفا .

### ١١ - ذكر ما قيل في النهار

والنهار طبعي، وشرعي .

فالطبعي زمان بين طلوع نصف قرص الشمس من المشرق، وإلى غيابه  
في المغرب . والشرعي ما بين انفجار الفجر الثاني إلى غروب الشمس .

والفجر بخران : الفجر الكاذب، وهو بياض مستطيل، والفجر الصادق بياض  
مستطير

§ وقد وضعت العرب لساعات النهار أسماء، كما وضعت لساعات الليل، وهي :

الذُرُورُ، ثم البُزُوعُ، ثم الضُّحَى، ثم الغَزَالَةُ، ثم الهاجِرةُ، ثم الزَّوَالُ، ثم الدُّلُوكُ،  
ثم العَصْرُ، ثم الأصيلُ، ثم الصَّبُوبُ، ثم الحَدُورُ، ثم الغُرُوبُ .

ويقال أيضا : البُكُورُ، ثم الشُّرُوقُ، ثم الإِشْرَاقُ، ثم الرَّادُّ، ثم الضُّحَى، ثم المُتَوَعُ،  
ثم الهاجِرةُ، ثم الأصيلُ، ثم العَصْرُ، ثم الطَّفَلُ، ثم العِشَى، ثم الغُرُوبُ .

ذكر ذلك معا أبو جعفر النحاس .

وحكى الثعالبي في كتاب فقه اللغة - عن حمزة بن الحسن - قال: وعليه عهدتها :  
الشروق، ثم البكور، ثم الغدوة، ثم الضحى، ثم المهاجرة، ثم الظهر، ثم الرواح،  
ثم العصر، ثم القصر، ثم الأصيل، ثم العشي، ثم الغروب .

§ وكانت العرب العاربة تُسمى أيام الأسبوع بأسماء غير هذه التي تتداولها الناس  
في وقتنا هذا، وهي :

«أول» وهو الأحد «أهون» وهو الاثنان «جبار» وهو الثلاثاء «دبار»  
وهو الأربعاء «مؤنس» وهو الخميس «عروبة» وهو الجمعة «شيار» وهو السبت .  
نظم ذلك شاعر فقال :

أؤمل أن أعيش وأن يومي \* لأول أو لأهون أو جبار،  
أو التالي دبار وإن أفنه \* فمؤنس أو عروبة أو شيار .

## ١٢ - ذكر الأيام التي خصت بالذكر

منها :

§ الأيام المعلومات . وهي عشرين الحجّة، وفيها يوم التروية . وهو اليوم الثامن  
سمى بذلك لأنهم يرتوون من الماء لما بعده ، لأن منى لا ماء بها .

§ الأيام المعدودات . هي أيام التشريق . وعدتها ثلاثة بعد يوم النحر . سميت  
بذلك لأنهم كانوا يشترقون فيها لحوم الأضاحي في الشمس والهواء، لئلا تفسد .

§ أيام العجوز . ويقال فيها الأيام الأعجاز، وهي سبعة : أولها السادس والعشرون  
من شباط من شهر الروم، والخامس من برمهات من شهر القبط . وهي لا تخلو  
من رياح وبرد . وسميت بالعجوز: لأنها في محجّز الشتاء .

§ يوم عبيد ، مثل لليوم المنحوس . كان عبيد بن الأبرص قد تصدّى للنعمان في يوم يؤسه الذي لا يُفْلِحُ مَنْ لقيه فيه ، كما لا ينجبُ مَنْ لقيه في يوم نعيمه ، قال أبو تمام :

مَنْ بَعْدَ مَا ظَنَّ الْأَعَادَى أَنَّهُ \* سَيَكُونُ لِي يَوْمَ كِيَوْمِ عَبِيدِ .

§ يوم المطر . يضرب مثلا في كفر النعمة . وذلك أنه حكى عن المعتمد على الله ابن عباد صاحب إشبيلية أنه خلا بزوجه الرميكية في مجلس أنس ، والزمان فيه قيظ . فتمنّت عليه غيا ومطرا . فأمر بجامر العنبر والعود والتّد ، حتى آنعقد الدخان كالضباب ، ثم أمر برشّ صحن المجلس بماء الورد من أعلاه . وحصل بينهما بعد ذلك نبوة ، فقالت له : مارأيتُ معك يومَ سرورٍ قطُّ ! فقال لها : ولا يوم المطر؟<sup>(١)</sup>  
صدق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في قوله : إِنْهُمْ يَكْفُرُونَ الْعَشِيرَ .

§ يوم عاشوراء . وهو اليوم العاشر من المحرم . ورد في فضله أحاديث كثيرة . ويقال إن نوحا (عليه السلام) ركب السفينة فيه فصامه وأمر من معه بصومه .

وصحّ أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لما هاجر ، رأى اليهود في المدينة صياما في هذا اليوم . فسألهم عنه ، فقالوا : هذا اليوم الذي نجى الله تعالى فيه موسى وبنى إسرائيل ، وأغرق فرعون وقومه . فنحن نصومه شكرا لله تعالى . فقال (عليه الصلاة والسلام) : أنا أحقُّ بأخى موسى . ثم أمر مناديا فنادى : مَنْ أَكَلَ فَلْيُمْسِكْ ، وَمَنْ لَمْ يَأْكُلْ فَلْيُصُمْ !

وفيه قُتِلَ الحسين بن عليّ (رضى الله عنهما) .

(١) راجع رواية أوفى في نصح الطيب للقبرى وقد سماه "يوم الطين" . (ص ٢٨٧ ج ١ طبعة ليدن)

## ١٣ - ذكر أيام أصحاب الملل الثلاث

§ يوم الجمعة، للمسلمين . وسبب آتخاذهم له أنه اليوم الذي أتمّ الله فيه خلق العالم، وأوجد فيه أبا البشر آدم ( عليه السلام ) وفيه قُبِضَ ، وفيه يكون النفخُ في الصور، وفيه الصَّعَقُ، وفيه الساعة التي لا يُصادفُها عبدٌ مسلم يسأل الله فيها حاجة إلا قضاها له .

§ يوم السبت، لليهود . ومُحْتَجَمٌ على آتخاذهم له أن الله تعالى أبتدأ خلق العالم يوم الأحد، وفرغ منه يوم الجمعة، وأن يوم السبت يومُ فراغٍ ودَعَا . ولهم في ذلك أقوال كثيرة .

§ يوم الأحد، للنصارى . ذكر في سبب آتخاذهم له أن الله ( سبحانه وتعالى ) أبتدأ فيه بخلق الأشياء .

## ١٤ - ذكر ما يَتَمَثَّلُ به مما فيه ذكر النهار

يقال :

أطولُّ من يوم الفِراق . أضوُّاً من نهارٍ . أنورُّ من وِصَحِ النهار .

ويقال :

يَذْهَبُ يَوْمُ الْهَمِّ وَلَا يُشْعِرُ بِهِ . مَا يَوْمُ حَلِيمَةِ بَيْرُ . مَنْ يَرِي يَوْمًا يَرِي بِهِ . يَوْمُ الشَّرْوَرِ قَصِيرٌ . الْيَوْمَ نَحْرٌ وَغَدًا أَمْرٌ . الْيَوْمَ عَيْشٌ وَغَدًا خَيْشٌ . الْيَوْمَ فَعَلٌ وَغَدًا ثَوَابٌ .  
يَوْمَ لَنَا وَيَوْمَ عَلَيْنَا . لِكُلِّ قَوْمٍ يَوْمٌ .

ومن أنصاف الأبيات :

\* وهل يَنْخَفِي على الناسِ النهارُ \*      \* وفي اللَّيالي والأَيامِ مُعْتَبِرٌ \*



ومن الأبيات :

وَأَلَهُ مَا أَمَكْنَ يَوْمٌ صَالِحٌ \* إِنَّ يَوْمَ الشَّرِّ لَا كَانَ عَتِيدًا !

وقال آخر :

أُمَامَ ! لَا أَدْرِي ، وَإِنْ سَأَلْتِ : \* مَا تُسْكُ يَوْمَ جُمُعَةٍ مِنْ سَبْتِ .

وقال آخر :

وَأَيَّامُ ! الشُّرُورِ مُقْصَّصَاتٌ \* وَأَيَّامُ الشُّرُورِ تَطِيرُ طَيْرًا .

وقال آخر :

لَا تَحْمَلَنَّ هُمُومَ أَيَّامٍ عَلَى \* يَوْمٍ ، لَعَلَّكَ أَنْ تُقْصَّرَ عَنْ غَدِهِ .

١٥ - ذكر شيء مما قيل في وصف النهار وتشبيهه

فمن ذلك قول شاعر ، يصفه بالقصر :

وَيَوْمٌ سُرُورٍ قَدْ تَكَامَلَ وَصْفُهُ \* سِوَى قِصِيرٍ ، لَا عَيْبَ فِيهِ سِوَاهُ  
وَعَهْدِي بِهِ كَالرَّمْحِ طُولًا ، فَعِنْدَمَا \* هَزَزْنَاهُ لِلَّهِوَ التَّقَى طَرْفَاهُ

وقال آخر :

بِأَبِي مَنْ نَعِمْتُ مِنْهُ بِيَوْمٍ ، \* لَمْ يَزَلْ لِلسُّرُورِ فِيهِ مُؤُؤُ !  
يَوْمٌ لَهُوَ ، قَدْ آلتَقَى طَرْفَاهُ \* فَكَأَنَّ العَشَى فِيهِ غُدُوُّ .

وقال آخر :

لَمْ يَنْتَشِرْ فَلَقَّ الإِصْبَاحَ مِنْ قِصِيرٍ \* فِيهِ إِلَى أَنْ طَوَاهُ فَيَلْقُ الغَسَقَ .  
وَلَمْ يَكُنْ مُاتِقِي جَفَنِي أَحَى رَمِدٍ \* كَلْتَقَى طَرْفِيهِ : الصُّبْحِ وَالشَّفَقِ .  
وَمَا تَنَاوَلْتُ فِيهِ الرِّطْلَ مُضْطَبِّحًا \* إِلَّا أَعَادَتْهُ مِنِّي كَفُّ مُقْتَبِقِي .

وقال آخر:

لِلَّهِ يَوْمٌ مَّسْرُورَةٌ \* أَضْوَأَ وَأَقْصَرَ مِنْ دُبَالِهِ!  
لَمَّا نَصَبْنَا لِلنَّبِيِّ \* فِيهِ بِأَشْرَاكِ حِبَالَهُ،  
طَارَ النَّهَارُ مَرَوَعًا \* فِيهِ وَأَجْفَلَتِ الْغَزَالَهُ!

وقال آخر:

حُتَّ الْكُؤُوسَ! فَذَا يَوْمٌ بِهِ قِصْرٌ، \* وَمَا بِهِ مِنْ تَمَامِ الْحُسْنِ تَقْصِيرٌ.  
صَحْوٌ وَغَيْمٌ، يَرُوقُ الطَّرْفَ حَسَنًا: \* فَالصَّحْوُ فَيُرْوَجُ، وَالغَيْمُ بَلُورٌ.

وقال آخر:

وَيَوْمٌ تَكَلَّى الْغَايَاتِ سَلْبَتُهُ \* حُلِيَّ الرَّبَا حَتَّى آتَيْتِي وَهُوَ عَاطِلٌ.  
سَبَقَتْ إِلَيْهِ الشَّمْسُ، وَالشَّمْسُ غَضْبَةٌ \* وَصَبَغُ الدَّجَى مِنْ مَفْرِقِ الْفَجْرِ نَاصِلٌ.



ومن كلام ابن برد الأصغر الأندلسي:

الْيَوْمُ يَوْمٌ بَكَتْ أَمْطَارُهُ، وَضَحِكَتْ أَزْهَارُهُ، وَتَقَنَعَتْ شَمْسُهُ، وَتَعَطَّرَ نَسِيمُهُ،  
وَعِنْدَنَا بُلْبُلٌ هَزَجٌ، وَسَاقِ غَنَجٍ، وَسُلَافَتَانِ: سُلَافَةُ إِخْوَانٍ، وَسُلَافَةُ دِنَانٍ، قَدْ  
تَشَاكَلْنَا فِي الطَّبَاعِ، وَأَزْدُوجْنَا فِي إِثَارَةِ السَّرُورِ. فَانْحَرِقْ إِلَيْنَا سُرَادِقَ الدَّجَنِ تَجِدُ  
مَرَأَى لَمْ يَحْسُنْ إِلَّا لَكَ، وَلَا يَتِمُّ إِلَّا بِكَ.

ومن كلامه أيضا:

لَمْ نَلْتَقِ مِنْذَعْرَيْنَا مَرْكَبَ اللُّهُوِّ، وَأَخْلَيْنَا رَيْعَ الأَنْسِ، وَقَصَصْنَا جَنَاحَ الطَّرَبِ،  
وَعَبَسْنَا فِي وُجُوهِ اللِّذَاتِ. فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَخِيفَ إِلَى مَجَاسٍ قَدْ نُسِخَتْ فِيهِ الرِّيحَاتِ

بالدواوين، والمجامز بالمخابر، والأطباق، بالأوراق، وتنازع المدام، بتنازع الكلام؛  
وآستماع الأوتار، بآستماع الأخبار؛ وسجع البلابل، بسجع الرسائل؛ كأن أشخذ  
لذهتك، وأرشد لرأيك .

## ١٦ - ذكر شيء مما وصفت به الآلات

### الموضوعة لمعرفة الأوقات

قد وضع أهل هذا الفن لمعرفة درجات الليل وساعات النهار آلات، يستدلون بها  
على معرفة ماضى من ذلك وما بقى، ولتحرير المواقيت: كالأصطرلاب، والطرجهارة  
والبنكام .

ووصف الشعراء والفضلاء ذلك بأوصاف، نذكر منها إن شاء الله تعالى ما نقف  
عليه .

١ - فأما الأصطرلاب وما قيل فيه .

فقال أبو طالب، عبد السلام المأمونى :

وشبيه بالشمس يَسْتَرِقُ الأَنْشُورَ من نُورِ حَرْمِهَا فى خفاء .

فَتَرَاهُ أَدْرَى وأَعْلَمَ منها ، \* وهو فى الأَرْضِ ، بالذى فى السَّمَاءِ .

وقال أيضا :

وعالم بالغيبِ مِنْ غيرِ مَا \* سَمِعَ ، ولا قَلْبِ ، ولا ناظِرِ !

يُقَابِلُ الشَّمْسَ فىأتى بما \* صُمِّمَها من خيرِ حاضِرِ .

كأنها ناجتُهُ لَمَّا بَدَأَ \* لِعَيْنِهَا بالفكرِ والحاطِرِ .

وألهمته علمَ ما يَحْتَوِى \* عليه صَدْرُ الفلكِ الدائِرِ .

وقال أبو إسحاق الصابى ، وقد أهداه فى مهرجان إلى مخدومه :

أهدى إليك بنو الآمال وأجتهدوا \* فى مهرجانٍ جديدٍ أنت تُبليسه .  
لكنَّ عبدك إبراهيم ، حين رأى \* سمو قدرِكَ عن شىءٍ يُساميه .  
لم يرض بالأرض يُهدىها إليك فقد \* أهدى لك الفلك الأعلى بما فيه !

وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز :

أفضل ما استصحب النبيل فلا \* يُعدل به فى المقام والسفير ،  
حرم إذا ما التمت قيمته \* جلَّ عن التبر وهو من صفر .  
مختصر وهو إذ تفأشه \* عن ملج العلم غير مختصر .  
ذو مقلة تستير ما رمقت \* عن صائب اللحظ صادق النظر .  
تجمله وهو حامل فلگا \* لو لم يدر بالبنان لم يدر .  
مسكنه الأرض وهو يُبئنا \* عن جل ما فى السماء من خبر .  
أبدعه ربُّ فكرةٍ بعدت \* فى اللطف عن أن تُقاس بالفكر .  
فاستوجب الشكر والثناء به \* من كل ذى فطنة من البشر .  
فهو لذى اللب شاهدٌ عجب \* على اختلاف العقول والفطر .

وكتب أبو الفرج البغاء يصف أصرطرابا أهداه فقال :

آثرتك — أيدك الله — يبرهان الحكمة ونسبها ، ومدار الفلسفة وقطبها ، ومُرشد الفكر  
ومناره ، وميزان الحسن ومِياره ، وتأنى الشك ومزِيله ، وشاهد الأثير ودليله ، ومصوِّر  
الحكمة ومُثلها ، ومقسم البروج ومعدّها ، وموقف النجوم ومسيرها ، وجامع الأقاليم  
ومدبرها ، ومرآة الحيك ، وصورة الفلك ، وأمين الكواكب ، وحدّ المشارق والمغرب ،  
مما اخترعت العقول تسطيحه ، وأتقن الحُساب تصحيحه ، وتمارت الفطن

في ترتيبه، وأصطلحت الحكماء على تركيبه، فأوضحت بالنقش تقسيمه، وأبانت بالكتابة رُسومَه، إلى أن شافهنا بالارتفاع على بعد مسافته، وحصر متفرق الأمور في نَحْرَقِي عضادته؛ وأحتوى على قُطْرَيِ الشَّمالِ والجَنُوبِ، وأطلع باللفظ على خَفِيَّاتِ الغيوب؛ الملقب بالأصطرلاب، الفاصل بين الخطأ والصواب .

وقال أبو نصر الكاتب فيه :

قطبُ الزمن ومدارُه، وميزانُ الفلك ومعيارُه؛ وأساسُ الحكمة وموضوعها، وتفصيلُ الفطنة ومجموعُها؛ الناطقُ في صمته، المُوفى على نعتِه؛ مظهرُ السِّرِّ المكنون، المخبر بما كان وما يكون؛ ذو شكلٍ مقمرٍ مستدير، ولونٍ مشمسٍ مستنير؛ ومنطقةٍ محيطيةٍ بأجزائه، وخطوطٍ معدلةٍ على أعضائه؛ وكتابةٍ مطبقةٍ بتدويره، ورموزٍ بأشحةٍ بضميره؛ متقابل الأهداف، متكامل الأوصاف؛ بحجرةٍ مسكونه، وصفائحٍ مصونه؛ وقد موموق، وباب مطروق؛ للعلم فتحه ورتاجه، وعليه طريقه ومنهجه؛ إذا أنتصب قال فحمد، وإذا أضطجع عبي فلم يُفد؛ صفري الانتساب، ذهبي الإهاب؛ يخرق الأنوار من نقابه، ويستخدم الشَّمْسَ في جسابه؛ يجمع الشرق والغرب في صفحته، ويستتره الحامل في راحته؛ رافعه ينظر من تحته، وأخباره تسند عن نُحْرَتِهِ .

٢ - ومما قيل في طَرْجَهارة .

قال أبو الفتح كُشَّاجِمٌ يصفها :<sup>(١)</sup>

رُوحٌ من الماء في جِسْمٍ من الصُّفْرِ : مؤلَّفٌ باطيف الحِسِّ والفكر .

(١) هي من الآلات التي تعرف بها الساعات . ولم آلات أخرى في هذا المعنى مثل صندوق الساعات ،

دبة الساعات ، الرخامة ، المكحلة ، اللوح (أنظر مفاتيح العلوم لخوارزمي طبع ليدن ص ٢٣٥) .

له على الظهر أجفانٌ مُحَجَّرَةٌ \* ومُقَلَّةٌ دَمَعُهَا جَارٍ عَلَى قَدَرٍ .  
 تُنْشِأُهُ حَرَكَاتٌ فِي أَسَافِلِهِ \* كَأَنَّهَا حَرَكَاتُ الْمَاءِ فِي الشَّجَرِ .  
 وَفِي أَعَالِيهِ حُسَابٌ مُفَصَّلَةٌ \* لِلنَّاطِرِينَ بِلَا ذَهْنٍ وَلَا نَظَرٍ .  
 إِذَا بَكَى ، دَارَ فِي أَحْسَانِهِ فَلَكُ \* خَافِي الْمَسِيرِ ، وَإِنْ ، لَمْ يَبِكْ لَمْ يَدُرْ .  
 وَمُخْرَجٌ لَكَ بِالْأَجْزَاءِ الطَّفَهَا \* مِنَ النَّهَارِ ، وَقَوْسُ اللَّيْلِ فِي السَّحَرِ .  
 مَتْرَجٌ عَنِ مَوَاقِيْتِ يَحْبَرْنَا \* عِنْمَا فَيُوجَدُ فِيهَا صَادِقَ الْخَبَرِ .  
 تُقْضَى بِهِ الْخَمْسُ فِي وَقْتِ الْوَجُوبِ وَإِنْ \* غُطِّيَ عَلَى الشَّمْسِ أَوْ غُطِّيَ عَلَى الْقَمَرِ .  
 وَإِنْ سَهَرْتُ لِأَسْبَابِ تُورِقُنِي \* عَرَفْتُ مَقْدَارَ مَا أَلْقَى مِنَ السَّهَرِ .  
 مُحَدِّدٌ كُلِّ مِيْقَاتٍ ، تَخَيَّرُهُ \* ذَوُو التَّخَيَّرِ لِلْأَسْبَابِ وَالسَّفَرِ .

## الباب الثاني

من القسم الثالث من الفن الأول  
 في الشهور والأعوام

نذكر في هذا الباب الشهور العربية، وأشتقاقها، والشهور العجمية، ودخول بعضها  
 في بعض، والسنين القمرية، والشمسية، والنسيء ومعناه، وما يجري هذا المجرى، مما  
 لحناه أثناء المطالعة بعون الله تعالى وقدرته، وإياه أسأل التوفيق بكرمه ومنته! .

### ١ - ذكر الشهور وما قيل فيها

الشهر إما طبيعي، وإما أصطلاحي .

فالطبيعي هو مدة مسير القمر من حين يفارق الشمس إلى حين يفارقها مرة أخرى .

وقال آخرون : هو عود شكل القمر في جهة بعينها إلى شكله الأول .

وأما الاصطلاحى ، فهو مئة قطع الشمس مقدار برج من بروج الفلك . وذلك ثلاثون يوماً ، وثلاثُ عشر يوم بالتقريب . وهذا مذهب الروم ، والسريان ، والفرس والقبط . والله (سبحانه وتعالى) أعلم !

## ٢ - ذكر الأشهر العربية

(وما يختص بها من القول)

والأشهر العربية قسمان : قسم غير مستعمل ، وهو الذى وضعت العرب العاربة ؛ وقسم مستعمل ، وهو الذى وضعت العرب المستعربة . وكلا القسمين موضوع على الأشهر القمرية .

§ فأما القسم غير المستعمل ، فهو أسماء كانت العرب العاربة أصطلحوا عليها ، وهى : مؤتمر ، ناجر ، خوان ، صوان ( ويقال فيه : بُصَان ) ، رنى ، أيدة ، الأصم ، عادل ، ناطل ، واغل ، ورنه ، برك .

وفى هذه الأسماء خلاف عند أهل اللغة . والذى ذكرناه منها هو المشهور ،

ويدل عليه قول الشاعر :

بمؤتمِرٍ وناجرٍ آبتدأنا \* وبانحوانٍ يتبعه البصانُ  
ورنى ثم أيدة تليه \* تعود أصم صم به السنانُ  
وعادله وناطله جميعاً \* وواغله فهم غرر حسان  
وورنه بعدها برك فتمت \* شهوراً حول يعقدها البنانُ .

§ وأما القسم المستعمل، فهو هذه الأسماء المشهورة :

المحترّم، صَفَر، الربيعان، الجُمَادِيَان، رَجَب، شعبان، رمضان، شَوَّال، ذُو القَعْدَةِ، ذُو الحِجَّة .

- قيل : وإنما وضعوا هذه الأسماء على هذه الشهور لاتفق حالات وقعت في كل شهر، فسمى الشهر بها عند ابتداء الوضع . فسموا المحترّم محترّماً : لأنهم أغاروا فيه فلم ينجحوا، فحزّموا القتال فيه، فسَمَوْهُ محترّماً . وسموا صَفَرًا : لِصَفَرِ بيوتهم فيه منهم عند خروجهم إلى الغارات . وقيل : لأنهم كانوا يُغَيِّرُونَ على الصُّفْرِيَّة، وهي بلاد . وشهرا ربيع : لأنهم كانوا يُخَصِّبُونَ فيهما بما أصابوا في صفر، والربيع الخصب . والجُمَادِيَان : من بَحَد الماء، لأن الوقت الذي سميا فيه بهذه التسمية كان الماء جامدا فيه لبرده . ورجب : لتعظيمهم له . والترجيب التعظيم . وقيل : لأنه وسط السنة فهو مشتق من الرواجب، وهي أنامل الأصبع الوسطى . وقيل : إن العود رجب النبات فيه أى أخرجه، فسمى بذلك . وكذلك تشعب العود في الشهر الذي يليه، فسمى شعبان . وقيل : سمي بذلك لتشعبهم فيه للغارات . وسمى رمضان ، أى شهر الحر . مشتق من الرمضاء . وشَوَّال، من شالت الإبل أذناها إذا حالت، أو من شال يشول إذا ارتفع . وذو القعدة : لعودهم فيه عن القتال إذ هو من الأشهر الحرم . وذو الحجة ، لأن الحج اتفق فيه، فسمى به .

ويقال إن أول من سماها بهذه الأسماء، كلاب بن مُرّة .

ومن مجموع هذه الأشهر أربعة حرم، ثلاثة سرّد، وهي : ذُو القَعْدَةِ، وذُو الحِجَّة،

والمحرم؛ وواحد فرد، وهو رجب .



هذا ما رواه الأصمعي عن العرب في ترتيب الأشهر الحرم . وأختار غيره أن الواحد الفرد هو المحرم ، والسرد رجب ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، لتكون الأربعة أشهر في سنة واحدة . وهذا مروى عن ابن عباس رضي الله عنهما .

ومنها أربعة أشهر لا تكاد العرب تطق بها إلا مضافة ، وهي : شهر ربيع ، وشهر رجب ، وشهر رمضان<sup>(١)</sup> .

فهذه الشهور العربية وما قيل فيها .

### ٣ - وأما شهور اليهود

فأسمائها :

تشرى ، مرحشوان ، كبلاو ، طابات ، شباط ، آذار ، نيسان ، أيار ، سيوان ، تموز ، آب ، أيلول .

### ٤ - وأما الشهور العجمية

فإنها شمسية . وهي أقسام ، بحسب الأمم التي تنسب إليهم .

فإنها الشهور القبطية ، وتنسب لدقلطيانوس . وكل شهر منها ثلاثون يوماً . وما فضل من عدد أيام السنة الشمسية جعلوه كبيسا في آخر شهر منها ، وهي :

توت ، بابه ، هاتور ، كيهك ، طوبه ، أمشير ، برمها ، برمودة ، بشنس ، بؤونه ، أيب ، مسرى .

وأقل توت يكون النوروز . وفي أقل يوم من كيهك تدخل الأربعينيات ، وهي أربعون يوماً باردة تؤذن بالشتاء . وفي الرابع من برمودة تدخل الخمسينيات ، وهي أيام حارة تؤذن بالصيف .

(١) أي لا يقال : ربيع الأول ، ربيع الثاني ، رجب ، رمضان . بل يضيفون إلى كل منها لفظة "شهر" .

§ ومنها شهور السريان والروم . وهما متفقان في العدد والتخول . والسريانيون ينسبون شهرهم لأغسطس<sup>(١)</sup> ، وهو قيصر . وهذه الشهور منها ما يتقص عن الثلاثين ، ومنها ما يوفيها ، ومنها ما يزيد عليها . وفيها يقول الكيزاني :

شهورُ الرومِ ألوانُ : \* زياداتٌ وتقصانُ .

فتشرينهم الثاني ، \* وأيلولٌ ونيسانُ .

ثلاثون ، ثلاثون ، \* سَواءٌ ، وحَزيانُ .

وأشباطُ ثمانٌ بعدَ عشرين له شأنُ .

والسبعة التي تركها ، كل شهر منها يزيد يوما .

ووضع لها بعض المغاربة ضابطا ، وهو حروف معجمة ومهملة يجمعها في أربع

كلمات ، وهي : "فأز رجل ختم بحج" . وجمعها آخر في مثل ذلك فقال : "غاب عنك زيدٌ فحج" . فما كان معجما فهو أحد وثلاثون يوما ، وما كان مهملا فهو ثلاثون ، والشهر الموافق للآلف ثمانية وعشرون .

وأول سنة السريان تشرين الأول . ودخوله رابع بابه ، ويوافق أكتوبر من شهور

الروم ، وهو أحد وثلاثون يوما ؛ ثم تشرين الثاني ، ودخوله في الخامس من هاتور ،

ويوافقهِ<sup>(٢)</sup> نومبر من شهور الروم ، وهو ثلاثون يوما ؛ ثم كانون الأول ، ودخوله في الخامس من كيهك ، ويوافقهِ<sup>(٣)</sup> دجنبر من شهور الروم ، وهو أحد وثلاثون يوما ؛

(١) هو القيصر الروماني المشهور ، نقل عن اللاتينية Augustus . ولكن العرب حينما عربوا الشهر

المعروف باسمه آكتفوا بقولهم أغسطس (August) للتمييز بين اللفظين . وأما نحن في هذه الأيام

فقد تركنا هذا الفارق ونقول في تسمية هذا الشهر "أغسطس" أيضا .

(٢) Novembre . ونقول في مصر الآن نوفمبر .

(٣) Décembre . ونقول في مصر الآن ديسمبر .

ثم كانون الثاني، ودخوله في السادس من طوبه، ويوافقه <sup>(١)</sup> يناير من شهر الروم، وهو أول سنتهم، وعدد أيامه أحد وثلاثون يوما؛ ثم شباط، ودخوله في السابع من أمشير ويوافقه فبراير من شهر الروم، وهو ثمانية وعشرون يوما وربع يوم؛ ثم آذار، ودخوله في الخامس من برمهاث، ويوافقه مارس من شهر الروم، وهو أحد وثلاثون يوما؛ ثم نيسان، ودخوله في السادس من برمودة، ويوافقه أبريل من شهر الروم، وهو ثلاثون يوما؛ ثم أيار، ودخوله في السادس من بشنس، ويوافقه مايو من شهر الروم، وهو أحد وثلاثون يوما؛ ثم حزيران، ودخوله في السابع من بؤونة، ويوافقه يونيو من شهر الروم، وهو ثلاثون يوما؛ ثم تموز، ودخوله في السابع من أيبب، ويوافقه يوليو من شهر الروم، وهو أحد وثلاثون يوما؛ ثم آب، ودخوله في الثامن من مسرى، ويوافقه أغسطس من شهر الروم، وهو أحد وثلاثون يوما؛ ثم أيلول، ودخوله في الرابع من توت، ويوافقه ستنبر من شهر الروم، وهو ثلاثون يوما.



§ ونظم بعض الشعراء أرجوزة في مداخلة الشهور، فقال :

وإن حَفِظْتَ أَشْهَرَ السَّرِّيَانِ \* وَكُنْتَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى بَيَانِ .  
وَرُمْتَ مِنْهَا عَمَلَ الْمَنَازِلِ \* فَإِنَّهَا مَعْلُومَةٌ التَّدَاخِلِ .

(١) Janvier . ونقول في مصر الآن يناير . (وقد كان عربيه المرحوم دفاعه بك بقوله : "ينويه")

غير ان هذا الاصطلاح لم يعمل به

(٢) Février . ونقول في مصر الآن فبراير (مع الإشباع) .

(٣) أنظر حاشية رقم (١) من صفحة ١٦٠

(٤) نقول الآن في مصر "سبتمبر" مجازاة للنطق الفرنسي الحديث Septembre . على أنهم يقولون

"ست" عند ما يريدون السبعة Sept ، بإهمال حرف الباء ، فاذا أرادوا السبعين لفظوا بالباء .

- أيلول يبدو رابعاً من توت \* هذا بحكم النظر المثبوت .  
وهكذا تشرين وهو الأول \* من بابة أربعة تكمل .  
أول تشرين الأخير يدخل \* ومن هتور خمسة يارجل .  
أول كانون وأعني الأولا \* وخامس من كيهك تعدلا .  
أول كانون الأخير سادس \* من طوبة فيها يقيس القانس .  
ومن اط أول يوافي \* سابع أمشير بلا خلاف .  
أول آذار حساب صادق \* من برمهاث خامسا يوافق .  
برمودة سادسه وأول \* نيسان وفق ليس عنه معدل .  
أول أيار بغير لبس \* يوافق السادس من بشنس .  
بؤونة وافق منه سابعه \* أول حزيران لما يتابعه .  
أول تموز على الترتيب \* يدخل في السابع من أبيب .  
أول آب ثامن من مسرى \* العلم بالمرء اللبيب أحرى .

وقال بعض الشعراء في مثل ذلك :

- متى تشأ معرفة التداخل \* من أول الشهور في المنازل .  
فعد من توت بلا تطويل \* أربعة فهي آبتدا أيلول .  
وبابة كذاك من تشرين \* الأول السابق في السنين .  
والخامس المعدود من هاتور \* أول تشرينهم الأخير .  
أول كانون بغير دلّسه \* إذا نقصت من كيهك خمسه .  
وطوبة إن مر منه ستة \* أذاك كانون الأخير بعتّه .

- ومن شباط أول يوافق \* سابع أمشير، حساب صادق .  
 أول آذار إذا جعلته \* لبرمهاث خامسا وجدته .  
 أول نيسان لدى التجريد \* السادس المعدود من برمود .  
 ومثله أيار مع بشنس \* واحدة مقرونة بخمس .  
 أما حزيران فيحسبونه \* من أول السابع من بؤونه .  
 كذلك السابع من أبيب \* أول تموز بلا تكذيب .  
 أول آب عند من يحصل \* ثامن مسرى ذاك ما لا يجهل .



§ وأما شهور الفرس، فهي موافقة لشهور القبط في العدد. لأن كل شهر منها ثلاثون يوما، إلا أبان ماه، وهو الشهر الثامن، فإنهم يضيفون إليه خمسة أيام لأجل النسيء، ويسمونهم الاندركاه . ولكل يوم من أيام الشهر اسم خاص، يزعمون أنه اسم ملك من الملائكة موكل به . فأسماء المشهور منها : افريدون ماه (وهو رأس سنتهم)، أرديهشت ماه، حرداد ماه، تير ماه، ترد ماه، بر ماه، مهر ماه، أبان ماه، ادر ماه، دى ماه، بهمن ماه، اسفندار ماه . ويعنون بقولهم "ماه" القمر .



المثل - قول بعض الشعراء :

شهور يتقضين وما شعرنا \* بأنصاف لهن ولا سرار

### ٥ - ذكر ما يختص بالسنة من القول

وما جاء من اختلاف الأمم في ابتدائها وانتهائها، والفرق بين السنة والعام  
 § أما الفرق بين السنة والعام، فإنهم يقولون "سنةً جذبٌ" و"عامٌ خصبٌ". قال  
 الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقِصَ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾. وقال تعالى:  
 ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ﴾ .  
 والصحيح أنهما آسمان موضوعان على مسمى واحد . قال الله تعالى: ﴿فَلْيَبِثْ  
 فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا نَحْسِينَ عَامًا﴾ .  
 § والسنة طبيعية ، وأصطلاحية .

فالطبيعية قمرية ، وأولها استهلال القمر في غرة المحرم ، وأنسلاخها بسراره  
 في ذى الحجة . وهي اثنا عشر شهرا ، وعدد أيامها ثلاثمائة يوم وأربعة وخمسون يوما  
 وخمس وسدس يوم تقريبا ، ويتم من هذا الخمس والسدس في ثلاث سنين يوم ،  
 فتصير السنة في الثالثة ثلاثمائة وخمسة وخمسين يوما . ويبقى شيء يتم منه ومن خمس  
 اليوم وسدسه المستأنف في السنة يوم واحد إلى أن يبقى الكسر أصلا بأحد عشر يوما  
 عند تمام ثلاثين سنة . وتسمى تلك السنين كجأس العرب .

١٥ وأما السنة الاصطلاحية فإنها شمسية ، وعدد أيامها عند سائر الأمم ثلاثمائة يوم  
 وخمسة وستون يوما وربع يوم . فتكون زيادتها على السنة العربية عشرة أيام ونصف  
 يوم وربع يوم وثمان يوم وخمسا من خمس يوم .

ويقال : إنهم كانوا في صدر الإسلام يُسقطون عند رأس كل آثنتين وثلاثين سنة  
 عربية سنة ، ويسمونها الأزدلاف . لأن كل ثلاث وثلاثين سنة قمرية آثنتان

وثلاثون سنة شمسية تقريبا . وذلك لتحزيم من الوقوع في النسيء الذي أخبر الله عز وجل أنه زيادة في الكفر . وهذا الأزدلاف هو الذي نسميه في عصرنا هذا بين كتاب التصرف " التحويل " . لأننا نحول السنة الخراجية إلى الهلالية ، ولا يكون ذلك إلا بأمر السلطان .

§ وسنة العالم — على ما آتفق عليه المنجمون — هي من حين حلول الشمس رأس الحمل ، وهو الاعتدال الربيعي . ومنهم من يجعل أولها من حين حلول الشمس رأس الميزان ، وهو الاعتدال الخريفي .

§ وأبتداء سنة القبط قطع الشمس اثنتي عشرة درجة من السنبلة ، وأبتدؤا بفعل ذلك في زمن أغسطس ، وهو قيصر الأول على ما ذكره أصحاب الزيجات .

§ وأما الفرس ، فأقول سنتهم عند حلول الشمس أول نقطة من الحمل <sup>(١)</sup> .

§ وأما السريانيون ، فأقول سنتهم عند قطع الشمس من الميزان ست عشرة درجة .

## ٦ — ذكر النسيء ومذهب العرب فيه

يقال إن عمرو بن لُحَيٍّ ، وهو خُزاعة — ويقال اسمه عمرو بن عامر الخزاعي — هو أول من نَسَأَ الشهور ، وبِجَرِّ البعيرة ، وَسَيَّبَ السائبة ، وجعل الوصيلة ، والحامى . وهو أول من دعا الناس إلى عبادة هبل ، قدم به معه من هيت .

ومعنى النسيء أنهم يُنَسِّئُونَ المحرمَ إلى صَفَرٍ ، ورجبَ إلى شعبان

(١) وهذا اليوم هو عيد نبروزهم إلى الآن .

وكان جملة ما يعتقدونه من الدين تعظيم الأشهر الحرم الأربعة، وكانوا يتحرجون فيها من القتال. وكانت قبائل منهم يستبيحونها فإذا قاتلوا في شهر حرام، حرموا مكانه شهرا من أشهر الحِلِّ، ويقولون تُرِيءُ الشهر.

وحكى ابن إسحاق صاحب السيرة النبوية (على صاحبها أفضل الصلاة والسلام) أن أول من نَسَا الشهور على العرب، وأحلَّ منها ما أحلَّ، وحرم ما حرم، القَلمَسُ. وهو حذيفة بن قَقيم بن عامر بن الحرث بن مالك بن كنانة بن خزيمة.

ثم قام بعده ولده عباد، ثم قام بعد عباد ابنه قلع، ثم قام بعد قلع ابنه أمية، ثم قام بعد أمية ابنه عوف، ثم قام بعد عوف ابنه أبو ثمامة جنادة، وعليه ظهر الإسلام.

فكانت العرب إذا فرغت من حجها، اجتمعت عليه بمعى، فقام فيها على جمل، وقال بأعلى صوته: «اللهم إني لا أخاف ولا أعاف<sup>(١)</sup>، ولا مرء لما قضيتُ! اللهم إني أحلت شهر كذا (ويذكر شهرا من الأشهر الحرم، وقع اتفاقهم على شق الغارات فيه) وأنساته إلى العام القابل (أى آخرت تحريمه) وحرمتُ مكانه شهر كذا من الأشهر البواقى!»

وكانوا يجلون ما أحلَّ، ويحرمون ما حرم.

وفى ذلك يقول عمرو بن قيس بن جندل الطَّعان، من أبيات يفتخر:

١٥ أَلَسْنَا النَّاسِيْنَ عَلَى مَعَدٍّ \* شُهُورَ الْحِلِّ، نَجْعَلُهَا حَرَامًا؟

وحكى السهيلي في كتابه المترجم "بالروض الأنف" أن نسيء العرب كان على ضربين: أحدهما تأخير المحترم إلى صفر لحاجاتهم إلى شق الغارات وطلب النار، والثانى تأخير الحج عن وقته تحريا منهم للسنة الشمسية. فكانوا يؤخرونه فى كل عام

(١) فى اللسان: "أنا الذى لا أعاب ولا أجاب ولا يرد لى قضاء".



أحد عشر يوماً حتى يدور الدور في ثلاث وثلاثين سنة فيعود إلى وقته . فلما كانت السنة التاسعة من الهجرة، حج بالناس أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) فوافق حجه في ذى القعدة، ثم حج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في العام القابل فوافق عود الحج إلى وقته في ذى الحجة كما وضع أولاً . فلما قضى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حجه، خطب فكان مما قال في خطبته (صلى الله عليه وسلم) : ”إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ“ . يعني أن الحج قد عاد في ذى الحجة .

## ٧ - ذكر السنين التي يضرب بها المثل

يُضْرَبُ الْمَثَلُ :

§ بعام الجراد . كان سنة ثمان من الهجرة .

§ عام الحزن . وهي السنة التي مات فيها أبو طالب عم النبي (صلى الله عليه وسلم) وخديجة (رضي الله عنها) وهي سنة عشر من الهجرة ، وكان موتها بعده بثلاثة أيام وقيل بسبعة .

§ عام الرمادة . كان سنة ثمانى عشرة من الهجرة، في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) . أصاب الناس فيه قحطٌ حتى صارت وجوههم في لون الرماد من الجوع . وقيل : كانت الريح تَسْفِي تراباً كالرَّمَادِ لثَدَّةٍ يُنْسِ الأَرْضَ ، على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى في ”التاريخ“ .

§ عام الرِّعَافِ . كان سنة أربع وعشرين من الهجرة ، سمي بذلك لكثرة ما أصاب الناس فيه من الرِّعَافِ .

§ عام الجماعة . كان سنة أربعين من الهجرة . فيه سَلَّمَ الحسن بن عليّ (رضي الله عنهما) الخلافة لمعاوية ، فاجتمعت الكلمة فيه .

§ عام الجُحَافِ . كان سنة ثمانين من الهجرة ، وقع بمكة سيل عظيم ذهب بالإبل وعليها الجمول .

§ عام الفقهاء . وهو سنة أربع وتسعين من الهجرة . فيها مات عليّ بن الحسين زين العابدين ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق (رضي الله عنهم) وسعيد بن المسيّب ، وعروة بن الزبير ، وعطاء بن يسار ، وسعيد بن زيد بن ثابت . وفيه قَتَلَ الججاج بن يوسف الثقفيّ سعيد بن جبير .

§ سُنَيَاتُ خَالِدِ . يُضْرَبُ بِهَا المثلُ في الجذب . وهو خالد بن عبد الملك بن الحارث

المعروف بأبي مطير . كان قد تولى لهشام بن عبد الملك المدينة سبع سنين توالى القحط فيها حتى أُجلى أهل البوادي .

§ سنة عشر ومائة . مات فيها قرينان في الزهد : الحسن البصري ومحمد بن سيرين ، وقرينان في الشعر : جرير والفرزدق .

§ سنة ست وخمسين وثلثمائة . مات فيها جماعة من الملوك ، وهم : شمكير بن زياد

صاحب طبرستان وجرجان ، ومعز الدولة بن بويه ، وكافور الأخشيديّ صاحب مصر ، ويقفور ملك الروم ، وأبو عليّ محمد بن إلياس صاحب كرمان ، وسيف الدولة ابن حمدان ممدوح المتنبّي ، والحسن بن فيرزان صاحب أذربيجان .

## الباب الثالث

### من القسم الثالث من القرن الأول

#### ١ - في الفصول وأزميتها

وفصول السنة أربعة : الربيع ، والصيف ، والخريف ، والشتاء . ولكل فصل منها ثلاثة بروج ، وثلاثة أشهر ، وسبع منازل ، ومواقفة من الطبائع الأربع .

١ - فأما فصل الربيع ، وهو عند العرب الصيف ، فطبعه حار رطب . ودخوله عند حلول الشمس برج الحمل ، والثور ، والجوزاء . وهذه البروج عندهم تدل على الحركة . وله من السن الطفولية والحداثة ، ومن الرياح الجنوب ، ومن الساعات الأولى والثانية والثالثة ، ومن القوى القوة الجاذبة ، ومن الأخلاط الدم ، ومن الكواكب القمر والزهرة ، ومن المنازل بعض الفرغ المقدم والفرغ المؤخر ، والرشاء ، والسّرطان ، والبطين ، والثريا ، والدبران ، وبعض الهقعة . وعدد أيامه أربعة وتسعون يوماً .

وحلول الشمس في الثاني عشر من آذار ، ويوافقها مارس من شهور الروم ، وفي السادس عشر من برمهات من شهور القبط ، وفي العشرين من آسفندار ماه من شهور الفرس . وإذا حلت الشمس برج الحمل ، اعتدل الليل والنهار ، وصار كل واحد منهما اثنتي عشرة ساعة . ثم يأخذ النهار في الزيادة ، والليل في النقصان .

وفي هذا الفصل تتحرك الطبائع ، وتظهر المواد المتولدة في الشتاء . فيطلع النبات وتزهّر الأشجار وتورق ، ويهيج الحيوان للسّفاد ، وتذوب الثلوج ، وتنبع العيون ، وتسيل الأودية .

(١) أي برج الحمل الذي هو أول فصل الربيع

ذكر ما قيل في وصف فصل الربيع وتشبيهه نظماً وشراً .

فمن ذلك ما قاله الصنوبري :

ما الدهرُ إلا الربيعُ المُستَثيرُ إذا \* جاء الربيعُ ، أتاك النورُ والنورُ .  
فالأرضُ يا قوتهُ ، والجوُّ لؤلؤةٌ ، \* والنبتُ فيروزجٌ ، والماءُ بلورُ .

وقال آخر :

اشربَ هنيئاً قد أتاك زمانُ \* متعطرٌ ، متهللٌ ، نشوانُ !  
فالأرضُ وشيٌ ، والنسيمُ معبرٌ ، \* والماءُ راحٌ ، والطيورُ قيانُ .

وقال الثعالبي :

أظنُّ الربيعَ العامَ قد جاءَ زائراً \* ففي الشمسِ بزائراً ، وفي الريحِ عطاراً .  
وما العيشُ إلا أن تُواجهَ وجهَهُ \* وتَقضىَ بين الوشيِّ والمِسكِ أوطاراً .

وقال آخر :

وفصلَ فصلُ الربيعِ الرياضَ \* عقوداً ورصعَ منها حلياً .  
وفانحَ بالأرضِ أفقَ السماءِ \* فحسلى الثرى بنجوم الثريا .

وقال الحسن بن وهب :

طلعتْ أوائلُ للربيعِ فبشّرت \* نورَ الرياضِ بِجِدَّةٍ وشبابِ !  
وغدا السحابُ يكادُ يسحبُ في الثرى \* أذيالَ أسحمِ حالكِ الجلبابِ .  
فترى السماءَ إذا أجدَّ ربابُها \* فكأنما التحفتُ جناحَ غرابِ .  
وترى الغصونَ إذا الرياحُ تناوحت \* ملتفةً ككتائفِ الأحابِ .

وقال بعض فضلاء أصفهان في وصف فصل الربيع من رسالة ذكرها العماد

الأصفهاني في الخريدة :

أما بعد . فإن الزمان جَسَدٌ وفصلُ الربيع رُوحُه ، وسِرُّ حِكْمَةِ إلهيةٍ وبه كَشَفُهُ  
ووضُوحُه ؛ وعمر مقدور وهو الشببة فيه ، ومنه لُجْمٌ وهو تَمِيرُه وصافِيه ؛ ودَوَّحَةٌ  
خَصْرَةٌ وهو يَنْعُها وجَنَاهَا ، وألفاظٌ مجموعة وهو نَتِيجَتُها ومعناها ؛ فمن لم يَسْتَهوَ طِبَاعَه  
نَسِيمٌ هَوَائِه ، ولم يُدْرِكْ شِفَاءَ دَائِه في صَفَاءِ دَوَائِه ، لم يَذُقْ لِطْعَمِ حَيَاتِه نَفْعًا ، ولم يجد  
لِخَفْضِ حَظِه من أَيامه رَفْعًا .

٢ - وأما فصل الصيف ، فإن طبيعته الحرارة واليبس ، ودخوله عند حلول  
الشمس برج السرطان ، والأسد ، والسنبلة .

وهذه البروج تدل على السكون . وله من السنّ الشباب ؛ ومن الرياح الصبا ؛  
ومن الساعات الرابعة والخامسة والسادسة ؛ ومن القوى القوّة الماسكة ؛ ومن  
الأخلاق المِرَّة الصفرَاء ؛ ومن الكواكب المِترِيج ، والشمس ؛ ومن المنازل بعض  
المُهَقَّة ، والمُهَنَعَة ، والذراع ، والنثرة والطرف والجهة (وهي أربعة عشر يوماً) والخَرَائِن  
وبعض الصَّرْفَة . وتنزل الشمس في برج السرطان في الرابع عشر من حزيران . وعدد  
أيامه ثلاثة وتسعون يوماً ، ويوافقه بينير من شهور الروم ؛ وفي العشرين من بؤونه ، وإذا  
حلت الشمس برج السرطان ، أخذ الليل في الزيادة ، والنهار في النقصان . والله أعلم .

ذكر ما قيل في وصف فصل الصيف وتشبيهه نظماً ونثراً

فمن ذلك ما قاله ذو الرمة :

وَهَا حَرَّةٌ حَرَّهَا وَأَقِيدُ \* نَصَبْتُ لِحَاجِبِهَا حَاجِبِي .  
تَلَوَّدُ مِنَ الشَّمْسِ أَطْلَاقُهَا \* لِيَأْذَ الْغَرِيمِ مِنَ الطَّالِبِ .  
وَتَسْجُدُ لِلشَّمْسِ حَرَبًا وَأُهَا \* كَمَا يَسْجُدُ الْقَسُّ لِلرَّاهِبِ .

وقال مسكين الدارمي .

وهَاجِرَةٌ ظَلَّتْ كَأَنَّ ظَبَاءَهَا \* إِذَا مَا اتَّقَتْهَا بِالْقُرُونِ مُجُودٌ .  
تَلُوذُ يُسْتَوْبُوبُ مِنَ الشَّمْسِ فَوْقَهَا \* كَمَا لَأَذٌ مِنْ حَرِّ السَّنَانِ طَرِيدٌ .

وقال ابن القفيسي :

فِي زَمَانٍ يَشْوِي الْوُجُوهُ بِحَرِّهِ ، \* وَيُذِيبُ الْجُسُومَ لَوْ كُنَّ صَخْرًا ،  
لَا تَطِيرُ النَّسُورُ فِيهِ إِذَا مَا \* وَقَفَّتْ شَمْسُهُ وَقَارَبَ ظَهْرًا .  
وَبُودُ الْغُصْنِ النَّضِيرُ بِهِ لَوْ \* أَنَّهُ مِنْ لِحَائِهِ يَتَعَرَّى .

وقال أيضا :

بِالْيَلَةِ بَتُّ بِهَا سَاهِدًا \* مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ وَفَرَطِ الْأَوَارِ .  
كَأَنِّي فِي جُنْحِهَا مُحْرِمٌ \* لَوْ أَنَّ لِلْعَوْرَةِ مِنِّي أَسْتِنَارُ .  
وَكَيْفَ لَا أُحْرِمُ فِي لَيْلَةٍ \* سَمَّاؤُهَا بِالشَّهْبِ تَرْمِي الْجَمَارَ ؟

وقال آخر :

وَبِیَوْمِ سُجُومٍ خَلْتُ أَنَّ نَسِيمَهُ \* ذَوَاتُ سُجُومٍ لِلْقُلُوبِ لَوَادِغُ ،  
ظَلَلْتُ بِهِ أَشْكَو مُكَابِدَةَ الْهَوَى \* فَكُوزِي مَلَانٌ وَمَائِي فَارِغُ .

وقال محمد بن أبي الثياب ، شاعر اليتيمة :

وَهَاجِرَةٌ تَشْوِي الْوُجُوهُ كَأَنَّهَا \* إِذَا لَفَحَتْ خَدَيَّ نَارٌ تَوَجَّجُ .  
وَمَاءُ كَلُونِ الزَّيْتِ يَمْلَحُ كَأَنَّهُ \* يَوْجِدِي يَغْلِي أَوْ يَهْجِرُكَ يَمْنَجُ .

وقال الثعالبي :

رُبَّ يَوْمٍ هَوَاؤُهُ يَتَلَطَّى \* فَيُحَاكِي فُؤَادَ صَبِّ مُتَمِّمِ .  
قُلْتُ إِذْ صَكَ حَرُّهُ وَجْهِي : \* «رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ» !

ومما وصف به من النثر قول بعضهم :

أوقدتِ الظَّهيرةُ نارَها، وأذكتْ أوارَها ؛ فأذابت دماغ الضب، وألهمت قلب  
الصب ؛ هاجرة كأنها من قلوب العُشَّاق، إذا آشتعت بنيران الفراق ؛ حرَّ تهرب له  
الهرباء من الشمس، وتستجير بمتراكب الرمس ؛ لا يطيب معه عيش، ولا ينفع معه  
سرج ولا خيش ؛ فهو كقلب المهجور، أو كالتنور المسجور .<sup>(١)</sup>

٣ - وأما فصل الخريف - فإن طبعه بارد يابس ؛ ودخوله عند حلول  
الشمس برأس الميزان والعقرب والقوس .

وهذه البروج تدل على الحركة ؛ وله من السن الكُهولة ؛ ومن الرياح الشَّمال ؛  
ومن الساعات السابعة والثامنة والتاسعة ؛ ومن القوى القوَّة الهاضمة ؛ ومن الأخلاط  
المِرَّة السوداء ؛ ومن الكواكب زُحل ؛ ومن المنازل بعض الصَّرفة والَعَوَاء والسَّماك  
والغُفر والزُّبانيان والقلب وبعض الشولة ؛ وعدد أيامه تسعة وثمانون يوماً ؛ ويكون  
حلول الشمس الميزان في الخامس عشر من أيلول، ويوافقه ستمبر من شهر الروم،  
وفي الثامن عشر من توت .

وفي هذا الفصل يبرد الهواء، ويتغير الزمان، وتُصرم الثمار، ويغير وجه الأرض،  
ويصفتر ورق الشجر، وتهزل البهائم، وتموت الهوام، وتنبجر الحشرات، وتطلب الطير  
المواضع الدفئة، وتصير الدنيا كأنها كهالة مدبرة .

ويقال : فصل الخريف ربيع النفس كما أن فصل الربيع ربيع العين .

والله أعلم .

(١) هكذا بالأصل وفي صبح الأعشى تلج

ذكر ما قيل في وصف فصل الخريف وتشبيهه نظما وثرا .

فمن ذلك ما قاله الصنوبري ، عفا الله عنه :

ما قَضَى في الربيع حَقَّ المَسْرَا \* تِ مُضِيعُ زَمَانُهُ في الخَرِيفِ .  
نَحْنُ مِنْهُ عَلَي تَلَقَّى شِيتَاءِ \* يُوجِبُ القَصْفَ أَوِ ودَاعِ مَصِيفِ .  
في قَيْصِ من الزمان رَقِيقِ \* وِرْدَاءِ من الهَوَاءِ خَفِيفِ .  
يَرْعُدُ المَاءُ مِنْهُ خَوْفًا إِذَا مَا \* لَمَسْتَهُ يَدُ النِّسِيمِ الضَّعِيفِ .

وقال عبد الله بن المعتز :

طَابَ شُرْبُ الصَّبُوحِ في أَيْلُولِ ! \* بَرَدَ الظِّلُّ في الضُّحَى والأَصِيلِ !  
وَحَبَّتْ جَمْرَةُ الهَوَاجِرِ عَنَّا ، \* وَأَسْتَرَحْنَا من النِّهَارِ الطَّوِيلِ .  
وَنَحْرَجْنَا من السُّمُومِ إِلى بَرِّ \* دِ نَسِيمِ ، وَطِيبَ ظِلِّ ظَلِيلِ ،  
وَشَمَالِ تَبَشِّرِ الأَرْضِ بِالقَطْرِ كذِيلِ الغِلَالَةِ المَبْلُولِ .  
فَكَأَنَّا نَزْدَادُ قُرْبًا إِلى الجَنَّةِ في كُلِّ شَارِقِ وَأَصِيلِ .  
وَوُجُوهُ البِقَاعِ تَنْتَظِرُ الغَيْثَ آتِيظَارَ الحُبِّ رَدَّ الرُّسُولِ .  
تَبْتَغِي غَلَّةً لِتَعْمَلَ رَوْضًا \* بكَثِيرٍ من الحَيَا أَوْ قَلِيلِ .

وقال آخر :

إِشْرَبُ عَلَي طِيبِ الزَّمَانِ فَقَدْ حَدَا \* بِالصَّيْفِ من أَيْلُولِ أَسْرَعُ حَادِ .  
وَأَشْتَمْنَا بِاللَّيْلِ بَرَدَ نَسِيمِهِ \* فَارْتَاحَتِ الأَرْوَاحُ في الأَجْسَادِ .  
وَإِفَاكُ بِالأَنْدَاءِ قُدَامَ الحَيَا \* فَالأَرْضُ لِلأمْطَارِ في أَسْتَعْدَادِ .  
كَمْ في صَمَائِرِ ثُرَيْيَا من رَوْضَةٍ \* بِمَسِيلِ مَاءٍ أَوْ قَرَارَةٍ وَادِ .  
تَبْدُو إِذَا جَادَ السَّحَابُ بِقَطْرِهِ \* فَكَأَنَّمَا كَانَا عَلَي مِيعَادِ .



وقال آخر :

لا تَصْغَ لِلْوَمِ إِنَّ الْوَمَ تَضْلِيلُ \* وَأَشْرَبَ فِي الشَّرْبِ لِأَحْزَانِ تَحْلِيلُ .  
فقد مَضَى القَيْظُ وَأَجْتُنْتُ رَوَاحِلَهُ ، \* وَطَابَتِ الرَّاحُ لِمَا آلَ أَيْلُولُ .  
وليس في الأَرْضِ نَبْتُ يُسْنِكِي رَمْدًا \* إِلَّا وَنَظَرُهُ بِالطَّلِّ مَكْحُولُ .

وقال آخر يذمه :

خُدْ بِالتَّدْثُرِ فِي الْحَرِيفِ فَإِنَّهُ \* مُسْتَوْبَلٌ ، وَنَسِيمُهُ خَطَافُ .  
يَجْرِي مَعَ الْأَيَّامِ جَرَى نِفَاقِهَا \* لِصَدِيقِهَا " وَمِنَ الصَّدِيقِ يُخَافُ " !

ومما وصف به من الشر :

قال أبو إسحاق الصابي يصفه :

الحريفُ أصحُ فصولِ السنةِ زمانا ، وأسهلُها أوانا ؛ وهو أحدُ الاعتدالين ، المتوسطين  
بين الانقلابين ، حين أبدتِ الأرضُ عن ثمرتها ، وصرحتْ عن زيتتها ؛ وأطلقت  
السماءُ حوافلَ أنوائها ، وتأذنتْ بانسكابِ مائها ؛ وصارتِ المواردُ ، كُتُونِ المَبَّارِدِ ؛  
صَفَاءً من كَدْرِهَا ، وتَهْدُبًا من عَكْرِهَا ؛ وأطرادا مع نَفحاتِ الهواءِ ، وحركاتِ الريحِ  
الشَّجَوَاءِ ؛ وأكْتَسَتِ الماشيةُ وبرها القَشِيبَ ، والطائرُ ريشه العَجِيبَ .

وقال ابن شبل :

كُلُّ ما يَظْهَرُ فِي الرَّبِيعِ نُورُهُ ، فِي الْحَرِيفِ تُجْتَنَى ثِمَارُهُ ؛ فَهُوَ الْحَاجِبُ أَمَامَهُ ،  
والمُطَرِّقُ قُدَّامَهُ .

وقال ضياء الدين ابن الأثير الجزري عن الحريف يفتخر على فصل الربيع :  
أنا الذي آتَى بَدَهابِ السَّمُومِ ، وإيابِ الغُيُومِ ، وأعتصارِ بناتِ الكُرومِ ، وتكاثرِ ألوانِ  
المشروبِ والمطعمومِ ؛ وفي يترقرقُ صَفَاءُ الأنهارِ ، فتشتبه القوابلُ بالأسمحارِ ، وأيامي

هي الذهبيات وتلك نسبة كريمة النجار؛ ومن ثمراتي ما لا تزال أمهاته حوامل ،  
وأوراقه نواضر وغيرها ذوايل ، وقد شبهه بالمصاييح وشبهت أغصانه بالسلاسل .  
ولقد أنصف من قال :

مَحَاسِنُ لِلْحَرِيفِ بَيْنَ فَخْرٍ \* عَلَى زَمَنِ الرَّبِيعِ ، وَأَيَّ فَخْرِ  
بِهِ صَارَ الزَّمَانُ أَمَامَ بَرْدٍ \* يَرَأِبُ نَزْحَهُ وَعَقِيبَ حَرٍّ .

٤ - وأما فصل الشتاء ، فإن طبعه بارد رطب ، ودخوله عند حلول الشمس  
رأس الجدى والدلو والحوت .

وهذه البروج تدل على السكون . وله من السن الشيخوخة ؛ ومن الرياح الدبور ؛  
ومن الساعات العاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة ؛ ومن القوى القوة الدافعة ؛  
ومن الاخلاط البلغم ؛ ومن الكواكب المشتري وعطارد ؛ ومن المنازل بعض الشولة  
والنعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الأخبية وبعض  
الفرغ المقدم ؛ وعدد أيامه تسعة وثمانون يوما .

ويكون حلول الشمس برأس الجدى في الثالث عشر من كانون الأول ، ويوافقها  
دجنبر من شهر الروم ؛ وفي السابع عشر من كيهك من شهر القبط . وإذا حلت  
الشمس ببرج الجدى يشتد البرد ، ويخشن الهواء ، ويتساقط ورق الشجر ، وتنجحر  
الحيوانات ، وتضعف قوى الأبدان ، وتكثر الأنواء ، ويظلم الجوف ، وتصير الدنيا كأنها  
عجوز هريمة قد دنا منها الموت .

وروى عن عليّ (رضي الله عنه) أنه قال : "توقّوا البرد في أوله ، وتلقّوه في آخره ،  
فإنه يفعل في الأبدان كفعاله في الأشجار : أوله يُحرق ، وآخره يُورق" .

ذكر ما قيل في وصف فصل الشتاء وتشبيهه .

فمن ذلك ما قاله جرير شاعر الحماسة :

في لَيْلَةٍ مِنْ جُمَادَى ذَاتِ أُنْدِيَةِ \* لَا يُبْصِرُ الْكَلْبُ فِي ظَلَمَاتِهَا الطُّنْبَاءَ .  
لَا يَنْبِجُ الْكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ \* حَتَّى يَلْفَ عَلَى خَيْشُومِهِ الذَّنْبَاءَ .

وقال ابن حكينا البغدادي :

إِذَا قَدِمَ الشِّتَاءُ بُرُودًا \* وَأَفْرَشَ عَلَى رَغْمِ الْحَصِيرِ لُبُودًا .  
الرِّيقُ فِي اللُّهَوَاتِ أَصْبَحَ جَامِدًا \* وَالذَّمْعُ فِي الْأَمَاقِ صَارَ بُرُودًا .  
وَإِذَا رَمَيْتَ بِفَضْلِ كَأْسِكَ فِي الْهَوَا \* عَادَتْ عَلَيْكَ مِنَ الْعَقِيقِ عُقُودًا .  
وَتَرَى عَلَى بَرْدِ الْمِيَاهِ طُيُورَهَا \* تَخْتَارُ حَرَّ النَّارِ وَالسَّنْفُودًا .  
يَا صَاحِبَ الْعُودَيْنِ لَا تُهْمِلْهُمَا \* أَوْ قَدْ لَنَا عُودًا ، وَحَرَّكَ عُودًا !

وقال آخر :

وَيَوْمَنَا أَرْوَاهُ قَرَّةً \* تُحْمَسُّ الْأَبْدَانُ مِنْ قَرِصَهَا .  
يَوْمٌ تَوَدُّ الشَّمْسُ مِنْ بَرِّهِ \* لَوْ جَرَّتِ النَّارُ إِلَى قُرِصَهَا !

وقال عبد الله بن المعتز :

قَدْ مَنَعَ الْمَاءُ مِنَ الْإِس \* وَأَمَكَّنَ الْجَمْرُ مِنَ الْمَسِّ .  
فَلَيْسَ نَلْقَى غَيْرَ ذِي رِعْدَةٍ ، \* وَمُسْلِمٌ يَسْجُدُ لِلشَّمْسِ !

وقال آخر :

لَيْسَ عِنْدِي مِنْ آلَةِ الْبَرْدِ إِلَّا \* حُسْنُ صَبْرِي ، وَرِعْدَتِي ، وَقُنُوعِي .  
فَكَأَنِّي لِشِدَّةِ الْبَرْدِ هَرٌّ \* يَرْقُبُ الشَّمْسَ فِي أَوَانِ الطَّلُوعِ .



وقال ابن سكرة الهاشمي، عفا الله تعالى عنه ورحمه:

قيل: ما أعددت للبر \* دٍ وقد جاء بشده؟  
قلت: دراعة برد \* تحتها جبة رعدة.

وقال أبو سعيد الخزومي:

إذا كنت في بلدة نازلاً \* وحل الشتاء حلول المقيم،  
فلا تبرزني إلى أن ترى \* من الصحو يوماً صحيح الأديم.  
فكم زلقة في حواشي الطريق \* ترد الثياب بخزي عظيم!  
وكم من لئيم غداً راكباً \* يحب البلاء لماش كريم!

وقال الصاحب بن عباد:

أني ركبت فكف الأرض كاتبة \* على ثيابي سطوراً ليس تنكّم.  
فالأرض محبرة، والحبر من لثقي \* والطرس ثوبي، ويمني الأشهب القلم.

وقال أبو علي كاتب بكر شاعر الينيمة:

يا بلدة أسأمني بردها \* وبرد من يسكنها للقلق.  
لا يسلم الشاتي بها من أدي \* من لثقي، أو دمقي، أو زلق.

ومما وصف به ثرا قول بعضهم:

إذا حلت الشمس برج الجدي مد الشتاء رواقه، وحل نطاقه، ودبت عقارب  
البرد لاسبه، ونفع مدخور الكسب كاسبه.

ومن رسالة لأبن أبي الخصال، جاء منها:

الكلب قد صاح خيشومه ذنبه، وأنكر البيت وطنبه؛ والتوى التواء الحباب،

وأستدار أستدارة الغراب؛ وجلده الجليد، وضربه الضرب وصعد أنفاسه الصعيد؛

فجاء مباح، ولا هريره ولا نباح، والنار كالصديق، أو كالرحيق؛ كلاهما عنقاء مغرب،  
أو نجم مغرب.

وقال بعضهم :

برد يُغير الألوان، وينشف الأبدان؛ ويجمد الريق في الأشداق، والدَّمع في الآماق؛  
بردٌ حال بين الكلب وهريره، والأسد وزئيره، والطير وصفييره، والماء ونحريره .  
وقيل لبعضهم : أيُّ البرد أشدُّ؟ فقال : إذا دمعت العينان، وقطر المنخران،  
وتلجلج اللسان، وأصطكت الأسنان .

ووصف ابن وكيع الفصول الأربعة في أرجوزة فقال :

عِنْدِي فِي وَصْفِ الْفُصُولِ الْأَرْبَعَةِ \* مَقَالَةٌ تُغْنِي اللَّيْلَ مَقْنَعَةً .

ذكر ما قيل في فصل الصيف

أَمَّا الْمَصِيفُ ، فَاسْتَمِعْ مَا فِيهِ \* مِنْ فِطْنٍ يُفْهِمُ سَامِعِيهِ .  
فَصَلْ مِنَ الدَّهْرِ إِذَا قِيلَ حَضَرَ ، \* أذْ كَرْنَا بِحَرِّهِ نَارَ سَقَرِهِ .  
يَظَلُّ فِيهِ الْقَلْبُ مُقَشَّعِرًا ، \* وَالْأَرْضُ تُشْكَو حَرَّهُ الْمُضْرًا .  
أَوَّلُهُ فِيهِ نَدَى مُنْغَصٌ \* كَأَنَّهُ عَلَى الْقُلُوبِ يَقْنِصُ .  
يَلْصَقُ مِنْهُ الْجِلْدُ بِالثِّيَابِ \* وَيَعْلَقُ التُّرَابُ بِالْأَثْوَابِ .  
حَتَّى إِذَا مَا طَرَدَتْهُ الشَّمْسُ \* وَفَرِحَتْ بِأَنْ يَزُولَ النَّفْسُ .  
فَتَحَّتِ النَّارُ لَنَا أَبْوَابَهَا \* وَشَبَّ فِيهَا مَالِكُ شَهَابِهَا .  
حُرٌّ يَحِيلُ الْأَوْجَةَ الْغُرَانَا \* حَتَّى تُرَى الرُّومُ بِهِ حُبْشَانَا .  
يَعْلُو بِهِ الْكَرْبُ وَيَسْتَدُّ الْقَلْقُ \* وَتَنْضَحُ الْأَبْدَانُ فِيهِ بِالْعَرَقِ .



تُبْصِرُهُ فَوْقَ الْقَمِيصِ قَدْ عَلَا \* حَتَّى تَرَى مُبَيَّضَهُ مُصْنَدَلَا .  
 إِنْ كَانَ رَنًّا ، زَادَ فِي تَمْزِيْقِهِ ، \* أَوْ مُسْتَجِدًّا ، جَدَّ حَبْلَ زَيْقِهِ .  
 ثُمَّ يُعِيدُ الْمَاءَ نَارًا حَامِيَةً \* يَزِيدُ فِي كَرْبِ الْقُلُوبِ الصَّادِيَةِ .  
 شَارِبُهُ يَكْرَعُ فِي حَمِيمٍ \* كَأَنَّهُ مِنْ سَاكِنِي الْجَحِيمِ .  
 يُنْسِيهِ مَا يَلْقَى مِنْ أَلْتِهَابِهِ \* أَنْ يَمْحَدَ اللَّهُ عَلَى شَرَابِهِ .  
 حَتَّى إِذَا أَعْيَا ، أَنْقَضَى نَهَارَهُ \* وَأُرْخِيَتْ مِنْ لَيْلِهِ أَسْتَارُهُ ،  
 تَحَرَّكَتْ فِي جُنْحِهِ دَوَاهِي \* سَارِيَةٌ ، وَأَنْتَ عَنْهَا لَاهِي .  
 مِنْ عَقْرِبِ يَسْعَى كَسَعَى اللَّصِّ \* سِلَاحُهَا فِي إِثْرِهِ كَالشِّصِّ .  
 وَحَيَّةٍ تَنْفُتُ سُمًّا قَاتِلًا \* تَزُودُ الْمَلْسُوعَ حَتْفًا عَاجِلًا .  
 تُبْصِرُ مَا يَجَاهِدُهَا مِنَ الرَّقْشِ \* كَوَجْنَةٍ مُصْفَرَّةٍ فِيهَا تَمَشُّ .  
 لَوْ نَهَشَتْ بِالنَّابِ مِنْهَا الْخَضْرَاءَ ، \* لَنَثَرَتْ مِنْهُ الْحَيَاةَ نَثْرًا .  
 فَلَا تُقَلُّ إِنْ جَاءَ يَوْمًا أَهْلًا \* فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَضْلًا .

#### ذكر ما قيل في فصل الحريف

حَتَّى إِذَا زَالَ ، أَتَى الْحَرِيفُ : \* فَضْلٌ بِكُلِّ سَوَاءٍ مَعْرُوفٌ .  
 أَهْوَنُهُ يَسْرَعُ فِي حَلِّ الْجَسَدِ \* وَهُوَ كَطَبْعِ الْمَوْتِ يَبْسُ وَبَرْدٌ .  
 يَجْنِي عَلَى الْأَجْسَامِ مِنْ آفَاتِهِ ، \* وَأَرْضُهُ قَرَعَاءٌ مِنْ نَبَاتِهِ .  
 لَا يُمَكِّنُ النَّاسَ اتِّقَاءَ شَرِّهِ \* وَلَا خِلَافُ بَرْدِهِ وَحَرِّهِ .  
 تُبْصِرُهُ مِثْلَ الصَّبِيِّ الْأَرَعِينِ \* مِنْ كَثْرَةِ الْعُشَاقِ وَالْتَلَوْنِ .  
 فَانَّتْ مِنْهُ خَائِفٌ عَلَى حَذَرٍ \* لِأَنَّهُ يَمْزُجُ بِالصَّغْفَرِ الْكَدْرَ .

٥

١٠

١٥

أَحْسَنُ مَا يَهْدِي لَكَ النَّسِيَا \* يَقْبَلُهُ فِي سَاعَةِ سَمُومًا .  
وهو على المعدود من ذُنُوبِهِ \* خَيْرٌ مِنَ الصَّيْفِ عَلَى عِيُونِهِ .

ذكر ما قيل في فصل الشتاء .

حَتَّى إِذَا مَا أَقْبَلَ الشَّتَاءُ ، \* جَاءَتْكَ مِنْهُ عُمَّةٌ عَمِيَاءُ .  
لَوْ أَنَّهُ رُوحٌ ، لَكَانَ فَدَمًا \* أَوْ أَنَّهُ شَخْصٌ ، لَكَانَ جَهْمًا .  
يَلْقَاكَ مِنْهُ أَسَدٌ يَزِيرُ \* لَهُ وَعِيدٌ وَهُوَ تَحْذِيرُ .  
تَأْتِيكَ فِي أَيَّامِهِ رِيَاحٌ \* لَيْسَ عَلَى لَأَعْنَاهَا جُنَاحُ .  
حَرَّأَكُمَهَا لَيْسَ إِلَى سُكُونِ \* تَضُرُّ بِالْأَسْمَاعِ وَالْعُيُونِ .  
يَحْدُثُ مِنْ أَفْعَالِهَا الزُّكَامُ \* هَذَا إِذَا مَا فَاتَكَ الصُّدَامُ .  
ثُمَّ يَلِيهَا مَطَرٌ مُدَاوِمٌ \* كَأَنَّهُ خَصَمٌ لَنَا مُلَازِمٌ .  
يَقْطَعُنَا بَعْضًا عَنِ الطَّرِيقِ \* وَعَنْ قَضَاءِ الْحَقِّ لِلصَّيْدِيقِ .  
وَرَبَّمَا نَحَرَ عَلِيكَ السَّقْفُ ، \* فَإِنْ عَفَا عَنْكَ أَتَاكَ الْوَكْفُ .  
وَإِنْ أَرَدْتَ فِي النَّهَارِ الشُّرْبَا \* فِيهِ ، فَقَدْ قَاسَيْتَ خَطْبًا صَعْبًا .  
وَاحْتَجَجْتَ أَنْ تُوقِدَ فِيهِ نَارًا \* تُطِيرُ نَحْوَ الْحَدَقِ الشَّرَارَا .  
يَتْرُكُ مُبِيضَ النَّيَابِ أَرْقَطَا \* يَجِي السَّعِيدِيَّ لَكَ الْمُنْقَطَا .  
وَبَعْدَ ذَا نُسِدُّ النِّقَابَا \* مِنْ خَوْفِهِ وَتُغْلِقُ الْأَبْوَابَا .  
نَمْ ، وَتُرْجِحِ دُونَهُ السُّتُورَا \* حَتَّى تَرَى صَبَاحَهُ دَاجِيُورَا .  
وَإِنْ أَرَدْتَ الشُّرْبَ فِي الظَّلَامِ \* عَاقَكَ عَنْ تَتَاوُلِ الْمُدَامِ .  
حَسْبُكَ أَنْ تَنْدَسَ فِي الْحَافِ \* مِنْ خَشْيَةِ الْبَرْدِ عَلَى الْأَطْرَافِ !  
وَرَعْدُهُ يَشْغَلُ عَنْ كُلِّ عَمَلٍ \* وَيُؤْثِرُ النَّوْمَ وَيَسْتَحْلِي الْكَسَلَ .

٥

٢٠

١٥

حَتَّىٰ إِذَا جِئْتَ إِلَى الرَّقَادِ، \* نِمْتَ عَلَىٰ فَرَشٍ مِنَ الْقَتَادِ.  
 إِنَّ الْبِرَاغِيثَ عَذَابٌ مُرْجِحٌ \* لِكُلِّ قَلْبٍ وَجِلْدٍ يَنْضَجُ.  
 لَا يَسْتَلِدُّ جِلْدَكَ الْمَضَاجِعَا \* كَأَنَّ أَفْرَشَهُ مَبَاضِعَا.  
 تَنَحَّ فَصَلًا فَوْقَ مَا ذَمَّمْتَهُ \* لَوْ أَنَّهُ يَظْهَرُ لِي، قَتَلْتُهُ.  
 حَتَّىٰ إِذَا مَا هُوَ عَنَّا بَانَا \* وَزَالَ عَنَّا بَعْضُهُ، لَا كَانَا!

## ذكر ما قيل في فصل الربيع

- جاء إلينا زمن الربيع \* بغناء فصل حسن الجميع.  
 لبرده وحره مقدار \* لم يكتنف حدّهما إكثار.  
 عدل في أوزانه حتى اعتدل \* وحمد التفصيل منه والجمل.  
 ١٠ نهاره في أحسن النهار \* في غاية الإشراق والإسفار.  
 تضحك فيه الشمس من غير عجب \* كأنها في الأفق جام من ذهب.  
 وليته مستلطف النسيم \* مقوم في أحسن التقوم.  
 لبدريه فضل على البدر \* في حسن إشراق وفرط نور.  
 بكامة البلور في صفائها \* أذابت الجراد في نقائها.  
 ١٥ كأنها إذا دنت من بدريه \* جوزاؤه قبل طلوع بفره.  
 روميّة حلتها زرقاء \* في الجيد منها درة بيضاء.  
 هذا وكم تجمع من أمور \* أطراء مطريها من التقصير.  
 فيه تظل الطير في ترثم \* حاذقة بالحن لم تعلم.  
 غناؤها ذو عجمة لا يفهمه \* سامعه وهو على ذا يغرمة.  
 ٢٠ من كل دبيبي له زنين \* وكل قيسري له حين.



في قُرْطِي أُعْجِلَ أَنْ يُورِدَا \* خَاطِلُهُ الْخِيَاطُ طَوْقًا أَسْوَدَا .  
 تُبْصِرُهُ مِنْهُ عَلَى الْخَيْزُومِ \* كَيْسَلِ عِقْدِ سَبَجٍ مَنظُومِ .  
 هَسْدًا وَفِيهِ لِلرِّيَاضِ مَنظَرٌ \* يُفْشِي الثَّرَى مِنْ سِرِّهِ مَا يُضْمِرُ .  
 سِرٌّ نَبَاتٍ حُسْنُهُ إِعْلَانُهُ \* إِذَا سَوَاهُ زَانَهُ كَيْتَانُهُ .  
 فِيهِ ضُرُوبٌ لِنَبَاتِ الْفَضِّ (١) \* يَحْكِي لِبَاسِ الْجَنَدِ يَوْمَ الْعَرِضِ .  
 مِنْ تَرْجِسٍ أبيضٍ كَالثَنُغُورِ \* كَأَنَّهُ تَحَاتِقُ الْكَافُورِ .  
 وَرَوْضَةٍ تُزْهِرُ مِنْ بَنَفْسَجٍ \* كَأَنَّهَا أَرْضٌ مِنَ الْفَيْرِ وَزَجِ .  
 قَدْ لَيْسَتْ غَلَالَةٌ زَرْقَاءَ \* وَكَأَيْدَتْ بَلُونَهَا السَّمَاءَ .  
 يَضْحَكُ مِنْهَا زَهْرُ الشَّقِيقِ \* كَأَنَّهُ مَدَاهِنُ الْعَقِيقِ .  
 مُضْمَنَاتٍ قِطْعًا مِنَ السَّبَجِ \* قَدْ أَشْرَقَتْ مِنْ أَحْمَرٍ وَدَجِ .  
 كَأَنَّهَا الْمُحْمَرُّ فِي الْمُسُودِ \* مِنْهُ إِذَا لَاحَ عُيُونُ الرُّمْدِ .  
 وَأَرْمِ بِعَيْنَيْكَ إِلَى الْبَهَارِ \* فَإِنَّهُ مِنْ أَحْسَنِ الْأَزْهَارِ .  
 كَأَنَّهُ مَدَاهِنٌ مِنْ عَسْجِدِ \* قَدْ سَمِرَتْ فِي قُضْبِ الزَّبْرَجِدِ .  
 فَانْهَضْ إِلَى اللَّهِوِ وَلَا تَخْلَفِ \* فَلَسْتَ فِي ذَلِكَ بِالْمُعْنِفِ .  
 وَأَشْرَبْ عُقَارًا طَالَ فِينَا كَوْنُهَا \* يَصْفُرُّ مِنْ خَوْفِ الْمِزَاجِ لَوْنُهَا .

♦ ♦ ♦  
 دُونَكَ هَذِي صِفَةُ الزَّمَانِ \* مَشْرُوحَةٌ فِي أَحْسَنِ التَّبْيَانِ !  
 وَأَرْضٌ بِتَقْلِيدِي فَيَا قُلْتَهُ \* فَأَتَيْتِي أَدْرَى بِمَا وَصَفْتَهُ .

## الباب الرابع

من القسم الثالث من الفن الأول

في ذكر مواسم الأمم وأعيادها، وأسباب آتخاذهم لها، وما قيل في ذلك

والذي أوردُهُ في هذا الباب، هو مما وقفتُ عليه أثناء مطالعتي للكتب الموضوعه فيه، وقلته منها لما تعذر عليّ من أتلقاه من فيه. وضمته أعياد المسلمين، والفرس والنصارى، واليهود.

### ١ - ذكر الأعياد الإسلامية

والأعياد الإسلامية التي وردت بها الشريعة آثان: عيد الفطر، وعيد الأضحى . والسبب في آتخاذهما، ما روى عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) "أنه قدم المدينة، ولأهلها يومان يلعبون فيهما، فقال: ما هذان اليومان؟ فقالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية . فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): إن الله (عز وجل) قد بذلكم خيرا منهما، يوم الفطر، ويوم الأضحى". فأقول ما بدى به من العيدين عيد الفطر، وذلك في سنة اثنتين من الهجرة . وفيها كان عيد الأضحى .

وعيد آبتدعته الشيعة، وسموه عيد الغدير. وسبب آتخاذهم له مؤاخاة النبي (صلى الله عليه وسلم) على بن أبي طالب (رضى الله عنه) يوم غدير خم . والغدير على ثلاثة أيام من الجحفة بسرة الطريق. قالوا: وهذا الغدير تصب فيه عين، وحوله شجر كثير ملتف بعضها ببعض . وبين الغدير والعين مسجد لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) . واليوم الذي آبتدعوا فيه هذا العيد هو الثامن عشر من ذى الحجة، لأن المؤاخاة كانت

(١) في صحیح الأعشى (ج ٢ ص ٤٠٧) ثلاثة أميال، وفي المعجم [بينه وبين الجحفة ميلان] .

فيه في سنة عشرة من الهجرة، وهي حجة الوداع. وهم يُحْيُونَ ليلتها بالصلاة، ويصلون في صبيحتها ركعتين قبل الزوال. وشعارهم فيه لبس الحديد، وعتق الرقاب، وبرّ الأجنب، والذبايح.

وأقول من أحدثه معز الدولة أبو الحسن عليّ بن بويه، على ما ذكره إن شاء الله تعالى في أخباره في سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة.

ولما ابتدع الشيعة هذا العيد وأتخذوه من سنتهم، عمل عوامُ السنة يومَ سرورٍ نظير عيد الشيعة في سنة تسع وثمانين وثلاثمائة. وجعلوه بعد عيد الشيعة بثمانية أيام، وقالوا: هذا يوم دخول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الغار هو وأبو بكر الصديق (رضي الله عنه). وأظهروا في هذا اليوم الزينة، ونصبَ القباب، وإيقادَ النيران.

## ٢ - ذكر أعياد الفرس

وأعياد الفرس كثيرة جدًا. وقد صنف عليّ بن حمزة الأصفهانيّ فيها كتابًا مستقلًا ذكر فيه أعيادهم، وسبب اتخاذهم لها، وسنن ملوكهم فيها. وقد رأيتُ أن أقصر على المشهور منها، وهي ثلاثة أعياد: النيروز، والمهرجان، والسدق.

١ - فأما النيروز، فهو أعظم أعيادهم وأجلّها. يقال إن أول من آتخذه جمشيد أحد ملوك الفرس الأول. ويقال فيه جمشاد، ومعنى جم القمر، وشاد الشعاع والضياء، وسبب اتخاذهم لهذا العيد أن طهومت لما هلك، ملك بعده جمشاد. فسمى اليوم الذي ملك فيه نوروز، أي اليوم الجديد.

ومن الفرس من يزعم أن النيروز اليوم الذي خلق الله (عز وجل) فيه النور، وأنه كان معظم القدر عند جمشاد. وبعضهم يزعم أنه أول الزمان الذي آبتدأ فيه الفلك بالدوران.

ومدته عندهم ستة أيام، أولها اليوم الأول من شهر أفريدون ماه، الذي هو أول شهور سنتهم. ويسمون اليوم السادس الثوروز الكبير، لأن الأكاسرة كانوا يقضون في الأيام الخمسة حوائج الناس ثم ينتقلون إلى مجالس أنسهم مع خواصهم .

وحكى ابن المقفع أنه كان من عاداتهم فيه أن يأتي الملك من الليل رجلاً جميلاً الوجه، قد أرصد لما يفعله. فيقف على الباب حتى يصبح. فإذا أصبح دخل على الملك من غير استئذان. فإذا رآه الملك، يقول له: من أنت؟ ومن أين أقبلت؟ وأين تريد؟ وما أسمك؟ ولأى شيء وردت؟ وما معك؟ فيقول: أنا المنصور، وأسمى المبارك، ومن قبل الله أقبلت، والملك السعيد أردت، وبالهناء والسلامة وردت، ومعى السنة الجديدة. ثم يجلس، ويدخل بعده رجل معه طبق من فضة، وفيه حنطة، وشعير، وجلبان، وحمص، وسمسم، وأرز (من كل واحد سبع سنابل وتسع حبات) وقطعة سكر، ودينار ودرهم جديان. فيضع الطبق بين يدي الملك. ثم تدخل عليه الهدايا. ويكون أول من يدخل عليه وزيره، ثم صاحب الخراج، ثم صاحب المعونة، ثم الناس على طبقاتهم ومراتبهم. ثم يقدم للملك رغيف كبير مصنوع من تلك الحبوب، موضوع في سلة. فيأكل منه ويطعم من حضره. ثم يقول: هذا يوم جديد، من شهر جديد، من عام جديد، من زمان جديد، يحتاج أن نجد فيه ما أخلق من الزمان، وأحق الناس بالفضل والإحسان الرأس لفضله على سائر الأعضاء. ثم يخلع على وجوه دولته ويصلهم ويفترق فيهم ما حمل إليه من الهدايا .

وكانت عادة عوام الفرس فيه رفع النار في ليلته، ورش الماء في صبيحته .

وفي ذلك يقول المعوج :

(١) لم يوجد هذا المصدر في القاموس واللسان بهذا المعنى والمصدر الحسن، والتهمة .

كيف أبتهاجك بالنيروز ياسكني؟ \* وكل ما فيه يحكي وأحكيه!  
فناره كلهب النار في كيدي! \* وماؤه كتوالي عبرتي فيه!

وقال آخر:

نورز الناس ونورز \* ت، وليكن بدموعي!  
وذكت نارهم، والنشأ ما بين ضلوعي!

٢ - وأما المهرجان، فوقعه في السادس والعشرين من تشرين الأول من شهر  
السرمان، وفي السادس عشر من مهرماه من شهر الفرس.

وهذا الأوان وسط زمان الخريف، وفيه يقول بعض الشعراء:

أحب المهرجان لأن فيه \* سرورا للوك ذوي السناء،  
وبابا للصير إلى أوان \* تفتح فيه أبواب السماء.

وهو ستة أيام. ويسمى اليوم السادس المهرجان الأكبر. قال المسعودي:  
وسبب تسميتهم لهذا اليوم بهذا الاسم، أنهم كانوا يسمون شهرهم بأسماء ملوكهم.  
وكان لهم ملك يسمى مهر، يسير فيهم بالعنف والعسف. فمات في نصف الشهر الذي  
يسمونه مهرماه، فسمى ذلك اليوم مهرجان. وتفسيره "نفس مهر ذهبت" وهذه لغة  
الفرس الأول. وزعم آخرون أن "مهر" بالفارسية حفاظ و"جان" الروح.

وقد نظم عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ذلك، فقال:

إذا ما تحقق بالمهرجا \* ن من ليس يعرف معناه، غاظا.  
ومعناه أن غلب الفرس فيه \* فسّموه للروح حقا حفاظا.

ويقال إنه إنما تحمّل في عهد أفريدون الملك، وأن معنى هذا الاسم "إدراك النار".

وسبب آتخاذهم له ، أن بيوراسف (وهو الضحاك) ، ويقال له أزدهاق ذوالحيتين والأفواه الثلاثة ، والأعين الستة ، الذاهى الخبيث المتمرد ، لما قتل جمشاد ، وملك بعده ، غيردين المجوسية . وجاء إبليس في صورة خادم ، فقبل منكبيه ، فنبت فيهما حيتان ، فكان يُطعمهما أدمغة الناس . فأجحف ذلك بالرعية ، فخرج رجل بأصبهان ، يقال له كابي ، ويقال فيه كابيان . ودعا الناس إلى قتاله ، فأجتمع له خلق كثير . فشخص الضحاك لقتاله ، فهاب كثرة جمعه وفر منهم . فاجتمع الناس على كابي ليملكوه عليهم ، فأبى ذلك وقال : ما أنا من أهل الملك ، وأخرج صبيا من ولد جمشاد ، يسمى أفريدون وملكه ، فأطاعه الناس فيه وملكوه عليهم .

ونخرج أفريدون في طلب الضحاك ليأخذ ثأر جده فظفر به ، وجعل ذلك اليوم عيدا ، وسماه المهرجان . ويقال إن المهرجان هو اليوم الذي عقد فيه التاج على رأس أردشير بن بابك ، أول ملوك الفرس الساسانية .

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر يفضل المهرجان على النيروز :

أخَا الفُرْسِ إِنْ الفُرْسَ تَعَلَّمُ إِنَّهُ \* لِأَطْيَبُ مِنْ نَيْرُوزِهَا مَهْرَجَانُهَا :  
لِإِدْبَارِ أَيَّامِ يَغْمُّ هَوَاؤُهَا \* وَإِقْبَالِ أَيَّامِ يُسَرُّ زَمَانُهَا .

وكان مذهب الفرس فيه أن يدهن ملوئهم بدهن البان تبركا ، وكذلك عوامهم ، وأن يلبس القصب والوشى ، ويتوج بتاج عليه صورة الشمس وحجتها الدائرة عليها ، ويكون أول من يدخل عليه المؤبدان بطبق فيه أثرجة ، وقطعة سكر ، ونبق ، وسفرجل ، وعناب ، وتُفاح ، وعنقود عنب أبيض ، وسبع طاقات آس قد زمزم عليها .

ثم يدخل الناس على طبقاتهم بمثل ذلك .

وكان أردشير، وأنوشروان يأمران بإخراج ما في خزائهم في المهرجان والنيروز من أنواع الملابس والفُرُش، فَيُفَرَّقُ كُلُّهَا في الناس على مراتبهم، ويقولان : إن الملوك تستغنى عن كسوة الصيف في الشتاء، وعن كسوة الشتاء في الصيف، وليس من أخلاقهم أن يَتَجَبَّؤُوا كسوتهم في خزائهم ويساواوا العامة في فعلها .

وزعم بعض أصحاب التاريخ أن النيروز عَمِلَتْهُ الفُرُشُ قبل المهرجان بألفى سنة وخمسمائة سنة .

٣ - وأما السَّدَقُ ، فإنه يعمل في ليلة الحادى عشر من شهر بهمن ماه . ويسمى هذا اليوم عندهم أبان روز، لأن لكل يوم من أيام الشهر عندهم أسما .

ويقال في سبب آتخاذهم له : إن فراسياب لما ملك ، سار إلى بلاد بابل وأكثر فيها الفساد، وخرَّب العمران . فخرج عليه دق بن طهماسب، وطرده عن مملكته إلى بلاد الترك . وكان ذلك في يوم أبان روز . فآتخذ الفُرُشُ هذا اليوم عيداً، وجعلوه ثالثاً ليوم النيروز، والمهرجان .

ويقال أيضاً في سبب آتخاذهم له : إن الأب الأول، وهو عندهم كيومرت، لما حمل له مائة ولد، زوج الذكور بالإناث، وصنع لهم عرساً أكثر فيه من إشعال النيران، فوافق ذلك الليلة المذكورة، وأستسنه الفُرُشُ بعده .

وهم يوقدون النيران بسائر الأدهان، ويزيدون في الولوع بها، حتى إنهم يلتقون فيها سائر الحيوانات .

وفي ذلك يقول ابن حجاج من أبيات يمدح بها عضد الدولة بن بويه :

مَوْلَايَ يَا مَنْ نَدَاهُ يَعْدُو \* ففَاتَ سَبْتًا وَلَيْسَ يُلْحَقُ .  
 لَيْلَتِنَا حُسْنَهَا عَجِيبٌ \* بالقَصْفِ والعَرَفِ قَدْ تَحَقَّقُ .  
 لِنَارِهَا فِي السَّمَاءِ لِسَانٌ \* عن نُورِضْوَاءِ الصَّبَاحِ يَنْطِقُ .  
 والجَوْ مِنْهَا قَدْ صَارَ جَمْرًا \* والنَّجْمُ مِنْهَا قَدْ كَادَ يُحْرِقُ .  
 وَدِجْلَةٌ أَضْرَمَتْ حَرِيْقًا \* بِأَلْفِ نَارٍ وَأَلْفِ زَوْرِقٍ .  
 فمَاؤُهَا كُلُّهَا حَمِيمٌ \* قَدْ فَارَ مَا غَلَى وَبَقِبَقُ .<sup>(٢)</sup>

وقال أبو القاسم المطرزي، في سَدَقِ عمله السلطان ملك شاه، أشعل فيه الشموع

والنيران في السَّمِيرِيَّاتِ بِدِجْلَةٍ، وذلك في سنة أربع وثمانين وأربعمائة :

وَكُلُّ نَارٍ عَلَى العُشَاقِ مُضْرَمَةٌ \* مِنْ نَارِ قَلْبِي أَوْ مِنْ لَيْلَةِ السَّدَقِ .  
 نَارٌ تَجَلَّتْ بِهَا الظُّلَمَاءُ فَأَشْتَبَهَتْ \* بِسَدْفَةِ اللَّيْلِ فِيهَا غُرَّةُ الفَلَقِ !  
 وَزَارَتْ الشَّمْسُ فِيهَا اللَّيْلَ وَأَصْطَلَحَا \* عَلَى الكَوَاكِبِ بَعْدَ الغَيْظِ وَالْحَنَقِ .  
 مَدَّتْ عَلَى الأَرْضِ بُسْطًا مِنْ جَوَاهِرِهَا \* مَا بَيْنَ مُجْتَمِعِ وَارٍ وَمُفْتَرِقِ .  
 مِثْلَ المَصَابِيحِ إِلا أَنهَا نَزَلَتْ \* مِنَ السَّمَاءِ بِلا رَجْمٍ وَلا حَرِقِ .  
 أُعْجِبْ بِنَارٍ وَرِضْوَانٍ يُسْعِرُهَا \* وَمَالِكٌ قَائِمٌ مِنْهَا عَلَى فَرَقِ !  
 فِي مَجْلِسِ صَحِيحَتِكَ رَوْضِ الجَنَانِ لَهُ \* لَمَّا جَلَا ثَغْرُهُ عَنِ وَاضِحِ يَقِقِ .

(١) كما في الأصل ولعله « والجو منها يصير جمرا » والنجم منها يكاد يحرق « ليستقيم الوزن



### ٣ - ذكر أعياد النصارى القبط

وأعياد النصارى أربعة عشر عيداً: سبعة يسمونها بكباراً، وسبعة يسمونها صغاراً. فأما الكبار :

١ - فمنها عيد البشارة . ويعنون بها بشارة غبريال ، وهو عندهم جبريل عليه السلام على ما يزعمون أنه بشر مريم ابنة عمران بميلاد عيسى (عليهما السلام) . وهم يعملونه في التاسع والعشرين من برمهات من شهورهم .

٢ - ومنها عيد الزيتونة . وهو عيد الشعانين ، وتفسيره التسبيح . يعملونه في سابع أحد من صومهم . وسنتهم فيه أن يخرجوا بسعف النخل من الكنيسة . ويزعمون أنه يوم ركوب المسيح اليعفور في القدس ، وهو الحمار ، ودخوله صهيون وهو راكب ، والناس يسبحون بين يديه ، وهو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

٣ - ومنها الفصح . وهو العيد الكبير عندهم يقولون إن المسيح قام فيه بعد الصلبوت بثلاثة أيام .

٤ - ومنها خميس الأربعين . ويسميه الشاميون السلاق<sup>(١)</sup> . وهو الثاني والأربعون من الفطر . يزعمون أن المسيح عليه السلام تساق فيه من بين تلاميذه إلى السماء من بعد القيام ، ووعدهم إرسال الفارقليط وهو روح القدس .

٥ - ومنها عيد الخميس . وهو العنصرة<sup>١</sup> يعمل بعد خمسين يوماً من يوم القيام يقولون إن روح القدس حلت بالتلاميذ ، وتفرقت عليهم ألسنة الناس ، فتكلموا بجميع الألسنة ، وتوجه كل واحد منهم إلى بلاد لسانه الذي تكلم به يدعوهم إلى دين المسيح .

(١) في الأصل السلاق . وفي القاموس [وكرمان عيد للنصارى] وفي صبح الأعشى بغير ياء على الصواب .

٦ — ومنها الميلاد . وهو اليوم الذى ولد فيه المسيح . يقولون إنه ولد فى يوم الاثنين فيجعلون عشية الأحد ليلة الميلاد . وهم يوقدون فيه المصابيح بالكنايس ويزينونها . ويعمل فى التاسع والعشرين من كيهك من شهرهم .

٧ — ومنها الفطاس . ويعمل فى الحادى عشر من طوبة من شهرهم . ويقولون إن يحيى بن زكريا، وينعتونه بالمعمدان، غسل عيسى عليه السلام فى بحيرة الأردن، ويزعمون أن عيسى (عليه السلام) لما نرج من الماء اتصل به روح القدس على هيئة حمامة . والنصارى يغمسون أولادهم فى الماء فيه، ووقته شديد البرد .

وأما الأعياد الصغار :

١ — فمنها الختان . ويعمل فى سادس بثونة، يقولون إن المسيح ختن فى هذا اليوم، وهو الثامن من الميلاد .

٢ — ومنها الأربعون . وهو عند دخول الهيكل يقولون إن سمعان الكاهن دخل بعيسى (عليه السلام) مع أمته [ الهيكل<sup>(١)</sup> ] وبارك عليه . ويعمل فى ثامن أمشير من شهرهم .

٣ — ومنها خميس العهد . ويعمل قبل الفصح بثلاثة أيام . وسنتهم فيه أن يأخذوا إناء ويملئوه ماء ويزمزموا عليه، ثم يغسل البطريك به أرجل سائر الناس . ويزعمون أن المسيح عيسى (عليه السلام) فعل مثل هذا بتلاميذه فى مثل هذا اليوم، يعلمهم التواضع، وأخذ عليهم العهد أن لا يتفوقوا، وأن يتواضع بعضهم لبعض . وعوام النصارى يسمون هذا الخميس خميس العَدَس، وهم يطبخون فيه العدس المقشور

على ألوان، ويسميه أهل الشام خميس الأرز. ومنها خميس البيض أيضا. وسميه أهل الأندلس خميس أبريل، وأبريل شهر من شهور الروم.

٤ — ومنها سبت النور. وهو قبل الفصح بيوم. يقولون إن النور يظهر على مقبرة المسيح في هذا اليوم، فتشتعل منه مصابيح كنيسة القيامة التي بالقدس. وليس كذلك، بل هو من تخيلات فعلها أكابرهم ليستميلوا بها عقول أصاغرهم. وقيل إنهم يعلقون القناديل في بيت المذبح، ويحيلون في إيصال النار إليها بأن يمدوا على سائرها شريطا من حديد في غاية الدقة، يدهنونه بدهن البلسان ودهن الزنبق. فإذا صلوا، وحان وقت الزوال، فتحوا المذبح، فدخل الناس إليه، وقد أشعلت فيه الشموع. ويتوصل بعض القوم إلى أن يعلق بطرف الشريط الحديد النار فتسرى عليه، فتقد القناديل واحدا بعد واحد بسبب الدهن.

٥ — ومنها حدّ الحُدود. وهو بعد الفصح بثمانية أيام. يعمل أول أحد بعد الفطر، لأن الأحاد قبله مشغولة بالصوم. وفيه يجتدون الآلات، والأثاث، واللباس، ويأخذون في المعاملات، والأمور الدنيوية.

٦ — ومنها التجلي. يقولون: إن المسيح (عليه السلام)، تجلّى لتلاميذه بعد أن رُفِع، وتمنواً عليه أن يُحضر لهم إيليا، وموسى، فأحضرهما لهم في مصلى بيت المقدس، ثم صعد. ويعمل في ثالث عشر مسرى من شهورهم.

٧ — وعيد الصليب. وتزعم النصارى أن قسطنطين بن هيلاني أنتقل عن اعتقاد اليونان إلى اعتقاد النصرانية، وبني كنيسة قسطنطينية العظمى، وسائر كنائس الشام.



وسبب ذلك — على ما نقله المؤرخون — أنه كان مجاورا للبرجان، فضاق بهم ذرعا من كثرة غاراتهم على بلاده. فهم أن يصانهم ويقتر لهم عليه إتاوة في كل عام ليكفوا عنه . فرأى ليلة في المنام أن ملائكة نزلت من السماء ومعها أعلام عليها صلبان، فخاربت البرجان فهزمهم . فلما أصبح، عمل أعلاما وصور فيها صلبانا، ثم قاتل بها البرجان فهزمهم .

وقيل إنه رأى في المنام صلبانا من نور في السماء، وقائلا يقول له: أعمل مثل هذا على رؤوس أعلامك فإنك تنتصر . فلما أصبح، أمر بعمل صلبان من ذهب على رؤوس أعلامه وقاتل بها فنصر . فأمر أهل مملكته بالرجوع عن دينهم والدخول في دين النصرانية، وأن يقصوا شعورهم، ويحلقوا لحاهم . وإنما فعل ذلك بهم لأن رسل عيسى عليه السلام كانوا قد وردوا على اليونان من قبل يأمرورهم بالتعبد بدين النصرانية، فأعرضوا عنهم، ومثلوا بهم هذه المثلة نكالا بهم . ففعلوا ذلك تأسيا بهم . ولما تنصر قسطنطين، خرجت أمه هيلاني إلى الشام، فبنت الكائس، وسارت إلى بيت المقدس، فطلبت الخشبة التي صلب عليها المسيح، على ما يزعمون . وكانت مدفونة في مزبلة . فأخرجت منها، وفيها مواضع سبعة مسامير فلما حملت إليها، غلفتها بالذهب وحملت إلى آبنها . وأتخذت يوم رؤيتها لها عيدا .

قال المسعودي : وذلك لأربع عشرة ليلة خلت من أيلول، ووافق ذلك سبع عشرة ليلة خلت من توت من شهور القبط . وكان من مولد عيسى إلى اليوم الذي وجدت فيه الخشبة ثلاثمائة وثمان وعشرون سنة .

وسياق ذكر ذلك إن شاء الله تعالى في أخبار الروم في فن التاريخ، وهو في الجزء الثالث عشر من هذا الكتاب .

## ٤ - ذكر أعياد اليهود

وأعياد اليهود التي نطقت بها توراتهم نحسة :

١ - منها عيد رأس السنة . ويسمونه رأس هيشا ، أي عيد رأس الشهر ، وهو أول يوم من تشرين . ينزل عندهم منزلة عيد الأضحية عندنا . ويقولون إن الله عز وجل أمر إبراهيم بذبح إسحاق ابنه عليهما السلام فيه ، وفداه بذبح عظيم .

٢ - ومنها عيد صوماريا . ويسمى الكبور . وهو عندهم الصوم العظيم الذي فرض عليهم ، ويقتل من لم يصمه . ومدة الصوم خمس وعشرون ساعة ، يبدأ فيها قبل غروب الشمس في اليوم التاسع من شهر تشرين ، ويختم بمضي ساعة بعد غروبها من اليوم العاشر . ويشترطون رؤية ثلاثة كواكب عند الإفطار . وهي عندهم تمام الأربعين الثالثة التي صام فيها موسى عليه السلام . ولا يجوز أن يقع عندهم في يوم الأحد ، ولا يوم الثلاثاء ، ولا في يوم الجمعة . ويزعمون أن الله تعالى يغفر لهم فيه جميع ذنوبهم إلا الزنا بالمحصنات ، وظلم الرجل أخاه ، ومحمد ربوبية الله تعالى .

٣ - ومنها عيد المِظْلَة . وهو ثمانية أيام ، أولها الخامس عشر من تشرين . وكلها أعياد ، واليوم الأخير منها يسمى عرابا ، وتفسيره شجر الخلاف . وهو أيضا حج لهم . وهم يجلسون في هذه الأيام تحت ظلال سعف النخل الأخضر ، وأغصان الزيتون ، والخلاف ، وسائر الشجر الذي لا ينشر ورقه على الأرض . ويزعمون أن ذلك تذكار منهم لإظلال الله تعالى إياهم في التيه بالغانم .

(١) في صبح الاعشى [سبعة أيام]

(٢) في صبح الأعشى [عرابا] .

٤ - ومنها عيد الفطير . ويسمونه الفِصْح . ويكون في الخامس عشر من نَيْسَانَ . وهو سبعة أيام يأكلون فيها الفطير، وينظفون بيوتهم فيها من خبز الخمير . لأنها عندهم الأيام التي خلاص الله تعالى فيها بني إسرائيل من فرعون وأغرقه ، فخرجوا إلى التيه ، وجعلوا يأكلون اللحم ، والخبز الفطير، وهم بذلك فرحون . وفي آخر هذه الأيام غرق فرعون .

٥ - ومنها عيد الأسابيع ، وهي الأسابيع التي فرضت عليهم فيها الفرائض ، وكل فيها الدين . ويسمى عيد العنصرة ، وعيد الخطاب . ويكون بعد عيد الفطير بسبعة أسابيع . يقولون إنه اليوم الذي خاطب الله تعالى فيه بني إسرائيل من طور سيناء ، وإن من جملة ما خوطبوا به العشر كلمات ، وهي وصايا تتضمن أمرا ونهيا . وهو : من حجوجهم . وحجوجهم ثلاثة : الأسابيع ، والفطير ، والمظلة . وهم يعظمونه ويأكلون فيه القطائف ويجعلونها بدلا عن المن الذي أنزل عليهم في هذا اليوم ، على ما يزعمون . وأتخاذهم لهذا العيد في اليوم السادس من سيوان .

٦ - وعيد الفوز . وهو عيد أحدثوه ، ويسمونه الفوريم . وذكروا في سبب أتخاذهم له أن بختنصر لما أجلى من كان بيت المقدس من اليهود إلى عراق العجم ، أسكنهم مدينة جى ، وهي إحدى مدينتي أصفهان . فلما ملك أردشير بن بابك ، سماه اليهود بالعبرانية أجشادوس . وكان له وزير يسمونه بلغتهم هيمون . ولليهود يومئذ حبر يسمى بلغتهم مردوخاى . فبلغ أردشير أن له ابنة عم جميلة الصورة من أحسن أهل زمانها . فطلب تزويجها منه ، فأجابته إلى ذلك . فترجها ، وحظيت عنده ، وصار مردوخاى قريبا منه . فأراد هيمون الوزير إصغاره حسدا له ، وعزم على إهلاك طائفة اليهود التي في جميع مملكة أردشير . فرتب مع نواب الملك في سائر الأعمال

أن يقتل كل واحد منهم من يعلمه من اليهود. وعين لهم يوما وهو النصف من آذار. وإنما خص هذا اليوم دون غيره ، لأن اليهود يزعمون أن موسى عليه السلام ولد فيه ، وتوفي فيه . وأراد بذلك المبالغة في نكائتهم ليضاعف الحزن عليهم بهلاكهم ، وبموت موسى ( عليه السلام ) .

فبلغ مردوخاى ذلك ، فأرسل إلى آبنة عمه يُعلمها بما بلغه ، ويحضرها على أعمال الحيلة في خلاصهم . فأعلمت الملك بالحال ، وذكرت له أن الوزير إنما حمله على ذلك الحسد ، لقرب مردوخاى منه . فأمر بقتل هيمون الوزير ، وأن يكتب أمان لليهود . فاتخذوه عيداً . واليهود يصومون قبله ثلاثة أيام .

وهذا العيد عندهم عيد سرور ، وهو ، وخلاعة ، وهدايا يهديها بعضهم لبعض ، ويصوّرون فيه من الورق صورة هيمون ، ويملّون بطن الصورة نخالة ويلقونها في النار حتى تحترق .

٧ - وعيد الحنكة . وهو أيضا مما أحدثوه . وهو ثمانية أيام ، أوقها ليلة الخامس والعشرين من كسلا . وهم يوقدون في الليلة الأولى من لياليه على كل باب من أبوابهم سراجا ، وفي الثانية سراجين ، ويضعف ذلك في كل ليلة إلى ثمان ليال . فيكون في الثامنة ثمانية سُرج .

وسبب آتخاذهم لهذا العيد ، أن بعض الجبابرة تغلب على البيت المقدس وقتل من كان فيه من بنى إسرائيل ، وأقتض أبكارهم . فوثب عليه أولاد كاهنهم ، وكانوا ثمانية ، فقتله أصغرهم . فطلب اليهود زيتا لوقود الهيكل فلم يجدوا إلا يسيرا ، وزعوه على عدد ما يوقدونه من السرج على أبوابهم في كل ليلة إلى ثمان ليال . فاتخذوا هذه الأيام عيداً وسموه الحنكة ، وهو مشتق من التنظيف ، لأنهم نظفوا فيها الهيكل من أقذار شيعة الجبابرة .

## القسم الرابع من الفن الأول

في الأرض، والجبال، والبطار، والجزائر، والأنهار، والعيون، والغدران  
وفيه سبعة أبواب

### الباب الأول

من هذا القسم

#### ١ - في مبدأ خلق الأرض

قال الله تعالى: ﴿أَمْ مَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ .

والأرض سبع، كما أن السماوات سبع . والدليل على ذلك قوله عز وجل:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ .

وآختلف فيها هل هي سبع متطابقات بعضها فوق بعض، أو سبع متجاورات؟

فذهب قوم إلى أن الله تعالى خلق سبع سماوات متطابقات متعاليات، وسبع أرضين

متطابقات متسافلات، وبين كل أرض وأرض، كما بين كل سماء وسماء، خمسمائة

عام . وفسر بهذا قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا

رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ . أي كانت سماء واحدة ففتقناها سبعا .

قيل: ولكل أرض أهل وسكان مختلفو الصور والهيئات، ولكل أرض اسم خاص .

(١) أي وأرضا واحدة [ولعله سقط من قلم الناسخ] .



وزهب قوم إلى أنها سبع متجاورات متفرقات لامتطابقات . ففعلوا الصين أرضا ،  
ونراسان أرضا ، والسند والهند أرضا ، وفارس والحبال والعراق وجزيرة العرب أرضا ،  
والجزيرة والشام وبلاد إرمينية أرضا ، ومصر وإفريقية أرضا ، وجزيرة الأندلس  
وما جاورها من بلاد الجلائفة والأنتكبردة وسائر طوائف الروم أرضا .

ويقال : إنها كانت على ماء ، والماء على صخرة ، والصخرة على سنام ثور ، والثور  
على كركم<sup>(١)</sup> ، والكركم على ظهر حوت ، والحوت على الماء ، والماء على الريح ، والريح  
على حجاب ظلمة ، والظلمة على الثرى . وإلى الثرى أتقطع علم المخلوقين .

قال الله تعالى : ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ .

وزعم آخرون أن تحت الأرض السابعة صخرة ، وتحت الصخرة الحوت ، وتحت  
الحوت الماء ، وتحت الماء الظلمة ، وتحت الظلمة الهواء ، وتحت الهواء الثرى .

وقد تقدم في الباب الأول من هذا الكتاب أن الأرض مخلوقة من الزبد .

فلا فائدة في تكراره .

## الباب الثاني

### من القسم الرابع من الفن الأول



١ — في تفصيل أسماء الأرضين وصفاتها ، في الاتساع ، والأستواء ، والبعد ،

والغلظ ، والصلابة ، والسهولة ، والحزونة ، والارتفاع ، والانخفاض ، وغير ذلك

قال الثعالبي : في كتابه المترجم " بفقہ اللغة " وأسنده إلى أئمة اللغة :

(١) كذا بالأصل ؟

إذا اتسعت الأرض ولم يتخللها شجر أو نحر، فهي الفصاء والبراز والبراح، ثم الصحراء والعراء، ثم الرهاء والجهراء .

فإذا كانت مستوية مع الاتساع، فهي الخبت والجدد، ثم الصحصح والصدح، ثم القاع والقرقر، ثم القرقر والصفصف .

فإذا كانت مع الاستواء والاتساع بعيدة الأكناف والأطراف، فهي السهب وانحرق، ثم السبسب والسملق والملق .

فإذا كانت مع الاتساع والاستواء والبعد لا ماء فيها، فهي القلاة والمهمه، ثم التنوفة والفيفاء، ثم التنف والصرماء .

فإذا كانت مع هذه الصفات لا يهتدى فيها لطريق، فهي اليهماء والغطشاء .

فإذا كانت تفضل سالكها، فهي المضلة والمثيبة .

فإذا لم يكن بها أعلام ولا معالم، فهي المجهل والهوجل .

فإذا لم يكن بها أثر، فهي الغفل .

فإذا كانت قفراء، فهي القى .

فإذا كانت تبيد سالكها، فهي البيداء . والمفازة كناية عنها .

فإذا لم يكن فيها شيء من التبت، فهي المرت والمليع .

فإذا لم يكن فيها شيء، فهي المروراة والسبروت والبلقع .

فإذا كانت الأرض غليظة صلبة، فهي الجبوب، ثم الجلد، ثم العزاز، ثم الصيذاء،

ثم الحدجد .

فإذا كانت صلبة يابسة من غير حصى، فهي الكلد، ثم الجعجاج .

١٠

١٥

فإذا كانت غليظة ذات حجارة ورمل ، فهي البرقة والأبرق  
 فإذا كانت ذات حصى ، فهي المحصاة والمحصبية  
 فإذا كانت كثيرة الحصى ، فهي الأمعز والمعزاء .  
 فإذا أشتمت عليها كلها حجارة سود ، فهي الحررة والألابة  
 فإذا كانت ذات حجارة كأنها السكاكين ، فهي الحزير .  
 فإذا كانت الأرض مطمئنة ، فهي الجوف والغائط ، ثم الهجل والهضم .  
 فإذا كانت مرتفعة ، فهي النجد والنشر .  
 فإذا جمعت الأرض الارتفاع والصلاية والغلط ، فهي المتن والصمد ، ثم القف  
 والقدفد والقردد .

فإذا كان ارتفاعها مع اتساع ، فهي اليفاع .  
 فإذا كان طولها في السماء مثل البيت ، وعرض ظهرها نحو عشرة أذرع ، فهي التل ؛  
 وأطول وأعرض منها الربوة والرابية ، ثم الأكمة ، ثم الزبية ، وهي التي لا يعلوها الماء .  
 وبها ضرب المثل في قولهم : "بلغ السيل الزبي" ، ثم النجوة ، وهي المكان الذي تظن  
 أنه نجاؤك ؛ ثم الصمان ، وهي الأرض الغليظة دون الجبل .

فإذا ارتفعت عن موضع السيل وانحدرت عن غلظ الجبل ، فهي الخيف .  
 فإذا كانت الأرض لينة سهلة من غير رمل ، فهي الرقاق والبرث ، ثم الميثاء والدمثة .  
 فإذا كانت طيبة التربة كريمة المنبت بعيدة عن الأحساء والتروز ، فهي العداة .  
 فإذا كانت مخيلة للنبت والخير ، فهي الأريضة .

فإذا كانت ظاهرة لاشجر فيها ولا شيء يختلط بها ، فهي القراح والقرواح .  
 فإذا كانت مهياة للزراعة ، فهي الحقل والمشارة والدبرة .

- [ فإذا لم تهباً للزراعة، فهي بور<sup>(١)</sup> .
- فإذا لم يصبها المطر، فهي القل والجرز .
- فإذا كانت غير ممطورة وهي بين أرضين ممطورتين، فهي الخطيطة
- فإذا كانت ذات ندى ووخامة، فهي الغمقة .
- فإذا كانت ذات سباح، فهي السبخة .
- فإذا كانت ذات وباء، فهي الوبيئة والوبيئة .
- فإذا كانت كثيرة الشجر، فهي الشجرأء والشجرة .
- فإذا كانت ذات حيات، فهي الحواة<sup>(٢)</sup> .
- فإذا كانت ذات سباع أو ذئاب، فهي المسبعة والمدآبة .

## ٢ - ذكر تفصيل أسماء التراب وصفاته

١٠

قال الثعالبي رحمه الله تعالى :

الصعيد، تراب وجه الأرض .

والبوغاء، والدقعاء، التراب الرخو الرقيق الذي كأنه ذريرة .

والثرى، التراب الندي : وهو كل تراب لا يصير طينا لازباً إذا بل .

١٥

المور، التراب الذي تمور به الريح .

الهباء، التراب الذي تطيره الريح فتراه على وجوه الناس وجلودهم وثيابهم

[ يلترق لزوقاً<sup>(١)</sup> .

(١) الزيادة من فقه الثعالبي .

(٢) كذا ضبط في فقه اللغة ، وفي اللسان : ( وأرض تحياء ومحواة كثيرة الحيات ) وهو الأولى لا طراد

هذا الوزن في مثل ذلك .

٢٠

(١) [والهَائِي، الذي دُقُّ وأرتفع]

- السَّافِيَاءُ، التراب الذي يذهب في الأرض مع الريح .
- النَّيْبَةُ، التراب الذي يُخْرَجُ من البئر عند حفرها .
- الرَّاهِطَاءُ وَالْدَّامَاءُ، التراب الذي يُخْرِجُه اليربوع من بُحْرِهِ ويجمعه .
- الجُرْثُومَةُ، التراب الذي يجمعه النمل عند قريته .
- العَفَاءُ، التراب الذي يُعْنَى الآثَارَ . وكذلك العَفْرُ .
- الرَّغَامُ، التراب المختلط بالرمل .
- السَّمَادُ، التراب الذي يُسَمَّدُ به النبات . فإذا كان مع السَّرْقِينِ، فهو الدَّمَالُ .



### ٣ - ذكر تفصيل أسماء الغبار وأوصافه

- النَّقْعُ وَالْعَكُوبُ، الغبار الذي يثور من حوافر الخيل وأخفاف الإبل
- العَجَاجُ، الغبار الذي تُشِيرُه الريح .
- الرَّهْجُ وَالْقَسْطَلُ، غبار الحرب .
- الخَيْضَعَةُ، غبار المعركة .
- العِشِيرُ، غبار الأقدام .
- المَنِينُ ما تَقَطَّعَ منه

### ٤ - ذكر تفصيل أسماء الطين وأوصافه

قال :

- إذا كان الطين حُرًّا يابسًا، فهو الصَّلْصَالُ .
- فإذا كان مطبوخًا، فهو الفَخَّارُ .

(١) الزيادة من فقه الثعالبي .

فإذا كان عَلِيْكَ لاصقاً، فهو اللَّازِبُ .

فإذا غَيَّرَ الماءَ وأفسده، فهو الحَمَاءُ .

(وقد نطق القرآن بهذه الأسماء الأربعة) .

فإذا كان رطباً، فهو النَّاطِئَةُ وَالثُّرْمُطَةُ وَالطَّائِرَةُ .

فإذا كان رقيقاً، فهو الرَّدَاغُ .

فإذا كان تَرْتِطِمُ فِيهِ الدَّوَابُّ، فهو الْوَحْلُ . وَأَشَدُّ مِنْهُ الرَّدَّعَةُ وَالرَّزْغَةُ . وَأَشَدُّ مِنْهَا

الْوَرَطَةُ تَقَعُ فِيهَا الْغَنَمُ فَلَا تَقْدِرُ عَلَى التَّخَلُّصِ مِنْهَا ؛ ثُمَّ صَارَتْ مِثْلًا لِكُلِّ شِدَّةٍ يَقَعُ

فِيهَا الْإِنْسَانُ .

فإذا كان حُرًّا طيباً عَلِيْكَا وفيه خضرة، فهو الْغَضْرَاءُ .

فإذا كان مخلوطاً بالطين، فهو السِّيَاغُ .

فإذا جُعِلَ بَيْنَ اللَّيْنِ وَالْمَلَأِطِ

### ذِكْرُ تَفْصِيلِ أَسْمَاءِ الرَّمَالِ

قال :

الْعَدَابُ، مَا اسْتَرْقَّ مِنَ الرَّمْلِ <sup>(١)</sup> .

الْحَبْلُ، مَا اسْتَطَالَ مِنْهُ .

الْلَّبَبُ، مَا أَنْحَدَرَ مِنْهُ .

الْحَقْفُ، مَا آعَوْجَّ مِنْهُ .

الدَّعْصُ، مَا اسْتَدَارَ مِنْهُ .

(١) فِي الْأَصْلِ : مَا أَشْتَدَّ . وَلَكِنْ الَّذِي فِي الْقَامُوسِ وَفِيهِ الْفَتْحُ : مَا اسْتَرْقَى .

- العَقْدَةُ، ما تعقَّد منه .
- العَقَنْقَلُ، ما تراكم منه .
- السَّقَطُ، ما جعل يتقطع ويتصل منه .
- النُّهُورَةُ، ما أشرف منه .
- التَّيْهُورُ، ما أطمأن منه .
- الشَّقِيْقَةُ، ما أقطع وغلظ منه .
- الكَثِيْبُ والنَّقَا، ما آحدودب وأنهال منه .
- العَاقِرُ، ما لا يُنبت شيئاً منه .
- الهِدْمَلَةُ، ما كثر شجره منه .
- الأَوْعَسُ، ما سهل ولان منه .
- الرِّغَامُ، ما لان منه . وليس هو الذي يسيل من اليد .
- الهَيَامُ، ما لا يتمالك أن يُمسك باليد منه للينه .
- الدَّكْدَاكُ، ما آلتبد بالأرض منه .
- العَانِكُ، ما تعقَّد منه حتى لا يقدر البعير على المسير فيه .

## ٦ - ذكر ترتيب كمية الرمل

قال الثعالبي :

- الكثير يقال له العَقَنْقَلُ .
- فإذا نقص، فهو كَثِيْبٌ .
- فإذا نقص، فهو عَوَكَلٌ .

- فإذا نقص عنه ، فهو سَقَطٌ .
- فإذا نقص عنه ، فهو عَدَابٌ .
- فإذا نقص ، فهو لَبَبٌ .
- وقال في كتابه "الغريب" <sup>(١)</sup> :
- إذا كانت الرملة مجتمعة ، فهي العَوَكَةُ .
- فإذا أنبسطت وطالت ، فهي الكَثِيبُ .
- فإذا انتقل الكَثِيبُ من موضع إلى آخر بالرياح وبقي منه شيء رقيق ، فهو اللَّبَبُ .
- فإذا نقص ، فهو العَدَابُ .

#### ٧ - ذكر تفصيل أسماء الطرق وأوصافها

- قال الثعالبي :
- المرصاد والنَّجْدُ ، الطريق الواضح ، وكذلك الصَّرَاطُ
- والحادثة والمنهَجُ واللِّقْمُ والمَحَجَّةُ ، وَسَطُ الطريق ومُعْظَمُهُ .
- والألْحَبُ ، الطريق المُوَطَّأُ .
- المَهْيَعُ ، الطريق الواسع .
- الوَهْمُ ، الطريق الذي يَرِدُ فيه الموارد .
- الشَّارِعُ ، الطريق الأعظم .
- النَّقْبُ والشَّعْبُ ، الطريق في الجبل .
- الخَلْلُ ، الطريق في الرمل .

(١) ليس هذا الكتاب للثعالبي وإنما هو كتاب "الغريب المصنف" لأبي عمرو الشيباني ، الموجود منه

نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية .



المخرف، الطريق في الأشجار. ومنه الحديث: "عائد المريض في مخاريف الجنة".  
 والتيسب، الطريق المستقيم؛ وقيل إنه الطريق المستدق الواضح، كطريق النمل  
 والحية وحر الوحش.  
 والله أعلم.

### الباب الثالث

من القسم الرابع من الفن الأول  
 في طول الأرض ومسافتها

ذهب المتكلمون في ذلك أن مسافة الأرض نحو مائة عام : ثلث عمران، وثلث  
 خراب، وثلث بحار؛ وأن مقدار المعمور من الأرض مائة وعشرون سنة : تسعون  
 منها ليأجوج ومأجوج، وأثنا عشر للسودان، وثمانية للروم، وثلاثة للعرب، وسبعة  
 لسائر الأمم.

وقيل إن الدنيا سبعة أجزاء : ستة منها ليأجوج ومأجوج، وواحد لسائر الناس.

وقيل إن الأرض نحو مائة عام : البحار منها ثلثمائة، ومائة خراب، ومائة عمران.

وقيل إن الأرض أربعة وعشرون ألف فرسخ : للسودان منها اثنا عشر ألفاً،

والروم ثمانية آلاف فرسخ، ولفارس ثلاثة آلاف، وللعرب ألف.

٧٦

وقال وهب بن منبه : ما العمارة من الدنيا في الخراب إلا كفسطاط في الصحراء.

وقال أردشير بن بابك : إن الأرض أربعة أجزاء : جزء منها للترك، وجزء للعرب،

وجزء للفرس، وجزء للسودان.

وقيل : إن الأقاليم سبعة ، والأطراف أربعة ، والنواحي خمسة وأربعون ، والمدائن عشرة آلاف ، والرساتيق مائتا ألف وستة وخمسون ألفا .

وقال الخوارزمي صاحب الزيج : دور المعمور سبعة آلاف فرسخ ، وهو نصف سُدُس الأرض ، والجبال ، والمفاوز ، والبحار . والباقي نحراب ييَّاب لا نبات فيه ولا حيوان .

ومثل المعمور بصورة طائر ، رأسه الصين ، والجناح الأيمن الهند والسند ، والجناح الأيسر الخزر ، وصدرة مكة والعراق والشام ومصر ، وذنبه الغرب .

وزعم أصحاب الهيئة أن قطر الأرض سبعة آلاف وأربعمائة وأربعة عشر ميلا ، وأن دورها عشرون ألف ميل وأربعمائة ميل . وذلك جميع ما أحاطت به من بر وبحر .

وإنما علم ذلك وحرر من عبد الله المأمون ، وذلك أنه لما أشكل عليه ما ذكره المتقدمون من مقدار الأرض بعث جماعة من أهل الخبرة بالحساب والنجوم — منهم علي بن عيسى — إلى بَرِيَّةِ سِنَجَار . وتفرَّقوا من هناك . فذهب بعضهم إلى جهة القطب الشمالي ، وذهب آخرون إلى جهة القطب الجنوبي ، وسار كل منهم

في جهته إلى أن وصل غاية ارتفاع الشمس نصف النهار ، وقد زال وتغير عن الموضع الذي اجتمعوا فيه وتفرَّقوا منه ، مقدار درجة واحدة . وكانوا قد ذرعوا الطريق في ذهابهم ، فنصبوا السهام ، ووتدوا الأوتاد ، وشتوا الجبال . ثم رجعوا وأمتحنوا الذرع ثانية ، فوجدوا مقدار درجة واحدة من السماء سامتت وجهه بسيط الأرض ستة وخمسين ميلا وثلاثي ميل . (والميل أربعة آلاف ذراع ، والذراع ست قبضات ،

والقبضة أربع أصابع ، والإصبع ست شعيرات ، بطون بعضها إلى بعض ، والشعيرة

ست شعرات من شعر الخليل) . فضربت هذه الأميال في جميع درجات الفلك ،  
وهي ثلاثمائة وستون درجة ، فخرج من الضرب عشرون ألف ميل وأربعمائة ميل .  
فحكم بأن ذلك دور الأرض .

وقال أبو زيد أحمد بن سهل البلخي : مسافة طول الأرض من أقصى المشرق  
إلى أقصى المغرب نحو من أربعمائة مَرَّحَلَة ، ومسافة عرضها من حيث العُمران  
الذي من جهة الشمال ( وهو مساكن يأجوج ومأجوج ) إلى حيث العمران الذي  
من جهة الجنوب ( وهو مساكن السودان ) مائتان وعشرون مَرَّحَلَة ، وما بين برارى  
يأجوج ومأجوج والبحر المحيط في الجنوب خراب ليس فيه عمارة .  
ويقال إن مسافة ذلك نحسة آلاف فرسخ .

حكى هذه الأقوال صاحب كتاب "مباهج الفكر ومناهج العبر" رحمه الله .

## الباب الرابع

من القسم الرابع من الفن الأول

١ - في الأقاليم السبعة

ذهب أصحاب الزيجات إلى أن كل إقليم منها كأنه بساط ممدود ، طوله من  
المغرب إلى المشرق ، وعرضه من الجنوب إلى الشمال .

١ - فأما الإقليم الأول . فببؤه من مشرق أرض الصين إلى مدائن أبوابها .

وهي الأنهار التي تدخل السفن فيها من البحر إلى المدائن الجلييلة ، مثل خانقو و خانقور .<sup>(١)</sup>

(١) كذا بالأصل والصواب ، خانجوع عن كتاب "تقويم البلدان" لأبي الفدا .

وفيه جزيرة سرنديب . ومن أرض اليمن ما كان جنوبيا من صنعاء ، مثل ظفار وحضرموت وعدن . وفيه من بلد النوبة دُقْلَةٌ ؛ ومن بلد السودان غَانَةٌ . ثم ينتهى إلى البحر المحيط . وعرضه من خط الأستواء إلى مقدار ما يبعد عنه عشرون درجة وثلاث عشرة دقيقة .

وذهب بعض الناس إلى أن أول المعمور من حيث يكون العرض وخط الأستواء أثنى عشرة درجة ونصف وربع درجة ، وفيما بين هذا العرض وخط الأستواء مسكون بطوائف من السودان في عداد الوحوش والبهائم . وعد فيه بَطْلَيْمُوس من البلاد ذوات العروض ستين مدينة . وأهل هذا الإقليم سود ، وهو قليل الساكن لإفراط حره .

٢ - وأما الإقليم الثاني . فيبتدئ من بلاد الصين ، ويمتد على بعض بلاد

الهند الساحلية ، مثل تَانَةٌ ، وصَيْمُور ، وسَنْدَان ، ومن بلاد السند على المنصورة وديبل ، ثم يبلغ عُمان . ويكون فيه من أرض العرب : نَجْرَان ، وهَجْر ، وجَنْابَةٌ ، ومَهْرَةٌ ، وسَبَأٌ ، وتَبَالَةٌ ، والطائف ، وجُدَّة ، ومَكَّة ، والمدينة ، ومملكة الحبشة ، وأرض البُجَّة ، وأَسْوَان ، وقوص ، والصعيد الأعلى ، وجنوب بلاد المغرب حتى ينتهى إلى البحر المحيط ؛ وعرضه من غاية الإقليم الأول إلى سبع وعشرين درجة وأثنى عشرة دقيقة .

١٥ وزعم بَطْلَيْمُوس أن فيه أربعائة وخمسين مدينة . وأهله بين السمرة والسواد ، وهو كثير الذهب .

(١) أسم لمدينة ببلاد الهند . قال البيروني : هي على الساحل . والنسبة اليها "تأشى" ومنها الثياب التاشية ( أنظر تقويم البلدان ) .

(٢) في معجم ياقوت : جنابة بلدة صغيرة من سواحل فارس ، وهي في الاقليم الثالث . وفي "تقويم البلدان" .

٢٠ (جنابة بلدة قد خرب غالبا ، وهي فرضة لفارس ، وضبطها ابن خلكان بفتح الجيم والمشهور الضم) .

٣ - وأما الإقليم الثالث . فمبدؤه من شرق أرض الصين ، وفيه مدينة مملكتها، حمدان<sup>(١)</sup>؛ وفيه من بلاد الهند تانش والقنندهار، ومن بلاد السند المولتان<sup>(٢)</sup> وقزدار . ثم يمر ببلاد سيستان، وكرمان، وفارس، وأصبهان، والأهواز، والبصرة، والكوفة، وأرض بابل، وبلاد الجزيرة، والشام، وفلسطين، وبيت المقدس، والقلازم، والتيه، وأرض مصر، والإسكندرية، وبلاد برقة، وإفريقية، وتأهرت، وبلاد طنجة، والسوس، وينتهي إلى البحر المحيط . وعرضه من غاية الإقليم الثاني في العرض إلى تمام ثلاث وثلاثين درجة وتسع وأربعين دقيقة .

وزعم بطليموس أن فيه تسعا وخمسين مدينة . وأهله سمر .

٤ - وأما الإقليم الرابع . فمبدؤه من أرض الصين، ويمر على التبت والحق، ثم على جبال قشيمير، ووخان، وتل حسان، وكابل، والنور، وهرة، وبلخ، وطرخارستان؛ ويمتد إلى الري، وقم، وهمذان، وحلوان<sup>(٥)</sup>، وبغداد، والموصل، وأذربيجان . ويمتد على منبج، وطرسوس، والشغور، وأنطاكية، وجزيرة قبرس، وصقلية، ثم على الزقاق إلى البحر المحيط، وعرضه من غاية الإقليم الثالث في العرض إلى ثمة تسع وثلاثين درجة وعشرين دقيقة .

(١) هكذا بالأصل . ولعل المراد مدينة واقعة على النهر المشهور بأسم نحدان ببلاد الصين .

(٢) في الأصول : "كورا" وليس بالسند بلد بهذا الاسم . ويترجح أن النساخين حرفوه عن "كردار" . ويقال فيه "قصدار" (أنظر معجم ياقوت) .

(٣) في ياقوت : وانلتن . . . . وبرجان، وبذخشان . وهو الصواب .

(٤) لم نعر على بلدة بهذا الاسم ولعلها محرقة عن "وخش" وهي كما في معجم ياقوت : بلدة من نواحي

بلخ . وفي "تقويم البلدان" : انها بلدة بما وراء النهر في الاقليم الرابع .

(٥) أي حلوان العراق ، لا حلوان مصر .

وزعم بطليموس أن فيه مائة وثلاثين مدينة . وأهله بين السمرة والبياض .

٥ - وأما الإقليم الخامس . فبدؤه من أرض الترك المشرفين على 'ياجوج وماجوج إلى كاشغر، وبلاساغون، وفرغانة، وإسفيجاب<sup>(١)</sup>، والشاش، وأشروسنة، وسمرقند، وبخارى، وخوارزم، وبحر الخزر إلى باب الأبواب، وبرذعة، وميافارقين، ودروب الروم، وبلادهم . ثم يمر على رومية الكبرى، وأرض الجلالقة<sup>(٢)</sup>، وبلاد الأندلس؛ ويتهى إلى البحر المحيط . وعرضه من غاية الإقليم الرابع إلى تمام ثلاث وأربعين درجة وثمانى عشرة دقيقة .

وذكر بطليموس أن فيه سبعا وتسعين مدينة . وأكثر أهله بيض .

٦ - وأما الإقليم السادس . فبدؤه من مساكن ترك المشرق، وهم الخرخيز، والكيميك، والتغزغر، ثم على بلاد الخوز من شمال تخومها، والألان، والسريز، وأرض برجان، ثم على قسطنطينية، وأفريجة<sup>(٣)</sup>، وشمال الأندلس؛ ويتهى إلى البحر المحيط؛ وعرضه من غاية الإقليم الخامس إلى تمام سبع وأربعين درجة وخمس عشرة دقيقة . وزعم بطليموس أن فيه ثلاثا وثلاثين مدينة، وهو كثير الإمداد والتلوج . وأهله بيض الأبدان، شقر الشعور .

٧ - وأما الإقليم السابع . فليس فيه كبير عمارة، وإنما هو فى المشرق غياض وجبال يأوى إليها طوائف من الترك كالمتوحشين . ويمر على بلاد البجناك، ثم على بلاد البلغار، ثم على الروس والصقالبة، ويتهى إلى البحر المحيط . وعرضه من غاية

(١) هى المشهورة أيضا بأسم : إسفيجاب .

(٢) أهل جليقية بشمال الأندلس .

(٣) أى فرنسا .

الإقليم السادس إلى ثمة نحسين درجة ونصف . وفيه الأرض المحفورة، وهي وهدة لا يقدر أحد أن ينزل إليها، ولا أن يصعد منها من هو فيها لبعدها . يسكنها أمة من الناس لا يُدرى من هم . وإنما علم أنها معمورة برؤية الدخان فيها نهارا، والنار ليلا . يشقها نهر يجري ، والعمارة محيطة به .

وزعم بطليموس أن فيها ثلاثا وعشرين مدينة . وأهل هذا الإقليم بيض صهب الشعور .

وما بقي من المعمور إلى نهايته إلى ثلاث وستين درجة مضاف إلى هذا الإقليم ومحسوب فيه . يسكنه طوائف من الناس ، هم بالبهايم في الخلق والخلق أشبه منهم بنبي آدم .

## ٢ - ذكر ما يتمثل به مما فيه ذكر الأرض

يقال :

أحمل من الأرض . أكتم من الأرض . أصبر من الأرض . آمن من الأرض .  
أوثق من الأرض . أوطأ من الأرض . أحفظ من الأرض . أكثر من الرمل .  
أظلم من الرمل . أعطش من الرمل . أوجد من التراب .

ويقال :

قتل أرضا عالمها، وقتلت أرض جاهلها . رماء بين سمع الأرض وبصرها . أخذت الأرض زخارفها . أفق قبل أن يُحفَرَ تراك . ابتغوا الرزق في خبايا الأرض .

ومن أنصاف الأبيات :

\* الأرض من تربة والناس من رجل \*      \* وأنى تمطر الأرض السباء \*

الآيات :

والأَرْضُ لَا تُطْعِمُ مَنْ فَوْقَهَا \* إِلَّا لِي تَطْعَمَ مَنْ تُطْعِمُهُ

وقال آخر :

ع إذا الأَرْضُ أَذَّتْ رَيْعَ مَا أَنْتَ زَارِعٌ \* من البَدْرِ، فهي الأَرْضُ . نَاهِيكَ مِنْ أَرْضِ!

وقال آخر :

وَلَا تَمْشِ فَوْقَ الأَرْضِ إِلَّا تَوَاضَعًا ، \* فَكَمْ تَحْتَهَا قَوْمٌ هُمُ مِنْكَ أَرْفَعُ!

وقال آخر :

يَا أَرْضُ كَمْ وَافِدٍ أَتَاكَ فَلَمْ \* يَرْجِعْ إِلَى أَهْلِهِ وَلَمْ يُؤَبِّ!

### ٣ - ذكر شيء مما قيل في وصف الأرض وتشبيهها

قال الأخطل :

وَتِيهَاءٌ مِمَّحَالٍ كَانَتْ نَعَامَهَا \* بَارِجَاتُهَا الْقُصُوفُ أَبَاعِرُ هُمْلٍ .

تَرَى لِامِعَاتِ الأَلِ فِيهَا كَانَهَا \* رِجَالٌ تَعَرَّى تَارَةً وَتَسْرِبُلٍ .

وَجَوْزَ فَلَاةٍ لَا يُغْمَضُ رُكْبُهَا \* وَلَا عَيْنٌ هَادِيهَا مِنْ الخَوْفِ تَغْفُلُ .

وَكُلٌّ بَعِيدِ الغُورِ لَا يُهْتَدَى لَهُ \* بِعِرْفَانِ أَعْلَامٍ وَلَا فِيهِ مَنَهْلُ .

مَلَاعِبِ جَنَّانٍ كَأَنَّ تُرَابَهَا \* إِذَا أَطْرَدَتْ فِيهَا الرِّيحُ تُغْرِبِلُ .

تَرَى الثَّلَابَ الحَوْلَى فِيهَا كَأَنَّهُ \* إِذَا مَا عَلَا نَشْرًا حِصَانٌ مَجْلُ .

وقال ذو الرمة :

وَدَوِّيَّةٌ جَرْدَاءٌ جَدَاءٌ خِيَمَتْ \* بِهَا هَبَوَاتُ الصَّيْفِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ .

سَبَارِيثٌ يَجْلُو سَمْعُ مَجْتَازِهَا بِهَا \* مِنَ الصَّوْتِ ، إِلا مِنْ صِيَاحِ الثَّلَالِبِ .



وقال ذو الرمة :

وهاجرة السراب من الموامي \* ترقص في عساقلها الأروم .  
تموت قفا الفلاة بها أواما \* ويهلك في جوانبها النسيم .  
ملت بها المقام فأرقتني \* هموم لا تنام ولا تنيم .

وقال ضابئ البرجمي :

وداوية تيه يحار بها القطا \* على من علاها من ضلول ومهتدي .  
مسافهة للعيس ناء نياطها ؛ \* إذا سار فيها راكب ، لم يغرد .

وقال مسلم بن الوليد :

وقاطعة رجل السبيل مخوفة \* كأن على أرجائها حد مبرد .  
مؤزرة بالآل فيها كأنها \* رجال قعود في ملاء معمد .

وقال الصباح بن عباد :

وتياء لم تطمئئح وخف وحافري \* ولم يدر فيها النجم كيف يغور .  
معالمها أن لا معالم بينها ، \* وآياتها أن المسير غور .  
ولو قيل للغيث ، أسقها : ما اهتدى لها \* ولو ظل ملء الأرض وهو جزور .  
تجشمتها ، والليل وخف جناحه \* كآني سر والظلام ضمير .

وقال الشريف الرضي :

وتسوفة حصباؤها \* خلقت لنار القيظ جمرا .  
تبيدي جنادبها الأنيب أسى على المجتاز ظهرا .  
وترى بها العصفور ممة \* خذا وجار الضب وكرا .

وقال المتنبي :

مَهَالِكُ لَمْ يَصْحَبْ بِهَا الذُّبُّ نَفْسَهُ \* وَلَا حَمَلَتْ فِيهَا الْغُرَابُ قَوَادِمَهُ .  
وقال ابراهيم بن خفاجة الاندلسي :

ومفازة لا تجم في ظلماتها \* يسرى ولا فلك بها دقار .  
تتلهب الشعري بها فكانها \* في كف زنجي الدجى دينار .  
ترمى بها الغيطان فيها والرؤى \* آل كما يتموج التيار .  
والقطب ملتزم لمركزه بها \* فكانه في ساجه سمار .  
قد لقي فيها الظلام وطاف بي \* ذبب يلم مع الدجى زوار .  
طراق ساحت الديار مغاور \* حيث لأبناء السرى غدار .  
يسرى ، وقد فضح الدجى وجه الضياء ، \* في قروية قد مسها أقشعرار .  
فعمشوت في ظمء لم يقدح بها \* إلا لمقلته ، وباسى نار .  
ورقلت في خلع على من الدجى \* عقيدت بها من أنجم أزارار .  
والليل يقصر خطوه ، ولربما \* طالت ليالي الركب وهي قصار .

وقال آخر :

ومجهولة الأعلام طامسة الصوى \* إذا عسفتها العيس بالركب ، ضلت .  
إذا ما تهادى الركب في قلاوتها ، \* أجابت نداء الركب فيها فأصدت .

وقال مسعود ، أخوذى الرمة يصف بعد فلاة :

ومهمه فيها السراب يمسح \* يدأب فيها القوم حتى يطلحوا .  
ثم يظنون كأن لم يبرحوا \* كأنما أمسوا بحيث أصبحوا .

وقال مسلم :

تَجْرِي الرِّيحُ بِهَا مَرْضَى مُوَلَّهَةٌ \* حَسْرَى تَلُوذُ بِأَطْرَافِ الْجَلَامِيدِ .

وقال آخر :

وَدَوِيَّةٌ مِثْلِ السَّمَاءِ قَطَعْتَهَا \* مُطَوَّقَةٌ آفَاقَهَا بِسَمَائِهَا .

وقال بعض الاعراب في الآل <sup>(١)</sup> :

كَفَى حَزَنًا أَنِّي تَطَالَلْتُ كَيْ أَرَى \* ذُرَى عَلَمِي دَخَّ فَمَا يُرِيَانِ !  
كَأَنَّهُمَا ، وَالْآلُ يَنْجَابُ عَنْهُمَا ، \* مِنَ الْبُعْدِ عَيْنًا بَرُوعَ خَلْقَانِ .

قال أبو هلال : وهذا من أغرب ما روى من تشبيهات القدماء .

وقال آخر :

وَالْآلُ تَنْزُو بِالصُّوَى أَمْوَاجُهُ \* نَزْوَالِقَطَا الْكُدْرِيِّ فِي الْأَشْرَاكِ .  
وَالظَّلُّ مَقْرُونٌ بِكُلِّ مَطِيَّةٍ \* مَشَى الْمَهَارِ الدُّهْمِ بَيْنَ رِمَالِكِ .

وقال ابن المعتز :

وَمَا رَاغَنِي بِالْبَيْنِ إِلَّا ظَعَائِنٌ \* دَعَوْنَ بُكَائِي ، فَاسْتَجَابَ سَوَاكِبُهُ .  
بَدَتْ فِي بِيَاضِ الْآلِ وَالْبُعْدِ دُونَهُ \* كَأَسْطَرِ رَقٍّ أَمْرَضَ الْخَطَّ كَاتِبُهُ .

(١) هو طهمان بن عمرو الدارمي ، كما في ياقوت . وأورد القصيدة بتمامها ، وهي ١٥ بيتا . (معجم

البلدان ، مادة دخ) .

## الباب الخامس

من القسم الرابع من الفن الأول

١ - في الجبال

قال الله تعالى : "وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ" .

٥ قال المفسرون : خلق الله عز وجل الأرض على الماء فمادت وتكفأت ، كما تتكفأ السفينة ، فأثبتها بالجبال . ولولا ذلك ما أقرت عليها خلقا .

وروى أبو حاتم في كتاب العظمة ، أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : "إن الله تعالى لما خلق الأرض ، جعلت تميد . فخلق الجبال فألقاها عليها فأستقرت . فعجبت الملائكة من خلق الجبال ، وقالت : يارب هل خلقت خلقا أشد من الجبال ؟ قال : الحديد ، قالت : فهل من خلق أشد من الحديد ؟ قال : النار ، قالت : فهل من خلق أشد من النار ؟ قال : الماء ، قالت : فهل من خلق أشد من الماء ؟ قال : الريح ، قالت : فهل من خلق أشد من الريح ؟ قال : ابن آدم ، يتصدق بيمينه فيخفيها عن شماله" .

١٥ وعن ابن عباس (رضى الله عنهما) أنه قال : "كان العرش على الماء قبل أن يخلق الله السماوات والأرض . فبعث الله ريحا فعصفت الماء فأبرز عن حشفة في موضع البيت . فدحا الأرض من تحتها فمادت فأوتدها بالجبال" .

فكان أول جبل وُضِعَ ، جبلُ أبي قُبَيْسٍ . وهو الجبل المطلُّ على الكعبة .

وفي كنيته بأبي قبيس قولان :

أحدهما - أن آدم كناه بذلك حين آفتبس منه النار التي بين أيدي الناس

٢٠ (وقد تقدم بيان ذلك في الباب الرابع من القسم الثاني من هذا الفن في ذكر النيران) .

الثاني — أنه أضيف إلى رجل من جرهم كان يتعبد فيه، اسمه أبو قبيس .  
ويقال فيه أبو قابوس، وشيخ الجبال . وكان من قبل يسمى بالأمين .  
وقال محمد بن السائب الكلبي : " إن الله عز وجل لما خلق الأرض، مادته  
فضربها بجبل السراة فاطمأنت " .

وهو أعظم جبال العرب وأكثرها خيرا، ويسمى الحجاز . وهو الذي حمز بين  
تهامة ونجد . قهامة من جهته الغربية مما يلي البحر، ونجد من جهته الشرقية .  
وهو أخذ من قعر عدن إلى أطرار الشام<sup>(١)</sup> . ويسمى هناك جبل لبنان . فإذا تجاوز  
اللاذقية ومرت بالثغور، سمي جبل اللكام . ثم يمتد في بلاد الروم إلى بلاد أرمينية،  
فيسمى هناك حارثا وحويرثا . ثم يمتد إلى بحر الخزر، وفيه " الباب والأبواب " .  
وقال بعض المفسرين في قوله تعالى : " ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ " إنه جبل محيط بالعالم  
من زمردة خضراء، وإن جبال الدنيا متفرعة عنه .

وقال قوم : إن السماء مطبقة عليه والشمس تغرب فيه، وهو الحجاب الساتر لها  
عن أعين الناس، في أحد الوجوه المفسر بها قوله تعالى : " حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ " .  
وقال قوم : إن منه إلى السماء مقدار ميل، وإن الذي يرى من خضرة السماء  
مكتسب من لونه .

وقال ابن حوقل : جميع الجبال الموجودة في الدنيا متفرعة عن الجبل الخارج  
من بلاد الصين، مشرقا ذاهبا على خط مستقيم إلى بلاد السودان مغربا .

(١) في الأصل أطبران، وهو تحريف . والتصحيح عن البكري : أطرار الشام وفيه في موضع آخر  
" أطراف بوادي الشام " ومثل هذا في ياقوت . وأطرار الوادي نواحيه وكذلك أطرار البلاد  
والطريق واحدها طر . وأطرار البلاد أطرافها . (عن تاج العروس) .

٨٠

وقال أبو الفرج قدامة بن جعفر في "كتاب الخراج" : وجدت خلف خط الاستواء في الجنوب وقبل الإقليم الأول جبلا تسعة : خمسة منها متقاربة المقادير، أطوالها ما بين أربعائة ميل إلى خمسمائة ميل ؛ وجبلا طوله سبعمائة ميل ؛ وجبل القمر، وطوله ألف ميل ؛ وجبلا بعضه وراء خط الاستواء، وبعضه في الإقليم الأول ؛ وجبلا بعضه وراء خط الاستواء، وبعضه في الإقليم الثاني .

قال : ومجموع ما عُرِف في الأقاليم السبعة من الجبال مائة وثمانية وتسعون جبلا . منها في الإقليم الأول سبعة عشر جبلا ، وفي الإقليم الثاني تسعة وعشرون جبلا ، وفي الإقليم الثالث أحد وثلاثون جبلا ، وفي الإقليم الرابع أربعة وعشرون جبلا ، وفي الإقليم الخامس تسعة وعشرون جبلا ، وفي الإقليم السادس أربعة وعشرون جبلا ، وفي الإقليم السابع أربعة وأربعون جبلا .

## ٢ - ذكر أسماء ما ارتفع من الأرض إلى أن يبلغ الجبيل

ثم ما ارتفع عن ذلك إلى أن يبلغ الجبل العظيم ، وترتيب ذلك قال الثعالبي في كتابه المترجم "بفقه اللغة" وأسنده إلى أئمتنا :

أصغر ما ارتفع من الأرض النبكة ؛ ثم الرابية أعلى منها ؛ ثم الأكمة ؛ ثم الزبية ؛ ثم النجوة ؛ ثم الربع ؛ ثم القف ؛ ثم الهضبة (وهي الجبل المنبسط على الأرض) ؛ ثم القرن (وهو الجبل الصغير) ؛ ثم الدك (وهو الجبل الذليل) ؛ ثم الضلع (وهو الجبل الذي ليس بالطويل) ؛ ثم النيق (وهو الجبل الطويل) ؛ ثم الطود ؛ ثم البانخ والشاخ ؛ ثم الشاهق ؛ ثم المشمخ ؛ ثم الأقود والأخشب ؛ ثم الأيهم ؛ ثم القهب (وهو العظيم) ؛ ثم الحشام .

(١) في الأصل : الجبل الديك . وقد اعتمادنا ما في القاموس وفقه اللغة أيضا

## ٣ - ذكر ترتيب أبعاض الجبل

قال الثعالبي :

أول الجبل الحَضِيض، وهو القَرَار من الأرض عند أصل الجبل .

ثم السَّفْح، وهو ذيله .

ثم السَّنْد، وهو المرتفع في أصله .

ثم الكَيْحُحُ، وهو عَرْضُه .

ثم الحِضْن، وهو ما أطاف به .

ثم الرِّيد، وهو ناحيته المشرفة على الهواء .

ثم العُرْعُرَة، وهي غلظه ومعظمه .

ثم الحَيْد، وهو جَنَاحه .

ثم الرِّعْن، وهو أنفه .

ثم الشَّعْفَة، وهي رأسه .

وقال صاحب كتاب "الفاخر" : يقال من أسماء الجبال : العظيم منها الطُّور،

والطُّود، والكَفِير، والقَهْب، والعمود، والعلم، والأرْعَن<sup>(١)</sup>، والمُشْمَخِر .

والأَيْهَم الطويل، وهو الشَّيْحُ، والشَّهِقُ، والبَازِخُ، والبَاسِقُ، والأَقْوَدُ .

والأَخْشَبُ، الخِشْنُ .

والعِقَابُ، الصَّعَابُ .

والثَّنَائِيَا، التي ليست بصعبة .

(١) كذا بالأصل . والذي في القاموس واللسان والمخصص (الرَّعْنُ أنف الجبل المتقدم أو الجبل

الطويل) فإنا هنا من تحريف النساخ .

- والهِرَشَمُ ، النَّخِرُ .  
 والْحُشَامُ ، جِبل طَوِيل ذُو أَنْفٍ .  
 وَالْوَزْرُ ، وَالْمَلْجَأُ ، وَالْقَلْعَةُ ، مَا يُحَصِّنُ فِيهِ  
 وَالْقَرْنُ ، جِبل صَغِيرٌ .  
 وَالضَّلْعُ وَالذُّكُّ ، فِيهِ دِقَّةٌ وَأَنْحِنَاءٌ .  
 وَالنَّبِقُ ، الَّذِي لَا يُسْتَطَاعُ أَنْ يُرْتَقَى إِلَيْهِ .  
 وَأَعْلَى الْجِبَلِ قُلَّتُهُ وَقُتَّتُهُ وَذُوَابَتُهُ .  
 وَعُرْ عُرَّتُهُ ، غَلْظُهُ .  
 وَالْفِنْدُ ، الْقِطْعَةُ مِنْهُ .  
 وَشَعْفُهُ وَمَصَادُهُ ، أَعْلَاهُ .  
 وَالْكَيْحُ وَالْكَاخُ ، عُرْضُهُ .  
 وَالرَّيْحُ ، نَاحِيَتُهُ الْمُشْرِفَةُ عَلَى الْهَوَاءِ .  
 وَالْحَضِيضُ ، أَسْفَلُهُ .  
 قَالَ : وَصَفَارُ الْجِبَالِ ، الْيَفَعُ ، وَالضَّرْسُ ، وَالضَّرْبُ <sup>(٢)</sup> وَالْعَنْتَبِيَّةُ ، وَالْعَنْتَوْتُ ،  
 وَالْأَكْمَةُ ، وَالْمَهْضَبَةُ .  
 وَالذَّرِيحَةُ ، مَا أَنْبَسَطَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ .  
 وَاللُّوْذُ ، حِضْنُ الْجِبَلِ وَمَا يُطِيفُ بِهِ .

(١) فِي الْأَمَلِ : الْوَجْحُ بِالْوَاوِ . وَهُوَ تَصْحِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ . وَقَدْ صَحَّحْنَاهُ أَعْتَادًا عَلَى مَا فِي الْقَامُوسِ  
 وَالْمَخْصَرِ .

(٢) كَذَا بِالْأَمَلِ وَلَمْ نَعْرُضْ عَلَيْهَا فِي الْقَامُوسِ وَاللِّسَانِ وَالْمَخْصَرِ .



- والرَيْدُ والرُّيُودُ، نَوَاحِيهِ المَحْتَدَةُ .  
 والحَيْدُ، شَاخِصٌ يَتَقَدَّمُ كَالجَنَاحِ . ومثله الشُّنُوفُ .  
 والصَّدْعُ والشَّقْبُ، شَقٌّ فِيهِ .  
 والغَارُ والكَهْفُ، مِثْلُ البُيُوتِ فِيهِ .  
 والقُرْدُوعَةُ، الزَاوِيَةُ فِيهِ .  
 واللَّهَبُ والنَّفْنَفُ والغَارُ، مَهْوَاةٌ بَيْنَ جَبَلَيْنِ .  
 والشُّؤُونُ، حُطُوطٌ فِيهِ .  
 والمُخْرِمُ، مُنْقَطِعٌ أَنْفُهُ .  
 والقِرْنِاسُ، شِبْهُ الأَنْفِ .  
 والإرْمُ، العَلَمُ فِيهِ .

#### ٤ - ذكر ترتيب مقادير المجارة

قال الثعالبي :

- إذا كانت صغيرة، فهي حَصَاةُ .  
 فإذا كانت مثلَ الجَوْزَةِ وصلحت للأستنجاء بها، فهي نَبْلَةٌ . وفي الحديث :  
 "إِتَّقُوا المَلَاعِينَ وَأَعِدُّوا النَّبْلَ" . يعنى عند إتيان الغائط .  
 فإذا كانت أعظم من الجَوْزَةِ، فهي قُرْزَعَةٌ .  
 فإذا كانت أعظم منها وصلحت للقذف، فهي مُقْدَافٌ ورُجْمَةٌ ومِرْدَاةُ . ويقال :  
 إن المِرْدَاةَ، حَجَرُ الضَّبِّ الذي ينصبه علامة لمجره .  
 فإذا كانت مِلاءَ الكَفِّ، فهي يَهِيرٌ .

فإذا كانت أعظم منها، فهي: فِهْر، ثم جَنْدَل، ثم جَامِد، ثم صَخْرَة، ثم قَلْعَة . وهي التي تتقلع من عُرض الجبل . وبها سميت القلعة التي هي الحصن . وقال صاحب كتاب "الفاخر" : من أسمائها ، الحجارة ، والجُمُود والجَمَد الحجر الصُّلب .

والبريطيل ، الصخرة العظيمة .

والصفوان ، الأملس .

والرُخْمَة ، الحجر العظيم .

والأتان ، صخرة في مسيل ماء أو حافة نهر .

والإزاء ، التي عند مهراق الدلو .

والرُجْمَة ، ما تطوى به البئر .

والكذَّانُ ، الرُّخو

واليرمَع ، الأبيض الرُّخو .

والمُدْقُ والمدَّك والصَّلايَة ، حجر العطار الذي يسحق عليه العطر .

والفِهْر ، ما يملأ الكفَّ ويُسحق به العطر .

والمِرْدَاة ، ما يكسر به الحجر .

والمِرْدَاس ، ما يُرمَى به في البئر لينظر أفيها ماء أم لا . قال الشاعر :

مَنْ جَعَلَ الْعِدَّ الْقَدِيمَ الَّذِي \* أَنْتَ لَهُ عِدَّةٌ أَحْرَاسِ ،

إِلَى ظُنُونِ أَنْتَ مِنْ مَائِهِ \* مَتَّظِرٌ رَجْعَةَ مِرْدَاسِ .

والنَّشْفُ ، حجر تُدلك به الرَّجُلُ في الحَمَّامِ .

والتَّقْلُ ، ما كان في طرق الجبال .

٥

١٠

١٥

٢٠

- والآثَفِيَّة ، ما يُنْصَب عليه القدر .  
 والقُلَّاعَة ، ما يُرْمَى به في المِقْلَاع .  
 والظُّرَّان ، حِجَارَةٌ مَحْدَدَةٌ يَذْبُجُ بِهَا .  
 والصَّفِيح ، مَارِقٌ مِنْهُ وَعَرَضٌ .  
 والخَّاف ، حِجَارَةٌ عِرَاضٌ .  
 والفَلَك ، قِطْعَةٌ مُسْتَدِيرَةٌ وَتَرْتَفِعُ عَمَّا حَوْلَهَا .  
 والمَدْمَلَك ، المَدْقُور .  
 والكَلِيَّت ، حَجَرٌ مُسْتَدِيرٌ يَسْتَدُّ بِهِ وَجَارُ الضَّبْعِ .  
 والبَلِيَّت <sup>(١)</sup> ، التَّام .  
 وقال ابن الأعرابي : القَيْلَةُ ، صَخْرَةٌ عَلَى رَأْسِ البَيْتِ ، والعُقَابَانُ مِنْ جَنْبَيْهَا يَعْبُدَانِهَا .  
 ومنها المَرْوُ ، وَهِيَ البَيْضُ كَالْحَصَى .  
 والحَصْبَاءُ ، الصَّغَارُ .  
 والرَّضْرَاضُ ، نَحْوُهَا .  
 والقَضِيضُ ، أَصْفَرُ مِنْهَا .  
 والزَّنَانِيرُ ، وَاحِدُهَا زَنْبِيرٌ ، أَصْفَرُ مَا يَكُونُ .

(١) كذا بالأصل وعبارة القاموس ( والبليت كسكت لفظا ومعنى ) واللسان ( والبليت الرجل الزميت )

وهو الخليم الساكن القليل الكلام .

٥ - ذكر ما يتمثل به مما فيه ذكر الجبال والحجارة

ما جاء من ذلك على لفظ أفعال . يقال :

أثقل من مهلان . أثقل من نضاد . أثقل من أحد . أصلب من الحجر . أصلب من الجنديل . أفسى من الحجر . أصبر من حجر . أيبس من صخر . أبق من النقش في الحجر .

ويقال :

رُمي فلان بحجره . رُدَّ الحجر من حيثُ جاءك . وجَّه الحجر وجهةً ما ، أى دبر الأمر على وجهه . ألقمه الحجر ، أى جاوبه بجوابٍ مُسكت . رماه بثلاثة الأثافي . أنجد من رأى حَضَنًا (وحَضَنُ جبل بنجد) أى من رآه لم يحتج أن يسأل هل بلغ نجدًا أم لا . الليل يُوارى حَضَنًا ، أى يُخفي كل شيء حتى الجبل .

ومن أنصاف الأبيات :

\* كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ \* \_\_\_\_\_ \* إِذَا قَطَعْنَا عَلَمَاً بَدَأَ عِلْمٌ \*

\* قَوْمُوا أَنْظُرُوا كَيْفَ تَزُولُ الْجِبَالُ \*

(يضرب لموت الرؤساء) .

\* جَنْدَلَتَانِ أَصْطَكَا أَصْطَكَا كَا \* \_\_\_\_\_

(يضرب لقرنين يتصاولان) .

ومن الأبيات :

لَوْ بَنَى جَبَلٌ يَوْمًا عَلَى جَبَلٍ ، \* لَأَنهَدَ مِنْهُ أَعَالِيَهُ وَأَسْفَلَهُ !

تَتَنَاطَرُ الْأَطْوَادُ وَهِيَ شَوَائِحٌ \* حَتَّى تَصِيرَ مِداوِسَ الْأَقْدَامِ .

جُدَّ فَقَدْ تَتَفَجَّرُ الصَّخْرُ \* رُةً بِالْمَاءِ الزَّلَالِ .

٦ - ذكر شيء مما قيل في وصف الجبال وتشبيهها

قال السموعل بن عاديا :

لَنَا جَبَلٌ يَحْتَلُهُ مَنْ يُجِيرُهُ \* مَنِيعٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وَهُوَ كَلِيلُ !  
رَسَا أَصْلُهُ تَحْتَ الثَّرَى وَسَمَا يَدِهِ \* إِلَى النَّجْمِ فَرَعٌ لَا يُرَامُ طَوِيلُ !

وقال إبراهيم بن خفاجة الأندلسي :

وَأَرَعَنَ طَمَّاحَ الدُّوَابَةِ بَانِخِ \* يَطَّوِلُ أَعْنَانَ السَّمَاءِ بَغَارِبِ .  
يَصُدُّ مَهَبَ الرِّيحِ مِنْ كُلِّ وَجْهِةٍ \* وَيَزْحَمُ لَيْلًا شُهْبَهُ بِالْمَنَاكِبِ .  
وَقُورٌ عَلَى ظَهْرِ الْفَلَاةِ كَأَنَّهُ \* طَوَالَ اللَّيَالِي نَاظِرٌ فِي الْعَوَاقِبِ .  
يَلُوثُ عَلَيْهِ الْغَيْمُ سُودَ عَمَائِمِ \* لَهَا مِنْ وَمِيضِ الْبَرْقِ حُمُرُ ذَوَائِبِ .  
أَصْحَتْ إِلَيْهِ وَهُوَ أَنْحَرُ صَامِتٌ \* فَخَدَّتْنِي لَيْلَ الشَّرَى بِالْعَجَائِبِ .  
وَقَالَ : أَلَا كَمْ كُنْتُ مَلْجَأَ فَاتِكِ \* وَمَوْطِنَ أَوَاهِ وَمَوْئِلَ تَائِبِ !  
وَكَمْ مَرَّةً بِي مِنْ مُدْلِجٍ وَمُؤَوِّبِ \* وَقَالَ بَسْفَحِي مِنْ مَطِيٍّ وَرَاكِبِ !  
وَلَا ظَمَ مِنْ نُكْبِ الرِّيَاحِ مَعَاطِفِي \* وَزَاخَمَ مِنْ خُضْرِ الْبِحَارِ جَوَانِبِي !  
فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ طَوَّتَهُمْ يَدُ الرَّدَى \* فَطَارَتْ بِهِمْ رِيحُ النَّوَى وَالنَّوَابِ .  
وَمَا غِيَضَ السُّلْوَانَ دَمِي وَإِنَّمَا \* نَزَفْتُ دُمُوعِي مِنْ فِرَاقِ الْأَصَاحِبِ .  
وَأَسْتَمَعِي مِنْ وَعْظِهِ كُلِّ عِبْرَةٍ \* يُتَرَجَّمُهَا عَنْهُ لِسَانُ التَّجَارِبِ .  
فَسَلِّ بِمَا أَبْكِي ، وَسَرِّ بِمَا شَجِي ، \* وَكَانَ عَلَى لَيْلِ الشَّرَى خَيْرَ صَاحِبِ .  
وَقُلْتُ وَقَدْ نَكَبْتُ عَنْهُ مَطِيَّتِي : \* سَلَامٌ فَإِنَّا مِنْ مُقِيمٍ وَذَاهِبِ !

وقال أيضا عفا الله عنه :

وأشرفَ طَمَاحِ الذُّؤَابَةِ شَايِحٍ \* تَمَنَّقُ بِالْحَوْزَاءِ لَيْلًا، لَهُ خَصْرُهُ  
وَقَوْرٍ عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي كَأَنَّمَا \* يُصِيحُ إِلَى نَجْوَى وَفِي أُذُنِهِ وَقْرٌ.  
تَمَهَّدَ مِنْهُ كُلُّ رُكْنٍ زَكَاهُ \* قَقْطَبَ إِطْرَاقًا وَقَدْ صَحَّكَ الْبَدْرُ.  
وَلَاذًا بِهِ نَسْرُ السَّمَاءِ كَأَنَّمَا \* يُجْرَى إِلَى وَكْرٍ بِهِ ذَلِكَ النَّسْرُ.  
فَلَمْ أَدْرِ مِنْ صَمْتٍ لَهُ وَسَكِينَةٍ \* أَكْبَرُ سَنٍّ وَقَوْرَتْ مِنْهُ أُمُّ كَبْرُ.

وقال أيضا يصفه ترا من رسالة كتبها إلى بعض الرؤساء :

وكيف لي بقُربك ودونك كل علم باذخ، تجَّ الليل عليه رُضابه، وصاغت النجوم  
هضابه، قد ناء بطرفه، وشمخ بأنفه، وسال الوقار على عطفه، قد لاث من عمامه  
عمامة، وأرسل من ربابه ذؤابه، تُطرزها البروق الخواطف، وتهفوها الرياح  
العواصف، بحيث مده البسيط بساطا، وضربت السماء قسطاطا .

## الباب السادس

### من القسم الرابع من الفن الأول

١ - في ذكر البحار والجزائر

١٥ روى عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه قال: "لما أراد الله عز وجل أن  
يخلق الماء خلق ياقوته خضراء ووصف من طولها وعرضها وسماها، ثم نظر إليها بعين  
الهيبة فصارت ماء يتفرق لا يثبت في ضحاح. فما يرى من التموج والأضطراب  
إنما هو ارتعاده من خشية الله تعالى، ثم خلق الريح فوضع الماء على متنه، ثم خلق  
العرش ووضعه على متن الماء". وفسر بهذا قوله عز وجل: "وَوَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ".

## ٢ - ذكر بحار المعمور من الأرض

وبحار المعمور ثلاثة: أعظمها البحر المحيط، ثم بحر ما نيطش<sup>(١)</sup>، ثم بحر الخزر .  
فأما البحر المحيط وجزائره، ويسمى باليونانية أوقيانوس، ويسمى بحر الظلمات،  
سمي بذلك لأن ما يتصاعد من البخار عنه لا تحمله الشمس لأنها لا تطع عليه . فيغلف  
ويتكاثف فلا يدرك البصر هيئته . ولعظم أمواجه، وتكاثف ظلمته، وغلظ مائه،  
وكثرة أهوائه، لم يعلم العالم من حاله إلا بعض سواحله وجزائره القريبة من المعمور .  
والذي علم به من الجزائر ستة من جهة المغرب، تسمى جزائر السعادات، والجزائر  
الخالقات .

قال أبو عبيد البكري في كتابه المترجم "بالمسالك والممالك" : وبإزاء طنجة الجزائر  
المسماة باليونانية، فرطناؤس أي السعيدة . وسميت بذلك لأن في شعرائها<sup>(٢)</sup> وغياضها كلها  
أصناف الفواكه الطيبة من غير غراسه ولا فلاحه، وأن أرضها تحمل الزرع مكان  
العشب، وأصناف الرياض بدل الشوك . وهي متفرقة متقاربة .

ويقال إن بعض المراكب عصفت عليها الريح فألقتها إلى جزيرة من هذه الجزائر،  
فزل من فيها من الركاب إليها، فوجدوا فيها من أنواع أشجار الفواكه وأشجار الأفاويه  
وأنواع اليواقيت كل مستحسن . فحملوا منه ما أطاقوا ودخلوا به بلاد الأندلس .  
فسألهم ملكها من أين لهم هذا . فأخبروه بأمرهم، فجهز مراكب وسيرها، فلم يقفوا على  
جزيرة منها . وهدمت المراكب لعظم البحر وشدة عصف الريح فلم يرجع منها شيء .

(١) كذا في الأصل ، وفي كثير من كتب الجغرافية العربية : وهو المعروف في كتب الجغرافية العربية

مثل أبي الفدا بجزر أزق ، وعند الأتراك بجزر آزوف .

(٢) الشعراء : الأرض ذات الشجر .

ويقال إن هذه الجزائر مسكونة بقوم بالوحوش أشبه منهم بالناس . وبينها  
ويين ساحل البحر عشرة أجزاء .

ويقال إن في جهة المشرق مما يلي بلاد الصين ستة جزائر أخرى ، تسمى جزائر  
السيلى . يقال إن ساكنيها قوم من العلويين ، وقعوا إليها لما هربوا من بنى أمية .

ويقال إن جزائر السيلي لم يدخلها أحد من الغرباء وطاوعته نفسه على الخروج  
منها لصحة هوائها ورقة مائها ، وإن كان منها في عيش قشيف .

وفي هذا البحر من الجزائر العاصمة جزيرة برطانية ، وهي تحاذى جزيرة الأندلس ،  
وأهلها صُهب الشعور ، زُرُق العيون .

ومما يلي بلاد إفريقية جزائر يعمرها خلق من الفريج ، لا يتقادون لبلد ،  
ولا يدينون بدين .

وفيا يلي الأرض الكبيرة جزيرة ذات أبرجة ، يحيط بها سبعمائة ميل ونحسون  
ميلا ، وفيها أربع مدائن ، في كل مدينة ملك .

وجزيرة برقاعة . يحيط بها أربعة آلاف ميل ، وفيها ثلاث مدائن عامرة .  
والداخل إليها قليل . وهي كثيرة الأنواء والأمطار . وأهلها يحصدون زرعها قبل

جفافه لقلّة طلوع الشمس عندهم ، ويجعلونه في بيت ويوقدون النار حوله  
حتى يجف .

وجزيرة أنقلطرة . فيها مدائن عامرة ، وجبال شاهقة ، وأودية ، وأرض سهلة .  
والشتاء بها دائم . وبين هذه الجزيرة والبر مجاز سعتة اثنا عشر ميلا .



وفيه مما يلي الصقالبة جزيرتان : إحداهما جزيرة أمر نانيوس النساء ، لا يسكنها غير النساء فقط . وتسمى الأخرى أمر نانيوس الرجال ، لا يسكنها غير الرجال . وهم في كل عام يجتمعون زمان الربيع ، ويتناحون نحواً من شهر ثم يفترون . ويقال إن هاتين الجزيرتين لا يكاد يقع طرف أحد عليهما لكثرة الغمام ، وظلمة البحر ، وعظم الأمواج .

### ٣ - ذكر ما يتفرع من البحر المحيط

يتفرع من البحر المحيط خليجان : أحدهما من جهة المغرب ، ويسمى البحر الرومي . والآخر من جهة المشرق ، ويسمى البحر الصيني ، والهندي ، والفارسي ، واليمني ، والحبشي ، بحسب ما يتر عليه من البلاد . وهما المرادان بقوله تعالى : (( مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ )) . أى لا يبغي هذا على هذا .

والبرزخ أرض بين الفَرَمَا التي هي على بحر الروم ، وبين مدينة القَلْزَم التي هي على بحر الحبش ، مسافتها ثلاثة أيام . وقيل : البرزخ إرسال ماء البحر الحلوعلى ماء البحر الملح ، لأنه مغيض له . فلا سبيل لأحدهما على الآخر ، بل جعل الله بينهما حاجزا وهو البرزخ .

فأما البحر الرومي وجزائره ، فإن المؤرخين قالوا إن الإسكندر حفره وأجراه من البحر المحيط . ويقولون إن جزيرة الاندلس وبلاد البربر كانت أرضا واحدة يسكنها الإشبان والبربر . وكان بعضهم يُغير على بعض ، والحرب بينهم سجال . فلما

(١) في الأصل بحر فارس . وكان الأصوب أن يعبر باللفظ الذي اختاره لهذا المقام ، وهو البحر الحبشي

ملك الإسكندر، رغب إليه الإشباني فيما يحول بينهم وبين البربر . فرأى ان يجعل بينهما خليجا من البحر يمكن به احتراس كل طائفة من الأخرى . فحفر زقاقا طوله ثمانية عشر ميلا، وعرضه اثنا عشر ميلا . وبني بجانبه سكرين<sup>(١)</sup>، وعقد بينهما قنطرة يجاز عليها، وجعل عليها حراسا يمنعون الجواز عليها من جهة البربر إلا بإذن من جعله نائبا عنه في بلاد الإشباني . وكان قاموس البحر أعلى من أرض الزقاق، فطما وغطى السكرين والقنطرة، وساق بين يديه بلادا وطفا على أخرى . حتى إن المسافرين فيه يخبرون أن المراكب في بعض الأوقات يتوقف سيرها فيه مع وجود الريح . فيسبرون أمرها، فيجدون المانع لها سلوكها بين شرفات السور أو بين حائطين . فعظم طولها وعرضها ، وصار بحرا<sup>(٢)</sup> .

١٠ قال صاحب كتاب "مباحج الفكر ومناجج العبر" : وقد زاد عرضه ستة أميال عما كان عليه في زمن الإسكندر . فصار ثمانية عشر ميلا .

قال : وزعم السالكون فيه أن البحر ربما جزر في بعض الأوقات، فترى القنطرة . قالوا : وهذا الزقاق صعب شديد متلاطم الأمواج مهول، شبيه بما جاوره من البحر المحيط .

١٥ وأهل الأندلس يقولون إن بين هذا البحر وبين البحر المحيط بحرا يسمونه بحر الأيلاية بتفخيم اللام<sup>(٣)</sup> . وهو بحر عظيم الموج صعب السلوك .

(١) السكر ( بكسر السين ) هو ما سد به النهر .

(٢) هو المسمى بحر الزقاق واسمه الآن مجاز جبل طارق .

(٣) لعل المؤلف يشير إلى خليج ليون فهو مشهور بشدة التيار وبصعوبة السلوك

ومبدأ جريه من البحر الرومي من الإقليم الرابع . فإذا خرج من الزقاق يتر مشرقا في جهة بلاد البربر وشمال المغرب الأقصى إلى أن يتر بالمغرب الأوسط ، إلى إفريقية ، إلى برقة ، إلى الإسكندرية ، إلى شمال أرض التيه وأرض فلسطين . فيتر بسواحل الشام إلى أن يصل إلى السويدية التي هي فرضة أنطاكية ، وعندما حجز البحر . ومنها يعطف فيتر على العلايا وأنطاليس (وهما فرضتان لبلاد الروم) ، ثم على ظهر بلاد قسطنطينية إلى أن ينتهي إلى المكان الذي منه خرج . وطوله نحسة آلاف ميل ، وقيل ستة آلاف . وعرضه مختلف : ففي موضع ثلثمائة ميل ، وفي موضع ستمائة ميل ، وفي موضع سبعمائة .

ويقال إن فيه ما يزيد على مائة وسبعين جزيرة . كانت عامرة بطوائف من الفرنج ، أحرب المسلمون أكثرها بالمغازي في صدر الإسلام . وأجل ما ملك المسلمون منها ، ثم أترع أكثره من أيديهم :

١ - جزيرة الأندلس .

٢ - وجزيرة يابسة . وهي حيال جزيرة الأندلس ، ومسافتها يومان في يوم . وفيها مدينة صغيرة مسورة .

٣ - وجزيرة منرقة ، ومسافتها يومان في نصف يوم . وفيها مدينة عامرة .

٤ - وجزيرة ميورقة . ويقال فيها مايورقة . ومسافتها يومان في يومين ، وبها مدينة .

٥ - وجزيرة رودس<sup>(١)</sup> . وهي حيال بلاد أفرنجية<sup>(١)</sup> . ويحيط بها ثلثمائة ميل . وفيها حصنان .

٢٠ (١) هذا الوصف لا ينطبق على جزيرة رودس ، بل على جزيرة قورسقة التي هي حيال بلاد أفرنجية أي فرنسا ، وهي تابعة لها .

٦ - وجزيرة سردانية . وطولها مائتان وثمانون ميلا ، وعرضها مائة وثمانون ميلا . وفيها ثلاث مدائن كبار . وسكانها قوم من الفريج متوحشون . وبها معدن فضة .

٧ - وجزيرة صقلية . وهي حيال إفريقية مضاهية لجزيرة الأندلس . وشكلها مثلث . يحيط بها خمسمائة ميل . كثيرة الجبال ، والحصون ، والأمصار ، والأنهار ، والأشجار .

ومما فيها من المدن المشهورة على ساحل البحر :

١٠ بلرمو . وبها يكون الملك ، وكانت قسبة الجزيرة بعد أن فتحها المسلمون ثم أنتقل الناس منها إلى الخالصة . وهي محدثة . بنيت في أيام القائم ابن المهدي العبيدي في سنة خمس وعشرين وثلثمائة . ثم صارت بلرمو وبقيت الخالصة ريفضا لها ؛ وقطانية . وكانت عظيمة فأحرقها البركان الذي في الجزيرة . فبنى الأمبرطور مدينة عوضها ، وسماها غشطارة .

ومسيني . وهي على أحد أركان الجزيرة .

وسرقوسة . وهي على الركن الآخر ، والبحر محيط بها من ثلاث جهاتها .

١٥ وطرابنش . وهي على الركن الثالث ، والبحر محيط بها . ولها مجاز .

ومن بلاد هذه الجزيرة البرية : والشاقة ، ومازر ، وكركنت ، ونوطس ،

وطبرمين ، وقصريانة ، والنور ، ورغوص ، وغيطة ، وغير ذلك .

وبهذه الجزيرة . (ويقال بجزيرة ملاصقة لها) بركان ، وهو أطلمة يخرج منها

أجسام كأجسام الناس بغير رؤوس من النار ، فتعلو في الهواء ليلا ثم تسقط في البحر ،

٢٠ فتظفو على وجه الماء . ومنها يكون حجر المرو الذي تحك به الأرجل .

٧ - وجزيرة بلونس . ودورها ألف ميل . ولها مجاز إلى البر الطويل ، عرضه ستة أميال . فيها ما يزيد على خمسين مدينة ، القواعد منها خمس عشرة مدينة ، وهي مشهورة عند الفريج .

٨ - وجزيرة مالطة . وطولها أربعة وعشرون ميلا ، وعرضها اثنا عشر . وفي وسطها مدينة واحدة .

٩ - وجزيرة قوسرة . وفيها مواضع متوحشة .

١٠ - وجزيرة أقريطش . وهي حيال برقة . طولها ثلثمائة ميل ، وعرضها مائة وثلاثون ميلا . وبها مدينتان : إحداهما تسمى الخندق ، والأخرى تسمى ربض الجبن . وفيها معدن ذهب .

١١ - وجزيرة قبرس . وهو أسم النحاس ، لأن بها معدن نحاس . يحيط بها ألف ميل وخمسمائة ميل . وفيها من المدن الجليلة ، ليمسون ، والپاف بباء مفخمة ، والماغوصة . وكلها في البحر . وفي وسط الجزيرة مدينة الأقسية ، وهي القصبة . وبها يكون متولى الجزيرة .

٤ - ويخرج من هذا البحر خليجان

أحدهما يسمى جون البنادقة ، والآخر يسمى خليج القسطنطينية .

١ - فأما خليج البنادقة . فإنه خليج كبير متسع ليس له فوهة . وإنما هو جون له ركان ، سعة ما بينهما سبعون ميلا . يحيط بهذا الجون مدن جليلة لطائفة من الفريج تسمى البنادقة . وهي ذوات حصون وقلاع ممتعة .

ومبدوه من شرق بلاد قلورية عند مدينة تسمى أذرت<sup>(١)</sup>، ومنتهاه بلاد إيكلاية<sup>(٢)</sup>.  
ومن هناك يعطف، وطوله ألف ميل ومائة ميل . وفيه ست جزائر، ثلاثة منها  
في ضفة، وثلاثة في أخرى، بها مدن عامرة . وثلاثة معترضة بين ركنيه مهملة  
لا ساكن بها .

٢ - وأما خليج القسطنطينية . ويسمى بحر نيطش فإن فوهته مقابلة  
لجزيرة رودس، وسعتها غلوة سهم . ويقال إنه كان بين الشطين سلسلة طرفها  
في برجين تمنع المراكب من العبور إلا بإذن الموكل بها .

ويتر هذا الخليج نحو مائتي ميل وخمسين ميلا إلى أن ينتهي إلى القسطنطينية  
فتكون في غربيه، يحيط بجهتين منها .

١٠ . وهي مدينة عظيمة مشهورة . وعرض البحر عندها أربعة أميال .  
ثم يترستين ميلا حتى ينصب في بحر ما نيطش . وهو بحر سوداق . وعرض  
فوهته هناك عشرة أميال . وفي موضع أقل، وفي موضع أكثر .  
فهذا البحر الرومي وجزائره وما تفرع منه .  
والله أعلم .

(١) في الأصل أكدنت وهو تحريف لمدينة أذرت قال في نزهة المشتاق : خليج البنادقيين ومبدوه من شرق  
بلاد قلورية . . . من عند أذرت . . . وينتهي طرفه إلى بلاد إيكلاية .

(٢) في الأصل أنكلاية، وهو تحريف ظاهر عن إيكلاية التي ذكرها الإدريسي في هذا الموضع .

ه - وأما بحر الهند وجزائره

فببدؤه من مشرق الصين فوق خط الاستواء . ويجرى إلى جهة الغرب، فيجتاز ببلاد الواق، وبلاد سُفالة الزنج، ثم ببلاد الزنج حتى يصل إلى بلاد بربرا، وهناك حمزه .

وأما الشرقيّ : فببدؤه من لوقين ، وهي أول مرافئ الصين، ثم بخانقو فُرْضة الصين العظمى؛ ثم إلى سمندور من بلاد الهند؛ ثم إلى حارتين ، إلى قندينه، إلى تانة، إلى سندابور، إلى بروص (ويقال بروج، وإليها ينسب القماش البروجي)، إلى صَيُّور، إلى سندان، إلى سوتارة، إلى كنباية . (وإليها ينسب القماش الكنبايي)، إلى ديئل (وهي أول مرافئ السند)؛ ثم إلى سرون، ثم إلى التيز من بلاد مكران، وهي أحد ركني الخليج الفارسيّ . والركن الآخر يسمى رأس الجمحة : وهو جبل خارج في البحر، ومن هناك يسمى بحر اليمن، ثم يمتد على ظفار، ثم على الشحر ساحل بلاد مهرة، ثم على سُرمة ولسعا (ساحلي بلاد حضر موت)، ثم على آيين، ثم على عدن، ثم المنخق، ثم العارة، ثم يمتد إلى باب المنذب .

(١) قال البيروني مانصه : (في كتاب تحقيق ما للهند ص ١٠٣ سطر ٧) جزيرة الوقواق من جملة قير . وهو اسم لا كما تظنه العوام من أنه شجرة حملها كره، وس الناس تصيح ولكن قير قوم ألوانهم الى البياض قصار القدود على صور الأتراك ودين الهنود مخرمي الآذان وأهل جزيرة الوقواق منهم سود الألوان والناس فيهم أرغب ويحلب منهم الآبنوس الأسود وهو لب شجرة تاق حواشيا فأما الملبع والشوحط والصندل الأصفر فن الزنج . ١٠ هـ

(٢) لعل المقصود : قنابيل (وقد ذكرها ياقوت) .

(٣) ويقال صميون (أنظر ياقوت) .

(٤) هي قصبة بلاد مكران بالسند .

ومن هناك يخرج خليج القلزم، وطوله ثمانية آلاف ميل، وعرضه يختلف .  
 في موضع ألف ميل وسبعائة ميل، وفي موضع ألفان، وفي موضع دون ذلك .  
 ويقال : إن بينه وبين البحر المحيط بحرا آخر يسمى البحر الزفتي ، سمي بذلك  
 لظلمته وسواده، وطوله ألف ميل ونحوهاة ميل .  
 وهذا البحر - أعنى الهندي - بجملة قسمه السالكون له ست قطع، وضعوا لها  
 أسماء مختلفة .

١ - فالذي يتر بأرض الصين يسمى بحر صنجي<sup>(١)</sup> ، ينسب لمدينة في جزيرة من  
 جزائره . وهو بحر كثير الأمواج مهول . فإذا كان في أول هياجه ظهر فيه بالليل  
 أشخاص سود، طول الواحد منهم خمسة أشبار وأقل من ذلك . يصعدون إلى  
 المراكب ولا يضررون أحدا . فإذا عاينهم السفار ، أيقنوا بالدمار . وإذا قدر الله  
 تعالى نجاتهم من هذه الشدة ، أراهم على رأس الدقل طائرا أبيض كأنما خلق من  
 النور، فيتباشرون به . فإذا ذهب عنهم الروح ، فقدوه .  
 وفيه من الجزائر المعمورة :

١٥ جزيرة شريرة<sup>(٢)</sup> . يحيط بها ألف ميل ومائتا ميل . فيها مدائن كثيرة ، أجلها  
 المدينة التي تنسب إليها ، ومنها يجلب الكافور .  
 وجزيرة صنجي . وإليها تنسب هذه القطعة . وطولها مائتا ميل ؛ وعرضها  
 أقل من ذلك . وفيها جواميس وبقر بغير أذنان .

(١) لعل هذا الاسم هو و"شنجو" لسمى واحد . وهي المعروفة عند العرب بأسم مدينة "زيتون"

وهي قُرُصَة الصين (راجع أبا الفدا) .

(٢) سماها أبو الفدا : سريرة .



وجزيرة أنفوجة . يحيط بها أربعائة ميل . عمارتها متصلة .

٢ — وبلى هذه القطعة قطعة تسمى بحر الصَّنْف . في جزيرة من جزائر مدينة . وهو بحر خبيث كثير الأمطار والرياح الشديدة . وفي جباله معادن الذهب والرصاص ، وفيه مغاصُّ اللؤلؤ ، وفي غياضه الخيزران . وفيه مملكة المهرج . ويشتمل على جزائر لا تحصى ، ولا يمكن المراكب أن تطوف بها في سنة . وفيها أنواع الطيب من الكافور ، والقرنفل ، والعود ، والصندل ، والجوزبوى ، والبسباسة ، والكجاجة . ومن جزائره المشهورة :

جزيرة الزانج . وتكسيها سبعمائة فرسخ ، وبها يكون المهرج ، وهو اسم يطلق على كل من ملكها .

١٠ وجزيرة البركان . وهي جزيرة فيها جبل يرمى بالشرر ليلا ، وبالرعود القواصف نهارا ، وهي أحد أطام الدنيا المشهورة .

وجزيرة قُمار . وإليها ينسب العود القماري . وبها شجر الصندل . دورها أربعة أشهر . وهي مأوى عبّاد الهند وعلمائهم . يسمى ملكها قامرون .

١٥ وجزائر الرامي<sup>(١)</sup> . وهي نحو ألف جزيرة معمورة . بها الملوك . وفيها معادن الذهب ، وشجر الكافور .

وجزائر لنجبالوس . ويقال لنجبالوس . وهي كثيرة ، وأهلها سود ، مشوهو الصور لقربها من خط الاستواء . وبها معادن الحديد .

٣ — وبلى هذه القطعة قطعة تسمى بحر لاروى ، وبحر كُله ، وبحر الجاوه ، وبحر فنصور . وإنما ترادفت عليه هذه الأسماء بحسب ما يتر عليه من البلاد والجزائر .

(١) في الأصل الراق وفي نزهة المشتاق "الرامي"

وهو بحر لا يدرك قعره . وفيه نحو ألف جزيرة تسمى جزائر النارجيل ، لكثرتها بها . وكلها عامرة بالناس . وبين الجزيرة والجزيرة الفريخ والفريخان . وليس يوجد في سائر جزائر البحر ألطف صنعة من أهل جزائره في سائر المهن . وبيوت أمواله الودع .

ومن جزائره المشهورة مما يلي أوائل بلاد الهند :

- ٥ جزيرة الماند . وهي جزيرة يحيط بها ألف ميل . وفيها ثلاث مدن كبار .
- و جزيرة كرموه . يحيط بها ثلثمائة ميل .
- و جزيرة بلي . منسوبة لمدينة من الهند على ساحله . يأتيها التجار لاجل الفلفل .
- و جزائر الذئاب . وهي كثيرة . وأكبرها جزيرة ديبى . وسكانها قبائل من العرب . يحيط بها أربعمائة ميل . وفيها الموز ، وقصب السكر .
- ١٠ و جزيرة السيلان . وطولها ستمائة ميل ، وعرضها قريب من ذلك . وفيها مدن كثيرة . وإليها ينسب العود السيلي .
- و جزيرة ككّه . وإليها ينسب البحر . وهي جزيرة خطيرة ، طولها ثمانمائة ميل ، وعرضها ثلثمائة ميل ونحسون ميلا . وبها من المدن فنصور . فيها شجر الكافور ( وفيها العود الفانح ) وملاير ، ولاروى ، وكله ( وإليها ينسب الدهن ) . ولكل مدينة من هذه المدن خور تعبره المراكب من البحر .
- ١٥ و جزيرة صندابولات . وطولها نحو من مائتي ميل ، وعرضها نحو مائة ميل . تنسب إلى مدينة هي فيها .
- و جزائر بداميان . فيها أمم سود ، قبّاح الوجوه . قامة الرجل منهم أقلّ من ذراع . ليس لهم مراكب . فإذا وقع اليهم غريق أو من يتّيه من التجار ، أكلوه .



٤ - وبلى هذه القطعة قطعة تسمى بحر هرگند، وفيه جزائر كثيرة. ويقال إن عدتها ألف جزيرة وتسعمائة جزيرة. ويقع فيها العنبر الذي تكون القطعة منه مثل البيت. وسكانها أحذق الناس في الحياكة، ينسجون القميص بكميه ودخاريزه قطعة واحدة.

وفيه من الجزائر المشهورة :

جزيرة سرنديب<sup>(١)</sup>. وهي مدورة الشكل، يحيط بها ألف فرسخ. يشقها جبل الراهون، وهو الجبل الذي هبط عليه آدم (عليه السلام) من الجنة. وفي أوديتها الياقوت والماس والسنبادج. وطولها مائتان وستون ميلا. ومدينة هذه الجزائر العظمى تسمى أغنا، يسكنها مسامون، ونصارى، ويهود، ومجوس. ولكل أهل ملة من هذه الملل حاكم. لا يبغي بعضهم على بعض. وكلهم يرجع إلى ملك يسوسهم ويجمع كلمتهم. ولهذا البحر أربعة أودية تصب في البحر تسمى الأغباب<sup>(٢)</sup>.

٥ - وبلى هذه القطعة قطعة تسمى بحر اليمن. وأوله بحر الجمحة، وهو بلاد مهرة. معترض في البحر فيمتر بحاسك (وهو أول مرافق اليمن)؛ ثم يمر بمرباط<sup>(٣)</sup> (ساحل بلاد ظفار)؛ ثم يمر بالشحر (ساحل بلاد مهرة)؛ ثم بثمرمة ولسعا (ساحل بلاد حضرموت)؛ ثم بأبين؛ ثم بعدن؛ ثم بالخنق؛ ثم بالعارة؛ ثم الباب بالمنذب.

(١) قال البيروني في كتابه على الهند: سنكلديب وهي جزيرة سرنديب (ص ١٠٢) وفي أبي الفدا سنكاديب.

(٢) الأغباب واحدها غب. وهو - على ما قال البيروني - كالزاوية والعطفة يدخل من البحر إلى البر ويكون للسفن فيه مخاوف وخاصة من جهة المد والجزر. والتور هو شبه القب ولكنه ليس من جهة دخول البحر وإنما هو من مجي المياه الجارية واتصاله بالبحر ساكنا ومخاوف السفن فيه من جهة المدونة التي لاتستقل بالأنفال استقلال الملوحة بها (تحقيق مال الهند ص ١٠٢).

(٣) مدينة بين حضرموت وعمان وهي الفرضة لمدينة ظفار الواقعة على نحسة فرائخ منها.

وفيه من الجزائر المشهورة :

جزيرة سقوطرة . وطولها نحو من مائة وثمانين ميلا ، وعرضها في الوسط نحو خمسة عشر ميلا . وبها الصبر . يسكنها قوم من اليونان ، تغلبوا على من كان فيها من الهند في زمن الإسكندر . وبها عيون يقال إن الشرب منها يزيد في العقل . ولهذا سميت في الكتب القديمة جزيرة العقل .

وبلى هذه القطعة قطعة تسمى بحر الزنج ، وبحر بربر ، ويسمى ساحله الزنجبار . وفيه مما بلى بلاد اليمن جزائر . منها :  
جزيرة دعون<sup>(١)</sup> ، وهي مدورة .

وجزيرة السود .

وجزيرة حورتان .

وجزيرة مروان . وفيها مدن يسكنها السراق ، وهي مقابلة لبلاد مهرة .

وجزائر الديجات . وهي كثيرة . وأهلها مفرطون في السواد . وجميع ما عندهم

أسود ، حتى قصب السكر والكافور .

وجزيرة القمر . وتسمى جزيرة ملاي . وطولها أربعة أشهر ، وعرض الواسع

منها يزيد على عشرين يوما . وهي تحاذي جزيرة سرنديب . وفيها بلاد كثيرة أجلاها كيدانة ، وملاي ( وإليها تنسب الجزيرة ) ودهمي ، وبليق ، وخافورا ، ودعلى ، ومقرية ( وإليها ينسب القمر ) . ويقال : إن بهذه الجزيرة خشبا ، ينحت من الخشبة

(١) من المعلوم أن العرب يسمون شبه الجزيرة بالجزيرة . ولم أجد لهذا الاسم أثرا فيما بين يدي من كتب

المراجعة فلعنها هي التي ذكرها ياقوت باسم "دغوثة" وقال إنها بلد بنواحي الشحر من أرض عمان

أو لعنها "دغوطة" التي قال أبو الفدا أنها آخر مدن سفالة وآخر العارة في البر المتصل .

(١) منه شأن يكون طوله ستين ذراعا ، يحذف على ظهره مائة وستون رجلا .  
ولما ضاقت هذه الجزيرة بأهلها بنوا على الساحل محلات يسكنونها في سفح جبل  
يعرف بهم . ومنها يخرج نهر النيل (٢)

٦ - ويخرج من هذا البحر الذي يجمع هذه القطع خليجان

أحدهما بحر القلزم ، والآخر بحر فارس .

١ - فأما خليج القلزم . فخروجه من باب المندب . وهو جبل طوله اثنا عشر  
ميلا ، وسعة فوهته بمقدار أن الرجل يرى صاحبه من البر الآخر . فإذا قارب  
المندب يمر في جهة الشمال ، بغلاققة ، والأهواب (وهما ساحلا زبيد) ثم الجردة ،  
ثم الشرجة ، ثم عثر (وكانت مقر ملك قديم) ثم بالسرين ، وحلى ، وعسفان ، والجار  
(وهي فرضة المدينة) وأبخفة ، والصفراء ، والحوراء ، ومدين ، وأيلة ، والطور ،  
وفاران ، ثم القلزم (وكانت مدينة مسكونة ، وكذلك أيلة) . ومن القلزم ينعطف من  
جهة الجنوب فيمر بالقصير (وهي فرضة لقوص) ثم إلى عيذاب (وهي فرضة لبلاد  
البحجة) ، ثم يمتد إلى زيلع (وهي ساحل بلاد الحبشة) ويتصل ببربرا .

وطوله ألف ميل وخمسمائة ميل . وعرضه في مواضع أربعمائة ميل ، ودون ذلك

إلى مائتي ميل إلى ما دون ذلك .

وهو بحر كره المنظر والرائحة .

(١) أي من السفن المعروفة بأسم الشواني .

(٢) يخطط الجغرافيون العرب كثيرا بين هذه الجزائر المعروفة بالقمر (بضم فسكون) وبين الجبل المعروف  
بالقمر (بفتح فسكون) فيجعلونها شيئا واحدا ويقولون بخروج منابع النيل من تلك الجزائر . وهذا

أمر غير معقول .

وفيه فيما بين القلزم وأيلة المكان المعروف بتاران، وهو مكان يشبه دُرْدُورَ عَمَّان. لأنه في سفح جبل إذا وقفت الريح على دُرْدُورَتِهِ أُنْقَطَعَتْ بنصفين على شُعْبَتَيْنِ متقابلتين؛ ثم يخرج من كَمَيِّ هَاتَيْنِ الشَّعْبَتَيْنِ، فيثير البحر فتتبدل السفن باختلاف الريح فلا تكاد تسلم. وهاتان الشعبتان تسميان الجبيلين، ومقدار هذا الموضع ستة أميال، ويسمى بركة الغرندل<sup>(١)</sup>. ويقال: إنها التي أغرق الله فرعون وقومه فيها. فإذا كان للجنوب أدنى مهب، فلا يمكن سلوكه.

وفيه من الجزائر خمس عشرة جزيرة، العاصم منها أربعة، وهي: جزيرة دَهْلَك. يحيط بها نحو مائتي ميل؛ يسكنها قوم من الجبوش. مسامون. وجزيرة سواكن. وهي أقل من ميل في ميل. وبينها وبين البحر الحبشى بحر قصير يخاض. وأهلها طائفة من البجة تسمى الخاسد وهم مسامون، ولهم بها ملك. وجزيرة النعمان. وبها نويس تعيش من لحوم السلاحف. وجزيرة السامري. يسكنها قوم من اليهود، سامرة، في عيش قشيف.

٢ - وأما خليج فارس. فإنه مثلث الشكل على هيئة القلَع. أحد أضلاعه من تيز مكران. فيمتر في بلاد كرمان على هرمز، ومن بلاد فارس على سيراف، وتوح، وتيجيرم، وجنابة، ودارين، وسينيز، ومهروبان؛ ومنها يُفْضَى

(١) الذي في تقويم أبي الفداء: الغرندل باللام.

(٢) تصغير ناس.

(٣) هكذا في الأصل وفي أبي الفداء. وأما باقوت فقال إنها توج. (وضبطها أبو الفداء بضم الشاء وسكون الواو) وأتفق أبو الفداء وياقوت على أنها هي التي تسمى أيضا توز (ولكن ياقوت يضبطها بفتح قتشديد). والذي في ياقوت هو الصواب كما يؤخذ من "اب اللباب" للسيوطي، ومن "لطائف المعارف" للثعالبي.

البحر إلى عبادان، ومن عبادان ينعطف الضلع الآخر فيمتد بالخط، وهو ساحل بلاد عُمان إلى صور، وهي ساحل بلاد عمان مما يلي بلاد اليمن؛ ثم يمتد إلى رأس الجُمحة من بلاد مهرة .

والضلع الآخر يمتد على سطح البحر من تيز مكران إلى رأس الجُمحة .

وهذه الأضلاع غير متفاوتة في الطول؛ فإن الضلع الذي يمتد على سطح البحر طوله نحو مائة ميل، وطول الضلع الآخر من حيث يتدنى من تيز مكران إلى أن ينتهي إلى عبادان ثم ينعطف إلى أن يصل إلى رأس الجُمحة، تسعمائة ميل .

وفيه مما يلي عبادان مكان يعرف بالدردور . وهو بين جبلين، أحدهما يسمى كسير، والآخر عوير . ويضاف إليهما جبل آخر بالقرب منهما يقال فيه "وآخر ما فيه خير" لشدة ما يرى بها من الأهوال . وهي جبال سود ذاهبة في الهواء يتكسر الماء على شعبها . ولا بد للراكب أن تمر بينها، وقلمًا تسلم .

وفي هذا البحر من الجزائر المشهورة على السنة التجار تسع، منها أربعة عامرة،

وهي :

جزيرة خارك . يحيط بها اثنا عشر ميلا . وهي عامرة أهلة كثيرة البساتين .

وبها مغاص اللؤلؤ .

وجزيرة كيش . وبها مغاص اللؤلؤ أيضا . وهي أهلة . وتسمى هذه الجزيرة

في عصرنا هذا "قيس" .

وجزيرة أوال . وهي تجاه ساحل البحرين، وبينهما يوم . وبها مدينة . وأوال

مدينة من مدائن البحرين .

وجزيرة لافت . وتعرف بجزيرة بنى كاوان<sup>(١)</sup> . وطولها اثنتان وخمسون ميلا ،  
وعرضها تسعة أميال . وهي أهلة .

وهاتان الجزيرتان معدودتان في بلاد جور من أعمال فارس .

ويقال أيضا إنه يخرج من البحر المحيط خليج ثالث في شمال الصقالبة ، ويمتد

قرب بلد بلغار المسامين ، ويسمى بحر أدريك ، منسوب إلى أمة على ساحله  
في جهة الشمال ، ثم ينحرف نحو المشرق ، وبين ساحله وبين أقصى بلاد الترك أرضون  
وجبال مجهولة حربة .

فهذا البحر المحيط وما يتفرع منه .

## ٧ - وأما بحر مانيطش<sup>(٢)</sup>

ويسمى البحر الأسود وبحر سوداق . وهي مدينة على ساحله . هي فرضة  
لبلاد القفجاق مما يلي القسطنطينية . وعليه أيضا للقفجاق مدينة عظيمة تسمى قِرم<sup>(٣)</sup> ،

(١) وينميا الإدريسي : ابن كاوان ، وغيره يسميا : بركاوان .

(٢) جرى المؤلف على تعريف هذا البحر بأنه المعروف بالبحر الاسود . والحقيقة أن بحر نيطنش هو

المعروف الآن بالبحر الأسود ، وأما بحر مانيطش فهو المعروف ببحر آزاق وبحر آزوف . وما يجب

التنبه عليه أن كثيرا من كتاب العرب يخلطون بين هذين البحرين . ولذلك قال المسعودي : ١٥

”فبحر نيطنش وبحر مانطش يجب أن يكونا بحرا واحدا ، وإن تضايق البحر في بعض المواضع بينهما

أو صار بين الماءين كالخليج . وليست تسمية ما أتسع منه وكثر ماؤه بمانطش . وما ضاق منه وقل

ماؤه بنيطنش ينبغي أن تجمعهما في اسم مانطش أو نيطنش . فإذا عبرنا في بعض المواضع في مبسوط

هذا الكتاب فقلنا ”مانطش“ أو ”نيطنش“ فإنما نريد به هذا المعنى فيما أتسع من البحر وضاق .

(من مروج الذهب ، ص ٥٨) . ٢٠

(٣) وبها سميت شبه الجزيرة الموجودة في البحر الأسود وهي شبه جزيرة القرم .



مقصودة من كل الجهات . وبها علماء، وفقهاء، ورؤساء . وهي محدثة . مُصَّرَتْ  
 فيما بين الثلاثين والأربعين وستائة للهجرة النبوية . ويسمى هذا البحر أيضا بحر  
 الروس، لجزائرفيه يسكنها أمة تسمى الروس، نصارى . وهو بحر ضخم كثير الأخوار  
 والتروش<sup>(١)</sup> والجلال الجرش . وطوله من الشمال إلى الجنوب ألف ميل وثلثمائة، وعرضه  
 مختلف . ففي موضع ستمائة ميل، وفي موضع ثلثمائة ميل . والناس مختلفون فيه . فمنهم  
 من يقول إنه بحر مستقل بنفسه ، يخرج منه خليج القسطنطينية ويصب في بحر  
 الروم أو هو مفيض لخليج القسطنطينية . وأكثرهم على أنه بحر مستقل بنفسه لطوله  
 وعرضه وكثرة جزائره . وبعضهم يقول إنه خليج يخرج من البحر المحيط على ظهر  
 بلاد الصقالبة، ويحيط به بلاد البطلمية، وبلاد الغامانية، وبلاد الأزكشية، وبلاد  
 الشركسية، وبلاد العلان<sup>(٢)</sup> والعنكر والناشقرد .

وفيه ست جزائر عامرة، وهي كثيرة المدن والقرى، يسكنها الروس .

## ٨ - وأما بحر الخزر

وهو بحر جرجان وطبرستان والديلم . وذلك بحسب ما يمتد عليه من البلاد . وهو —  
 على ما حكاه ابن حوقل — مدور الشكل ، ليس له اتصال ببحر آخر .

(١) في الأصل التروس . ولكن الإدريسي يستعمل لفظة "التروش" بالشين المعجمة . ومعناها الشعب

أى الصخور التي تكون تحت سطح الماء قليلا فتتكسر السفن وتتحطم إذا اصطدمت بها .

(٢) العلان ترك تنصروا وهم خلق كثير وقلعتهم إحدى قلاع العالم تتعمم بالسحاب (عن أبي الفدا) وبلادهم

في أرض قفجاق أو قفقاسية وهم المشهورون في كتب العرب أيضا بأسم العلان .

قال : ولو أن إنسانا طاف به ، لآتهى إلى الموضع الذى أبتدأ منه ، لا يقطعه عن ذلك إلا نهر يصب فيه .<sup>(١)</sup>

وفى شرقى هذا البحر بعض بلاد الديلم ، وبلاد طبرستان ، وجرجان ، وبعض المسافة التى بين جرجان وخوارزم ، وغربيه بلاد أزان ، وبلاد الخزر ، وبعض مفازة الغزية ، وشماليه مفازة الطغزغزنية ، وجنوبيه الجيل ، والديلم . وطوله ثمانمائة ميل ، وعرضه ستمائة ميل .

وقال صاحب كتاب "نزهة المشتاق إلى آخترق الآفاق" : طولها من جهة الخزر إلى عين الهم ألف ميل<sup>(٤)</sup> ، وعرضها من ناحية جرجان إلى مصب نهر إبل ستمائة ميل<sup>(٥)</sup> ، ونحسون ميلا وهو يقطع عرضها من طبرستان إلى مدينة باب الأبواب فى أسبوع بالريح الطيبة ، وفيه أربع جزائر ، وهى :

جزيرة سياكوه . وهى تجاه آبسكون ، فرضة جرجان . يسكنها طائفة من الترك . يصاد بها البزاة البيض .

وجزيرة سهلان . وطولها نحو مائة ميل ، وعرضها نحو خمسين ميلا .

(١) هذا ملخص العبارة التى أوردها ابن حوقل (وأظن كتابه ص ١٣) .

(٢) فى الأصل : الغرة . والتصحيح عن أبي الفدا .

(٣) فى الأصل : الختل (وهو تحريف ظاهر من النساخ) .

(٤) هكذا فى مقدمة الإدريسي (فى جميع النسخ) ولكنه عند كلامه على الجزء السابع من الإقليم الخامس

نص على أن طول هذا البحر ٨٠٠ ميل وأن عرضه ٦٠٠ ميل (وهذا هو الذى نقله عنه أبو الفدا) ،

ثم عاد الإدريسي فقال ان طولها ٩٠٠ ميل .

(٥) فى الأصل مائه ميل [ والتصحيح عن الإدريسي ] .

(٦) فى الأصل : بساه كوه . والتصحيح عن أبي الفدا .

وجزيرة البركان . وهي أظمة عظيمة تظهر منها نار في الهواء، كأشمخ ما يكون من الجبال . ترى من نحو مائه فرسخ من البر .

وجزيرة تجاه باب الأبواب . كثيرة المروج والأنهار . وهذا البحر يقال إنه كثير التناين .

وقد اختلف فيها . فمن الناس من يقول إنها دواب تعظم في قعر البحر فتؤذى ما به من دواب، فيبعث الله عز وجل عليها السحاب والملائكة فتخرجها من البحر وتقلبها في أرض يأجوج ومأجوج، فتكون طعاما لهم . وهذا مما يحكى عن ابن عباس رضى الله عنهما . ومنهم من رأى أنها ريح سوداء تكون في قعر البحر فتظهر إلى النسيم وتلحق بالسحاب، كالزوبعة التي تثور من الأرض وتستدير ثم تطول في الهواء . فيتوهم الناس أنها حيات سود .

وسائر البحار تمتد وتجزر، خلا هذا البحر .

ويقال إن علة المد والجزر تكون عن وضع الملك الموكل بقاموس البحر عقبه في أقصى بحر الصين، فيفور فيكون منه المد؛ ثم يرفعه فيكون من رفعه الجزر . (ومنهم من روى مكان العقب الإبهام) .

ومنهم من قال إن العلة فيه غير هذا كله .

والله أعلم !

(١) هي شبه الجزيرة المعروفة الآن بأسم أيشرون . وفيها مدينة باكو المشهورة وهذه المدينة سماها أبو الفدا "باكوى" وسماها المسعودى "باكه" وقال ان بها معدن النفط الأبيض (أى البترول) ثم قال وفي هذه النفاطة أظمة، وهي عين من عيون النار لا تهدأ على سائر الأوقات تتضرم الصعداء . فهذا هو الذى عناه النويرى باسم "البركان" .

## ذكر ما في المعمور من البحيرات المالحة المشهورة

وما بها من العجائب

وفي المعمور بحيرات مالحة :

فألذي أشهر منها :

- ٥ § بحيرة خَوَارَزْم . وشكلها مثلث كالقَلْع ، وليس في المعمور بحيرة أعظم منها . يحيط بها أربعائة فرسخ . يصب فيها نهرا سيحون وجيحون ، اللذان في أرض الهياطلة ، وغيرهما من الأنهار العظيمة الجارية في بلاد الترك . وهي مع ذلك لا تزيد ولا تعذب .

- ١٠ وزعم صاحب كتاب " نزهة المشتاق إلى آخترق الآفاق " أن في هذه البحيرة حيوانا يظهر على سطحها في صورة الإنسان يتكلم ثلاث كلمات أو أربعا ، بلغة لا تُفهم ثم ينوص . وظهوره عندهم يدل على موت ملك من ملوك ذلك الحين .

- ١٥ § ومنها بحيرة الطَّرِيح<sup>(١)</sup> : لسماك صغير يصاد منها ويحمل إلى سائر بلاد أرمينية وأذربيجان . وطولها أربع مراحل ، وعرضها مرحلة . يُجمع من أطرافها البُورق . والسماك يوجد بها في زمان مخصوص ، يأتيها في نهر يصب إليها ، ويكثر حتى يصاد بالأيدى . فإذا انقضى ذلك الزمان ، لا يوجد منه شيء آلبتة .

(١) وأسماها في كتب الجغرافية العربية بحيرة أرجيش ، وهذا السمك الذي سميت به ، كما في "القاموس"

سمك صغار تعالج بالملح وتؤكل . وقد عرفنا أن حوقل أنه صغير مقدار الشبر يملح ويحمل إلى الجزيرة

والمرسل والرقعة وحران وحلب وسائر النغور .

§ وفي بلاد أندريجان بحيرة كَبُودَان<sup>(١)</sup> . وَكَبُودَان قرية في جزيرة، يسكنها ملاحو المراكب التي يركب فيها من هذه البحيرة . وطول هذه البحيرة نحو ثلاثة أيام، وعرضها كذلك . وفيها جزائر : منها جزيرة فيها قلعة حصينة تسمى تلا . ولا يكون بهذه البحيرة حيوان آلبتة ، لأن ماءها متن رديء .

§ وفي بلاد البَحْرَيْنِ بِحْيَرَة . وبها وبالبحر الكبير سميت أرض هَجْر : ”البحرين“ .

§ وفي الشام بأرض الغور بحيرة زُغَر ، وتسمى المُنْتِنَة والميتة . لأنها لا يعيش بها حيوان ولا يتكوّن فيها شيء مما يتكوّن في المياه الجارية والراكدة من الحيوانات . وطولها ستون ميلا، وعرضها اثنا عشر ميلا .

ويقال إنها ديار قوم لوط التي خَسَفَهم الله بها . ويقال إنها كانت خمس مُدُن ، أسماءها : ”ضيعه“ ، و”ضعوه“ ، و”عمره“ ، و”دوما“ ، و”سذوم“ . وكانت سذوم أكبرها وأعظمها .

ويُصَبُّ في هذه البحيرة نهر الأُرْدُنُّ وغيره من الأنهار الصغار والسيول من بلاد الكرك وغيرها، فلا تزيد . ويقال إن لها مَنَفِذا إلى بحر القلزم . وبساحلها الشرقي إلى حدّ أريحا معدنُ الكبريت الأبيض ، يُحَفَّر عايه ويُحَرَّج . ويتكوّن في هذه البحيرة شيء على شكل البقر، ويطفو على وجهها ويتفقع ، فيجمع منه شيء أسود يسمونه ”الحمر“ وينقل إلى قلعة الكرك يدنحرجها ، يدخل في النّفط .

(١) هي التي ذكرها أبو الفدا باسم ”بحيرة تلا“ وياقوت باسم ”بحيرة آريّة“ . وقد ذكر أن في وسطها جبلا يقال له ”كبودان“ وجزيرة فيها أربع قرى أو نحو ذلك يسكنها ملاحو سفن هذا البحر (معجم البلدان ج ٢ ص ٧٨) .

§ وفي أعمال مصر بحيرة تَنيس ، مقدارها إقلاع يوم في [عرض<sup>(١)</sup>] نصف يوم .  
يكون ماؤها في أكثر السنة ملحة من دخول ماء البحر الرومي إليها ، فإذا مدَّ النيلُ  
صبَّ فيها فتحلوا فإذا جَزَّ مَلَحَتْ .

ويقال : إنه كان في مكانها برُّ مسلوك تغلَّب عليه البحر في ليلة واحدة ، فما كانت  
أرضه مستفلة غرق ، وما كانت أرضه عالية مثل تَنيس وتُونَة بقي .

وفي وسط هذه البحيرة جزيرة صغيرة تسمى سِنجار ، يسكنها قوم صيادون .

وقال إبراهيم بن وصيف شاه في "كتاب العجائب الكبير" : إن بحيرة تَنيس كانت  
أجِنَّة وكروما ومنازل ومنزَّهات ، وكانت مقسومة بين ملكين من ولد أتریب بن  
مصر ، وكان أحدهما مؤمنا والآخر كافرا ، فأنفق المؤمن ماله في وجوه البرِّ حتى باع  
حصته من أخيه وفترق ماها أيضا ، فأصلحها أخوه وزاد فيها غُرُوسا وبخَّر فيها أنهارا  
وبنى فيها بنيانا ، وأحتاج أخوه إلى ما في يده فكان يمنعه ويفتخر عليه بما في يده من  
المال والأجِنَّة ، فخطبه أخوه في بعض الأيام فسطا عليه ، وقال : أنا أَكْثَرُ مِنْكَ  
مالا وولدا وخيرا ، فقال له أخوه : فما أراك شاكرا لله تعالى على ما رزقك ،  
ويوشك أن يتزع ذلك منك . ويقال : إنه دعا عليه ففترق ماء البحر ما كان له  
في ليلة واحدة .

وقيل : إن هذين اللذان ذكرهما الله تعالى في كتابه العزيز ، فقال : ((وَأَضْرِبْ لَهُم  
مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ)) الآيات ؛ والله تعالى أعلم .

وبالقرب من الإسكندرية بحيرة ، طولها إقلاع يوم وعرضها كذلك ، يدخل  
إليها الماء من بحر الروم من مكان الأشتوم ، ويخرج منها إلى بحيرة أخرى دونها

(١) الزيادة من "معجم ياقوت" .

في خليج عليه مدينتان، إحداهما تسمى الجدية، والأخرى تسمى<sup>(١)</sup> أتلو كثيرة المقات والنخل، وكلها في الرمل. ويصب في البحيرة خليج من النيل يسمى "الخافر" طوله نصف يوم إقلاعا، وهو كثير الطير والسماك والعُشب.

§ وفي بلاد إفريقية بحيرة بَنَزْرَتْ مأواها مِلْح، وطولها ستة عشر ميلا، وعرضها ثمانية أميال. وعلى عشرة أميال منها بحيرة مأواها عذب تسمى بحيرة مَتِيْجَة<sup>(١)</sup>. فإذا جاء الشتاء وكثرت السيول، غاضت بحيرة بَنَزْرَتْ، وفاضت بحيرة مَتِيْجَة حتى تمتد ستة شهور فلا يحلو مأواها؛ فإذا آقضى زمن الشتاء وجاء الصيف، غاضت بحيرة مَتِيْجَة، وفاضت بحيرة بَنَزْرَتْ فلا يملح مأواها. ويصاد في هذه البحيرة في كل شهرين من شهور السنة نوع من السمك لا يخالطه غيره؛ وأهل الناحية يعرفون دخول الشهور بتغير السمك فيها.

§ وحقى صاحب كتاب "مبأج الفكر ومبأج العبر": أن بتخوم بلاد أرمينية بحيرة يكون فيها الماء والسمك والطير ستة أشهر كوامل، ثم تجف فلا يرى فيها ماء ولا سمك ولا طير سبع سنين، فإذا كانت السنة الثامنة ظهر ذلك فيها ستة أشهر ثم ينقطع. وهذا دأبها مدى الزمان.

§ وبمخلاط بحيرة لا يرى فيها سمك ولا ضفدع ولا سَرَطَان عشرة أشهر من السنة، ثم يظهر ذلك كله في الشهرين الباقيين.

(١) كذا بالأصل وفي معجم ياقوت "أنكو" بليدة قرية من نواحي مصر قرب رشيد.

(١) وزنها في القاموس بسببغة.





ومثله قول الآخر :

كثيلِ الْبَحْرِ يَغْرُقُ فِيهِ حَيٌّ، \* وَلَا يَنْفَكُ تَطْفُو فِيهِ جَيْفَةٌ.

وقال ابن الرومي :

أَلَا فَارِجُهُ وَأَخْشَاهُ إِنَّهُ \* هُوَ الْبَحْرُ: فِيهِ الْغَنَى وَالغَرَقُ!

وقال أبو نؤاس :

مَنْ قَاسَ غَيْرَكُمْ بِكُمْ، \* قَاسَ التَّمَادَّ إِلَى الْبُحُورِ!

وقال آخر :

إِذَا كُنْتُ قُرْبَ الْبَحْرِ مَالِي مَحْلُصٌ \* إِلَيْهِ، فَمَا يُغْنِي أَقْتِرَائِي مِنَ الْبَحْرِ!

وقال آخر :

كَالْبَحْرِ يَقْدِفُ لِلْقَرِيبِ جَوَاهِرًا \* مِنْهُ، وَيُرْسِلُ لِلْبَعِيدِ سَحَابًا.

ذكر شيء مما قيل في وصف البحر وتشبيهه

قال ابن رشيق عفا الله عنه :

الْبَحْرُ مَرُّ الْمَذَاقِ صَعْبٌ \* لِأَجْعَلَتْ حَاجَتِي إِلَيْهِ.

أَلَيْسَ مَاءٌ وَنَحْنُ طِينٌ؟ \* فَمَا عَسَى صَهْرُنَا عَلَيْهِ؟

وقال ابن حمديس :

لَا أُرْكَبُ الْبَحْرَ، أَخْشَى \* عَلَيَّ مِنْهُ الْمَعَاطِبُ!

طِينٌ أَنَا وَهُوَ مَاءٌ، \* وَالطِّينُ فِي الْمَاءِ ذَائِبٌ.

وقال آخر :

وَزَائِحٍ لَيْسَ لَهُ صَوْلَةٌ \* إِلَّا إِذَا مَا هَبَّتِ الرِّيحُ.

فَهُوَ إِذَا مَا سَكَنْتَ سَاكِنٌ \* كَأَنَّمَا الرِّيحُ لَهُ رُوحٌ.

وقال أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت :

تناهى البحرُ في عَرَضٍ وطُولٍ ، \* وليس له على التحقيق كُنْهٌ .  
وأعجبُ كَلِّمَا شاهدتُ فيه \* سلامتنا على الأهوال مِنْهٌ .  
فحسبي أن أراه من بعيدٍ \* وأهْرُبُ فوق ظهرِ الأرضِ عنهُ .

ومما وصف به البحر والسفن

قول بشر بن أبي خازم :

أطاعنُ صَفَّهَمُ ولقد أَرَانِي \* على زوراءٍ تسجدُ للرياحِ .  
إذا أَعْرَضَتْ براكبها خَلِيجًا ، \* تَذَكَّرُ ما عليه من جُنَاحِ .  
ونحنُ على جوانبِها قعودٌ ، \* نغضُ الطرفَ كالإبلِ القَبَاحِ .

وقال ابن تولو من أبيات :

تحتُ بنا فيه قِلاصٌ كأنها \* وعالٌ ، تبدتُ من جبالِ شِواهِقِ .  
لها كافيلاً ماءٍ وريحٌ كِلاهُما \* يعلمُها في الجَرِيِّ سَبِقَ السَّوَابِقِ .  
إذا آنحدرتُ ، فإلى الطُفِّ قائِدٌ ، \* وإن صعدتُ ، فالريحُ أَعْسَفُ سائِقِ .

وقال السلامي :

وميدانٌ يُجُولُ به خِيولٌ \* تقودُ الدَّارِعِينَ ولا تُقَادُ .  
رَكِبْتُ به إلى اللِّدَاتِ طَرَفًا \* له جِسْمٌ ، وليس له فُؤَادُ !  
جرى فظننتُ أن الأرضَ وَجْهٌ ، \* ودجلةٌ ناظِرٌ ، وهو السَّوَادُ .

وقال محمد بن هاني :

مُعَطِّفَةُ الأعناقِ نَحَوَ مُتُونِهَا \* كما نَهَبَتْ أَيْدِي الحُصَاةِ الأَفَاعِيَا .

إذا أعملوا فيها الحجاذيف سرعة، \* ترى عقربا منها على الماء ماشيا.  
إذا ما وردن الماء شوقا لبرده، \* صدرن - ولم يشربن - غرثا صواديا.  
وقال الرستمي :

لم نزل مُشْفِقِينَ مُدْقِيلٍ: سارت \* بك دهم قليلة الأوضاح.  
أصلها البر وهي ساكنة في البحر سُكْنِي إقامية لا براج.  
هي في الماء وهي صفر من الماء \* سوى نضح موجها النضاح.  
فإذا أوقرت، فذات وقار؛ \* وإذا أخليت، فذات حجاج.  
وتراها في اللج ذات جناحين \* وإن لم تكن بذات جناح.  
من مطايا لا يغتدين ولا يسئامن سير البكور بعد الرواح.  
منشآت من الجوارى اللواتي \* لسن من صنعة الجوارى الملاج.  
والدات مولدات بلا حل نكاح \* ولا حرام سفاح.  
لا من البيض بل من السود ألوا \* تا وذات الأواج والأرواح.  
طائرات مع الرياح، وطورا \* كاسرات بالجرى حد الرياح.  
سائرات لا يشكين سرى الليل \* ولا يرتقبن ضوء الصباح.  
ساكنات بلا خضوع سُكُونٍ، \* جاجمات بلا غرام حجاج.  
لا يخفن الغار يُقَدِّفن فيها، \* ويخفن المُرور بالضخضاح.  
إن صدمن الحصى عطين ولا يعطين إما صدمن حد الرماح.  
مارأى الناس من قصور على الماء \* سواها يسير سير القداح.  
يتسببن كالأساويد في الخفة لا في معادة الأشباح.  
فإذا ما تقابلت، قلت: فود \* من كاش تقابلت للنطاح.

- شُرْعُهَا الْبَيْضُ كَالغَامَاتِ فِي الصَّيْفِ صَحَّاحًا مِنْهَا وَغَيْرِ صَحَّاحٍ .  
 كَمْ مُدِيلٌ بِالْجَاهِ وَالْمَالِ فِيهَا ، \* وَبِهِ حَاجَةٌ إِلَى الْمَلَّاحِ !  
 قَائِدٌ جُنْدَهُ لَهُمْ أَدَوَاتٌ \* نَفَعُهَا ثُمَّ فَوْقَ نَفْعِ السَّلَاحِ .  
 فَإِذَا الْبَحْرُ صَالَ ، صَالُوا عَلَيْهَا \* بِمَوَاضٍ تَمْضِي بِغَيْرِ جِرَاحِ .  
 يُكْثِرُونَ الصَّيَاحَ حَتَّى كَأَنَّ السَّفْنَ تَجْرِي مِنْ خَوْفِ ذَلِكَ الصَّيَاحِ .



وما وصفت به البحار والسفن ثرا

قال أبو عمرو صاحب الصلاة القرطبي<sup>(١)</sup> يصف شائياً سافر فيه :

- «فَارَقْتُ مَوْلَايَ حِينَ أَخَذْتُ لِلسَّفْرِ عُدَّةَ الْحَزْمِ ، وَشَدَدْتُ عُقْدَةَ الْعِزْمِ ، وَأَنْتَضَمْتُ  
 ١٠ مع السَّفْرِ فِي سَلَكٍ ، وَرَكِبْنَا عَلَى أَسْمِ اللَّهِ ظَهْرَ الْفُلْكِ ؛ فِي شَانٍ عَظِيمِ الشَّانِ ، أَحْدَقْتُ  
 بِهِ النَّطْقُ إِحْدَاقَ الْحَيَازِمِ ، وَأَمْسَكْتُهُ إِمْسَاكَ الْأَبَازِمِ ؛ ثُمَّ تُتَبَّعُ خَلَلُهُ فَسُدُّ ، وَرِخْوُهُ  
 فَسُدُّ ؛ حَذَرًا عَلَى الْوَاوِحِ مِنَ الْإِنْحَاغِ ، وَأَتَصَلْتُ بِعَرَائِيْسِهِ آتِصَالَ الْجُلُودِ بِالْأَضْلَاعِ ؛  
 ثُمَّ جُلِّيْتُ جَلْبَابًا مِنَ الْقَارِ ، وَصُخِّخْتُ فِي الْمَتْنَيْنِ وَالْفَقَّارِ ؛ فَاْمَتَّازَ بِأَغْرَبِ مَيْسَمٍ ، وَعَادَ  
 كَالغُرَابِ الْأَعْمَمِ<sup>(٢)</sup> ؛ قَدْ حَسُنَ مِنْهُ الْخَبْرُ ، وَكَأَنَّ الْكَافُورَ قَدْ قُرِنَ فِيهِ بِالْعَبْرِ . لَهُ مِنْ  
 ١٥ التَّمَا سِيحِ أَجْنَابُهَا ، وَمِنْ الْخَطَّاطِيْفِ أَذْنَابُهَا ؛ وَأَسْتَقَلَّتْ رِجْلُهُ بِفِرَاشِهَا ، أَسْتَقْلَلَّ  
 السَّهْمَ بِرِيَاشِهَا ؛ وَقَدْ مَدَّ قَنْبِيْعَهُ ذِرَاعِيْهِ مُتَلْقِيًا مِنْ وَفْدِ الرِّيَاحِ مَصَالِحِهِ ، وَمُسْتَهْدِيًا  
 مِنْهَا مَنَافِعَهُ . تَقَلَّدَ الْحَكْمَ عَلَيْهَا إِشْتِيَامًا<sup>(٣)</sup> ذُو تَيْقِظٍ وَأَسْتَبْصَارٍ ، وَأَسْتَدْلَالٍ عَلَى الْأَعْمَاقِ

(١) الشانى اسم لنوع من السفن التجارية والحربية عند المسلمين وجمته شوانى .

(٢) أى الأبيض الجناحين (عن تاج العروس) .

(٣) الإشتيام هو رئيس الملاحين ، لفظ أعجمى أخذته العرب (راجع الجواليقي) .

والأقصار؛ يستدل باختلاف المياه إذا جرى، ويهتدى بالنجوم إذا سرى؛ قد جعل السماء مرآة ينظر فيها، ويحذر من دجن يوافيها؛ فإذا أصدأها الظلام بحنادسه، وصقلها الضياء بمداوسه؛ يسبح الله في مصبحة ومساء، ويدسمل في مجراه ومرساه، ويذكر رباً يحفظه ولا ينساه. قد آخذ فيه موآتيه، من أنجد التوآتيه؛ مشمرين الأثواب، مدبرين بالصواب؛ يفهمون عنه بالإيماء، ويتصرفون له تصرف الأفعال للأسماء؛ ويرتمون عند الجذب والدفع، والحط والرفع: بهيئة تبعثهم على النشاط. والجسم<sup>(١)</sup>، وتؤديهم في عملهم بالتمام. نخرجنا ونفخ الريح نسيم، ووجه البحر وسيم؛ وراحة الريح تصاح عبابه مصالحة الخيل، وتطوى جناحه طي السجل؛ وتجول من بجه أبرادا، وتصوغ من حبه أزرادا: كأنما ترسم في أديم رقشا، أو تفتح في فصوص نقشا. فلما توسطنا شج البحر، وصرنا منه بين السحر والتحر؛ صحت الريح من سكرها، وطارت من وكرها؛ فسمعنا من دوى البحر زئيرا، ومن جبال الشاني صفيرا؛ ورأينا يزيد ويضطرب، كأنه بكأس الجنوب قد شرب؛ وأستقبلنا منه وجه باسر، وطارت من أمواجه عقبان كواسر؛ يضطرب ويصطفق، ويختلف ولا يتفق؛ كأن الجوى يأخذ بنواصيها، ويحذبها من أقاصيها؛ والشاني تلعب به أكف الموج، ويفحص منها بكلكله فوجا بعد فوج؛ ويجوب منها ما بين أنجاد وأغوار، وخنادق وأسوار؛ والبحر تحتنا كأرض تميم بأهلها، وتترزل بوغيرها وسهلها؛ ونحن قعود، دود على عود؛ قد نبت بنا من القلق أمكنتنا، ونحريست من الفرق الاستنا؛ والرش يكتفنا من كل جانب، ويسيل من أثوابنا سيل المذائب. فشيمنا ريح الموت، وظننا التلف والفوت؛ وبقينا في هم ناصب، وعذاب واصب؛ حتى آهينا

إلى كَنَفِ الجَوْنِ، وصرنا منه في كَنِّ وِصُونٍ ؛ وهدأ من البحر ما آستشرى، وتنادينا  
بالبُشرى؛ ووطئنا من الأرض جُدَدًا، ولبسنا أثواب الحياة جُددا ! ... ..



ومن رسالة لأبي عامر بن عقال الأندلسي عفا الله عنه

جاء منها :

”... وكان جَوَازُه، أيده الله على بحر ساكن، قد ذل بعد آستصعابه، وسهل بعد أن  
رأى الشاخ من هِضَابِه؛ وصار حيه مِيتًا، وهديره صَمْتًا؛ وجباله لا ترى بها عوجًا ولا  
أمتًا؛ وضعف بعد تعاطيه، وعقد السلم بين موجه وشاطيه. فعبّر أمتًا من لهواته، متملكًا  
لههواته؛ على جواد يقطع البحر سبْحًا، ويكاد يسبق الريح لَحَا؛ لا يجمل لحامًا  
ولا سرجًا، ولا يعرف غير اللجة سرجًا؛ فله هو من جواد، له جسمٌ وليس له فؤاد؛  
يخترق الهواء ولا يرهبه، ويركض في الماء ولا يشربه ! ... ..



ومن رسالة للأستاذ ابن العميد في مثل ذلك

جاء منها :

”... وكان العشاريات وقد رُدِّيت بالقار، وحلّيت باللجين والنضار؛ عرائسٌ منشورة  
الذوائب، مخضوبة الحواجب؛ موشحة المناكب، مقلدة الترائب؛ متوجة المفارق،  
مكلاة العواتق، فضية الحلال والقراطق؛ أو طواويس أبرزت رقابها، ونشرت  
أجنحتها وأذنانها؛ وكأنها إذا جدت في اللحاق، وتنافست في السباق؛ نوافر نعام،  
أحوافل أنعام؛ أو عقارب شالت بالإبر، أودهم الخيل واضحة الجول والغرر؛ وكان  
المجاديف طير تنفض خوافيها، أو حبابٌ تعانق حبابها بأيديها ... ..

## الباب السابع

من القسم الرابع من الفن الأول

في العيون والأنهار والغدران

وما وُصفت به البرك والدواليبُ والتواعير والجداول

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾ .

قال المفسرون : هو المطر . ومعنى سَلَكَهُ أدخله في الأرض ، وجعله عيوناً ومسالك ومجاري كالعروق في الجسد .

قال أبو الفرج ، قدامةً بن جعفر : مجموع ما في المعمور من الأنهار في الأقاليم السبعة مائة نهر وأربعة وثمانون نهراً ، منها :

١٠ في الإقليم الأول ثلاثة وعشرون نهراً ؛ وفي الإقليم الثاني تسعة وعشرون نهراً ؛  
وفي الإقليم الثالث ستة وعشرون نهراً ؛ وفي الإقليم الرابع أربعة وعشرون نهراً ؛  
وفي الإقليم الخامس ثمانية وعشرون نهراً ؛ وفي الإقليم السادس ستة وعشرون نهراً ؛  
وفي الإقليم السابع ثمانية وعشرون نهراً .

ثم قال : وفي هذه الأنهار ماجريانه من المشرق إلى المغرب ، كنهر نهاوند ونهر  
١٥ سيجستان ؛ وماجريانه من الشمال إلى الجنوب كدجلة ؛ وماجريانه من الجنوب  
إلى الشمال ، كنهر النيل ونهر مهران ؛ وماجريانه مرَّكب من هذه الجهات ، كنهر  
الفرات وجيحون ونهر الكر .

وسنذكر المشهور منها .

\*  
\*

## فأما نهر النيل

§ فزعم قدامة بن جعفر أن أنبعاثه من جبل القمر وراء خطّ الاستواء، من عين تجرى منها عشرة أنهار، كلُّ نحسة منها تنصب إلى بَطِيحَة . ثم يخرج من كل بطيحة نهران ، وتجرى الأنهار الأربعة إلى بَطِيحَة كبيرة في الإقليم الأول . ومن هذه البطيحة يخرج نهر النيل .

§ وقال صاحب كتاب "نزهة المشتاق إلى آخترق الآفاق" : « إن هذه البحيرة تسمى بحيرة كُورَى منسوبة لطائفة من السودان يسكنون حولها، متوحّشون : يأكلون من وقع إليهم من الناس . ومن هذه البحيرة يخرج نهر غانة، ونهر الحبشة، فإذا خرج النيل منها يشق بلاد كُورَى ثم بلاد ننه (طائفة من السودان أيضا، وهم بين كانم والثوبة)، فإذا بلغ دُنُقَلَة (مدينة النوبة) عَطَف من غربيها إلى المغرب، وأنحدر إلى الإقليم الثاني، فيكون على شطّيه عمارة النوبة . وفيه هناك جزائر متسعة عامرة بالمدن والقرى . ثم يشرق إلى الجنادل، وإليها تنتهي مراكب النوبة آنحدارا، ومراكب الصعيد إقلاعا . وهناك أحجار مخرسة لا مرور للراكب عليها إلا في إبان زيادة النيل . ثم يأخذ على الشمال فيكون على شريقه مدينة أسوان من بلاد الصعيد الأعلى؛ ثم يمر بين جباين هما يكتنفان لأعمال مصر، أحدهما شرقي والآخر غربي حتى يأتي مدينة مصر فتكون في شريقه . فإذا تجاوزها بمسافة يوم، أنقسم قسمين : أحدهما يمر حتى يصب في بحر الروم عند مدينة دمياط، ويسمى بحر الشرق؛ والآخر— وهو عمود النيل ومعظمه — يمر إلى أن يصب في بحر الروم أيضا عند مدينة رشيد، ويسمى بحر الغرب .

(١) يشير إلى القسطنطينية، أي مصر العتيقة في عرفنا الآن



§ قالوا : وتكون مسافة النيل من منبعه إلى أن يصب في رشيد سبعمائة فرسخ  
وثمانية وأربعين فرسخا . وقيل إنه يجري في الخراب أربعة أشهر، وفي بلاد السودان  
شهرين، وفي بلاد الإسلام شهرا . «

§ وروى البخارى في «صحيحه» عن أنس بن مالك ، عن مالك بن صعصعة ، عن النبي  
( صلى الله عليه وسلم ) في حديث المعراج ، قال : «ثم رُفِعْتُ إلى سِدْرَةِ المنتهى، فإذا  
نَبَّهَهَا مثل قَلَالِ هَجْرٍ، وإذا وَرَّقَهَا مثل أَدَانِ الفَيْلَةِ . (قال : هذه سدرة المنتهى) وإذا أربعة أنهار  
نهران باطنان، ونهران ظاهران، فقلتُ : ما هذا يا جبريلُ ؟ قال : أما الباطنان، فنهران  
في الجنة؛ وأما الظاهران، فالنيلُ والفُراتُ . « وليس في الأرض نهر يزيد حين  
تنقص الأنهار وتغيض ، غيره . وذلك أن زيادته تكون في الفيض الشديد في شمس  
السرطان والأسد والسنبلة .

§ وقد حكى في فضائل مصر أن الأنهار تمده بمائها، وذلك عن أمر الله تعالى .  
وقال قوم : إن زيادته من تلوج يذئبها الصيفُ على حسب مَدَدِهَا، كثيرة كانت  
أو قليلة؛ وفي مَدَدِهِ اختلاف كثير .

§ وكان منتهى زيادته قديما ستة عشر ذراعا، والذراع أربعة وعشرون إصبعًا،  
بمقياس مصر . فان زاد عن ذلك ذراعا واحدا، زاد في الخراج مائة ألف دينار : لما  
يُروى من الأراضي العالية .

والغاية القصوى في الزيادة ثمانية عشر ذراعا في مقياس مصر<sup>(١)</sup> . فإذا انتهى إلى  
هذا الحد، كان في الصعيد الأعلى اثنين وعشرين ذراعا : لأرتفاع الإقاع التي  
يمر عليها .

فإذا آتته زيادته، فتحت خُجانات وترع تُتخرقُ المياه فيها يميناً وشمالاً إلى

البلاد البعيدة عن مجرى النيل .

§ وللنيل ثمان خُجانات، وهي: خليج الإسكندرية، وخليج دمياط، وخليج منف، و

خليج المنهى (حفره يوسف الصديق عليه السلام)؛ وخليج أشموم طّناح؛ وخليج

سردوس (حفره همام لفرعون)؛ وخليج سَخَا؛ وخليج حفره عمرو بن العاص،

يجرى إلى أن يُصبَّ في السّباخ .

§ ويحصل لأهل مصر إذا وفي النيل ستة عشر ذراعاً — وهي قانون الريّ — فرح

عظيم : بحيث إن السلطان يركبُ في خواصّ دولته وأكابر الأمراء في الحراريق إلى

المقياس، ويمد فيه سماطاً يأكل منه الخواصّ والعوامّ، ويحلّج على القياس، ويصله

بصلة مقرّرة له في كلّ سنة .

§ وقد ذكر بعض المفسرين ”للكتاب العزيز“ أن يوم ”وفاء النيل“ هو اليوم

الذي وعد فيه فرعون موسى بالاجتماع، وهو قوله تعالى إخباراً عن فرعون ﴿ قَالَ

مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴾ . والعادة جارية أن اجتمع الناس

للتخليق في هذا الوقت .

ومتى قصر النيل عن هذا المقدار، غابت الأسعار .

وهو إذا ابتدأ في زيادته يكون مخضراً، ثم مجزراً، ثم كديراً .

وإذا آتته في الزيادة غشى الأرض، وتصير القرى فوق الروابي فلا يتوصل

إليها إلا في المراكب أو على الجسور الممتدة التي تُتفق عليها الأموال الكثيرة وتُتخذ

لحفظ الماء .

فإذا انتهى رىّ مكان وأخذ حده ، قُطِعَ جَسْرُ ذَلِكَ الْمَكَانِ مِنْ مَكَانٍ مَعْرُوفٍ  
(يعرفه خَوْلَةُ الْبِلَادِ وَمَشَايِحُهَا) تَرَوِي مِنْهُ الْجَهْمَةَ الَّتِي تَلِيهَا مَعَ مَا تَجْمَعُ فِيهَا مِنَ الْمَاءِ  
الْمَخْتَصِ بِهَا . وَلَوْلَا إِتْقَانُ هَذِهِ الْجَسُورِ وَحِفْزُ التَّرْعِ لَقَلَّ الْإِنْتِفَاعُ بِالنَّيْلِ .

§ وقد حكى أنه كان يُرصدُ لعمارة الجسور في كل سنة ثلث الخراج لعنايتهم بها :  
لما يترتب عليها من المصالح ، ويحصل بها من النفع في رىّ البلاد .

§ وقد وصف بعض الشعراء ، النيل في طلوعه وهبوطه ، فقال :

وَاهَا هَذَا النَّيْلِ ، أَيُّ عَجِيبَةٍ \* بِكُرٍّ بِمِثْلِ حَدِيثِهَا لَا يُسْمَعُ !

يَلْقَى الثَّرَى فِي الْعَامِ وَهُوَ مَسْلَمٌ \* حَتَّى إِذَا مَا مَنَّ عَادَ يُودَّعُ .

مَسْتَقْبِلٌ مِثْلَ الْهَلَالِ ، فَدَهْرُهُ \* أَبَدًا يَزِيدُ كَمَا يَزِيدُ وَيَرْجِعُ .

وللشعراء فيه أوصاف وتشبيهات ، نذكرها بعدُ إن شاء الله تعالى في موضعها .

٩٤

§ وهذا النهر مخالف في جريه لسائر الأنهار ، لأنه يجرى مما يلي الجنوب مستقبل  
الشمال . وكذلك نهر مهران بالسند ، ونهر الأرظ ، وهو نهر خص وحمأة ، ويسمى  
العاصي لمخالفته للأنهار في جريها . وما عداها من الأنهار جريها من الشمال إلى الجنوب :  
لارتفاع الشمال عن الجنوب وكثرة مياهه .

وهو أخف المياه وأحلاها وأعمها نفعا وأكثرها خراجا .

§ وقد حكى أنه جُي في أيام كيقاوش (أحد ملوك القبط الأول) مائة ألف ألف  
وثلاثين ألف دينار ، وجباه عزيز مصر مائة ألف ألف دينار ، وجباه عمرو بن العاص  
أثنى عشر ألف ألف دينار ، ثم رُدُّل إلى أن جُي أيام القائد جوهر (مولى المعز العبدي)  
ثلاثة آلاف ألف ومائتي ألف دينار .

وسبب تفهقره أن الملوك لم تسمح نفوسهم بما كان يُنْفَق في حفر تُرْعِه وإتقان جسوره وإزالة ما هو شاغل للأرض عن الزراعة كالتصَب والحلفاء .

وحكى ابن هَيْبَةَ أن المرتبَّين لذلك كانوا مائة ألف وعشرين ألف رجل : سبْعون ألفاً للصعيد، وخمسون ألفاً للوجه البحريّ .

٥ وحكى ابنُ زولاق أن أحمد بن المدبر لما ولي الخراج بمصر، كشف أرضها فوجد غامرها أكثر من عامرها، فقال : والله لو عمَّرها السلطان، لوفت له بخراج الدنيا . § وقيل إنها مُسِحَتْ أيام هشام بن عبد الملك، فكان ما يركبه الماء العامر والغامر مائة ألف فدان . والفدان أربعمائة قصبه، والقصبه عشرة أذرع .

واعتبر أحمد بن المدبر ما يصلح للزراعة بمصر في وقت ولايته، فوجده أربعة

١٠ وعشرين ألف ألف فدان . والباقي استبحر وتلف .

واعتبر مدة الحرث فوجدها ستين يوماً . والحرث يحرث خمسين فدانا، فكانت

محتاجة إلى أربعمائة ألف وثمانين ألف حرث .



### وأما الفرات

١٥ فهو أحد الرافدين، ويقال الوافدين، والآخردجلة، سُميا بذلك لأنهما يجريان في جانبي بغداد : دجلة من شرقها، والفرات من غربها : يأتي إليها من دجلة من واسط، والبصرة، والأبلة، والأهواز، وفارس، وعمَّان، واليمامة، والبحرين، وسائر بلاد الهند، والسند، والصين، ويأتي إليها من الفرات من الموصل، وأذربيجان، وأرمينية، والجزيرة، والثغور، والشام، ومصر، والمغرب، وقد تقدم ذكرنا لحديث البخاري أنه يجري من تحت سدره المنتهي .

٢٠

وأما مبتدأ جريه الذي يعرفه الناس، فمن مدينة قاليقلآ من نهر يسمي أودخش،  
ويجري مقدار أربعمائة وخمسين ميلا مغربا، ثم يخرج من جهة الجنوب حتى يترين  
نغري ملطية، وشميساط، ثم إلى جسر منبج، ثم يعطف ويأخذ جهة الجنوب حتى  
يصل إلى بالس ويمر بنصيبين، والرقة، وقرقيسيا، والرحة، فيلتحف على عانات،  
ثم يمتد حتى يمر بهيت والأنبار . فإذا جاوزها اتقسم قسمين : قسم يأخذ نحو  
الجنوب قليلا وهو المسمى بالعلقم، ينتهي إلى بلاد سورا وقصر ابن هبيرة والكوفة  
والحلة، إلى الباطيحة التي بين البصرة وواسط، والقسم الآخر يسمي نهر عيسى،  
منسوب لعيسى بن علي بن عبد الله بن عباس، وهو ينتهي إلى بغداد، ويمر حتى  
يصب في دجلة .

قال المسعودي : وقد كان الأكثر من ماء الفرات ينتهي إلى بلاد الحيرة، ثم  
يتجاوزها ويصب في البحر الفارسي، وكان البحر يوم ذاك في الموضع المعروف  
بالنجف في هذا الوقت، وكانت مراكب الهند والصين ترد على ملوك  
الحيرة فيه .

قال : والموضع الذي كان يجري فيه بين إلى زمن وضعي هذا الكتاب، يعني  
"كتاب مروج الذهب" وهو في سنة خمس وثلاثين وثلثمائة، ويعرف بالعتيق، وعليه  
كانت وقعة القادسية .

وطول الفرات من حيث يخرج عند ملطية إلى أن يأتي ما يأتي منه إلى بغداد  
سثمائة فرسخ وثلثمائة وعشرون فرسخا، وفي شطه مدن في جزائر تعد من أعمال  
الفرات، وهي الرهسة، والناووسة، والقصر، والحديثة، وعانات، والدالية .



## وأما نهر دجلة

ويسمى السلامة ، وبه سميت بغداد دار السلام على أحد القولين ، والثاني السلام على الخلفاء فيها .

- وهذا النهر فارز بين العراق والجزيرة ، وأنبعاثه من أعين بجبال آمد ، ويصب إليه نهران يخرجان من أرزن الروم ومياً فأرقين وعيون أخرى من جبال السلسلة ، فيمتز ببلد ، ثم بالموصل فيصب فيه نهر الخابور الخارج من بلاد أرمينية بين بلاد سورا وقبر سابور ، ويصب فيه الزاب الأكبر الخارج من بلاد أذربيجان على فرسخ من الحديثة . ويسمى المجنون لحدته وشدته جريه ، ثم تمر دجلة فيصب فيها الزاب الأوسط ، ومخرجه من الفرات ويمر بين إربل ودقوقاء ، ويصب في دجلة أيضا ١٠ الزاب الأصغر ، ومخرجه أيضا من الفرات .

- وهذه الزوابي الثلاثة أنبهاها زاب بن طهماسب : أحد ملوك الفرس الأول ، ثم تمر دجلة بتكريت إلى أن تتجاوز سامرا قليلا فيقع فيها نهر عيسى ويمر حتى يشق بغداد ، فإذا تجاوزها صب فيه نهر يخرج من بلاد أرمينية يسمى تامرا بعد أن يمر بناصلو ثم بباجسرا فيسمى النهروان ، ويشق مدينة تعرف به ، ثم تمر دجلة بجزرايا والتعمانية ثم بواسط ، ثم إلى البطائح ، ثم تخرج منها بالبصرة وتجرى حتى تنتهي إلى عبادان ، وعندها تصب في البحر الفارسي . ١٥

وما يمر من دجلة بالبصرة يملح إذا مدت البحر فلا يشرب منه آلبنة ، ويحلوا إذا جزر . فاهل البصرة ينتظرون بالاستقاء منه الجزر ، وهو يمد بكرة ويحجز عشاء .

وكانت المراكب التي ترد من الهند والصين تدخل في دجلة من بحر فارس إلى مدينة المدائن ، فاتفق أن أنبتق في أسافل كسكربتق عظيم على عهد قباد بن فيروز فأهل حتى طغى ماؤه وغرق عمارات وضياعا فصارت بطائح .

ويسمى هذا البثق دجلة العوراء لتحويل الماء عنه . وصار بين دجلة الآن ودجلة العوراء مسافة بعيدة تسمى بطن جوحى ، وهو من حد فارس من أعمال واسط إلى نحو السوس من أعمال خوزستان .

ويقال إن كسرى أنفق أموالا عظيمة على أن يحول الماء إليها فأعياه ذلك . ورامه خالد بن عبد الله القسرى فعجز عنه .

§ ومقدار مسافة جري نهر دجلة إلى أن يصب في البحر الفارسي ثلثمائة فرسخ ؛ ومقدار البطائح ثلاثون فرسخا طولا وعرضا . وهي تفيض في كثير من الأوقات حتى يخشى على بغداد الفرق .

### وأما نهر سجستان

§ ويسمى الهند مند<sup>(١)</sup> ، فيقال إن منوچهر بن أيراج بن أفريدون أنبته .

§ وهو يجري من عيون في بلاد الهند ويمر ببلد الغور؛ فإذا تجاوزها ، مر من أعلى سجستان على بر رنج ، ثم على بسط<sup>(٣)</sup> ، ثم على دونج<sup>(٤)</sup> فتفتح منه أنهار تجري في شوارعها . ثم يمر عمود النهر حتى يصب في بحيرة زرة .

(١) وسماه المسعودي "الهرمند" في كتاب "التنبيه والإشراف" .

(٢) في المسعودي "إيران" وقال : إن إيران تسميه الفرس أيراج .

(٣) هي المشهورة بأسم "بست" . ومنها أبو الفتح البستي الشاعر المعروف .

(٤) لم أعر على هذا الاسم فيما بيدي من كتب الجغرافية العربية ، ولعلها هي نفس المدينة التي ذكرها

باقوت وغيره بأسم "زرنج" وقال إنها قصبة سجستان .

§ وطول هذا النهر من حيث يتدنى إلى نهايته مائة فرسخ  
وزعم قوم أنه يخرج من نهر الكلك .



### وأما نهر مهران

§ وهو نهر السند، فهو يشبه نيل مصر في زيادته ونقصه واصناف حيوانه وما يتفرع  
منه من الخُلجان .<sup>(١)</sup>

§ وهو يستمد من أربعة أنهر : نهران يجريان من السند، ونهر من ناحية كابل،  
ونهر من بلاد قشمير . وتجتمع فتكون نهرا واحدا، ويجرى حتى ينتهي إلى الدور  
فيمر بها، ومن ثم يسمى نهر مهران، ثم يمر بالمولتان، ثم بالمنصورة، ثم يجرى إلى  
ديبل . فإذا تجاوزها صب في بحر الهند على ستة أميال منها .  
§ وطوله ألف فرسخ .



(٢)

### وأما نهر

ويسمى بالفارسية "به رود" وهو "نهر بلخ"<sup>(٣)</sup>

§ وأنبعاته من بحيرة في بلاد التبت، مقدارها طولاً وعرضاً أربعون ميلاً، تجتمع  
من أنهار الختل .

- (١) لا يزال اسم "مهران" علماً يطلقه بعض الهنود إلى الآن على القسم الأسفل من نهر السند .  
(٢) في الأصل "جيجان" . وهو خطأ لأن جيجان نهر آخر في آسيا الصغرى ويعرف بنهر المصيصة  
ويصب في بحر الشام . أنظر ياقوت وابن رسته في "التنبيه والإشراف" .  
(٢) ويسمى أيضاً نهر كالف على ما رواه المسعودي بأسم قلعة حصينة ، قال ياقوت إنها قائمة على طرفه  
شبية بالمدينة بينها وبين بلخ ثمانية عشر فرسخاً



فإذا نخرج منها مر بُوخَان فيسمى نهر جرياب<sup>(١)</sup> ، ويجرى من المشرق إلى المغرب إلى أعلى حدود بلخ . ثم يعطف إلى ناحية الشمال إلى أن يصير إلى الترمذ ، ثم منها إلى زَم وأمل من بلاد نُرَاسان . ثم يجري إلى أن يمر ببلاد خُوَارزَم فيشُق قصبَتها . فإذا تجاوزها تشعب منه أنهار وخليجان يمينا وشمالا ، تُصب إلى مستنقعات وبطائح يصاد فيها السمك .

ثم تخرج منها مياه تجتمع وتصير عمودا واحدا ، تجري مقدار أربعة وعشرين فرسخا ، ثم تصب في بحيرة خوارزم .

§ ويكون مقدار جريه من مبدئه إلى نهايته ثلاثمائة وخمسين فرسخا . وقيل : أربعمائة . وساحله يسمى الروذبار<sup>(٢)</sup> .

ويقال إنه يخرج منه خليج يأخذ سمت المغرب حتى يقرب من كُزَمان ، ثم يمضي حتى يصب في بحر فارس .

§ ونهر جيحون ربما جمد في الشتاء حتى تعبر عليه القفول . قالوا : ويتبدى جموده من ناحية خوارزم .

### وأما نهر سنجون

ويسمى نهر الشاش ، وهو فارز بين بلاد الهياطلة وبلاد تتركستان .

§ قال ابن حوقل : مبتدؤه من أنهار تجتمع في حدود بلاد الترك [ والإسلام ] ، فتصير عمودا واحدا وتجرى حتى تظهر في حدود أوزكند من بلاد فرغانة فتصب فيه

(١) في الأصول "جواب" والتصحيح عن الاصطخرى وابن حوقل .

(٢) قال ياقوت : كان معناه بالفارسية "موضع النهر" . ثم نقل عن السمعاني أن الروذبار لفظه

لمواضع عند الأنهار الكبيرة في بلاد متفرقة . ثم ذكر روذبار بلخ ثم قال وبالشاش أيضا قرية يقال لها روذبار من وراء جيحون . [ ولعل المراد هنا بلاد النهر أي نهر جيحون كما قالوا زنجبار أي بلاد الزنج ] .

فيعظم ويكثر ماؤه، ثم يمتد إلى فاراب، فإذا تجاوزها يجري في بركة فيكون على جانبيه الأتراك الغزبية، ويمتد إلى أن يصب في نهر جيحون<sup>(١)</sup> .  
 وبين موقعه في النهر وبين بحيرة خوارزم عشرة أيام .

♦ ♦ ♦  
 (٢)  
 وأما نهر الكنك

وهو نهر تعظمه الهند، فينبعث من بلاد قشмир ويجري في أعلى بلاد الهند .  
 § وهم يزعمون أنه من الجنة فيعظمونه غاية التعظيم .  
 § ومن عجائبه أنه إذا ألقى فيه شيء من القاذورات، أظلم جوه ورجفت أرجاؤه  
 وكثرت الأمطار والرياح والصواعق .  
 § وقد وصفه العتبي في "التاريخ اليميني" فقال :

١٠ "وهذا النهر الذي يتوآصف الهنود قدره وشرفه، فيرون من عين الخلد التي في السماء  
 مغترفه؛ إذا أحرق منهم ميت ذروه فيه بعظامه، فيظنون أن ذلك طهر لآثامه؛  
 وربما أتاه الناسك من المكان البعيد فيغرق نفسه فيه، يرى أن هذا الفعل يُنجيه.  
 والهنود يفرطون في تعظيمه حتى إن الرجل منهم إذا أراد الفوز، أحرق نفسه  
 ١٥ وألقى رماده فيه، أو يأتي إلى النهر (وهناك شجر القنأ في غاية الأرتفاع، وقوم هناك  
 بأيديهم سيوف مسالولة وخناجر) فيربط نفسه في طرف قناة، ثم يحز رأسه بيده

(١) اختصر المؤلف كلام ابن حوقل اختصاراً خفيفاً (وانظر كلام ابن حوقل في كتابه "المسالك

والممالك" ص ٣٩٢ - ٣٩٣) .

(٢) قال أبو الفدا إن اسمه الهندى : كانكور وسماه المسعودى "جنجس" في كتاب "النتبيه

والإشراف" .

فبقي الرأس معلقاً في طرف القناة وتسقط الخنثى، أو يلقي نفسه من شاهق على تلك السيوف والخنابح فيتقطع، ومنهم من يلقي نفسه في النهر فيغرق“ .

### وأما نهر الكُر

فهو نهر بأرض أرمينية .

§ وأنبعاثه من بلاد اللان، فيمتر ببلاد الأبخاز حتى يأتي ثغرتفليس فيشقه ويمجرى في بلاد الساوردية . ثم يخرج بأرض برذعة، ويمجرى إلى برزنج فيصب فيه نهر الرّس .  
§ وهذا النهر هو المذكور في القرآن العزيز في قوله تعالى ( وأصحاب الرس ) على ما ذهب إليه بعض المفسرين . فإذا صب فيه هذا النهر، صاراً نهراً واحداً يصب في بحر الخزر .

§ ونهر الرّس يخرج من أقاصى بلاد الروم، على ما زعم المسعودى .

### وأما نهر إاتل

§ وهو نهر عظيم، فهو نهر الخزر .

§ ويمتر جانبه الشرقى على ناحية نخرخيز، ويمجرى ما بين الكيماكية والغزية . ثم يمتد غرباً على ظهر بلغار وبرتاس و الخزر . ثم ينقسم قسمين : أحدهما إلى مدينة إاتل

(١) في الأصل “الأبخاز” . والأصوب “الابخاز” وهو اسم بلجة من بلاد أرمينية (وقد ذكر الابخاز

كل من الإصطخرى وأبن حوقل والمقدسى وأبن خرداذبة والمسعودى) .

(٢) جبل من الأرمن يسميه العرب أيضاً “السياوردية” ويصفونهم بأنهم “أهل العبث والفساد

والتلصص (عن حاشية في ص ١٩٢ من “مسالك الممالك” للإصطخرى) .

(٣) في الأصل “كذب أصحاب الرس المرسلين” وهو غير نظم القرآن، فتنبه .

(٤) مدينة كانت على نهر الإاتل ببلاد روسيا . ومنها خرج البلغار إلى البلاد المعروفة الآن باسمهم .

يشقها بنصفين ويمجرى إلى أن يصب في بحر الخزر، ويمجرى الآخرفيمتر ببلد الروس حتى يصب في بحرهم وهو بحر سوداق .

§ ويقال إنه يتشعب منه نيف وتسعون نهرا، وإذا وقع في البحر، يمجرى فيه مسيرة يومين ثم يغلب عليه .

§ وقيل إنه يجمد في الشتاء، ويتبين لونه في لون البحر .  
والله سبحانه وتعالى أعلم .

### ذكر ما في المعمور

من الأنهار والعيون التي يتعجب منها

قال صاحب "مباحج الفكر ومناهج العبر" في كتابه :

١٠ «وذكر المعتنون بتدوين العجائب في كتبهم التي وضعوها لذلك أن في المعمور أنهارا وعيونا يتعجب منها إذا أخبر عنها . فذكروا منها نهر الكنك (وقد تقدم ذكره) وأن بأرض الهند مكانا يعرف بعقبة عورك فيه عين ماء لا تقبل نجسا ولا قدرا، وإن ألقى فيها شيء من ذلك، أكفهرت السماء وهبت الريح وكثر الرعد والبرق والمطر . فلا تزال كذلك إلى أن يخرج منها ما طرح فيها .

١٥ «وذكروا أن في ناحية الباميان عينا تسمى ديواش تفور من الأرض كغليان القدر؛ متى بصق فيها إنسان أورمى فيها شيئا من القاذورات، ازداد غليانها وقورانها وفاضت . فربما أدركت من جعل ذلك فيها ففترقتة .

«وبناحية الباميان أيضا عين تجرى من جبل في بعض الأحيان . فإذا خرج

ماؤها، صار حجرا أبيض .

«وبقرية من أعمال فارس كهف بين جبال شاهقة فيه حُفرة بقدر الصَّحفة،  
يَقْطُرُ فيها من أعلى الكهف ماء: إن شرب منه واحد لا يفضل عنه منه شيء، وإن  
شرب منه ألف عمَّهم وأرواهم .

«وبناحية أردشير جرد عين يجري منها ماء حلويُّ شرب لشفية الجوف . فمن شرب  
منه قَدَحًا أقامه مرة، وإن زاد فعلى قدر الزيادة .

«وبدارين من أعمال فارس نهر ماؤه سُروب . إذا غُطَّت فيه الثيابُ خَضُرُها .  
«وفي بعض رساتيق همدان عيون متى نرج منها الماء تحجر .

«وبنواحيها أيضا ماء يخرج من تحت قلعة ويجري في جداول إلى بعض الرساتيق .  
فما تشبَّت منه في صدع أو شق صار حجرا صلبا ، وإذا صبَّ في خزفة وأقام فيها  
ثلاثة أيام ثم كسرت ، وجد في جوفها أخرى قد تحجرت من الماء .  
«وبناحية تفليس عين تنبع ، فإذا نرج منها الماء صار حيات .

«وبارض القدموس من حصون الدعوة برَبَضها حمام يجري إليها الماء من عين  
هناك . فإذا كان في أول شهر تموز ينبع في الحمام حيات في طول شبرين أولا ، ثم  
في طول شبر، وتكثر . ولا توجد في غير الحمام . فإذا آنقضى شهر تموز، عدمت تلك  
الحيات ، فلا توجد إلى العام القابل .

«وبارض أرمينية واد لا يقدر أحد ينظر إليه ولا يقف عليه ولا يَدْرِي ما هو .  
إذا وضعت القدر على صَفْتِه غاثُ ونَضِج ما فيها . وفيها واد عليه الأرحاء والبساتين .  
ماؤه حامض ؛ فإذا نزل في الإناء، عَدْب وحَلَا .

«وبالمراة عيون إذا خرج ماؤها لم يلبث إلا قليلا حتى يتحجر . فمنه تُفرش

دورهم .

«وبنواحي أرزن الروم ماء يستقى فيستحجر ويصير ملحا .

«وأكثر مياه بلاد اليمن تستحيل شبا .

«وبنواحي واحات من أعمال مصر عيون مياهها ألوانٌ مختلفة : من الحمرة والصفرة

والخضرة . تسيل إلى مستنقعات ، فتكون ملحا بحسب ألوانها .

«وفي هذه الناحية عيون يطبخ بها بدلا عن الخل .

«وبنواحي أسوان من الصعيد الأعلى مستنقعاتٌ منها النفط .

«وكذلك بتكريت من أرض العراق .

١٠ «وبأرض كامة<sup>(١)</sup> من بلد إفريقية عين تسمى عين الأوقات . تجرى في أوقات

الصلوات الخمس . فإذا حضر جنب أو امرأة حائض ، لا تبيض بشيء من الماء . وإذا

أثمهم رجلان ، أتمت بالماء للصادق وشئت على الكاذب .

«وببلد إفريقية أيضا عين تنبع بالمِداد ، يكتب به أهل تلك الناحية .

«وبطروطوشة من بلاد الأندلس واد يجرى رملا .

١٥ قال : وذكر بعض أصحاب المجاميع أنه كان بمدينة طحا من كورة الأشمونين

من صعيد مصر بئر فيها ماء معين يُشرب منها طول أيام السنة فيكون الماء كسائر

المياه ، حتى إذا كان أول يوم من برمودة من شهور القبط فمن شرب من ذلك الماء

(١) في الأصل : "كامنة" وهو غلط من النسخ ، لأن "كامنة" قبيلة من البربر منتشرة فيما بين برقة الى

أرض الجزائر .

يومئذ خدمته الطبيعة مقدار ما شرب . فاذا كان وقتُ الزوال عاد الماء إلى حالته الأولى، ثم لا يفعل كذلك إلا في مثل ذلك اليوم من العام القابل .

وقال : إنه كان بمدينة الأشمونين كنيسة تعرف ببوجرج إلى جانبها بئر لاندأوة فيها ولا بلل في سائر أيام السنة، فاذا كان اليوم العاشر من طوبة من شهور القبط تمتلئ تلك البئر ماءً شروباً . فلا يبقى أحد من نصارى ذلك البلد إلا ويأخذ من ذلك الماء للتبرك به . حتى إذا كان عند الزوال، غاض الماء فلا يبقى في البئر منه شيء ويحفظ لوقته .

«وبأرض مرمينثا من عمل حصن الأكراد عين تسمى القوّارة . تكون في غالب الأوقات بينها وبين وجه الأرض تقدير ثلاثة أذرع . وتفور في بعض الأيام ويخرج منها ماءٌ يدير أرحية الطواحين ويسقى البساتين فيستمر كذلك بعض يوم ثم يغور . ويتكرر ذلك في الأسبوع مرتين وثلاثة .

«وبقلعة بعلبك من الشام بئر تعرف ببئر الرحمة لا يرى فيها الماء إلا إذا حوصرت . فإنها عند ذلك تمتلئ حتى تفيض . فإذا زال الحصار جفت » .

ذكر ما يتمثل به مما فيه ذكر الماء

(ما جاء من ذلك على لفظ افعال)

الأمثال :

يقال :

أسرع من الماء إلى قراره

أرق من الماء .

أحق من لا يعق الماء .

١٥

٢٠

- أحقُّ من القابض على الماء .
- أصغى من ماء المفاصل .
- أعذب من ماء المفاصل .
- أجرى من الماء .
- أعذب من ماء الحشرج .
- أعذب من ماء البارق .
- ألطف من الماء .
- أوجد من الماء .

ويقال :

- أن ترد الماء بماء أكيس .
- ماء ولا كصداء .
- قد بلغ الماء الزبي .

ويقال :

- فلان يرقم على الماء . (إذا كان حاذقا) .
- نأطة مدت بماء . (لأنه يزداد فسادا) .
- ليس الرى فى التشاف . (فى ذم الاستقصاء) .
- الماء إذا طال مكثه ، ظهر خبثه ؛ وإذا سکن مثنه ، تحرك نثنه .
- الكدر من رأس العين .
- إذا عدبت العيون ، طابت الأنهار .
- هذا غيظ من فيض ، وبرض من عذ . (أى قليل من كثير) .



ومن أنصاف الايات :

- \* والمرءُ يَشْرَقُ بِالزَّلَالِ البَارِدِ! \*  
 \* كَذَلِكَ عَمَّرَ المَاءُ يَرْوِي وَيُغْرِقُ! \*  
 \* وَالْمَشْرَبُ العَذْبُ كَثِيرُ الرَّحَامِ! \*  
 \* مَوَاقِعُ المَاءِ مِنْ ذِي العُلَّةِ الصَادِي! \*  
 \* وَكَيْفَ يَعاْفُ الرِّيقَ مَنْ كَانَ صَادِيًا؟ \*

ومن الايات :

- يَا سَرْحَةَ المَاءِ قَدْ سُدَّتْ مَوَارِدُهُ \*  
 أَمَا إِلَيْكَ سَبِيلٌ غَيْرُ مَسْدُودٍ؟  
 لِحَائِمٍ حَامٍ حَتَّى لَا حِيَامَ بِهِ \*  
 مُحَلَّلٍ عَنِ طَرِيقِ المَاءِ مَصْدُودٍ!

وقال آخر:

- أَيُّجُوزُ أَخَذَ المَاءِ مِنْ \*  
 مَتَلَهَّبِ الأَحْشَاءِ صَادِي؟

وقال آخر:

- أَرَى مَاءً وَبِي عَطَشٌ شَدِيدٌ، \*  
 وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الوُرُودِ!

وقال آخر:

- مَنْ غُصَّ دَاوِي بِشُرْبِ المَاءِ غُصَّتَهُ، \*  
 فَكَيْفَ يَصْنَعُ مَنْ قَدْ غُصَّ بِالمَاءِ؟

وقال آخر:

- وَمَا كُنْتُ إِلَّا المَاءَ جِئْنَا لَشُرْبِهِ، \*  
 فَلَمَّا وَرَدْنَا إِذَا المَاءُ جَامِدٌ!

وقال آخر:

- وَفِي نَظَرَةِ الصَادِي إِلَى المَاءِ حَسْرَةٌ، \*  
 إِذَا كَانَ مَمْنُوعًا سَبِيلَ المَوَارِدِ!

وقال آخر:

- وإِنِّي لَلسَّاءِ الخَالِطِ للَقَذِي \*  
 إِذَا كَثُرَتْ وَزَادَتْ، لَعِبُوفٌ!

وقال آخر:

ساقنَع بالثَّمَادِ، لَعَلَّ دَهْرًا \* يَسُوقُ المَاءَ من حُرِّ كَرِيم!

وقال آخر:

وَمَنْ يَأْمِنِ الدُّنْيَا يَكُنْ مِثْلَ قَابِضٍ \* عَلَى المَاءِ، خَانَتَهُ فُرُوجُ الأَصَابِعِ.

وقال آخر:

وإِنِّي وَإِشْرَافِي عَلَيْكَ بِهَمَّتِي \* لَكَالمِبتَغَى زُبْدًا من المَاءِ بِالتَّخْضِ.

وقال آخر:

فَقُلْ فِي مَكْرَعِ عَدْبٍ، \* وَقَدْ وَاقَاهُ عَطْشَانُ!

وقال آخر:

وَكَيْفَ الصَّبْرُ عِنْدَكَ، وَأَيُّ صَبْرٍ \* لظِمَانٍ عَنِ المَاءِ الزُّلَالِ؟

وقال آخر:

وَإِنَّ المَاءَ فِي العِيدَانِ يَجْرِي، \* وَرُبَّمَا تَغَيَّرَ فِي المَلُوقِ!

وقال آخر:

إِذَا أَنَا عَاتَبْتُ المَلُولَ فَإِنَّمَا \* أَحْطُ بِأَقْلَامٍ عَلَى المَاءِ أَحْرَفًا!

وقال آخر:

والمَاءُ لَيْسَ عَجِيبًا أَنْ أَعَذَّبَهُ \* يَفْنَى، وَيَمْتَدُّ عُمرُ الآجِنِ الأَسِينِ.

وقال آخر:

المَالُ يُكْسِبُ أَهْلَهُ، مَا لَمْ يَفْضُ \* فِي الرَاغِبِينَ إِلَيْهِ، سُوءَ ثَنَاءِ.

كَلِمَاءُ تَأْسِينُ بِرُهُ إِلا إِذَا \* خَبَطَ السُّقَاةُ بِجَامِهِ بِدِلَاءِ.

## ذكر شئ مما قيل في وصف الماء وتشبيهه

§ فاما ما آختص به نهر النيل من الوصف .

فن ذلك قول ابن النقيب :

كَأَنَّ النَّيْلَ ذُو فَهْمٍ وَوَبٍّ \* لَمَّا يَبْدُو لِعَيْنِ النَّاسِ مِنْهُ .  
فَبَاتِي حِينَ حَاجَتِهِمْ إِلَيْهِ ، \* وَيَمْضِي حِينَ يَسْتَعْنُونَ عَنْهُ !

وقال تميم بن المعز العبيدي :

يَوْمٌ لَنَا بِالنَّيْلِ مَخْتَصِرٌ \* وَلِكُلِّ يَوْمٍ مَسْرَةٌ قِصْرٌ .  
وَالسُّفُنُ تَجْرِي كَالْحَيُولِ بِنَا \* صُعْدًا ، وَجَيْشُ الْمَاءِ مُنْعَدِرٌ .  
فَكَأَنَّمَا أَمْوَاجُهُ عُنْكَ \* وَكَأَنَّمَا دَارَاتُهُ سُرْرٌ .

§ ومن رسالة للقاضي الفاضل عبد الرحيم اليبساني قال :

وأما النيل فقد ملأ البقاع ، وانتقل من الإصبع إلى الدراع . فكأنما غار على الأرض فغطاها ، وعار عليها فاستقعدها وما تحطاها . فما يوجد بمصر قاطع طريق سواه ، ولا مرغوبٌ مرهوبٌ إلا إياه .

وأما ما آختصت به دجلة من الوصف .

قال التنوخي :

وَكَأَنَّ دِجْلَةَ إِذْ تَغْمُضُ مَوْجُهَا \* مَلِكٌ يُعْظَمُ ، خِيفَةٌ وَيَجِبُّ .  
عُدْبَتْ ، فَمَا أَدْرِي أَمَاءُ مَاؤُهَا \* عِنْدَ الْمَذَاقَةِ أَمْ رَحِيقٌ سَلْسَلٌ ؟  
وَكَأَنَّهَا يَاقُوتَةٌ أَوْ أَعْيُنٌ \* زُرْقٌ يُلَاقِمُ بَيْنَهَا وَيُوصَلُّ .  
وَلَهَا بِمَدِّ بَعْدَ جَزْرِ ذَاهِبٍ \* جَيْشَانٍ : يُدْبِرُ ذَا ، وَهَذَا يُقْبَلُ .

وقال محمد بن عبد الله السلمي، شاعر "اليتيمة" :

وميدان تجول به خيول \* تقود الدارين (١) ولا تقاد.  
ركبت به إلى اللذات طيرقا \* له جسم وليس له قواد.  
جرى فظننت أن الأرض وجه \* ودجلة ناظر وهو السواد.

وقال الصنوبري :

فلما تعالى البدر وأشتد ضوءه \* بدجلة في تشرين بالطول والعرض  
وقد قابل الماء المفضض نوره \* وبعض نجوم الليل يطفي سنا بعض،  
توهم ذو العين البصيرة أنه \* يرى ظاهر الأفلاك في باطن الأرض.

### ومما وصفت به الأنهار

قال الصنوبري :

والعوجات الذي كلفت به \* قد سوى الحسن فيه مذ عوج.  
ما أخطا الأيم في تعوجه \* شيئا إذا ما استقام أو عرج.  
تدرج الرياح منه فترى \* جوشن ماء عليه قد درج.  
إن أعقت بالجنوب أعنق في \* لطف، وإن هملجت به هملج.  
من أين طاقت شمس النهار به \* حسبت شمسا من جوفه تخرج.

وقال أبو فراس :

والماء يفصل بين زهر الروض في الشطين فضلا.  
كيساط وشي جردت \* أيدي القيان عليه نصلا.

(١) أظن قبل هذا ص ٢٥٦ في وصف البحر والسفن . وكتب في بعض الأصول عند هذا الموضع

لفظة "مكرر" .

وقال الناجم :

أُنظِرْ إِلَى الرَّوْضِ الذِّكْيِ \* فَحُسْنُهُ لِلْعَيْنِ قُرْهٌ !  
فَكَانَتْ خُضْرَتُهُ السَّمَاءَ \* ، وَنَهْرُهُ فِيهِ الْحَبْرَةُ .

وقال عبد الله بن المعتز :

وَتَرَى الرِّيحَ إِذَا مَسَّحَنَ غَدِيرَهُ \* وَصَفَيْتَهُ وَتَقَيَّنَ كُلَّ قَذَاةٍ ،  
مَا إِنْ يَزَالُ عَلَيْهِ ظَبْيٌ كَارِعٌ \* كَتَطَّلَعَ الْحَسَنَاءُ فِي الْمِرَاةِ .

ومثله قول الآخر :

وَعَدِيرٍ رَقَّتْ حَوَاشِيهِ حَتَّى \* بَانَ فِي قَعْرِهِ الَّذِي كَانَ سَاخًا .  
وَكَانَ الطُّيُورَ إِذْ وَرَدَتْهُ \* مِنْ صَفَاءٍ بِهِ ، تَرْقُ فِرَاخًا .

وقال آخر :

وَالنَّهْرُ مَكْسُورٌ غِلَالَةٌ فَضِيَّةٌ ؛ \* إِذَا جَرَى سَيْلٌ ، فَثُوبٌ نُضَارٌ .  
وَإِذَا اسْتَقَامَ ، رَأَيْتَ صَفْحَةً مَنْصُلًا ؛ \* <sup>(١)</sup> وَإِذَا اسْتَدَارَ ، رَأَيْتَ عَطْفَ سِوَارٍ .

وقال أبو مروان بن أبي الخصال :

النَّهْرُ قَدْ رَقَّتْ غِلَالَةُ خَضِرِهِ \* وَعَلَيْهِ مِنْ صَبْغِ الْأَصِيلِ طِرَازٌ .  
تَرْقُقُ الْأَمْوَاجُ فِيهِ كَأَنَّهَا \* عَكَنُ الْخُصُورِ تَهْزُهَا الْأَعْجَازُ .

وقال إبراهيم بن خفاجة الأندلسي :

لِللَّهِ نَهْرٌ سَالَ فِي بَطْحَاءٍ \* أَشْهَى وَرُودًا مِنْ لَمَى الْحَسَنَاءِ !  
وَعَدَّتْ تُحَفُّ بِهَ الْغُصُونُ كَأَنَّهَا \* هُدْبٌ تُحَفُّ بِمُقْلَةٍ زَرْقَاءِ .  
وَالرِّيحُ تَعَبَتْ بِالْغُصُونِ وَقَدِ جَرَى \* ذَهَبُ الْأَصِيلِ عَلَى الْجَيْنِ الْمَاءِ !

(١) المنصل (بضم فسكون فضم) هو السيف

وقال أبو القاسم بن العطار :

مررنا بشاطي النهرين حداثي \* بها حدق الأزهار تستوقف الحدق .  
وقد نسجت كف النسيم مفاضة \* عليه ، وما غير الحباب لها حلق !

وقال محمد بن سهل البلخي ، شاعر «الذخيرة» :

راقنا النهر صفاء \* بعد تكدير صفائه .  
كان مثل السيف مدمي \* فقلوه من دمايه .  
أو كمثل الورد غضبا \* فهو اليوم كانه .

وقال القاضي التنوخي ، شاعر «البيمة» :

أحب إلى بنهر معقل الذي \* فيه لقلبي من هومي معقل !  
عذب إذا ما عب فيه ناهل \* فكانه من ريق حب ينهل .  
متسلسل فكانه لصفائه \* دمع بخدي كاعب يتسلسل .  
فإذا الرياح جرين فوق متونه \* فكانها درع جلاه الصيقل !

وقال مؤيد الدين الطغراني في الغدير :

مجننا إلى الجزع الذي مد في \* أرجائه الغيم بساط الزهر .  
حول غدير ماؤه المتمي \* إلى بنات المزن يشكو الحصر .  
لولاده <sup>(الريح)</sup> الريح سموما به \* لأنقلبته وهي نسيم السحر .  
حضاؤه در ورضاضه \* سُحالة العسجد حول الدرر .  
وقد كسته الريح من نسجها \* درها به يلقي نبال المطر .

والبسته الشمس من صبغها \* نوراً به يحطف نور البصر.  
كانها المرأة مجلوة \* على بساط أخضر قد نُشِر.

وقال أيضا :

ملنا إلى النثر الذي ترتقى \* إليه أنفاس الصبا عاطرة.  
حول غدير مأوه دارع \* والأرض من رقتيه حاسرة.  
والشمس إن حادثه راد الضحى \* حسناء في مرآتها ناظرة.  
والشهب إن حادثه جنح الدجى \* تسبح في لجته الزاهرة.  
قد ركب الخضراء فيه، فمن \* حصبايه أنجمها زاهرة.  
يخضر إن مرت بأرجائه \* لفتح سموم في لظى هاجرة.  
أتمودج الماء الذي جاءنا السوءد بان نسقاه في الآخرة!

### ومما وصفت به البرك

قال البحرى عفا الله عنه :

يامن رأى البركة الحسناء رؤيتها \* والآساة التي لاحت مغايبها!  
ما بال دجلة كالغيري تافسها \* في الحسن طورا، وأطوارا تباهاها؟  
كأن جح سليمان الذين ولوا \* إبداعها فأدقوا في معانيها.  
فلو تمر بها بلقيس عن عرض، \* قالت: هي الصرح تمثيلا وتشبيها.  
تنصب فيها وفود الماء مُعجلة \* كالحيل خارجة من حبل مجريها.  
كأما الفضة البيضاء سائلة \* من السباك تجرى في مجاريها.

(١) في الأصل "يخضر" وفي ديوانه (الموجود منه نسخة مخطوطة «بدارالكتب المصرية») "يخضر"

ولا معنى لها . ولعل الصواب "يخضر" من الخصر، وهو شدة البرد كما يرتضيه السياق .

إذا علتها الصبا أبدت لها حُبُكًا \* مثل الجواشِينِ مَصْقُولًا حَوَاشِيهَا .  
 إذا النُّجُومُ تراءتْ في جَوَانِبِهَا \* لَيْلًا، حَسِبْتَ سَمَاءَ رُكْبَتِ فِيهَا .  
 لا يَبْلُغُ السَّمَكُ المَحْضُورَ غَايَتَهَا \* لُبْعِدِ مَا بَيْنَ قَاصِيهَا وَدَانِيهَا .  
 يَمَعْنُ فِيهَا بِأَوْسَاطِ مَجْنَحَةٍ \* كَالطَّيْرِ تَتَقَضُّ فِي جَوْ خَوَافِيهَا .  
 كَانَهَا حِينَ بَلَّتْ فِي تَدْفُقِهَا \* يَدُ الخَلِيفَةِ لَمَّا سَالَ وَادِيهَا !

وقال ابن طباطبا :

كَمْ لَيْلَةٍ سَاهَرْتُ أَنْجَمَهَا لَدَى \* عَرَصَاتِ أَرْضِ مَاؤَهَا كَسَمَائِهَا .  
 قَدَسُيرتْ فِيهَا النُّجُومُ كَأَنَّمَا \* فَلكُ السَّمَاءِ يَدُورُ فِي أَرْجَائِهَا .  
 أَحْسَنُ بِهَا بِمَجْرًا إِذَا أَلْتَبَسَ الدُّجَى، \* كَانَتْ نِجُومُ اللَّيْلِ مِنْ حَضْبَائِهَا !  
 تَرْنُو إِلَى الجُوزَاءِ وَهِيَ غَرِيقَةٌ \* تَبْغِي النَّجَاءَ، وَلاتَ حِينَ نَجَائِهَا !  
 تَطْفُو وَتَرْتَسِبُ فِي أَصْطَفَاقِ مِيَاهِهَا \* لَا مُسْتَعَانَ لَهَا سِوَى أَسْمَائِهَا .  
 وَالبَدْرُ يَحْفِقُ وَسَطَهَا فَكَأَنَّهُ \* قَلْبُ لَهَا قَد رِيحَ فِي أَحْشَائِهَا .

وقال عبد الجبار بن حمديس ، يصف بركة يجري إليها الماء من شاذروان من أفوار

طيور وزرافات وأسود ، من أبيات :

والماءُ مِنْهُ سَبَائِكُ مِنْ فِضَّةٍ \* ذَابَتْ عَلَى دَوْلَابِ شَاذِرَوَانَ !  
 فَكَأَنَّمَا سَيْفٌ هُنَاكَ مَشْطَبٌ \* أَلْقَتْهُ يَوْمَ الرُّوْعِ كَفِّ جَبَانَ !  
 كَمْ شَاخِصٍ فِيهِ يُطِيلُ تَعَجُّبًا \* مِنْ دَوْحَةٍ نَبَّتَتْ مِنَ العُقَيَانَ !  
 عَجَبًا لَهَا تَسْقَى هُنَاكَ يَنَائِعًا \* يَنَعَّتْ مِنَ الثَّمَرَاتِ وَالْأَغْصَانِ !  
 خُصَّتْ بِطَائِرَةٍ عَلَى فَنَنِ لَهَا \* حَسُنَتْ ، فَأُفْرِدَ حَسَنُهَا مِنْ ثَانِي !



قَسَّ الطيُورِ السَّاجِعَاتِ بِلَاغَةً \* وَفَصَاحَةً مِنْ مَنطِقٍ وَبَيَانٍ .  
 فَإِذَا أُتِيحَ لَهَا الْكَلَامُ تَكَلَّمَتْ \* بِخَرِيرِ مَاءٍ دَائِمِ الْهَمَلَانِ .  
 وَكَأَنَّ صَانِعَهَا أَسْتَبَدَّ بِصَنْعَةٍ \* نَحَرَ الْجَمَادُ بِهَا عَلَى الْحَيَوَانِ !  
 أَوْفَتْ عَلَى حَوْضٍ لَهَا فَكَأَنَّهَا \* مِنْهَا إِلَى الْعَجَبِ الْعُجَابِ رَوَانِ .  
 وَكَأَنَّهَا ظَنَّتْ حَلَاوَةَ مَائِهَا \* شَهْدًا ، فذَاقَتْهُ بِكُلِّ لِسَانِ .  
 وَزَرَّافَةٌ فِي الْجَوْثِ مِنْ أُنبُوبِهَا \* مَاءٌ يُرِيكَ الْجُرَى فِي الطَّيْرَانِ .  
 مَرَكُوزَةٌ كَالرُّمْحِ حَيْثُ تَرَى لَهُ \* مِنْ طَعْنِهِ الْحَاقِقِ أَنْعَاطَافِ سِنَانِ .  
 وَكَأَنَّمَا تَرْمِي السَّمَاءَ بِنُبْدِقٍ \* مُسْتَنْبِطٍ مِنْ لُؤْلُؤِ وَجْهَانِ !  
 لَوْ عَادَ ذَلِكَ الْمَاءُ نِفْطًا ، أُحْرِقَتْ \* فِي الْجَوْثِ مِنْهُ قَبِيصَ كُلِّ عَنَانِ .  
 فِي بَرَكَةٍ قَامَتْ عَلَى حَافَتِهَا \* أَسَدٌ تَنْدُلُ لِعِزَّةِ السُّلْطَانِ !  
 نَزَعَتْ إِلَى ظُلْمِ النُّفُوسِ نُفُوسُهَا ، \* فَلِذَلِكَ اتَّزَعَتْ مِنَ الْأَبْدَانِ .  
 وَكَأَنَّمَا الْحَيَاتُ مِنْ أَفْوَاهِهَا \* يَطْرَحْنَ أَنْفُسَهُنَّ فِي غُدْرَانِ .  
 وَكَأَنَّمَا الْحَيَاتَانُ إِذْ لَمْ تَخْشَاهَا ، \* أَخَذَتْ مِنَ الْمَنْصُورِ عَهْدَ أَمَانِ !

وقال آخر :

وَلَقَدْ رَأَيْتُ ، وَمَا رَأَيْتُ كَبْرَكَةً \* فِي الْحُسَيْنِ ذَاتِ تَدْفُقٍ وَنَحْرِيْرٍ !  
 عَقَدْتُ لَهَا أَيْدِي الْمِيَاهِ قَنَاطِرًا \* مِنْ جَوْهَرٍ فِي لُحْيَةٍ مِنْ نُورٍ !

وقال علي بن الجهم ، يصف فؤارة :

وَفُؤَارَةٌ تَارُهَا فِي السَّمَاءِ ، \* فَلَيْسَتْ تُقَصِّرُ عَنْ تَارِهَا !  
 تَرَاهَا إِذَا صَعِدَتْ فِي السَّمَاءِ \* تَعُودُ إِلَيْنَا بِأَخْبَارِهَا .  
 تَرُدُّ عَلَى الْمُنْزَنِ مَا أَنْزَلْتِ \* عَلَى الْأَرْضِ مِنْ صَوْبٍ مِثْرَارِهَا !



وقال ابن حجاج فيها :

عَلِمْتُ فِي دَارِكَ فَسَوَّارَةً ، \* غَرَّقَتِ الْأَفْسُقُ بِهَا الْأَنْجُمَا !  
فَاضَ عَلَى نَجْمِ السَّمَاءِ مَأْوَاهَا ، \* فَاصْبَحَتْ أَرْضُكَ تَسْقِي السَّمَاءَ !

وقال تميم بن المعز العبيدي :

وَقَاذِفَةٍ بِالْمَاءِ فِي وَسْطِ بَرَكَةٍ \* قَدْ أَلْتَحَفَتْ ظِلًّا مِنَ الْأَيْكِ مَجْسَجًا .  
إِذَا أَيْنَعَتْ بِالْمَاءِ سَلَّتَهُ مُنْصَلًا \* وَعَادَ عَلَيْهَا ذَلِكَ النَّضْلُ هَوْدَجًا .  
مُحَاوِلٌ إِدْرَاكَ النَّجُومِ بِقَدْفِهَا ، \* كَأَنَّ لَهَا قَلْبًا عَلَى الْجَوْ مُحْرَجًا !

ومما وصفت به الدواليب والنواعير

قال أبو حفص بن وضاح :

لِللَّهِ دَوْلَابٌ يَطُوفُ بِسَلْسَلٍ \* فِي رَوْضَةٍ قَدْ أَيْنَعَتْ أَفْنَانَا !  
قَدْ طَارَحَتْ فِيهِ الْجَمَائِمُ شَجْوَهَا \* بِنَجِيهَا ، وَتَرَجَّعُ الْأَلْحَانَا .  
فَكَانَهُ دَنْفٌ يَطُوفُ بِمَعْهَدٍ ، \* يَبْكِي وَيَسْأَلُ فِيهِ عَمَّنْ بَانَا .  
ضَائِقَتْ بِجَارِي طَرْفِهِ عَن دَمْعِهِ ، \* فَتَفْتَحَتْ أَضْلَاعَهُ أَجْفَانَا !

وقال الموفقى ، رحمه الله :

نَاعُورَةٌ تُحَسِّبُ مِنْ صَوْتِهَا \* مُتِيماً يَشْكُو إِلَى زَائِرٍ .  
كَأَنَّهَا كِيْرَانُهَا غَضْبَةٌ \* رُمُوا بِصَرْفِ الزَّمَنِ الْوَاتِرِ .  
قَدْ مَنَعُوا أَنْ يَلْتَقُوا فَأَغْتَدُوا \* أَوْلَهُمْ يَبْكِي عَلَى الْآخِرِ !

وقال آخر :

وَنَاعُورَةٌ قَدْ ضَاعَفَتْ بُنْوَاحِهَا \* نُوَاحِي ، وَأَجْرَتْ مُقَلَّتِي دُمُوعَهَا !  
وَقَدْ ضَعُفَتْ مِمَّا تَبْنُ ، وَقَدْ غَدَّتْ \* مِنَ الضَّعْفِ وَالشَّكْوَى تَعْدُّ ضُلُوعَهَا !

وقال ابن منيير الطرابلسي :

لِنَوَاعِيرِهَا عَلَى الْمَاءِ الْحَا \* نُّ تَهِيحُ الشَّجَا لِقَلْبِ الْمَشُوقِ .  
فَهِيَ مِثْلُ الْأَفْلَاكِ شَكْلًا وَفِعْلًا ، \* قُسِمَتْ قَدَمَ جَاهِلٍ بِالْحُقُوقِ :  
بَيْنَ عَالٍ ، سَائِمٍ ، يُنَكِّسُهُ الْحَظُّ وَيَعْلُو بِسَافِلِ مَرَزُوقِ .

وقال أبو الفرج الأوءاء :

وَكَرِيمِيَّةٍ سَقَّتِ الرِّيَاضَ بَدْرَهَا ، \* فَغَدَّتْ تَتُوبُ عَنِ السُّحَابِ الْهَامِيعِ .  
بِلِبَاسِ مَحْزُونٍ ، وَدَمْعَةِ عَاشِقٍ ، \* وَحَيْنِ مُشْتَاقٍ ، وَأَنَّةٍ جَازِعِ .  
فَكَأَنَّهَا فَلَكٌ يَدُورُ ، وَعُلُوهُ \* يَرْمِي الْقَرَارَ بِكُلِّ نَجْمٍ طَالِيعِ .

وقال الصنوبري :

فَلَكٌ مِنَ الدُّوَلَابِ فِيهِ كَوَاكِبٌ \* مِنْ مَائِهِ تَنْقُضُ سَاعَةَ تَطْلُعِ .  
مِثْلُونَ الْأَصْوَاتِ : يَخْفِضُ صَوْتَهُ \* بِغِنَائِهِ ، طَوْرًا وَطَوْرًا يَرْفَعُ .

### ومما وصفت به نثرا

من رسالة للشيخ ضياء الدين القرطبي إلى بعض إخوانه يستدعي منه ثلاثة أسهم ومليّات . جاء منها :

”...والحاجة داعية إلى ثلاثة أسهم ، كأنها هقعة الأنجم ؛ ممتدة امتداد الرُّمَحِ ،  
مقومة تقويم القِدْحِ ؛ غير مشعثة الأطراف ، ولا معقدة الأعطاف ؛ ولا مُسَوِّسَةٌ  
الأجواف ؛ تُحَاسِنُ الغُصُونِ بِقَوَامِهَا ، وَالقُدُودَ بِتَمَامِهَا ؛ وَتُخَالِفُ هَيْفَهَا بِامْتِلَاءِ  
خُصُورِهَا ، وَتُسَاوِي [بَيْنَ] هَوَادِيهَا وَصُدُورِهَا ؛ مَعْتَدِلَةٌ الْقُدُودَ ، نَاعِمَةٌ الْحُدُودَ ؛

مع مَلِيَّاتٍ أَخَذَتِ النَّارُ مِنْهَا مَا أَخَذَهَا فَاسْوَدَّتْ ، وَتَطَاوَلَتْ عَلَيْهَا مَدَّةُ الْجَنَافِ  
 فَاشْتَدَّتْ ؛ وَتَرَامَتْ بِهَا مَدَّةُ الْقِدَمِ ، كَأَنَّهَا فِي حَيْزِ الْعَدَمِ ؛ صِلَابِ الْمَكَاسِرِ ، غَلَاظِ  
 الْمَازِرِ ؛ تُشْبِهُ أَخْلَاقَهُ فِي هَيْجَاءِ السَّلْمِ ، وَتَحْكِي صَلَابَةَ آرَائِهِ فِي تَفَازِ الرَّأْيِ وَمَضَاءِ  
 الْعِزْمِ ؛ تَكْظِمُ عَلَى الْمَاءِ بَغِيظَهَا ، فَتَجُودُ عَلَى الْأَرْضِ بَفَيْضِهَا ؛ تَمْسُدُ يَدَيْهَا  
 فِي آقْتِضَاءِ إِرَادَتِهَا ، وَتَطْلُعُ طُلُوعَ الْأَنْجَمِ فِي فَلَكِ إِدَارَتِهَا ؛ وَتُعَانِقُ أَخَوَاتِهَا مَعَانِقَةَ  
 التَّشْيِيعِ ، فَآخِرُ التَّسْلِيمِ أَوَّلُ التَّوْدِيعِ ؛ عَلَى أَنَّهَا تُؤْذَنُ بِمُحَقَّقَاتِ الْأَعْتِبَارِ ، وَتَجْرَى جَرَى  
 الفلك المدار في قناة الأعمار :

مُرَّ كَأَنْفَاسِ الْفَتَى فِي حَيَاتِهِ \* وَتَسْعَى كَسَعَى الْمَرْءِ أَثْنَاءَ عُمُرِهِ .  
 يُفَارِقُ خَلًّا خِلَّهُ ، وَهُوَ سَائِرٌ \* عَلَى مِثْلِ حَالِ الْخَلِّ فِي إِثْرَسِيرِهِ .  
 وَيُعَلِّمُهُ التَّدْوَارُ ، لَوْ يَعْقِلُ الْفَتَى \* بَانَ مُرُورَ الْعُمُرِ فِيهِ كَمَرِهِ .  
 فَمَنْ أَدْرَكَتْ أَفْكَارُهُ سِرَّ أَمْرِهَا ، \* فَقَدْ أَدْرَكَتْ أَفْكَارُهُ سِرَّ أَمْرِهِ .  
 وَمَنْ فَاتَهُ ، الْإِدْرَاكُ أَدْرَكَهُ الرَّدَى : \* إِذَا جُرِّعَتْ أَنْفَاسُهُ كَأَسِّ مُرِّهِ .“

### ومما وصفت به الحداويل

قال ابن المعتز، عفا الله عنه :

على جدول ريان، لا يقبل القذى : \* كأن سواقيه ممتون المبارد .

وقال الناجم :

أحاطت أزاهير الربيع سوية \* سباطين مضطقين ، تستنبت المرعى .  
 على جدول ريان كالسهم مرسلا ، \* أو الصارم المسلول ، أو حية تسعى .

(١) أى أخلاق المرسل إليه .

وقال المفعج :

على جَدُولٍ رِيَّانٍ يَنْسَابُ مَتْنُهُ \* صَقِيلًا، كَمَثَلِ السِّيفِ وَافِيٍّ مَجْرَدًا .  
إِذَا الرِّيحُ نَاغَتْهُ، تَحَلَّقَ وَجْهَهُ \* دُرُوعًا وَصَبَاءً، أَوْ تَحَزَّزَ مِئْبَرَدًا .

وقال ابن الرومي :

على حَفَافِيٍّ جَدُولٍ مَسْجُورٍ \* أبيضٌ مِثْلُ المَهْرَقِ المَنْشُورِ .  
أو مِثْلُ مِثْنِ المِنْصُلِ المَشْهُورِ \* يَنْسَابُ مِثْلَ الحَيَّةِ المَدْعُورِ .

وقال ذو الرمة :

فَمَا أَتَشَقَّى ضَوْءَ الصُّبْحِ حَتَّى تَبَيَّنَتْ \* جَدَاوِلُ : أَمْثَالُ السُّيُوفِ القَوَاطِعِ .  
وحيث آتھينا من ذكر المياه إلى هذه الغاية فلنذكر عباد الماء .

### ذكر عباد الماء<sup>(١)</sup>

وعباد الماء طائفة من الهند يُسَمُّونَ الجَلْهَكِيَّةَ<sup>(٢)</sup>، يزعمون أن الماء ملك ، ومعه ملائكة ، وأنه أصل كل شيء ، وبه كلُّ ولادة ونمو ونسوء وبقاء وطهارة وعمارة ، وما من عمل في الدنيا إلا ويحتاج إلى الماء .

§ فإذا أراد الرجل منهم عبادته ، تجرد وستر عورته . ثم دخل الماء حتى يصل إلى وسطه ، فيقيم سباعتين وأكثر . ويأخذ ما أمكنه من الرياحين فيقطعها صغاراً ويُلْقِي في الماء بعضها بعد بعض ، وهو يُسَبِّحُ ويقرأ . وإذا أراد الانصراف ، حرك الماء بيده . ثم أخذ منه فنقط على رأسه ووجهه وسائر جسده . ثم يسجد وينصرف .

(١) هذه العبارة كلها منقولة عن كتاب "الملل والنحل" للشهرستاني .

(٢) في الأصل : المهكنية . [وهو تصحيف وصوابه من الشهرستاني] .

## القسم الخامس من الفن الأول

في طبائع البلاد، وأخلاق سكانها، وخصائصها، والمباني القديمة،  
والمعاقل، وما وُصفت به القصورُ والمنازل  
وفيه خمسة أبواب

### الباب الأول

من هذا القسم

(في طبائع البلاد، وأخلاق سُكَّانها)

- § روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأل كعب الأحرار عن طبائع البلاد  
وأخلاق سُكَّانها، فقال : إن الله تعالى لما خلق الأشياء، جعل كل شيء لشيء .  
١٠ فقال العقل : أنا لاحقٌ بالشَّام، فقالت الفِتنَةُ : وأنا معك . وقال الحِصْبُ : أنا لاحق  
بمصر، فقال الذُّلُّ : وأنا معك . وقال الشَّقاء : أنا لاحقٌ بالبادية، فقالت الصَّحَّةُ :  
وأنا معك .
- § وقال محمد بن حبيب : لَمَّا خلق الله تعالى الخلق، خلق معهم عشرة أخلاق :  
الإيمان، والحياء، والنجدة، والفتنة، والكبر، والنفاق، والغنى، والفقْر، والذل،  
والشَّقاء . فقال الإيمان : أنا لاحقٌ باليمن، فقال الحياء : وأنا معك . وقالت النجدة :  
١٥ أنا لاحقَةٌ بالشَّام، فقالت الفتنة : وأنا معك . وقال الكبر : أنا لاحقٌ بالعِراق، فقال  
النَّفَاقُ : وأنا معك . وقال الغنى : أنا لاحقٌ بمصر، فقال الذُّلُّ : وأنا معك . وقال  
الفقْر : أنا لاحقٌ بالبادية، فقال الشَّقاء : وأنا معك .

§ وحكى عن المجاج أنه قال : لما تبوأَت الأشياءُ منازلها ، قال الطاعون : أنا نازلٌ بالشَّام ، فقالت الطاعة : وأنا معك . وقال النَّفاق : أنا نازلٌ بالعراق ، فقالت النعمة : وأنا معك . وقال الشقاء : أنا نازلٌ بالبادية ، فقال الصبر : وأنا معك .



### نوع آخر منه

§ رُوِيَ عن عبد الله بن عباس (رضى الله تعالى عنهما) أنه قال : إن الله تعالى خلق البركة عشرة أجزاء : فتسعة منها في قريش ، وواحد في سائر الناس . وجعل الكرم عشرة أجزاء : فتسعة منها في العرب ، وواحد في سائر الناس . وجعل الغيرة عشرة أجزاء : فتسعة منها في الأكراد ، وواحد في سائر الناس . وجعل المكر عشرة أجزاء : فتسعة منها في القبط ، وواحد في سائر الناس . وجعل الخفاء عشرة أجزاء : فتسعة منها في البربر ، وواحد في سائر الناس . وجعل النجابة عشرة أجزاء : فتسعة منها في الروم ، وواحد في سائر الناس . وجعل الصناعة عشرة أجزاء : فتسعة منها في الصين ، وواحد في سائر الناس . وجعل الشهوة عشرة أجزاء : فتسعة منها في النساء ، وواحد في سائر الناس . وجعل العمل عشرة أجزاء : فتسعة منها في الأنبياء ، وواحد في سائر الناس . وجعل الحسد عشرة أجزاء : فتسعة منها في اليهود ، وواحد في سائر الناس .

§ ويقال : قُسم الحقد عشرة أجزاء : فتسعة منها في العرب ، وواحد في سائر الناس . وقُسم البخل عشرة أجزاء : فتسعة منها في الفرس ، وواحد في سائر الناس . وقسم الكبر عشرة أجزاء : فتسعة منها في الروم ، وواحد في سائر الناس . وقسم

الطَّرب عشرة أجزاء : فتسعة منها في السودان ، وواحد في سائر الناس . وقسم  
السَّبَق عشرة أجزاء : فتسعة منها في اليهود ، وواحد في سائر الناس .  
§ ويقال : أربعة لا تعرف في أربعة : السَّخاء في الروم ، والوَفَاء في الترك ، والشجاعة  
في القِبْط ، والنِّم في الزَّبج .



### نوع آخر منه

§ وحكى عن الحجاج أنه سأل أيوب بن القُرَيْب عن طبائع أهل البلاد ، فقال :  
أهل الحجاز أسرع الناس إلى الفتن وأعجزهم عنها ؛ رجالها جفاة ، ونساؤها كساة عمراة .  
وأهل اليمن أهل ستم وطاعة ، ولزوم الجماعه . وأهل عُمان عرب استنبطوا . وأهل  
البحرين نَبَطٌ استعربوا . وأهل اليمامة أهل جفاء ، واختلاف آراء . وأهل فارس  
أهل بأس شديد ، وعزٌّ عتيد . وأهل العراق أبحثُ الناس عن صغيره ، وأضيعهم  
لكبيره . وأهل الجزيرة أشجع فُرسان ، وأقتلُ للأقران . وأهل الشام أطوعهم  
لمخلوق وأعصاهم نخالق . وأهل مصر عبيدٌ لمن غلب ؛ أكيسُ الناس صغارا ،  
وأجهلهم كبارا .

١٥ وحكى عن أبي عثمان "عمرو بن بحر الجاحظ" أنه قال : كما نُعلم في المكتب كما نُعلم  
القرآن : احذروا حماقة أهل بُخارى ، وغلُّ أهل مَرَو ، وشغب أهل نَيْسابور ، وحسد  
أهل هَرَاة ، وحقد أهل سِجِسْتان .

§ وقال أبو حامد القاضي : أعيانى أن أرى خراسانياً ذكياً ، وطبريا رزيناً ، وهمدانياً  
لبيباً ، وبصرياً ركيكاً ، وكوفياً رئيساً ، وبغدادياً سخياً ، وموصلياً لطيفاً ، وشامياً خفيفاً ،  
وحجازياً منافقاً ، وبدوياً ظريفاً .



§ وقال بختيشوع : تسعة لا تخلو من تسعة : قمى من رُعونة، ويماني من جنون ،  
وواسطى من غفلة، وبصرى من جدل، وكوفى من كذب ، وسوادى من جهل ،  
وبندادى من محرقة ، وخوزى من لؤم ، وطبرى من زرق <sup>(١)</sup> .

§ وقيل : جاوَرَ أهل الشام الرومَ ، فأخذوا عنهم اللؤم وقلة الغيرة . وجاور أهل  
الكوفة أهل السواد ، فأخذوا عنهم السخاء والغيرة . وجاور أهل البصرة الخوزَ ،  
فأخذوا عنهم الزنا وقلة الوفاء .

§ ويقال : إن القدماء اعتبروا البلاد وما أمتاز به بعضها عن بعض من الطبائع ،  
فوجدوا أخصب بقاع الدنيا ثمانية مواضع : أرمينية ، وأذربيجان ، وماء دینور ،  
وماء نهاوند ، وكرمان ، وأصبهان ، وقومس ، وطبرستان .

§ ووجدوا أخف بقاع الدنيا ماءً، ماءً ثمانية مواضع : دجلة، والفرات، وزندرود  
أصبهان، وماء سوران، وماء هفيجان، وماء جنديسابور، وماء بلخ، وماء سمرقند.  
(وغفلوا عن نيل مصر، ولعله أحقها بهذه الخصوصية من سائر المياه) .

§ ووجدوا أوبأ بقاع الدنيا ستة مواضع : النوبندجان، وسابورخواست، وخرجان،  
وحلوان، وبردعه، وزنجان . (وغفلوا عن شير) . <sup>(٢)</sup>

§ ووجدوا أعقل أهل البلاد تسعة : أهل أصبهان، والحيرة، والمدائن، وماء دینور،  
وأصطخر، ونيسابور، والرّي، وطبرستان، ونشوى (وهي نقجوان) .

§ ووجدوا أسرى أهل بقاع الدنيا أهل سبعة مواضع : طوسفون (وهي المدائن)،  
وبلاشون (وهي حلوان) <sup>(٢)</sup>، وماسبذان، ونهاوند، والرّي، وأصبهان، ونيسابور .

(١) من أهل طبرستان . وأما النسبة الى طبرية الشام فطبراق

(٢) أى حلوان العراق ، لا حلوان مصر .

§ ووجدوا أهل بقاع الدنيا أهل عشرة مواضع : ماسبذان ، ومهرجان قذق ،<sup>(٢)</sup>  
وسورستان ، والرّي ، والرّويان ، وأذربيجان ، والموصل ، وأرمينية ، وشهرزور ،  
والصامغان .

§ ووجدوا البخل في أهل ثمان بقاع : مرو ، وإصطخر ، ودارا بجرده ، وخوزستان ،  
وماسبذان ، وديبيل ، وماه دينور ، وحلوان .

§ ووجدوا أسفل أهل بقاع الأرض أربعة : أهل السدجان ، وبادرايا ، وماكسايآ ،  
وخوزستان .

§ ووجدوا أقل أهل الأرض نظرا في العواقب أهل سبعة مواضع : طبرستان ،  
وأرمينية ، وقومس ، وكرمان ، وكوسان ، ومكران ، وشهرزور .



§ ويقال : إنه وفد رجل من عجم نخراسان على كسرى ، فقال له : أخبرني من أحسن  
أهل نخراسان لقاء ؟ قال : أهل بخارى . قال : فمن أوسعهم بدلا للخبز والملح ؟  
قال : أهل جوزجان . قال : فمن أحسنهم ضيافة ؟ قال : أهل سمرقند . قال :  
فمن أدقهم نظرا وتقديرا ؟ قال : أهل مرو . قال : فمن أسوأهم طاعة ؟ قال :

(١) في بعض النسخ "أهل" بالمد .

(٢) هذا الاسم يتركب من ثلاث كلمات : مهر (أى الشمس ، المحبة ، الشفقة) ؛ جان (أى النفس ،  
الروح) ؛ قذق (وقد يضم أوله ولعله اسم رجل) . فيكون معناه : محبة أو شمس نفس قذق . وهى  
كورة حسنة من نواحي بلاد الجبل (عن ياقوت) .

(٣) كذا فى الأصل ولم يذكرها ياقوت . وإنما ذكر "السيرجان" ، مدينة بين كرمان وفارس . فلعلها

أهل خُوَارِزْم . قال : فمن أخبثهم طَوِيَّة ؟ قال : أهل مَرَو الروذ، إن رضى بذلك  
 أهل أَيْبُورِد . قال : فمن أسقطهم عقلا ؟ قال : أهل طُوس ، إن رضى بذلك أهل  
 نَسَا . قال : فمن أكثرهم شغبا وجدلا ؟ قال : أهل سَرَخُس ، إن رضى بذلك أهل  
 قُوهِسْتَان . قال : فمن أضعفهم وأخبثهم ؟ قال : أهل نَيْسَابُور . قال : فمن أقلهم  
 غيرةً على النساء ؟ قال : أهل هَرَاة .

## الباب الثاني

من القسم الخامس من الفن الأول

في خصائص البلاد

ولنبداً من ذلك بمكة ويثرب، وأغرب عما أنقله من فضلها ولا أغرب ؛  
 وأصله بذكر البيت المقدس والمسجد الأقصى، ولا أشرت الاستيعاب لأن فضائلها  
 لا تحصى .

فأما مكة (شرفها الله تعالى وعظمها)

فضائلها مشهورة بيّنة . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ  
 مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ . وقال  
 الله تعالى : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ .

قال بعض المفسرين : "أمنا" من النار . وقيل : كان يأمن من الطلب من أحد  
 حدثنا وبلغنا إليه في الجاهلية .

وحكى القاضي عياض في "كتاب الشفا" أنه حدث أن قوما أتوا سعدون  
 الخولاني بالمتستير، وأعلموه أن كُتَّامة قتلوا رجلا وأضرموا عليه النار طول الليل، فلم

تعمل فيه وبقي أبيض البدن، فقال: لعله حج ثلاث حجج؟ قالوا: نعم. قال: حدثت أن "من حج حجة أدى فرضه، ومن حج ثانية دأب ربه، ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار".

- ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة قال: "مرحباً بك من بيت، ما أعظمك وأعظم حرمتك!". وجاء في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم: "ما من أحد يدعو الله عند الركن الأسود إلا استجاب له". وكذلك عند الركن (١) .
- وعنه صلى الله عليه وسلم: "من صلى خلف المقام ركعتين، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيامة مع الآمين".

### ذكر ما كانت الكعبة عليه فوق الماء

- ١٠ قبل أن يخلق الله السماوات والأرض .
- قال أبو الوليد الأزرقى بسند يرفعه إلى كعب الأخبار أنه قال: كانت الكعبة غثاء على الماء قبل أن يخلق الله عز وجل السماوات والأرضين بأربعين سنة . ومنها دحييت الأرض .
- وقال يرفعه إلى مجاهد: خلق الله تعالى هذا البيت قبل أن يخلق شيئاً من الأرضين .
- ١٥ وعنه يرفعه إلى ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: لما كان العرش على الماء قبل أن يخلق الله السماوات والأرض بعث الله ريحاً فصفت الماء فأبرزت عن حشفة في موضع البيت كأنها قبة . فدحا الله عز وجل الأرض من تحتها فادت ثم مادت . فأوتدها الله تعالى بالجبال، فكان أول جبل وضع فيها أبو قبيس، فلذلك سميت مكة أم القرى

وعنه يرفعه إلى مجاهد أنه قال : لقد خلق الله عز وجل موضعَ هذا البيت قبل أن يخلق شيئاً من الأرض بالتي سنة، وإن قواعده لفي الأرض السابعة السفلى .

### ذكر بناء الملائكة الكعبة قبل خلق آدم عليه السلام،

#### ومبدا الطواف

قال أبو الوليد الأزرقى، يرفعه إلى علي بن الحسين رضى الله عنهما إنه أتاه سائل يسأله، فقال له : عمّ تسأل؟ فقال : أسألك عن بدء الطواف بهذا البيت لِم كان؟ وأتى كان؟ وحيث كان؟ وكيف كان بالبحر؟ فقال له : نعم، من أين أنت؟ فقال : من أهل الشام . فقال : أين مسكنك؟ قال : في بيت المقدس . قال : فهل قرأت الكتابين؟ (يعنى التوراة والإنجيل) . قال له الرجل : نعم . فقال له : يا أبا أهل الشام أحفظ، ولا تروين عنى إلا حقا :

أما بدء هذا الطواف بهذا البيت، فإن الله تعالى قال للملائكة : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، قالت الملائكة : أى رب، أخليفة من غيرنا : ممن يُفسد فيها وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ، وَيَتَحَاسِدُونَ، وَيَتَبَاغَضُونَ، وَيَتَنَازَعُونَ؟ أى رب، أجعل ذلك الخليفة منا، فنحن لا نُفسد فيها، ولا نُسفِكُ الدِّمَاءَ، ولا نتباغض، ولا نتحاسد، ولا نتباغى، ونحن نُسبِّحُ بِحَمْدِكَ وَتَقْدِسُ لَكَ، وَنُطِيعُكَ وَلَا نَعْصِيكَ . قال الله تبارك وتعالى : ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ . قال : فظننت الملائكة أن ما قالوه رد على ربهم عز وجل وأنه قد غَضِبَ من قولهم، فلاذوا بالعرش، ورفعوا رؤوسهم، وأشاروا بالأصابع يتضرعون ويبكون إشفاقا لغضبه . فطافوا بالعرش ثلاث ساعات . فنظر الله عز وجل إليهم، فنزلت الرحمة عليهم، فوضع الله سبحانه تحت العرش بيتاً على أربع

أساطين من زبرجد، وغشاه بياقوتة حمراء وسمى البيت الضراح . ثم قال للملائكة :  
 طوفوا بهذا البيت ، ودعوا العرش ، فطافت الملائكة بالبيت وتركوا العرش ، وصار  
 أهون عليهم ، وهو البيت المعمور الذي ذكره الله عز وجل : يدخله كل يوم ليلة  
 سبعون ألف ملك لا يعودون فيه أبدا . ثم إن الله سبحانه بعث ملائكة فقال :  
 ابنوا لي بيتا في الأرض بمثاله وقدره . فأمر الله سبحانه من في الأرض من خلقه  
 أن يطوفوا بهذا البيت ، كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور .  
 فقال الرجل : صدقت يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هكذا كان ،

### ذكر زيارة الملائكة البيت الحرام

قال الأزرقى ، يرفعه إلى ابن عباس رضى الله عنهما : إن جبريل عليه السلام  
 وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعليه عصابة حمراء قد علاها الغبار ،  
 فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ما هذا الغبار الذي أرى على عصابتك ، أيها الروح  
 الأمين ؟ قال : إني زرت البيت فازدحمت الملائكة على الركن ، وهذا الغبار الذي  
 ترى مما تُثير بأجنحتها .

وقال ، يرفعه إلى ليث بن معاذ رضى الله عنه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 قال : هذا البيت خامس خمسة عشر بيتا ، سبعة منها في السماء إلى العرش ، وسبعة  
 منها إلى تخوم الأرض السفلى ، وأعلىها الذي يلي العرش : البيت المعمور . لكل بيت  
 منها حرم تحرم هذا البيت . لو سقط منها بيت ، لسقط بعضها على بعض إلى تخوم  
 الأرض السفلى ، ولكل بيت من أهل السماء ومن أهل الأرض من يعمره ، كما يعمر  
 هذا البيت .

## ذكر هبوط آدم عليه السلام إلى الأرض، وبنائه الكعبة

### المشرفة وجهه وطوافه بالبيت

قال الأزرقى، يرفعه إلى ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: لما أهبط الله عز وجل آدم عليه السلام إلى الأرض من الجنة، كان رأسه في السماء ورجلاه في الأرض . وهو مثل الفلك من رعدته . قال: فطأ طأ الله عز وجل منه إلى الأرض ستين ذراعاً، فقال: يا رب مالي لا أسمع أصوات الملائكة ولا حسهم؟ قال: خطيئتك يا آدم، ولكن أذهب فابن لي بيتاً تطف به وأذكركني حوله كنحو ما رأيت الملائكة تصنع حول عرشي، قال: فأقبل آدم عليه السلام يتخطى، فطويت له الأرض وقبضت له المفاوز، فصارت كل مفازة يمر بها خطوة، وقبض له ما كان فيها من تخاض أو بحر فجعله خطوة، ولم يقع قدمه في شيء من الأرض إلا صار عمراً وبرة حتى انتهى إلى مكة . فبنى البيت الحرام . وإن جبريل عليه السلام ضرب بجناحه الأرض فأبرز عن أسس ثابت في الأرض السفلى فكدفت الملائكة فيه الصخر، ما يطبق الصخرة منها ثلاثون رجلاً . وإنه بناه من خمسة أجبل: من لبنان، وطور زيتا، وطور سيناء، والجدى، وجرأ، حتى استوى على وجه الأرض .

قال ابن عباس رضى الله عنهما: فكان أول من أسس البيت وصلى فيه وطاف به، آدم عليه السلام . حتى بعث الله سبحانه الطوفان، فدرس موضع البيت في الطوفان . حتى بعث الله تبارك وتعالى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، فرفعا قواعد وأعلامه . ثم بنته قريش بعد ذلك . وهو بجذاء البيت المعمور، لو سقط، ما سقط إلا عليه .

(١) في النسخ "حبرى" . والتصحيح من حاشية الجبل على الجلالين ، فقد نقل أثر ابن عباس .

- وقال أبو الوليد أيضا، ورفعته إلى وهب بن منبه : إن الله تبارك وتعالى لما تاب على آدم عليه السلام، أمره أن يسير إلى مكة . فطوى له الأرض وقبض له المفاز، فصارت كل مفازة يمرُّ بها خطوة ، وقبض له ما كان فيها من مخاض ماء أو بحر فجعله له خطوة . فلم يضع قدمه في شيء من الأرض إلا صار عُمرانا وبركة حتى انتهى إلى مكة . وكان قبل ذلك قد آسنت بكأوه وحزنه لما كان فيه من عظم المصيبة ، حتى إن كانت الملائكة لتَحزن لحزنه ولتَبكي لبكائه . فعزاه الله عز وجل بنجيمة من خيام الجنة ، ووضعها له بمكة في موضع الكعبة قبل أن تكون الكعبة . وتلك الخيمة يا قوتة حمراء من ياقوت الجنة : فيها ثلاثة قناديل من ذهب من تير الجنة ، فيها نور يتلهب من نور الجنة . ونزل معها الركن ، وهو يومئذ ياقوتة بيضاء من ربض الجنة .
- وكان كرسيًا لآدم عليه السلام ، يجلس عليه . فلما صار آدم بمكة ، حرمها الله تعالى ، وحرسه الله تعالى وحرس تلك الخيمة بالملائكة . كانوا يحرسونها ويدودون عنها ساكن الأرض ، وساكنوها يومئذ الجن والشياطين ، فلا ينبغي لهم أن ينظروا إلى شيء من الجنة ، لأنه من نظر إلى شيء من الجنة وجبت له . والأرض يومئذ طاهرة نقيّة لم تجس ولم يُسفك فيها الدم ، ولم تعمل فيها الخطايا . فلذلك جعلها الله عز وجل مسكن الملائكة ، وجعلهم فيها كما كانوا في السماء يسبحون الليل والنهار ، لا يفترون . وكان وقوفهم على أعلام الحرم صفاً واحداً مستديرين بالحرم كله : الحِلُّ من خلفهم ، والحرم كله من أمامهم . ولا يجوزهم جنٌّ ولا شيطان . ومن أجل مقام الملائكة ، حرم الحرم حتى اليوم . ووضعت أعلام حيث كان مقام الملائكة . وحرم الله على حواء دخول الحرم والنظر إلى خيمة آدم من أجل خطيئتها التي أخطأت في الجنة . فلم تنظر إلى شيء من ذلك حتى قبضت . وإن آدم عليه السلام كان إذا أراد لقاءها ليُلمِّ بها



للولد، نخرج من الحرم كله حتى يلقاها . فلم تزل خيمة آدم مكانها حتى قبض الله آدم عليه السلام ورفعها الله . وبني بنو آدم بها من بعدها مكانا : بيتا بالطين والحجارة . فلم يزل معمورا ، يعمرونه ومن بعدهم حتى كان زمن نوح عليه السلام . فنسفه الغرق وخفي مكانه . فلما بعث الله تعالى إبراهيم عليه السلام طلب الأساس ، فلما وصل إليه ظلل الله مكان البيت بغمامة . فكانت حفاف البيت الأول ، ثم لم تزل راكزة على حفافه تظل إبراهيم عليه السلام وتهديه مكان القواعد حتى رفع الله القواعد قامة . ثم أنكشفت الغمامة ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴾ أي الغمامة التي ركزت على الحفاف لتهديه مكان القواعد .

وعن وهب بن منبه أنه قال : قرأت في كتاب من الكتب الأول ، ذكر فيه أمر الكعبة ، فوجدت فيه أن ليس من ملك من الملائكة بعثه الله تعالى إلى الأرض إلا أمره بزيارة البيت . فينقض من عند العرش محرما ملييا ، حتى يستلم الحجر . ثم يطوف بالبيت سبعا ويركع في جوفه ركعتين ، ثم يصعد .

وقال الأزرقى ، يرفعه إلى ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : لما أهبط الله آدم إلى الأرض ، أهبطه إلى موضع البيت الحرام . وهو مثل الملك من رعدته . ثم أنزل عليه الحجر الأسود يعنى الركن ، وهو يتلأأ من شدة بياضه . فأخذه آدم صلى الله عليه وسلم فضمه إليه أنسا به . ثم أنزلت عليه العصا فقيل له : تحط يا آدم ، فتخطى ، فإذا هو بأرض الهند والسند . فكث هناك ما شاء الله ، ثم أستوحش إلى الركن فقيل له : آحجج ، قال فحج فلقيته الملائكة فقالوا : برحجك يا آدم ، لقد حججنا هذا البيت قبلك باللقى عام .

قال : وسأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه كعب الأخبار فقال : اخبرنى عن البيت الحرام . فقال كعب : أنزله الله من السماء يا قوتة مجوفة مع آدم ، فقال له : يا آدم إن هذا بيتى أنزلته معك ، يطاف حوله كما يطاف حول عرشى ، ويصلى حوله كما يصلى حول عرشى . ونزلت معه الملائكة فرفعوا قواعد من حجارة ثم وضع البيت عليه . فكان آدم يطوف حوله كما يطاف حول العرش ، ويصلى عنده كما يصلى عند العرش . فلما أغرق الله تعالى قوم نوح ، رفعه إلى السماء وبقيت قواعده .

وقال وهب بن منبه : كان البيت الذى يؤاه الله تعالى لآدم عليه السلام يومئذ من ياقوت الجنة . وكان من ياقوتة حمراء تلتهب ، لها بابان : أحدهما شرقى والآخر غربى . وكان فيه قناديل من نور آتيتها ذهب من تير الجنة . وهو منظوم بنجوم من ياقوت أبيض . والركن يومئذ نجم من نجومه وهو يومئذ ياقوتة بيضاء . والله أعلم .

### ذكر فضل البيت الحرام ، والحرم

قال أبو الوليد ، يرفعه عن وهب بن منبه أنه قال : إن آدم لما أهبط إلى الأرض أستوحش فيها ما رأى من سعتها ولم يرفيها أحدا غيره ، فقال : يارب ، أما لأرضك هذه من عامر يسبحك فيها ويقدس لك غيرى ؟ قال : إني سأجعل فيها من ذريتك من يسبح بحمدي ويقدس لى ، وسأجعل فيها بيوتا ترفع لذكرى ويسبحنى فيها خلقى ، وسأبوءك فيها بيتا اختاره لنفسى ، وأخصه بكرامتى ، وأوثره على بيوت الأرض كلها بأسمى ، فأسميه بيتى ، وأنطعه <sup>(١)</sup> بعظمتى ، وأحوزه بجرماتى ، وأجعله أحق بيوت الأرض

(١) أنطعه : بسط له النطع بالكسر ، بساط من أديم (تفسير بهامش الأصل) . وفي بعض النسخ "وأظفه"

كلها وأولاها بذكرى، وأضعه في البقعة التي اخترت لنفسى، فإني اخترت مكانه يوم خلقت السماوات والأرض، وقبل ذلك قد كان بعيني: فهو صفوتي من البيوت، ولست أسكنه، وليس ينبغي لي أن أسكن البيوت، ولا ينبغي لها أن تسعني، ولكن على كرمي الكبرياء والجبروت، وهو الذي استقل بعزتي، وعليه وضعت عظمي وجلالي، وهناك استقر قراري، ثم هو بعد ضعيف عني لولا قوتي، ثم أنا بعد ذلك ملء كل شيء، وفوق كل شيء، ومحيط بكل شيء، وأمام كل شيء، وخلف كل شيء، وليس ينبغي لشيء أن يعلم علمي ولا يقدر قدرتي، ولا يبلغ كنهه شأني. أجمل ذلك البيت لك ولن بعدك حرما وأمنا، أحرم بحرماته ما فوقه وما تحته وما حوله. فمن حرمه بحرمتي فقد عظم حرماتي، ومن أحله فقد أباح حرماتي، ومن أمن أهله فقد استوجب بذلك أمانى، ومن أخافهم أخفرتني في ذمتي، ومن عظم شأنه عظم في عيني، ومن تهاون به صغرتني عيني، ولكل ملك حيازة ما حواليه مما حواليه، وبطن مكة خيرتي وحيازتي، وجيران بيتي وعمارها وزوارها، وقدي وأضيافي في كنفى وأفئتي، ضامنون على ذمتي وجواري، فأجعله أول بيت وضع للناس، وأعمره بأهل السماء وأهل الأرض: يأتونه أفواجا شعثا غبرا على كل ضامر يأتين من كل فج عميق، يعجبون بالتكبير عجيبا، ويرجون بالتلبية رجيبا، وينتحبون بالبكاء تحيبا. فمن اعتمره لا يريد غيره، فقد زارني ووقد إلى ونزل بي، ومن نزل بي، فحقيق علي أن أئخفه بكرامتي، وحق على الكريم أن يكرم وفده وأضيافه، وأن يسعف كل واحد منهم بحاجته. تعمره يا آدم ما كنت حيا، ثم تعمره من بعدك الأمم والقرون والأنبياء: أمة بعد أمة، وقرن بعد قرن، ونبي بعد نبي، حتى ينتهي ذلك إلى نبي من ولدك وهو خاتم النبيين، فأجعله من عماره وسكانه وحماته، وولاته وسقاته. يكون أميني عليه ما كان حيا. فإذا أنقلب إلى،

- وجدني قد ذخرت له من أجره وفضيلته ما يتمكن به القربة مني والوسيلة إلى ،  
وأفضل المنازل في دار المقام . وأجعل أسم ذلك البيت وذكره وشرفه ومجده وثناءه  
ومكرمه لنبي من ولدك يكون قبل هذا النبي وهو أبوه يقال له إبراهيم ، أرفع له  
قواعده ، وأقضي على يديه عمارته ، وأنيط له سقايته ، وأريه حله وحرمه ومواقفه ،  
وأعلمه مشاعره ومناسكه ، وأجعله أمة واحدة قانتا لي ، قائما بأمرى ، داعيا إلى سبيلى ؛  
أجتيه وأهديه إلى صراط مستقيم ؛ أبتليه فيصبر ، وأعافيه فيشكر ؛ وينذر لي فيفي ؛  
ويعدني فينجز ؛ أستجيب له في ولده وذريته من بعده وأشفعه فيهم ، وأجعلهم أهل  
ذلك البيت وولاته وحجاته وسقاته وخدامه ونحرانه ومجابه حتى يتدعوا ويغيروا ؛  
فإذا فعلوا ذلك فأنا الله أقدر القادرين على أن أستبدل من أشياء بمن أشياء . أجعل  
إبراهيم إمام أهل ذلك البيت وأهل تلك الشريعة ، يأمم به من حضر تلك المواطن  
من جميع الإنس والجن ؛ يطئون فيها آثاره ، ويتبعون فيها سنته ، ويقتدون فيها بهديه .  
فمن فعل ذلك منهم أوفى نذره ، وأستكمل نسكه ؛ ومن لم يفعل ذلك منهم ضيع نسكه ،  
وأخطأ بغيته . فمن سأل عنى يومئذ في تلك المواطن : أين أنا؟ فأنا مع الشعث الغبر  
المؤفين بنذورهم ، المستكملين مناسكهم ، المبتلين إلى ربهم الذي يعلم ما يسدون  
وما يكتمون . وليس هذا الخلق ولا هذا الأمر الذي قصصت عليك شأنه ؛ يا آدم ،  
بزائد في ملكي ولا عظمتي ولا سلطاني ولا شيء مما عندي إلا كما زادت قطرة من  
رشاش وقعت في سبعة أبحر تمدتها من بعدها سبعة أبحر لا تحصى ، بل القطرة أزيد  
في البحر من هذا الأمر في شيء مما عندي . ولو لم أخلقه لم ينتقص شيء من ملكي  
ولا عظمتي ولا مما عندي من الغناء والسعة ، إلا كما نقصت الأرض ذرة وقعت من  
جميع ترابها وجبالها وحصاها ورمالها وأشجارها ، بل الذرة أنقص للأرض من هذا  
الأمر لو لم أخلقه . ليس مما عندي ويعتد هذا مثلا للعزيز الحكيم .

ذكر ما جاء في طواف سفينة نوح عليه السلام بالبيت

قال أبو الوليد الأزرقي، ورفعته إلى ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : كان مع نوح عليه السلام في السفينة ثمانون رجلا معهم أهلهم ، وإنهم كانوا في السفينة مائة ونحسين يوما، وإن الله جل ثناؤه وجه السفينة إلى مكة فدارت بالبيت أربعين يوما ، ثم وجهها إلى الجودي فاستقرت عليه .

وقال عن مجاهد : كان موضع الكعبة قد خفي ودرس زمن الغرق فيما بين نوح وإبراهيم عليهما السلام . فكان موضعه أكمة حمراء مدورة ، لا تعلوها السيول . غير أن الناس يعلمون أن موضع البيت فيما هنالك ولا يثبت موضعه . وكان يأتيه المظلوم والمبعود من أقطار الأرض ، ويدعو عنده المكروب . فقل من دعا هنالك ، إلا استجيب له . وكان الناس يحجون إلى مكة ، إلى موضع البيت ، حتى بؤا الله تعالى مكانه لإبراهيم عليه السلام . فلم يزل منذ أهبط الله تعالى آدم إلى الأرض معظما محترما تتناسخه الأمم والملل أمة بعد أمة ، وملة بعد ملة . قال : وكانت الملائكة تحججه قبل آدم عليه السلام .

ذكر ما جاء من تخير إبراهيم عليه السلام موضع البيت

قال عثمان بن ساج : بلغنا ( والله أعلم ) أن إبراهيم خليل الله عليه السلام عرج به إلى السماء فنظر إلى الأرض ، مشارقها ومغاريها ، فاختر موضع الكعبة . فقالت له الملائكة : يا خليل الرحمن اخترت حرم الله في الأرض ، قال : فبناه من حجارة سبعة أجبل ( ويقولون خمسة ) . وكانت الملائكة تأتي بالحجارة إلى إبراهيم عليه السلام من تلك الجبال .

## ذكر حج إبراهيم عليه السلام وإذنه بالحج

وحج الأنبياء بعده وطوائفهم

- قال أبو الوليد عن محمد بن إسحاق : لما فرغ إبراهيم خليل الرحمن من بناء البيت الحرام ، جاءه جبريل عليه السلام فقال : طُفَّ به سَبْعًا ، فطاف به سَبْعًا ، هو وإسماعيل .
- يستلمان الأركان كلها في كل طواف ، فلما أكلا سبعا ، صليا خلف المقام زكعتين .
- قال : فقام معه جبريل فأراه المناسك كلها : الصفا والمروة ومِنَى ومُزْدَلِجَة وعرفة . فلما دخل مِنَى وهبط من العقبة ، مُثِّلَ له إبليس عند جَمْرَةِ الْعَقْبَةِ ، فقال له جبريل : آرمه ، فرماه بسبع حصيات . فغاب عنه ، ثم برز له عند الجمره الوسطى ، فقال له جبريل : آرمه ، فرماه إبراهيم بسبع حصيات ، فغاب عنه ، ثم برز له عند الجمره السفلى ، فقال له جبريل : آرمه ، فرماه بسبع حصيات مثل حصي الخذف ، فغاب عنه إبليس ، ثم مضى إبراهيم في حجه وجبريل يوقفه على المواقف ويعلمه المناسك حتى انتهى إلى عرفة . فلما انتهى إليها ، قال له جبريل : أَعَرَفْتَ مَنَاسِكَكَ ؟ قال : نعم ، قال : فسميت عرفات بذلك . قال : ثم أمر إبراهيم عليه السلام أن يؤذّن في الناس بالحج ، فقال إبراهيم : يارب وما يبلغ صوتي ؟ قال الله جل ثناؤه : أذّن ، وعلى البلاغ ، قال : فعلا إبراهيم على المقام فأشرف به حتى صار أرفع الجبال وأطولها فجمعت له الأرض يومئذ : سهلها ، وجبلها ، وبرها ، وبحرها ، وإنسها ، وحيثها حتى أسمعهم جميعا ، فأدخل إصبعيه في أذنيه وأقبل بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا وبدأ بشق اليمين فقال : ”أيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق ، فأجيئوا ربكم“ فأجابوه من تحت التخوم السبعة ، ومن بين المشرق والمغرب إلى منقطع التراب من أقطار الأرض كلها :

(لَيْبِكَ، اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ) . قال : وكانت الحجارة على ما هي اليوم، إلا أن الله عز وجل أراد أن يجعل المقام آية . فكان أثر قدميه في المقام آية إلى اليوم . قال : أفلا تراهم اليوم يقولون : (لبيك، اللهم لبيك) . فكل من حج إلى اليوم فهو ممن أجاب إبراهيم . وأثر قدمي إبراهيم في المقام آية . وذلك قوله تعالى : ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ .

قال ابن إسحاق : وبلغني أن آدم عليه السلام كان آستلم الأركان كلها قبل إبراهيم ، وحجَّه إسحاق وسارة من الشام . قال : وكان إبراهيم يحجُّه كل سنة على البراق . قال : وحجَّت بعد ذلك الأنبياء والأئم .

وعن مجاهد، قال : حج إبراهيم وإسماعيل، ماشيين .

وعن عبد الله بن ضمرة السلولي : ما بين الركن إلى المقام إلى زمزم قبر تسعة وتسعين نبيا، جاءوا حجاجا فقبروا هنالك .

وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان النبي من الأنبياء إذا هلكت أمته لحق بمكة فتعبد بها النبي ومن معه حتى يموت . فمات بها : نوح، وهود، وصالح، وشعيب . وقبورهم بين زمزم والحجر .

وعن مجاهد : حج موسى النبي عليه السلام على جبل أحر . فتر بالروحاء عليه عباءتان قطوانيتان متزرتين بإحداهما، مرتد بالأخرى . فطاف بالبيت ثم سعى بين الصفا والمروة . فبينما هو يلبي بين الصفا والمروة، إذ سمع صوتا من السماء يقول : (لبيك عبي، أنا معك) قال : نخر موسى ساجدا .

وعن عُرْوَةَ بن الزبير رضى الله عنهما قال : بلغنى أن البيتَ وُضِعَ لِآدَمَ يَطُوفُ بِهِ وَيَعْبُدُ اللَّهَ عِنْدَهُ ؛ وَأَنَّ نُوحًا قَدْ حَجَّهَ وَجَاءَهُ وَعَظَّمَهُ قَبْلَ الْغَرَقِ . فَلَمَّا أَصَابَ الْبَيْتَ مَا أَصَابَ الْأَرْضَ مِنَ الْغَرَقِ فَكَانَ رَبْوَةً حَمْرَاءَ مَعْرُوفًا مَكَانَهُ ؛ فَبَعَثَ اللَّهُ هُودًا إِلَى عَادَ ، فَتَشَاغَلَ بِأَمْرِ قَوْمِهِ حَتَّى هَلَكَ ، وَلَمْ يَحْجَّهِ . ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى صَالِحًا إِلَى ثَمُودَ ، فَتَشَاغَلَ بِهِمْ حَتَّى هَلَكَ ، وَلَمْ يَحْجَّهِ . ثُمَّ بَوَّأَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَحَجَّهَ وَأَعْلَمَ مَنَاسِكَهُ وَدَعَا إِلَى زِيَارَتِهِ . ثُمَّ لَمْ يَبْعَثْ اللَّهُ نَبِيًّا بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ ، إِلَّا حَجَّهَ .

وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أنه قال : لَقَدْ سَلَكَ نَجْحَ الرُّوحَاءِ سَبْعُونَ نَبِيًّا ، مُجَاجًا : عَلَيْهِمْ لِبَاسُ الصُّوفِ ، مَخْطُمِي إِبِلِهِمْ بِجِبَالِ اللَّيْفِ . وَلَقَدْ صَلَّى فِي مَسْجِدِ الْخَيْفِ سَبْعُونَ نَبِيًّا .

١٠ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "لَقَدْ مَرَّ بِفَجِّ الرُّوحَاءِ (أَوْ لَقَدْ مَرَّ بِهَذَا الْفَجِّ) سَبْعُونَ نَبِيًّا عَلَى نُوقِ حُمْرٍ خُطْمُهَا اللَّيْفُ ، لَبُوءُهُمُ الْعِبَاءُ وَتَلْبِيَّتُهُمْ شَتَّى . فَنَهُمُ يُونُسُ بْنُ مَتَّى . فَكَانَ يُونُسُ يَقُولُ : (لَبَّيْكَ فَرَجَ الْكُرْبِ ، لَبَّيْكَ) ؛ وَكَانَ مُوسَى يَقُولُ : (لَبَّيْكَ ، أَنَا عَبْدُكَ لَدَيْكَ ، لَبَّيْكَ) قَالَ : وَتَلْبِيَّةُ عِيسَى : (لَبَّيْكَ ، أَنَا عَبْدُكَ ابْنُ أُمَّتِكَ بِنْتِ عَبْدِكَ ، لَبَّيْكَ) " .

١٥ وعن عطاء بن السائب أن إبراهيم رأى رجلا يطوف بالبيت فأنكره ، فسأله : مَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : مِنْ أَصْحَابِ ذِي الْقَرْنَيْنِ ، قَالَ : وَأَيْنَ هُوَ ؟ قَالَ : هُوَ بِالْأَبْطَحِ . فَتَلَقَّاهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَاعْتَنَقَهُ ، فَقَالَ لَذِي الْقَرْنَيْنِ : أَلَا تَرَكَبُ ؟ قَالَ : مَا كُنْتُ لِأُرْكَبَ ، وَهَذَا يَمْشِي ، فَحَجَّ مَا شَاءَ .



ذكر ما جاء من مسئلة إبراهيم عليه السلام الأيمن والرزق لأهل مكة

والكتب التي وجد فيها تعظيم الحرم

قال أبو الوليد الأزرقى، يرفعه إلى محمد بن كعب القرظى أنه قال : دعا إبراهيم عليه السلام للمؤمنين، وترك الكفار لم يدع لهم بشيء، فقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعْهُ قَلِيلًا ثُمَّ اضْطِرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَيُئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ .

وقال عثمان بن ساج : وأخبرني محمد بن السائب الكلبي قال : قال إبراهيم عليه السلام ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ . فاستجاب الله عز وجل له بفعله بلدا آمنا وآمن فيه الخائف ورزق أهله من الثمرات، فعمل إليهم من الآفاق .

وقال مجاهد : جعل الله هذا البلد آمنا، لا يخاف فيه من دخله .

وقال سعيد بن السائب بن يسار: لما دعا إبراهيم عليه السلام لمكة أن يرزق أهلها من الثمرات، نقل الله أرض الطائف من الشام فوضعها هناك : رزقا للحرم .

وروى عن محمد بن المنكدر، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لما وضع الله الحرم نقل له الطائف من الشام .

وعن الزهري أن الله نقل قرية من قرى الشام فوضعها بالطائف، لدعوة إبراهيم خليل الله : ﴿ وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما، قال : جاء إبراهيم يطالع إسماعيل عليهما السلام فوجده غائبا، ووجد امرأته الآخرة، وهى السيدة بنت مضاض بن عمرو الجهمي . فوقف وسلم فردت عليه السلام وأستنزله وعرضت عليه الطعام والشراب ،

قَالَ : مَا طَعَامُكُمْ وَشَرَابُكُمْ ؟ قَالَتْ : اللَّحْمُ وَالْمَاءُ ، قَالَ : هَلْ مِنْ حَبِّ أَوْ غَيْرِهِ  
مِنَ الطَّعَامِ ؟ قَالَتْ : لَا ، قَالَ : بَارَكَ اللَّهُ لَكُمْ فِي اللَّحْمِ وَالْمَاءِ .

قَالَ أَبُو عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "لَوْ وَجَدَ  
عِنْدَهَا يَوْمَئِذٍ حَبًّا لِدَعَا لَهُمْ بِالْبَرَكَاتِ فِيهِ ، فَكَانَتْ تَكُونُ أَرْضًا ذَاتَ زَرْعٍ" .

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ مِثْلَهُ ، وَزَادَ فِيهِ : "وَلَا يَخْلُو أَحَدٌ عَلَى اللَّحْمِ وَالْمَاءِ فِي غَيْرِ مَكَّةَ  
إِلَّا وَجِعَ بَطْنُهُ ، وَإِنْ خَلَا عَلَيْهِمَا بِمَكَّةَ لَمْ يَجِدْ لَذًا أَدْنَى" .

وَعَنْ أَبِي عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : "وَجِدَ فِي الْمَقَامِ كِتَابٌ فِيهِ " هَذَا بَيْتُ  
اللَّهِ الْحَرَامُ بِمَكَّةَ ، تَوَكَّلْ اللَّهُ بِرِزْقِ أَهْلِهِ مِنْ ثَلَاثِ سُبُلٍ ، مَبَارَكٌ لِأَهْلِهِ فِي اللَّحْمِ  
وَاللَّبَنِ " .

١٠ وَوَجِدَ فِي حَجْرٍ فِي الْحِجْرِ كِتَابٌ مِنْ خِلْقَةِ الْحَجْرِ "أَنَا اللَّهُ ذُو بَكَّةَ الْحَرَامِ صُغِفَتْ يَوْمَ  
صُغِفَتِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَحَفَفَتْهَا بِسَبْعَةِ أَمْلَاقِ حُنْفَاءٍ لَا تَزُولُ حَتَّى يَزُولَ أَخْشَبَاهَا  
مَبَارَكٌ لِأَهْلِهَا فِي اللَّحْمِ وَالْمَاءِ" .

وَعَنْ أَبِي عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ : لَمَّا هَدَمُوا الْبَيْتَ وَبَلَّغُوا أُسَاسَ إِبْرَاهِيمَ  
عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجَدُوا فِي حَجْرٍ مِنَ الْأَسَاسِ كِتَابًا ، فَدَعَوْا لَهُ رِجَالًا مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ ، وَآخَرَ  
١٥ مِنَ الرُّهْبَانِ ، فَإِذَا فِيهِ : "أَنَا اللَّهُ ذُو بَكَّةَ حَرَمَتِهَا يَوْمَ خَلَقْتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ  
وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَيَوْمَ صُغِفَتْ هَذَيْنِ الْجَبَلَيْنِ وَحَفَفَتْهَا بِسَبْعَةِ أَمْلَاقِ حُنْفَاءٍ لَا تَزُولُ  
حَتَّى يَزُولَ أَخْشَبَاهَا مَبَارَكٌ لِأَهْلِهَا فِي الْمَاءِ وَاللَّبَنِ" .

وَعَنْ مُجَاهِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : وَجِدَ فِي بَعْضِ الزُّبُورِ "أَنَا اللَّهُ ذُو بَكَّةَ جَعَلْتُهَا بَيْنَ  
هَذَيْنِ الْجَبَلَيْنِ وَصَغِفْتُهَا يَوْمَ صَغِفَتِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَحَفَفْتُهَا بِسَبْعَةِ أَمْلَاقِ حُنْفَاءٍ

وجعلت رزق أهلها من ثلاث سُبُل <sup>(١)</sup> فليس يوتا أهل مكة إلا من ثلاثة طرق  
أعلى الوادى وأسفله وكُدَى وباركت لأهلها في اللحم والماء .

### ذكر أسماء الكعبة ومكة

عن ابن أبي نجيح قال : إنما سُميت "الكعبة" لأنها مَكَّبة على خِلقة الكعب .

قال : وكان الناس يبنون بيوتهم مدورة تعظيما للكعبة . فأول من بنى بيتا مربعا

حميد بن زهير، فقالت قريش : "رَبَّعَ حميدُ بنُ زهيرٍ بيتا، إما حياة وإما موتا" .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : إنما سُميت "بكة" لأنه يجتمع فيها

الرجال والنساء جميعا . وقالوا : "بَكَّةُ" موضع البيت ، ومكة القرية .

وقال ابن أبي أنيسة : "بَكَّةُ" موضع البيت ، ومكة هو الحرم كله .

وكان ابن جريح يقول : إنما سُميت "بكة" لتبأك الناس بأقدامهم قدام الكعبة .

ويقال : إنما سُميت "بكة" لأنها تبك أعناق الجبارة .

وعن الزهرى : أنه بلغه إنما سُمي "البيت العتيق" من أن الله تعالى أعتقه

من الجبارة .

وعن مجاهد والسدى : إنما سُمي "البيت العتيق" الكعبة ، أعتقها الله من

الجبارة ؛ فلا يتجبرون فيه إذا طافوا . وكان البيت يدعى "قادسا" ويدعى "بادرا" .

ويدعى "القرية القديمة" ويدعى "البيت العتيق" .

وعن مجاهد قال : من أسمائها "مكة" و"بكة" و"أم رُحْم" و"أم القرى" .

و"صَلَاح" و"سُكُونِي" و"الباسة" .

(١) في الأصل "بيوت" . وفي بعض النسخ كما في الصلب بدون نقط . ولعل الصواب يؤني .

وعن ابن أبي نجيح قال : بلغني أن أسماء مكة "مكة" ؛ و "بكة" ؛ و "أم رُحْم" ؛ و "أم القرى" ؛ و "الباسة" ؛ و "البيت العتيق" ؛ و "الحاطمة" ؛ ( تحيط من يستخف بها ) ؛ و "الناسة" ( تنسهم ، أى تخرجهم إخراجا إذا غشموا وظلموا ) .

### ذكر ما جاء في فضل الركن الأسود

عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : ليس فى الأرض من الجنة إلا الركن الأسود والمقام ، فإنهما جوهرتان من جواهر الجنة ؛ ولولا ما مسهما من أهل الشرك ما مسهما ذو عاهة إلا شفاه الله عز وجل .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أنه قال فى الركن الأسود : لولا ما مسه من أنجاس الجاهلية وأرجاسهم ، ما مسه ذو عاهة إلا برا . وقال : نزل الركن ، وإنه لأشد بيضا من الفضة .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضى الله عنها ، وهى تطوف معه بالكعبة حين استلم الركن : "لولا ما طبع على هذا الحجر ، يا عائشة ، من أرجاس الجاهلية وأنجاسها ، إذن لاستشفى به من كل عاهة ، وإذن لألفى كهيتته يوم أنزله الله ، وليعيدنه الله إلى ما خلقه أول مرة ، وإنه لياقوتة بيضاء من يواقيت الجنة ، ولكن الله غيره بمعصية العاصين ، وسترزيتته عن الظلمة والأثمة لأنهم لا ينبغي لهم أن ينظروا إلى شىء كان بدؤه من الجنة" .

وعنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إن الله يبعث الركن الأسود ، وله عينان يبصر بهما ، ولسان ينطق به : يشهد لمن استلمه بحق" .

وعنه رضى الله عنه : الركن يمين الله في الأرض : يصفح بها عباده كما يصفح أحدكم أخاه .

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : خرجنا مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى مكة . فلما دخلنا الطواف ، قام عند الحجر وقال : والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ، ما قبلتك . ثم قبله ومضى في الطواف فقال له على رضى الله عنه : بل يا أمير المؤمنين هو يضر وينفع ، قال : وبم قلت ذلك ؟ قال : بكتاب الله ، قال : وأين ذلك من كتاب الله ؟ قال : قال الله عز وجل : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ۗ ﴾ . فلما خلق الله تعالى آدم مسح ظهره وأخرج ذريته من صلبه فقرّرهم أنه الرب وهم العبيد ، ثم كتب ميثاقهم في رق ، وكان هذا الحجر له عينان ولسان ، فقال له : أفتح فاك ، فألقمه ذلك الرق وجعله في هذا الموضع ، وقال : تشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة ، فقال عمر : أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم ، يا أبا الحسن .

وعن عكرمة : أن الحجر الأسود يمين الله في الأرض ، فمن لم يدرك بيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح الركن فقد بايع الله ورسوله .

وعن مجاهد : يأتى الركن والمقام يوم القيامة ، كل واحد منهما مثل أبي قبيس : يشهدان لمن وافاهما بالموافاة .

والله أعلم .

ذكر ما جاء في فضل أستلام الركن الأسود ، واليماني

عن عطاء بن السائب أن عبيد بن عمير قال لابن عمر رضي الله عنهما : إني أراك تُزاحم عليّ هذين الركنين ، فقال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :  
 " إِنْ أَسْتَلَمْتَهُمَا يَحُطُّ الْخَطَايَا حَطًّا " .



وسئل رضي الله عنه ، فقيل له : إنا نراك تفعل خصالا أربعا لا يفعلها الناس :  
 نراك لا تستلم من الأركان إلا الحجر والركن اليماني ، ونراك لا تلبس من النعال إلا السبئية ، ونراك تضفر شعرك وقد يصبغ الناس بالحناء ، ونراك لا تُحرم حتى تستوي بك راحلتك وتوجه . فقال عبد الله : إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك .

١٠ وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يدعُ الركن الأسود والركن اليماني أن يستلمهما في كل طواف أتى عليهما . قال : كان لا يدعُهما في كل طواف طاف بهما حتى يستلمهما ، لقد زاحم عليّ الركن مرة في شدة الزحام حتى رُعِف ، فخرج فغسل عنه ثم رجع . فعاد يزاحم فلم يصل إليه حتى رُعِف الثانية ، فخرج فغسل عنه ثم رجع . فما تركه حتى أستلم .

١٥ وعن نافع قال : لقد رأيت ابن عمر رضي الله عنهما ، زاحم مرة على الركن اليماني حتى انبهر فتنحى بجلس في ناحية الطواف حتى أستراح ، ثم عاد فلم يدعه حتى أستلمه . قالوا : وليس هذا واجبا على الناس ، ولكنه كان يجب أن يصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

### ذكر ما جاء في فضل الطواف بالكعبة

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " مَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ حَسَنَةً وَمَحَا عَنْهُ سَيِّئَةً " .

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنهم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إِذَا نَجَّحَ الْمَرْءُ يُرِيدُ الطَّوْفَ بِالْبَيْتِ ، أَقْبَلَ يُرِيدُ الرَّحْمَةَ . فَإِذَا دَخَلَ غَمْرَتَهُ . ثُمَّ لَا يَرْفَعُ قَدَمًا وَلَا يَضَعُ قَدَمًا إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ قَدَمٍ نَحْمِسِيَّةً حَسَنَةً ، وَحَطَّ عَنْهُ نَحْمِسِيَّةً سَيِّئَةً ( أَوْ قَالَ خَطِيئَةً ) ، وَرُفِعَتْ لَهُ نَحْمِسِيَّةٌ دَرَجَةٌ . فَإِذَا فَرَغَ مِنْ طَوَافِهِ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ دُبْرَ الْمَقَامِ ، نَجَّحَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ، وَكُتِبَ لَهُ أَجْرُ عِتْقِ عَشْرِ رِقَابٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَاسْتَقْبَلَهُ مَلَكٌ عَلَى الرُّكْنِ فَقَالَ لَهُ : أَسْتَأْنِفُ الْعَمَلَ فِيمَا بَقِيَ فَقَدْ كُفِّيتَ مَا مَضَى ، وَشُفِّعَ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ " .

وعن حسان بن عطية : أن الله خلق لهذا البيت عشرين ومائة رحمة يُنزِلُهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ ، فَسِتُونَ مِنْهَا لِلطَّائِفِينَ ، وَأَرْبَعُونَ لِلصَّائِلِينَ ، وَعَشْرُونَ لِلنَّاظِرِينَ . قَالَ حَسَانٌ : فَنَظَرْنَا إِذَا هِيَ كُلُّهَا لِلطَّائِفِينَ هُوَ يَطُوفُ وَيَصِلُ وَيَنْظُرُ .

### ذكر ما جاء في فضل زمزم

عن وهب بن منبه أنه قال في زمزم : والذي نفسى بيده ، إنها لفي كتاب الله مَضْنُونَةٌ ، وَإِنِهَا لَفِي كِتَابِ اللَّهِ بَرَّةٌ ، وَإِنِهَا لَفِي كِتَابِ اللَّهِ شَرَابُ الْأَبْرَارِ ، وَإِنِهَا لَفِي كِتَابِ اللَّهِ طَعَامٌ طَعْمٌ وَشِفَاءٌ سُقْمٌ .

وعن ابن خثيم قال : قَدِمَ عَلَيْنَا وَهَبُ بْنُ مَنبَهٍ مَكَّةَ فَاشْتَكَى ، بِخِثْنَاهُ نَعُودَهُ ، فَإِذَا عِنْدَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمٍ . قَالَ : فَقَلْنَا لَهُ : لَوْ اسْتَعَذَّبْتَ ، فَإِنْ هَذَا مَاءٌ فِيهِ غَلْظٌ ؟ قَالَ : مَا أُرِيدُ

أن أشرب حتى أخرج منها غيره، والذي نفس وهب بيده ، إنها لفي كتاب الله زمزم لا تُتَرَف ولا تُتَمَّم ، وإنها لفي كتاب الله برة شراب الأبرار ، وإنها لفي كتاب الله مَضْنونة ، وإنها لفي كتاب الله طعامٌ من طَعْمٍ وشفاءٌ من سُقْمٍ ، والذي نفس وهب بيده لا يعمدُ أحدٌ إليها فيشربُ منها حتى يتضلع إلا نزعَتْ منه داءٌ أو أحدثَتْ له شفاءً .

٥ وعن كعب أنه قال لزمزم : إنا نجدها مَضْنونةً ضنَّ بها لكم ، وإن أولَ مَنْ سَقَى ماءها إسماعيلُ عليه السلام ، طعامٌ من طَعْمٍ ، وشفاءٌ من سُقْمٍ .

وعن مجاهد قال : ماءُ زمزمَ لما شُرِبَ له ، إن شربته تريد به شفاءً شفاك الله ، وإن شربته لظمِ أرواك الله ، وإن شربته بلجوع أشبعك الله ، وهي هزيمةُ جبريل عليه السلام بعقبه .

١٠ وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
"التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق" .

١٥ وعن الضحاک بن مزاحم أنه قال : بلغني أنَّ التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق ، وأن ماءها يذهب بالصداع ، وأن التطلع فيها يجلو البصر ، وأنه سيأتي عليها زمان تكون أعذب من النيل والفرات . قال : قال لنا الخزاعي : وقد رأينا ذلك في سنة إحدى أو اثنتين وثمانين ومائتين ، وذلك أنه أصاب مكة أمطار كثيرة وسال وادياها في سنة تسع وسبعين ، وسنة ثمانين ومائتين ، فكثرت ماء زمزم وارتفع حتى قارب رأسها ، فلم يكن بينه وبين شفتها العليا إلا سبع أذرع أو نحوها . وعذبت حتى كان ماؤها أعذب مياه مكة التي يشربها أهلها . وإنا رأيناها أعذب من مياه العيون .



وعن الضحاك بن مزاحم أيضا أن الله عز وجل يرفع المياه العذاب قبل يوم القيامة غير زمزم، وتغور المياه العذبة غير زمزم .

ذكر ما جاء من آساع منى أيام الحج ولم سميت منى

§ عن أبي الطفيل، قال : سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يُسأل عن منى ، ويقال له : عجبا لضيقه في غير أيام الحج ! فقال ابن عباس : إن منى يتسع بأهله كما يتسع الرحم للولد .

§ وعن ابن عباس ، قال : إنما سميت منى منى لأن جبريل حين أراد أن يفارق آدم ، قال له . تمن ، قال : أتمنى الجنة ، فسميت منى لتمنى آدم .  
وقيل : إنما سميت منى <sup>(١)</sup> لمعنى الدماء بها .

ذكر ما جاء في فضائل مقبرة مكة

§ عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : " نِعَمَ المقبرةُ هذه ! " ( لمقبرة أهل مكة ) .

وعن محمد بن عبد الله بن صيفي أنه قال : من قُبر في هذه المقبرة ، بُعث آمنا يوم القيامة (بمعنى مقبرة مكة) .

ذكر شيء من خصائص مكة

§ من خصائصها أن الذئب فيها يروّع الظبي ويعارضه ويصيده . فإذا دخل الحرم ، كَفَّ عنه .

(١) المنى هو إراقة الدماء

§ ومنها أنه لا يسقط على الكعبة حمامٌ إلا إن كان عليلاً ، وأن عادة الطير إذا حازت الكعبة أن تفرق فرقتين ولا تعلقها . والله أعلم .

### وأما المدينة المشرفة

على ساكنها أفضل الصلاة والسلام

§ ففضائلها أوسع من أن أحصرها ، وأعظم من أن أسبرها . ناهيك بها من بلد آختره الله تعالى لرسوله ، ونص على فضله في محكم تنزيله ، قال الله عز وجل : ﴿ الْمَسْجِدُ الْمَكِّيُّ أَسْأَسَّ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ﴾ .

§ وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سُئل : أي مسجد هو ؟ فقال : مسجدى هذا ، وهو قول ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر رضی الله تعالى عنهم ، وبه أخذ مالك رحمه الله . وقال ابن عباس : هو مسجد قباء .

وروى عن أبي هريرة رضی الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "صلاة في مسجدى هذا خيرٌ من ألف صلاةٍ فيما سواه ، إلا المسجد الحرام" .

قال القاضي عياض رحمه الله : إختلف الناس في معنى هذا الاستثناء على اختلافهم في المناضلة بين مكة والمدينة . فذهب مالك أن الصلاة في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم أفضل من الصلاة في سائر المساجد بألف صلاة إلا المسجد الحرام ، فإن الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من الصلاة فيه بدون الألف . واحتج مالك وأشهب وابن نافع وجماعة أصحابه بما روى عن عمر بن الخطاب رضی الله عنه "صلاة في المسجد الحرام خيرٌ من مائة صلاة فيما سواه" فتأتى

فضيلة مسجد الرسول عليه بتسعائة وعلى غيره بألف . وهذا مبنى على تفضيل المدينة على مكة ، وهو قول عمر بن الخطاب ومالك وأكثر المدنيين .

§ وذهب أهل مكة والكوفة إلى تفضيل مكة . وهو قول عطاء وابن وهب وابن حبيب ، من أصحاب مالك . وحكاه الباجي عن الشافعي .

§ قال القاضي أبو الوليد الباجي : الذي يقتضيه الحديث مخالفة حكم مكة لسائر المساجد ، ولا يعلم منه حكمها مع المدينة .

§ قال القاضي عياض : ولا خلاف أن موضع قبر النبي صلى الله عليه وسلم أفضل بقاع الأرض .

§ وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة " . قالوا : هذا يحتمل معنيين ، (أحدهما) . أنه موجب لذلك وأن الدعاء والصلاة فيه تستحق ذلك من الثواب كما قيل : " الجنة تحت ظلل السيوف " . (والثاني) أن تلك البقعة قد ينقلها الله فتكون في الجنة بعينها . قاله الداودي .

§ وروى ابن عمر وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في المدينة : " لا يصير على لأوائها وشنتها أحد ، إلا كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة " .

§ وقال صلى الله عليه وسلم فيمن تمحل عن المدينة : " والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون " . وقال : " إنما المدينة كالكبير : تنهى خبثها وتنصع طيبها " .

§ وقال : " لا يخرج أحد من المدينة رغبة عنها إلا أبدلها الله خيرا منه " .

§ وعنه صلى الله عليه وسلم: "مَنْ مات في أحد الحرمين حاجاً أو معتمراً، بعثه الله يوم القيامة لا حسابَ عليه ولا عذابَ". وفي طريق آخر: "بعث من الآمنين يوم القيامة".

§ وعن ابن عمر رضی الله عنهما: "مَنْ آسَطاع أن يموتَ بالمدينة، فليمتُ بها فإنِّي أشفعُ لمن يموتُ بها".

§ وعن أنس بن مالك رضی الله عنه أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم طَلَعَ له أُحدٌ فقال: "هذا جبلٌ يحبُّنا ونحبه. اللهم إنَّ إبراهيمَ حرم مكة، وأنا أحرم ما بين لابتيها".

§ وعن عائشة رضی الله عنها أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: "اللهم حبِّبْ إلينا المدينةَ كما حبَّبتَ إلينا مكةَ أو أشدَّ، وأنقل حُمَّاهما إلى الجُحفة، اللهم بارِكْ لنا في صاعنا ومُدَّنَا". ودعا النبي صلى الله عليه وسلم لأهل المدينة فقال: "اللهم بارِكْ لهم في مِكْالهم، وبارِكْ لهم في صاعهم ومُدَّهم".

§ وقال صلى الله عليه وسلم: "مَنْ زارَ قَبْرِي، وجبَّتْ له شفاعتي".

وعن أنس بن مالك رضی الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ زارني في المدينة مُحْتَسِباً، كان في جِوَارِي وكنتُ له شَفيعاً يومَ القيامة".

§ وكان مالك رحمه الله لا يركب في المدينة دابةً، ويقول: أستحجي من الله أن أظأ تُربةً فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بجافِرِ دابةً.

وروى أنه وهب للشافعي كُرَاعاً كثيراً، فقال له الشافعي: أَمْسِكْ منها دابةً. فأجابه بمثل هذا الجواب.

§ وحقى القاضي عياض في "كتاب الشفاء" قال: حُتت أن أبا الفضل الجوهري

أما ورد المدينة زائراً وقُرب منها، ترَجَّل ومشى بايكا منشداً:

وَلَمَّا رَأَيْنَا رَسْمَ مَنْ لَمْ يَدَّخْ لَنَا \* فَرَادَا لِعِرْفَانِ الرُّسُومِ وَلَا لُبًّا،  
نَزَلْنَا عَنِ الْأَكْوَارِ تَمَشَّى، كَرَامَةً \* لَمَنْ بَانَ عَنْهُ أَنْ نُلِمَّ بِهِ رَجَاءً.

قال : وحكى بعض المريدين أنه لما أشرف على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنشأ يقول ممتثلاً :

رُفِعَ الْجِجَابُ لَنَا فَلَاحَ لِنَاظِرٍ \* قَمَرٌ تَقَطَّعُ دُونَهُ الْأَوْهَامُ .  
وَإِذَا الْمَطِيُّ بِنَا بَلَّغْنَ عَجْدَاءَ \* فَظُهُورُهُنَّ عَلَى الرَّجَالِ حَرَامُ .  
قَرَّبْنَا مِنْ خَيْرٍ مَنْ وَطِئَ الثَّرَى ، \* فَلَهَا عَلَيْنَا حُرْمَةٌ وَذِمَامُ .

§ وأقوى مالك رحمه الله فيمن قال "تربة المدينة رديئة" بضرب ثلاثين درة ، وأمر بحبسه ؛ وكان له قدر . وقال : "ما أحوجَه إلى ضرب عنقه ، تربةٌ دفن فيها النبي صلى الله عليه وسلم ، يزعم أنها غير طيبة !".

وفي الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في المدينة : "من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً".

ذكر شيء من خصائص المدينة المشرفة وأسمائها

على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

§ من خصائصها ، أن العطر والبخور يوجد لها فيها من الضوع والرائحة الطيبة أضعاف ما يوجد في سائر البلاد ؛ ولها في قصبتها فغمة طيبة ورائحة عطرة ، وإن لم يكن فيها شيء من الطيب آلبنة . ولهذا سميت "طيبة" و"طابة".

قال الشاعر :

ماذا على من شمَّ ثربةَ أحمدٍ \* أن لا يشمَّ مدى الزمان غواليًا؟

وهذا البيت ينسب لفاطمة الزهراء رضى الله عنها .

§ ومن أسمائها "طيبة"، "وطابة"، و"يثرب"، و"المدينة"، و"الدار"، .

- § قال القاضي عياض رحمه الله : وجدَّيرُ بمواطنِ عَمَّرتِ بالوحي والتنزيل ، وتردَّد بها جبريلُ وميكائيلُ ؛ وعَرَجتُ منها الملائكةُ والروحُ ، وَخَجَّتْ عَرَصاتها بالتقديس والتسبيح ؛ وآشمتْ تربتها على جَسَدِ سيدِ البَشَرِ ، وَأَنْتَشَرَ عنها من دينِ الله وسنة رسوله ما أَنْتَشَرَ ؛ مَدَارِسُ آياتِ ، وَمَسَاجِدُ جماعاتِ وصلواتِ ، ومشاهدُ الفضل والخيراتِ ، ومعاهدُ البراهينِ والمعجزاتِ ، ومناسكُ الدينِ ، ومَشاعِرُ المسلمين ؛ ومواقفُ سيدِ المرسلينِ ، ومتبوأُ خاتمِ النبيينِ ؛ حيثُ انفجرتِ النبوةُ ، وأين فاض عباؤها ، ومواطنِ مَهَبَطِ الرسالةِ ، وأوَّلِ أرضِ مسِّ جلدِ المصطفى ترابها : أن تُعَظَّمَ عَرَصاتها ، وتُنَسَّمَ نَفحاتها ، وتُقَبَّلَ ربوعُها وجدراتها .

وقال :

يادار خير المرسلين ومن به \* هدى الأنامُ وخص بالآياتِ .

عندي لاجلكِ لوعةٌ وصبا به \* وتَشوقٌ متوقِّدُ الجمراتِ .

وعلى عهدٍ إن ملأتُ محاجرِي \* من تِلْكَ الجُدُراتِ والعَرَصاتِ ،

لأغفِرَنَّ مَصُونِ شَنِىَ بينها \* من كثرةِ التَّشْيِيلِ والرَّشْفَاتِ .

لولا العوادي والأعادي ، زُرَّتْها \* أبداً ولو سَجَّباً على الوجناتِ .

لكن سأهدى من خفيلى تحييتي \* لقطينِ تلكِ الدارِ والحجراتِ .

أذكى من المسك المفتق نضحة \* تغشاه بالاصال والبكرات .  
وتحصه بزواكي الصلوات \* ونوامي التسليم والبركات .

### وأما البيت المقدس ، والمسجد الأقصى

فالبيت المقدس أحد القبلتين ، والمسجد الأقصى ثالث الحرمين . إليه تُشد  
الرجال ، ويكثر النزول والأرتحال ؛ وفي الأرض المقدسة تُحشر الخلائق ليوم العرض ،  
وينسط الله تعالى الصخرة الشريفة حتى تكون كعرض السماء والأرض ؛ وتجتمع الناس  
هناك لفصل الحساب ، ويضرب بينهم بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة وظاهره  
من قبله العذاب

### ولنبداً بذكر الأرض المقدسة

§ قال الله عز وجل إخباراً عن موسى عليه السلام : ﴿ يَا قَوْمِ أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ  
الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ . قال الزجاج : والمقدسة المطهرة .  
وقيل للسطل "القدس" لأنه يتطهر منه . وسمى بيت المقدس لأنه يتطهر فيه  
من الذنوب . وقيل : سماها مقدسة لأنها طهرت من الشرك وجعلت مسكناً  
للأنبياء والمؤمنين .

§ وقد اختلف في الأرض المقدسة ما هي ؟

فذهب ابن عباس رضي الله عنهما إلى أنها أريحا .

وقال السدي : أريحا هي أرض بيت المقدس . وقال مجاهد : هي الطور وما حوله .  
وقال الضحاك : هي إيلياء وبيت المقدس . وقال الكاظمي : دمشق وفلسطين وبعض  
الأردن . وقال قتادة : هي الشام كلها .

وقال عبد الله بن عمر : والحرم محرمٌ مقدارُهُ من السماوات والأرض ، وبيت المقدس مقدسٌ مقدارُهُ من السماوات والأرض .

§ وقال ابن قتيبة . وقرأت في مناجاة موسى عليه السلام أنه قال : اللهم إنك اخترت من الأنعام الضائنة ، ومن الطير الحمامة ، ومن البيوت مكة وإيلياء ، ومن إيلياء بيت المقدس .

§ وقال الله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ .

والمسجد الأقصى بيت المقدس : سمي أقصى لأنه أبعد المساجد التي تزار . وقيل : لبعده المسافة بين المسجدين . وقوله عز وجل "الذي باركنا حوله" قيل : بالماء والأنهار والأشجار والثمار . وقال مجاهد : سماه مباركاً لأنه مقر الأنبياء ، وفيه مهبط الملائكة والوحي ، وهو الصخرة ، ومنه يُحشَر الناس يوم القيامة .

§ وقال تعالى : ﴿ وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سَيْنِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ .

قال الثعلبي في تفسيره : قال كعب الأحبار وقتادة وأبن زيد وعبد الرحمن بن غنم : «التين مسجد دمشق ، والزيتون بيت المقدس» . وقال الضحاك : «هما مسجدان بالشام» . وقال محمد بن كعب : «التين مسجد أصحاب الكهف ، والزيتون مسجد إيلياء» . ومجازه على هذا التأويل : منابت التين والزيتون .

وروى عطية عن ابن عباس : «التين مسجد نوح عليه السلام الذي بنى على الجودي ، والزيتون بيت المقدس» .



وروى نهشل عن الضحاك : "التين المسجد الحرام، والزيتون المسجد الأقصى"  
 قال : "وطور سينين، يعني جبل موسى عليه السلام".  
 قال عكرمة : "السينين الحسن بلغة الحبشة". وعنه : كل جبل يُنبت فهو  
 سينين .

وقال مجاهد : "الطور الجبل ، وسينين المبارك"

وقال قتادة : "المبارك الحسن".

وقال مقاتل : "كل جبل فيه شجر فهو سينين ، وسيناء وهو بلغة النبط"

وقال الكلبي : "يعني الجبل المشجر".

§ وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : "أربعة أجمال مقدسة بين يدي الله تعالى :

١٠ طور تينا ، وطور زيتا ، وطور سينا ، وطور تيمانا .

فأما طور تينا : فدمشق .

وأما طور زيتا : فبيت المقدس .

وأما طور سينا : فهو الذي كان عليه موسى عليه السلام .

وأما طور تيمانا : فمكة .

§ والبلد الأمين مكة بلا خلاف" .

١٥

§ ومسجد بيت المقدس أحد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها ، لقول  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما ورد في الصحيح : "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة  
 مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى" .

وفي الصحيح أيضا "أن موسى عليه السلام ، لما حضرته الوفاة سأل الله تعالى

٢٠ أن يديه من الأرض المقدسة رميةً بحجر" .

٢٠

وكانت عمارة مسجد البيت المقدس بأمر الله عز وجل لنبيه داود عليه السلام أن يعمره ثم لم يقدر له عمارته وقدر الله تعالى ذلك على يدي سليمان بن داود عليهما السلام ، فهو الذي عمره . وسيأتي ذكر ذلك إن شاء الله تعالى مبينا في الفن الخامس في التاريخ .

- § وقد وردت آثارٌ وأحاديثٌ في فضل بيت المقدس ، وفضل زيارته ، وثواب الصلاة فيه ، ومضاعفة الحسنات والسيئات فيه ، وفضل السكنى فيه ، والإقامة به ، والوفاء فيه ، وما به من قبور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ومحراب داود ، وعين سلوان ، وما ورد في أن الحشر منه ، وما ورد في فضل الصخرة والصلاة إلى جانبها ، وما ورد من أن الله عز وجل عرج بنبيه من بيت المقدس إلى السماء ، وثواب الإهلال من بيت المقدس ، وما ورد من أن الكعبة تزور الصخرة يوم القيامة .

وسندكر من ذلك طرفا تقف عليه إن شاء الله تعالى ونحذف أسانيد الأحاديث الواردة فيه رغبة في الاختصار فنقول ، وبالله التوفيق :

### أما فضل بيت المقدس

- § فقد ورد عن الزهري أنه قال : لم يبعث الله عز وجل نبيا ، إلا جعل قبلته صخرة بيت المقدس . وقد صلى إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هجرته سبعة عشر شهرا ، كما روى في الصحيحين ، حتى أنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم : (( قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ )) .

وتحويلُ القبلة أولُ ما نُسخ من أمور الشرع . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يصلون بمكة إلى الكعبة . فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، أمره الله تعالى أن يصلي نحو صحرة بيت المقدس ليكون أقرب إلى تصديق اليهود إياه إذا صلي إلى قبلتهم مع ما يجدون من تعيينه في التوراة .

هذا قول عاقمة المفسرين ، على ما حكاه الثعلبي عنهم .

وقال عبد الرحمن بن زيد : قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَمُوجَّهُهُ اللَّهُ ﴾ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هَؤُلَاءِ يَهُودٌ يَسْتَقْبِلُونَ بَيْتًا مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ » . فاستقبله النبي صلى الله عليه وسلم . قالوا جميعا : فصلى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه نحو بيت المقدس سبعة عشر شهرا ، وكانت الأنصار قد صلت قبل بيت المقدس ستين يوما ، قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم .

وكانت الكعبة أحب القبلتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

§ وأختلفوا في السبب الذي كان عليه الصلاة والسلام من أجله يكره قبلة بيت المقدس ويهوى قبلة الكعبة .

فقال ابن عباس رضي الله عنهما : لأنها كانت قبلة أبيه إبراهيم عليهما السلام .

وقال مجاهد : من أجل أن اليهود قالوا : يخالفنا مجد في ديننا ، ويتبع قبلتنا !

وقال مقاتل بن حيان : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلي نحو

بيت المقدس ، قالت اليهود : يزعم مجد أنه نبي ، وما نراه أحدث في نبوته شيئا !

أليس يصلي إلى قبلتنا ويستسن بسنتنا ؟ فإن كانت هذه نبوة . فنحن أقدم وأوفر نصيبا .

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشق عليه وزاده شوقاً إلى الكعبة .  
 وقال ابن زيد : لما استقبل النبي صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس ، بلغه  
 أن اليهود تقول : والله ما درى عهد وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم ، قالوا جيبا :  
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل : وددت أن الله صرّفني عن قبلة اليهود  
 إلى غيرها ، فإني أبغضهم وأبغض موافقتهم ، فقال جبريل : إنما أنا عبدٌ مثلك ، ليس  
 لي من الأمر شيء ، فسأل ربك ، فخرج جبريل . وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 يديم النظر إلى السماء رجاء أن ينزل جبريل بما يحب من أمر القبلة . فأنزل الله  
 عز وجل : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ ﴾ الآية .

فلما صرّفت القبلة إلى الكعبة قال مشركو مكة : قد تردّد على عهد أمره ، وأشتاق  
 إلى مولده ومولد آبائه ، وقد توجه نحو قبلتهم وهو راجع إلى دينكم عاجلاً ، وتكلم  
 اليهود والمناققون في تحويلها . فأنزل الله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ  
 مَا وَلاَهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلِ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ  
 إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ .

§ وروى عن كعب أنه قال : إن الله عز وجل ينظر إلى بيت المقدس كل

يوم مرتين .

١٥

وأما فضل زيارته ، وفضل الصلاة فيه

§ فقد روى عن مكحول أنه قال : من زار بيت المقدس شوقاً إليه ، دخل الجنة  
 وزاره جميع الأنبياء في الجنة وغبطوه بمنزلته من الله تعالى ، وأيما رفقة خرجوا يريدون  
 بيت المقدس ، شيّعهم عشرة آلاف من الملائكة : يستغفرون لهم ويصلون عليهم ،

ولهم مثل أعمالهم اذا آتوا الى بيت المقدس ، ولهم بكل يوم يقيمون فيه صلاة سبعين ملكا ؛  
 ومن دخل بيت المقدس طاهرا من الجائر ، تلقاه الله بمائة رحمة ، ما منها رحمة الا ولو  
 قسمت على جميع الخلائق لو سعتهم ؛ ومن صلى في بيت المقدس ركعتين يقرأ فيهما  
 بـ "فاتحة الكتاب" و "قل هو الله أحد" خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، وكان له بكل  
 شعرة على جسده حسنة ؛ ومن صلى في بيت المقدس أربع ركعات ، مرة على الصراط  
 كالبرق وأعطى أمانا من الفزع الأكبر يوم القيامة ؛ ومن صلى في بيت المقدس  
 ست ركعات ، أعطى مائة دعوة مستجابة ، أدناها براءة من النار ، ووجب له الجنة ؛  
 ومن صلى في بيت المقدس ثمان ركعات ، كان رفيق إبراهيم خليل الرحمن ؛ ومن  
 صلى في بيت المقدس عشر ركعات ، كان رفيق داود وسليمان في الجنة ؛ ومن استغفر  
 للمؤمنين والمؤمنات في بيت المقدس ثلاث مرات ، كان له مثل حسناتهم ، ودخل  
 على كل مؤمن ومؤمنة من دعائه سبعون مغفرة ، وغفر له ذنوبه كلها .

§ وروى عن أنس رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من  
 صلى ببيت المقدس خمس صلوات نافلة ، كل صلاة أربع ركعات يقرأ في الخمس  
 صلوات عشرة آلاف مرة (قل هو الله أحد) ، فقد اشترى نفسه من الله عز وجل ؛  
 ليس للنار عليه سلطان" .

وعنه أيضا ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "صلاة الرجل في بيته  
 بصلاة واحدة ، وصلاته في مسجد القبائل بست وعشرين ، وصلاته في المسجد  
 الذي يجمع فيه بنجسمائة صلاة ، وصلاته في المسجد الأقصى بنجسين ألف صلاة ،  
 وصلاته في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة" .

وعن مكحول أن ميمونة رضى الله عنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيت المقدس قال : "نعم المسكن بيت المقدس ! ومن صلى فيه صلاة بألف صلاة فيما سواه . قالت : فمن لم يطق ذلك ؟ قال : يهدي له زيتا<sup>(١)</sup>"

§ وعن مكحول عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : لا يسمع أهل السماء من كلام بني آدم شيئاً غير أذان مؤذن بيت المقدس .

### وأما ما ورد

في بيت المقدس من مضاعفة الحسنات والسيئات فيه

فقد روى عن نافع ، قال : قال ابن عمر رضى الله عنهما ، ونحن في بيت المقدس : يا نافع ، أخرج بنا من هذا البيت ، فإن السيئات تضاعف فيه كما تضاعف الحسنات . وقال جرير بن عثمان وصفوان بن عمرو : الحسنة في بيت المقدس بألف ، والسيئة بألف .

### وأما فضل السكنى فيه والإقامة والوفاء به

§ فقد روى عن ذى الأصابع أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أرأيت يا رسول الله إن آبتلينا بالبقاء بعدك ، فأين تأمرنا؟ قال : "عليك ببيت المقدس ، لعل الله يرزقك ذرية تغدو إليه وتروح"<sup>(١)</sup> .

(١) يظهر أن بعض الكلمات قد سقطت في هذا الموضع . ولذلك رأيت إيراد الحديث بلفظ آخر عن

ابن الفقيه الهمداني في كتابه "مختصر كتاب البلدان" المطبوع في لندن سنة ١٣٠٢ هـ (سنة ١٨٨٥ م)

وهذا نصه : "قالت ميمونة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم : قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

أفئنا عن بيت المقدس ، قال : نعم المصلى هو أرض المحشر وأرض المنشر ، إيتوه فصلوا فيه فإن

الصلاة فيه كألف صلاة . قلت بأبي وأمي أنت من لم يطق أن يأتيه . قال فليهد إليه زيتا يسرح فيه ،

فإنه من أهدى إليه ، كان كمن صلى فيه " .

§ وعن أبي أمامة الباهليّ ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لا تزال طائفةٌ من أمتي ظاهرين على الحقّ ، لعدوّهم قاهرين ، لا يضرّهم من خالفهم ، حتّى يأتهم أمر الله عز وجل وهم كذلك . قالوا : يا رسول الله ، وأين هم ؟ قال : بيت المقدس وأكاف بيت المقدس» .

§ وعن عطاء ، قال : لا تقوم الساعة حتّى يسوق الله عز وجل خيار عباده إلى بيت المقدس وإلى الأرض المقدّسة ، فيسكنهم إياها .

§ وعن كعب ، قال : قال الله عز وجل لبيت المقدس : أنت جنتي وقُدسي وصفوتي من بلادي ، من سكّك فبرحة مني ، ومن نرج منك فبسخط مني عليه .

§ وعن وهب بن منبه ، قال : أهل بيت المقدس جيرانُ الله ، وحقُّ على الله عز وجل أن لا يعدّب جيرانه ؛ ومن دُفِن في بيت المقدس نجا من فتنة القبر وضيّقه .

§ وعن كعب ، قال : اليوم في بيت المقدس كالف يوم ، والشهر فيه كالف شهر ، والسنة فيه كالف سنة ؛ ومن مات فيه فكأنما مات في السماء ، ومن مات حوله فكأنما مات فيه .

وعن خالد بن معدان قال : سمعت كعباً يقول : مقبور بيت المقدس لا يعدّب .

وأما ما به من قبور الأنبياء ومحراب داود وعين سلوان

§ ففي الأرض المقدّسة قبر إبراهيم الخليل ، وإسحاق ، ويعقوب ، ويوسف عليهم السلام .

§ وفي الصحيح أن موسى عليه السلام لما حضرته الوفاة سأل الله عز وجل أن يُدنيه من الأرض المقدّسة ، رمية حجّير .

§ وروى الحافظ أبو بكر الخطيب بسنده عن بشر بن بكر عن أم عبد الله عن ابنها أنه قال : من أتى بيت المقدس ، فليات محراب داود ، فليصل فيه ، ويسبح في عين سلوان فإنها من الجنة .

§ وبسنده إلى سعيد بن عبد العزيز ، قال : كان في زمان بني إسرائيل في بيت المقدس عند عين سلوان عين . وكانت المرأة إذا قذفت ، أتوا بها فشربت منها . فإن كانت بريئة لم تضرها ، وإن كانت نطفة ماتت . فلما حملت مريم حملوها ، فشربت منها فلم تزد إلا خيرا . فدعت الله أن لا يفضح بها امرأة مؤمنة . فغارت العين .

١١٧

### وأما ما ورد

#### في أن الحشر من البيت المقدس

١٠ § فقد روى عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال : قلت يا رسول الله "أخبرنا عن بيت المقدس . قال : أرض المحشر والمنشر . إيتوه فصلوا فيه وليأتين على بيت المقدس (١) ! ولبسطه قوس أو مسح قوس في بيت المقدس أو من حيث يرى بيت المقدس خير من كذا وكذا" .

§ وعن كعب قال : العرض والحساب من بيت المقدس .

١٥ (١) بياض في الأصل بمقدار كلمة . وقد روى ابن فضل الله العمري في "مسالك الأبصار" المطبوع بدار الكتب المصرية (ج ١ ص ١٣٦) حديثا تقرب ألفاظه جدا من هذا الحديث إن لم يكونا حديثا واحدا . فلاجل تكلمة النقص الموجود في نسخ التورى في هذا الموضع نورد ما رواه ابن فضل الله وهو : وعن أبي ذر قال : قيل يا رسول الله صلاة في البيت المقدس أفضل ، أم صلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه . ولنعم المصل هو أرض المحشر والمنشر ! وليأتين على الناس زمان ، ولبسطه قوس من حيث يرى بيت المقدس ، أفضل

٢٠



§ وعن قتادة في قوله تعالى ﴿يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ قال: من صخرة بيت المقدس .

§ وعن يزيد بن جابر "يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ" قال : يقف إسرائيل على صخرة بيت المقدس فينفخ في الصور فيقول : أَيَّتَهَا الْعِظَامُ النَّخِرَةَ ، وَالْجُلُودَ الْمُتَمَزِّقَةَ ، وَالْأَشْعَارَ الْمُتَقَطَّعَةَ ؛ إن الله تعالى أمرك أن تجتمعى للحساب .

§ وقال المفسرون في قوله تعالى ﴿وَأَسْتَمِعُ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ هو أن إسرائيل يقف على صخرة بيت المقدس فينادى : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، هَلُمُّوا إِلَى الْحِسَابِ ، إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَجْتَمِعُوا لِفَصْلِ الْقَضَاءِ ، وَهَذِهِ هِيَ النَّفْخَةُ الْآخِرَةُ . " والمكان القريب صخرة بيت المقدس .

§ قال كعب ومقاتل : هي أقرب إلى السماء بثمانية عشر ميلا . وقال ابن السائب : باثني عشر ميلا .

§ وعن ابن عمر رضى الله عنهما في قوله تعالى ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ قال : هو حائط بيت المقدس الشرقى الذى من ورائه وادٍ يقال له وادى جهنم ، ومن دونه بابٌ يقال له باب الرحمة .

### وأما ما ورد

في فضل الصخرة، والصلاة إلى جانبها

§ فقد روى عن أنس بن مالك، قال : إن الجنة لتحنَّ شوقاً إلى بيت المقدس، وإن بيت المقدس من جنة الفردوس، وهى سرَّة<sup>(١)</sup> الأرض .

(١) أى الصخرة .

§ وعن أبي إدريس الخولاني : قال : يحول الله صخرة بيت المقدس مرجانة بيضاء كعرض السماء والأرض ، ثم يَنْصَبُ عليها عرشه ، ثم يقضى بين عباده : يصيرون منها إلى الجنة وإلى النار .

§ وعن أبي العالية في قوله تعالى ﴿ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ قال : من بركتها أن كل ماء عذب يخرج من أصل صخرة بيت المقدس .

§ وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : «الأنهار كلها والسحاب واليحار والرياح من تحت صخرة بيت المقدس» .

§ وقال ابن عباس رضى الله عنهما : صخرة بيت المقدس من صخور الجنة .

§ قال الزجاج : يقال إنها في وسط الأرض .

§ وعن كعب قال : من أتى بيت المقدس فصلى عن يمين الصخرة وشمالها ، ودعا عند موضع السلسلة ، وتصلى بما قل أو أكثر ، أستجيب دعاؤه ، وكشف الله حزنه ، وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، وإن سأل الله الزيادة أعطاه إياها .

### وأما ما ورد

في أن الله عز وجل عرج من بيت المقدس إلى السماء

١٥ فقد روى الشيخ الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن أحمد الواسطي الخطيب رحمه الله بسنده إلى سواده بن عطاء الحضرمي ، قال : نجد في الكتاب مكتوبا أن الله عز وجل لما أن خلق الأرض وشاء أن يعرج إلى السماء وهي دُخانٌ ، استشرف لذلك الجبال أيها يكون ذلك عليه؟ وخشعت صخرة بيت المقدس تواضعا لله عز وجل ، فشكر الله لها ذلك وجعل المعراج عنها . وكان عليها ما شاء الله أن

يكون . قال : فقد الجبار يديه حتى كانتا حيث يشاء أن تكونا ، ثم قال : « هذه جنتي غرباً ، وهذه نارى شرقاً ، وهذا موضع ميزاني طرف الجبل ، وأنا الله ديان يوم الدين » وكان معراجهُ إلى السماء عن الصخرة .

وروى أيضا بسنده إلى هاني بن عبد الرحمن ، ورديج بن عطية عن إبراهيم ابن أبي عيلة أحسبه كذا قال : وسئل عبادة بن الصامت ورافع بن خديج وكانا عقيين بدرين ، فقيل لهما : أرايتما ما يقول الناس في هذه الصخرة أحقا هو فناخذ به ، أم هو شيء أصله من أهل الكتاب فندعه ؟ فقال كلاهما : سبحان الله ! ومن يشك في أمرها ، إن الله عز وجل لما استوى إلى السماء ، قال لصخرة بيت المقدس : « هذا مقامي وموضع عرشي يوم القيامة ، ومحشر عبادي ، وهذا موضع نارى عن يسارها وفيه أنصب ميزاني أمامها ، وأنا الله ديان يوم الدين » ثم استوى إلى عليين .

وروى أيضا بسنده عن كعب ، قال : إن في التوراة أنه يقول لصخرة بيت المقدس « أنت عرشي الأدنى ومنك آرتفعت إلى السماء ، ومن تحتك بسطت الأرض وكل ما يسيل من ذروة الجبال من تحتك ، من مات فيك فكأنما مات في السماء ، ومن مات حولك فكأنما مات فيك ، لا تقضى الأيام والليالي حتى أرسل عليك نارا من السماء فتأكل آثار أ كف بنى آدم وأقدامهم منك ، وأرسل عليك ماء من تحت العرش فأغسلك حتى أتركك كالمرأة ، وأضرب عليك سورا من غمام غلظة اثنا عشر ميلا ، وسيأجا من نار ، وأجعل عليك قبة جبلتها بيدي ، وأنزل فيك روجي وملائكتي يسبحون لى فيك ، لا يدخلك أحد من ولد آدم إلى يوم القيامة ، فن ير ضوء تلك القبة من بعيد ، يقول : طوبى لوجه يختر فيك لله ساجدا ، وأضرب عليك حائطا من نار ،

وسياجا من النّام، ونحسة حيطان من ياقوت ودرّ وزبرجد؛ أنت البيدر، وإليك المحشر، ومنك المنشر» .

وروى أبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ بن محمد بن الجوزي رحمه الله في ذلك حديثين ، ثم تكلم عليهما وضعف رواتهما .

- ٥ أما أحدهما ، فقال : أخبرنا المبارك بن أحمد ، قال : أخبرنا أبو الحسين محمد بن محمد ، قال : أنبأنا أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن عمر النّصيبى ، قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن صالح بن عمر المقرئ ، قال : حدثنا عيسى بن عبيد الله ، قال : حدثنا عليّ ابن جعفر الرازى ، قال : حدثنا العباس بن أحمد بن عبد الله ، قال : حدثنا عبد الله ابن عمر المقدسى ، قال : حدثنا بكر بن زياد الباهلى ، عن عبد الله بن المبارك ، عن سعيد بن أبي عمرو ، عن قتادة ، عن زرارة بن أوفى ، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لما أُسرى بى إلى بيت المقدس مرّ بى جبريل عليه السلام إلى قبر إبراهيم ، فقال : أنزل ، فصلّ هاهنا ركعتين ، هاهنا قبر أبىك إبراهيم . ثم مرّ بى ببیت لحم ، فقال : أنزل ، صلّ هاهنا ركعتين ، فإن هاهنا ولد أخوك عيسى . ثم أتى بى إلى الصخرة فقال : من هاهنا عرج ربك إلى السماء" .
- ١٥

قال الحافظ أبو حاتم بن حيان : هذا حديث لا يشك عوام أصحاب الحديث أنه موضوع . وكان بكر بن زياد يضع الحديث على الثقات .

وأما الحديث الثانى ، فرواه بسند إلى إبراهيم بن أعين عن رديح بن عطية بن النعمان ، عن عبد الله بن بسر الحمصى ، عن كعب الأحبار ، قال : يقول الله عز وجل

لبيت المقدس: أنت عرشي الذي منك ارتفعت إلى السماء، ومنك بسطت الأرض،  
ومن تحتك جعلت كل ماءٍ عذبٍ يطّلع في ربوس الجبال .  
قال أبو حاتم الرازي: إبراهيم بن أعين منكر الحديث .  
هذا ما ورد في هذا الفصل وقد نبهنا على ما فيه من المآخذ والله أعلم .

### وأما ثواب الإهلال من بيت المقدس

فقد روى عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها أن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم قال: "مَنْ أَهَلَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ".  
قال سالم: وأهلّ ابن عمر رضي الله عنهما من بيت المقدس بعُمرَة .  
وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
"مَنْ أَحْرَمَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قَدِمَ مَكَّةَ مَغْفُورًا لَهُ".

### وأما ما ورد من أن الكعبة تزور الصخرة يوم القيامة

فقد روى عن كعب الأحبار قال: لا تقوم الساعة حتى يزور البيت الحرام  
بيت المقدس، فينقادان جميعا إلى الجنة وفيهما أهلوهما .  
وروى عن خالد بن معدان قال: يحشر الله الكعبة إلى الصخرة زفًا إليها زفًا، متعلقين  
بجميع من حج إليهما، تقول الصخرة مرحبا: بالزائرة والمزور إليها .  
هذا ما اتفق إيراده في فضائل البيت المقدس، وسند كره إن شاء الله تعالى من  
أخباره طرفا آخر وهو في الباب الثاني، من القسم الثالث، من الفن الخامس في التاريخ  
عند ذكرنا لأخبار سليمان بن داود عليهما السلام . فلنذكر خلاف ذلك .

وأما اليمن وما يختص به

فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "الإيمانُ يمانُ، والحكمةُ يمانيةٌ" .

وقال الجاحظ : من خصائص اليمن السيوفُ، والبرودُ، والقروُدُ .

ويقال : ان السيف متى قُلِعَ بالهند وطبع باليمن، فناهيكَ به !

وقال الأصمعيّ : أربعة ملائِة الدنيا ولا تكون إلا باليمن، وهى الورسُ، والكنُدرُ، والخَضضُ، والعقيقُ .

وأما الشام وما يختص به

فمن ذلك أن الشام موطن الأنبياء عليهم السلام، ومعدن الزُهَّادِ والعُبادِ

وَحُكِيَ أن الابدالَ السبعين بأرض الشام، بجبل لُكَّام وجبل لُبْنان .

ومن خصائص الشام :

مسجد دمشق

الذى ما عُمِرَ على وجه الأرض مثلهُ وكانت عمارته في سنة ست وثمانين، عُمِرَه

الوليد بن عبد الملك . ووقع الحريقُ فيه في سنة إحدى وستين وأربعمائة، فدَثِرَت

محاسنُه وزال ما كان فيه من الأعمال النفيسة .

وعن قتادة، قال : أقسم الله تعالى بمساجدَ أربعة، قال : "والتين" وهو مسجد

دمشق، "والزيتون" وهو بيت المقدس، "وطور سينين" وهو حيث كلم الله

موسى، "وهذا البلد الأمين" وهو مكة .

وقال محمد بن شعيب : سمعتُ غير واحد من قدمائنا يذكرون أن التينَ مسجدُ دمشق، وأنهم قد أدركوا فيه شجرا من تينٍ قبل أن يبنيَه الوليد .

وعن هشام بن عبد الملك قال : لما أمر الوليد ببناء مسجد دمشق ، وجدوا في الحائط القبليّ من المسجد لوحا فيه نقش فأتوا به الوليد ، فبعث إلى الروم والبرانيين وغيرهم ، فلم يستخرجوه . فدُلَّ على وهب بن منبّه فبعث إليه ، فلما قدم أخبره بموضع ذلك اللوح فإذا الحائط الذي وجد فيه بناء هودٍ عليه السلام .

وعن زيد بن واقد قال : وكنتي الوليد على العمال في بناء جامع دمشق ، فوجدنا فيه مغارةً فعزفنا الوليد ذلك . فلما كان الليل وافي ، وبين يديه الشمع ، فتزل فإذا هي كنيسة لطيفة : ثلاثة أذرع في ثلاثة أذرع ، وإذا فيها صندوق ، ففتح فإذا فيه سَفَطٌ ، وفي السَفَطِ رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام ، مكتوب عليه : "هذا رأس يحيى بن زكريا" . فأمر الوليد ، فردَّ إلى مكانه ، وقال : آجعلوا العمود الذي فوقه مغيرا من الاعمدة ، بفعلوا عليه عمودا مسَفَطِ الرأس . وكانت البشرة والشعر على رأسه لم يتغير .

وقال أبو زرعة : مسجد دمشق خطّه أبو عبيدة بن الجراح ، وكذلك مسجد حِمْص . وقيل : لما قدم المهديّ يريد بيت المقدس ، دخل مسجد دمشق ومعه أبو عبد الله الأشعريّ كاتبه ، فقال : يا أبا عبد الله سبقنا بنو أمية بثلاثٍ ، قال : وما هنّ يا أمير المؤمنين ؟ قال : بهذا البيت (بمعنى المسجد) لا أعلم على وجه الأرض مثله ، وبُنبل الموالى فإن لهم موالى ليس لنا مثلهم ، وبُعمر بن عبد العزيز ، لا يكون والله فينا مثله أبدا ! ثم أتى بيت المقدس فدخل الصخرة ، فقال : يا أبا عبد الله وهذه رابعة .

وحكى عمرو بن مهاجر الأنصاري قال : حَسَبُوا مَا أَنْفَقَ عَلَى الْكُرْمَةِ الَّتِي فِي قِبْلَةِ  
مَسْجِدِ دِمَشْقَ ، فَإِذَا هُوَ سَبْعُونَ أَلْفَ دِينَارٍ .

وقال أبو قصى : أَنْفَقَ فِي عِمَارَةِ مَسْجِدِ دِمَشْقَ أَرْبَعًا عَشْرَةَ صُنْدُوقَ ، كُلُّ صُنْدُوقٍ  
أَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ .

وقال بعض شعراء المُحدِّثِينَ فِي وَصْفِهِ :

دِمَشْقُ قَدْ شَاعَ ذِكْرُ جَامِعِهَا \* وَمَا حَوَّثَهُ رَبِّي مَرَابِعِهَا .

بَدِيعَةُ الْمَدِينِ فِي الْكَمَالِ يَا \* يُدْرِكُهُ الطَّرْفُ مِنْ بَدَائِعِهَا .

طَيِّبَةُ أَرْضِهَا مَبَارَكَةٌ \* بِالْيَمْنِ وَالسَّيِّدِ أَخَذُ طَالِعِهَا .

جَامِعُهَا جَامِعُ الْحَاسِنِ قَدْ \* فَاقَتْ بِهِ الْمَدِينُ فِي جَوَامِعِهَا .

تُذَكَّرُ فِي فَضْلِهِ وَرِفْعَتِهِ \* أَخْبَارُ صِدْقِ رَاقَتِ لِسَامِعِهَا .

قَدْ كَانَ قَبْلَ الْحَرِيقِ مَدْهَشَةٌ \* فَفَسَّرَتْهُ نَارُ بِلَاقِعِهَا .

فَازْهَبَتْ بِالْحَرِيقِ بَهْجَتَهُ \* فَلَيْسَ يُرْجَى إِيَابُ رَاجِعِهَا .

إِذَا تَفَكَّرْتَ فِي الْفُصُوصِ وَمَا \* فِيهَا ، تَيَقَّنْتَ حَقِّقَ وَاضِعِهَا .

أَشْجَارُهَا لَا تَرَالُ مَشْمَرَةٌ \* لَا تَرْتَبُّ الرِّيحَ فِي مَدَائِعِهَا .

كَأَنَّهَا مِنْ زُرْدٍ غُرْسَتْ \* فِي أَرْضِ تَبْرِ يُغْشَى بِفَاقِعِهَا .

فِيهَا ثِمَارٌ تَخَالُمَا يَنْعَتُ \* وَلَيْسَ يُخْشَى فِسَادُ يَانِعِهَا .

تُقَطَّفُ بِاللِّحْظِ لَا بِجَارِحَةِ الْأَيْدِي \* وَلَا تُجْتَسَنِي لِبَائِعِهَا .

وَتَحْتَمَى مِنْ رُخَامِهِ قِطْعٌ ، \* لَا قِطْعَ اللَّهُ كَفَّ قَاطِعِهَا .

أَحْكَمَ تَرْخِيمِهَا الْمَرْخَمُ قَدْ \* بَانَ عَلَيْهَا إِحْكَامُ صَانِعِهَا .



- وانت تفكرت في قناطره \* وسقفه ، بان حذق رافعها .  
 وان تبيت حسن قبته \* تحير اللب في اضايعها .  
 تحترق الريح في تحارمها \* عصفا فتقوى على زعازعها .  
 وارضه بالرغام قد فرشت \* ينفسح الطرف في مواضعها .  
 مجالس العلم فيه موقفة \* ينشرح الصدر في مجامعها .  
 وكل باب عليه مطهرة \* قد امن الناس دفع مانعها .  
 يرتفق الخلق من مرافقها \* ولا يصدون عن منافعها .  
 ولا تزال المياه جارية \* فيها لما شق من مشارعها .  
 وسوقها لا تزال اهله \* يزدحم الناس في شوارعها .  
 لما يشاءون من فواكحها \* وما يريدون من بضائعها .  
 كأنها جنة معجزة \* في الأرض ، لولا سرى بفائعها .  
 دامت برغم العدا مسلمة \* وحاطها الله من قوارعها .

وقال عبد الله بن سلام : بالشام من قبور الأنبياء ألفا قبر وسبعائة قبر ، وقبر موسى بدمشق ، ودمشق معقل الناس في آخر الزمان .

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : من أراد أن ينظر إلى الموضع الذي قال الله عز وجل فيه ﴿ وَأَوْيَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ فليات النيرب الأعلى بدمشق بين النهرين ، وليصعد الغار في جبل قاسيون ، فليصل فيه فإنه بيت عيسى وأمه . ومن أراد أن ينظر إلى إرم ، فليات نهر في دمشق يقال له بردى .  
 ومن أراد أن ينظر إلى المقبرة التي فيها مريم بنت عمران والحواريون . فليات مقبرة الفراديس .

٥

١٠

١٥

٢٠

ومن خصائصها التفاح الذي يضرب به المثل في الحسن والطيب . وكان يجعل منه إلى الخلفاء في كل سنة ثلاثون ألف تفاعلة .

وبها العوطة ، وهي أحد منزهات الدنيا الأربعة . وهي أجلها .

وسنذكر وصفها في باب الرياض إن شاء الله تعالى .

وأما مصر وما يختص بها من الفضائل

فمن فضلها أن الله عز وجل ذكرها في كتابه العزيز في أربعة وعشرين موضعا .

منها ما هو بصريح اللفظ ، ومنها ما دلّت عليه القرائن والتفاسير .

فأما صريح اللفظ ، فقوله تعالى : ﴿ إِهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ ﴾ .

وقوله تعالى مخبرا عن فرعون : ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي

مِنْ تَحْتِي ﴾ .

وقوله عز وجل مخبرا عن يوسف عليه السلام : ﴿ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا

بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ .

وأما ما دلّت عليه القرائن ، فمنه قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُورًا

صِدْقٍ ﴾ .

وقوله عز وجل : ﴿ وَأَوْيَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ . قال ابن عباس ،

وسعيد بن المسيب ، ووهب بن منبه وغيرهم : هي مصر .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَنزَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ . يعني مصر .

وقوله تعالى : ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَآكِهِينَ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾ . يعني قوم فرعون ، وأن بني إسرائيل ورثوا أرض مصر .

وقوله عز وجل : ﴿ وَزَيَّدْنَا أَنْ بَدَأْنَا عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً وَجَعَلْنَاهُمُ الْوَارِثِينَ وَنَمَكَّنَّا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَزَّيْنَا فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ .

وقوله تعالى مخبرا عن نبيه موسى عليه السلام : ﴿ يَا قَوْمِ أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمَقْدَسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ .

وقوله عز وجل مخبرا عن فرعون : ﴿ يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ .

وقوله تعالى مخبرا عن قوم فرعون : ﴿ أَتَدْرُكُوسِي وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ .

يعني أرض مصر

وقوله عز وجل مخبرا عن نبيه يوسف عليه السلام : ﴿ إِيَّا جَعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ

إِنِّي حَفِيظٌ

وقوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ

رَحْمَتَنَا مَنْ نَشَاءُ ﴾ .

وقوله عز وجل مخبرا عن بني إسرائيل : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ .

وقوله تعالى مخبرا عن نبيه موسى عليه السلام : ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَهْلِكَ عِندَهُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ . يعني أرض مصر .

وقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى ﴾ .

وقوله عز وجل : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ .

وقوله تعالى مخبرا عن ابن يعقوب : ﴿ فَلَن أَرْجَحَ الْأَرْضَ ﴾ . يعني أرض مصر .

وقوله تعالى : ﴿ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ ﴾ .

وذكر ابن عباس مصر، فقال : سميت مصر بالأرض كلها في عشرة مواضع من القرآن . والله تعالى أعلم .

§ وأما ما ورد فيها من الحديث النبوي صلوات الله وسلامه على قائله

فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَسْتَفْتَحُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي مِصْرَ ، فَاسْتَوْصُوا بِقَبِيضَتِهَا خَيْرًا فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَجِيحًا »

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِذَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِصْرَ فَاتَّخِذُوا بِهَا جُنْدًا كَثِيفًا ، فَذَلِكَ الْجُنْدُ خَيْرُ أَجْنَادِ الْأَرْضِ » فقال أبو بكر رضي الله عنه : ولم يارسول الله ؟ فقال : « لِأَنَّهُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي رِبَاطٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

وعنه صلى الله عليه وسلم ، وذكر مصر : « مَا كَادَهُمْ أَحَدٌ إِلَّا كَفَّاهُمْ اللَّهُ مَوْنَتَهُ » .

وتكررت الأحاديث في فضلها .

وقال عبد الله بن عمرو : وأهل مصر أكرم الأماجم كلها ، وأسمحهم يدا ، وأفضلهم  
عُنصرًا ، وأقربهم رَحِمًا بالعرب عامةً وبقريش خاصةً .

وقال أيضا : لما خلق الله عز وجل آدم ، مثل له الدنيا : شرقها ، وغربها ،  
وسهلها ، وجبلها ، وأنهارها ، وبحارها ، وبناءها ، وخرابها ، ومن يسكنها من الأمم ،  
ومن يملكها من الملوك . فلما رأى مصر ، رآها أرضا سهلة ذات نهر جار ، مادته من  
الجنة ، تتحدر فيه البركة ، ورأى جبلا من جبالها مكسوا نورا لا يخلو من نظر الرب  
عز وجل إليه بالرحمة . في سفحه أشجار مثمرة ، فروعها في الجنة تسقى بماء الرحمة .  
فدعا آدم في النيل بالبركة ، ودعا في أرض مصر بالرحمة والبر والتقوى ، وبارك على  
نيلها وجبلها سبع مرات . وقال : « يا أيها الجبل المرحوم ، سفحك جنة وتربتك  
مسكةٌ تدفن فيها عرائس الجنة ، أرض حافظة مطبقة رحيمة . لا خلتك يا مصر  
بركةً ، ولا زال بك حفظ ، ولا زال منك مُلكٌ وعِزٌّ ، يا أرض مصر فيك الحباء  
والكنوز ، ولك البر والثروة ، سال نهرُك عَسَلًا . كثُر الله زرعك ، ودَرَ ضرعك ،  
وزكا نباتك ، وعظمت برُكك وخصُبت ، ولا زال فيك يا مصر خيرٌ ما لم تتجبري  
وتتكبري أو تخونني ، فاذا فعلت ذلك ، عراك شرًا ، ثم تغفور خيرك » .

فكان آدم أول من دعا لها بالخصب والرحمة والرأفة والبركة .

وقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : دعا نوح عليه السلام لابن ابنه بيصر  
ابن حام وهو أبو مصر ، فقال : اللهم إنه قد أجاب دَعْوَتِي ، فبارك فيه وفي ذريته  
وأسيكنه الأرض الطيبة المباركة التي هي أم البلاد .

قال عبد الله بن عمرو : لما قسم نوح عليه السلام الأرض بين ولده ، جعل لحام  
مصر وسواحلها والمغرب وشاطئ النيل . فلما دخل بيصر بن حام وبلغ العريش ،

قال : « اللهم إن كانت هذه الارض التي وعدتنا على لسان نبيك نوح عليه السلام وجعلتها لنا منزلا فاصرف عنا و باها ، وطيب لنا ثراها ، وأجمع ماها ، وأنبت كلاها ، وبارك لنا فيها ، وتم لنا وعدك ، إنك على كل شيء قدير ، وإنك لا تخلف الميعاد » وجعلها بيصر لابنه مصر وسمها به . والقبط ولد مصر بن بيصر بن حام ابن نوح .

وسند كران شاء الله تعالى أخبار مصر وبنيه عند ذكركنا لملوك مصر ، وهو في الفن الخامس في التاريخ .

وعن كعب الأحبار : لولا رغبتي في بيت المقدس لما سكنتُ إلا مصر . فقيل له : ولم؟ فقال : لأنها معافاة من الفتن ومن أرادها بسوء كبه الله على وجهه ، وهو بلد مبارك لأهله فيه .

وقال أبو بصرة الغفاري : ساطان مصر سلطان الأرض كلها .

قال : وفي التوراة مكتوب : مصر خزائن الأرض كلها ، فمن أرادها بسوء قصمه الله تعالى .

وقال عمرو بن العاص : ولاية مصر جامعة ، تعدل الخلافة .

وقال أبو حازم عبد الحميد بن عبد العزيز ، قاضي العراق : سألت أحمد بن المدبر عن مصر فقال : كسفتها فوجدتُ غامرها أضعاف عامريها . ولو عمّرها السلطان ، لو فت له بخراج الدنيا .

## ذَكَرَ مَنْ وُلِدَ بِمِصْرَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

وَمِنْ كَانَتْ بِهَا مِنْهُمْ

وُلِدَ بِمِصْرَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جَمَاعَةٌ ، مِنْهُمْ : مُوسَى ، وَهَارُونَ ، وَيُوشَعَ بْنِ نُونٍ ، وَدَانِيَالُ ، وَأَرْمِيَاءُ ، وَقُتَيْبَانُ ، وَعِيسَى بْنُ مَرْيَمَ . وَوَلَدَتْهُ أُمُّهُ بِأَهْنَسَ ، وَبِهَا النَّخْلَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى لِمَرْيَمَ عَلَى أَحَدِ الْأَقْوَالِ .

وَلَمَّا سَارَ عِيسَى إِلَى الشَّامِ أَخَذَ عَلَى سَفْحِ الْمَقْطَمِ مَا شَاءَ ، عَلَيْهِ جَبَّةٌ صُوفٌ مَرْبُوطٌ الْوَسْطَ بِشَرِيْطٍ ، وَأُمُّهُ تَمَشَى خَلْفَهُ ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهَا وَقَالَ : يَا أُمَّاهُ ، هَذِهِ مَقْبَرَةُ أُمَّةٍ مَعَدَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَأَمَّا مَنْ كَانَتْ بِهَا مِنْهُمْ ، فَكَانَ : إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلُ ، وَإِسْمَاعِيلُ ، وَيَعْقُوبُ ، وَيُوسُفُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَأَتْنَا عَشْرَ سَبْطًا .

## ذَكَرَ مَنْ كَانَتْ بِهَا مِنَ الصِّدِّيقِينَ وَالصِّدِّيقَاتِ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

كَانَتْ بِهَا مِنَ الصِّدِّيقِينَ مُؤْمِنٌ آلِ فِرْعَوْنَ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ . وَقِيلَ : إِنَّهُ ابْنُ فِرْعَوْنَ لَصُلْبِهِ . آمَنَ بِمُوسَى وَوَلَّحَ بِهِ وَجَعَلَهُ اللَّهُ نَبِيًّا وَآيَةً .

وَكَانَتْ بِهَا وَزَرَاءُ فِرْعَوْنَ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَفَضَّلَهُمْ عَلَى قَوْمِ نَمْرُودٍ حِينَ قَالُوا : **«أَرْجِنَهُ وَأَخَاهُ»** وَقَالَ وَزَرَاءُ النَّمْرُودِ : **«أَقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ»** .

وَأَخْرَجَتْ مِصْرَ السَّحَرَةَ الَّذِينَ أَحْضَرَهُمْ فِرْعَوْنُ لِمُوسَى . وَكَانَتْ عَدَّتُهُمْ مَائَتِي أَلْفٍ وَأَتْنِينَ وَثَلَاثِينَ أَلْفًا وَقِيلَ أَكْثَرُ مَنْ ذَكَرَ ، آمَنُوا كُلُّهُمْ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ . وَلَمْ نَعْلَمْ مِنْ مَنْ آمَنَ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ مِثْلَ هَذَا الْعَدَدِ .

- ومن فضائل مصر ونُبل أهلها أنهم لم يُفْتَنُوا بعبادة العجل .
- وكان بها من الصديقات آسية بنتُ مزاحم امرأة فرعون، وأم إسحاق،  
ومريمُ ابنةُ عمران، وماشطةُ بنتُ فرعون، التي مشطها فرعون بأمشاط الكنان  
لما آمنت بموسى .
- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «سُمِّمَتْ ليلة أُسْرِي بِي فِي الْجَنَّةِ رَائِحَةٌ  
مَا سُمِّمَتْ أَطْيَبَ مِنْهَا ، فَقُلْتُ : يَا جَبْرِيْلُ مَا هَذَا ؟ فَقَالَ : هَذَا رَائِحَةُ مَاشِطَةِ  
بِنْتِ فِرْعَوْنَ» .

### ذَكَرَ مَنْ صَاحَرَ أَهْلَ مِصْرَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ

عليهم الصلاة والسلام

- ١٠ منهم :
- إبراهيم الخليل عليه السلام ، تزوج بها جرّ أمّ إسماعيل .
- ويوسف الصديق ، تزوج بنت صاحب عين شمس ، وتزوج زليخا بعد أن  
عجزت وعميت . دعا الله لها فردّها الله إلى حالتها الأولى ، ورزق منها الولد .
- وتسرى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمارية القبطية التي أهداها  
١٥ له المقوقس ، على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى في السيرة النبوية .

### ذَكَرَ مَنْ أَظْهَرْتَهُ مِصْرَ مِنَ الْحُكَمَاءِ

(١) الذين عمّروا الدنيا بكلامهم وحكمهم وتديبرهم ، وأظهروا ما خفي من العلوم

قال الحسن بن إبراهيم ، صاحب تاريخ مصر :

(١) بعض الحكماء المذكورين في هذا الفصل لبسوا من أهل مصر بل وفدوا عليها وأقاموا بها مدة قليلة  
أو كثيرة .



منهم : ذوالقرنين ، وهو الإسكندر من قرية يقال لها لُويبة<sup>(٢)</sup> . وهو الذي قتل  
داراً بن داراً . وسيأتي خبره إن شاء الله تعالى في التاريخ في ذكر ملوك اليونان .

ومنهم : هرمس ، وهو المثلث بالنعمة : نبي ، وحكيم ، ومليك : وهو الذي صير  
الرصاصَ ذهباً ، وبني الهرمين الكبيرين على أحد الأقوال . وقيل : هو إدريس  
عليه السلام .

ومنهم تلميذاه : أغاناثيمون و فيثاغورس ، ولهما من العلوم الموروثة صناعةُ  
الكيمياء ، والنجوم ، والسحر ، وعلم النارنجيات ، والطلسمات ، والبرابي ، وأسرار  
الطبيعة .

ومنهم أوسلا و سيزوارس و بندقايس ، أصحاب الكهانة والزجر .

ومنهم سقراط ، صاحب الحكمة ، والكلام على الباري جل ذكره ، وهو صاحب  
البلاغة .

ومنهم أفلاطون ، صاحب السياسة ، والنواميس ، والكلام على المدن والملوك .

ومنهم بطليموس ، صاحب الرصد ، والمساحة ، والحساب ؛ وهو صاحب  
كتاب المجسطي من كتب الأفلاك ، وحركة الشمس ، والقمر ، والكواكب المتحصرة  
والثابتة ، وصورة فلک البروج . وله صفة الأمم الذين يعمرون الأرض ، وكتاب الثمرة  
في علم النجوم وتسطيح الكرة .

(١) هو الاسكندر الأكبر ، ابن فيلبوس وهو ليس من مصر وإنما غزاها بجيوشه وأسس فيها مدينة

الاسكندرية التي صارت بعده مدينة العلم والحكمة .

(٢) هذا اللفظ محرف عن "بيلا" وهي إحدى مدائن اغريقية ، وفيها كانت ولادة الاسكندر الأكبر .

ومنهم أرسطاطاليس، صاحب المنطق، والآثار العلوية، والحس والمحسوس،  
والكون والفساد، والسماء والعالم، وسمع الكيان والسمع الطبيعي، ورسالة نبت  
الذهب، قالوا: وليعقوب بن إسحاق الكندي نحو ألف كتاب مستخرجة من  
كتب أرسطاطاليس.

ومنهم أراطس، صاحب البيضة ذات الثمانية والأربعين صورة في تشكيل  
صورة الفلك، والألف كوكب، وأثنان وعشرون كوكبا من الكواكب الثابتة،  
والزيج.

ومنهم أنطوليوس<sup>(١)</sup>، صاحب الفلاحة.

ومنهم إترخس، صاحب الرصد والآلة المعروفة بذات الحلق.

ومنهم ثاون، صاحب الزيج المنسوب إليه.

ومنهم أسطنيس، ودروثيوس، والنس، أصحاب كتب أحكام النجوم،  
وعنهم آستر ذلك.

ومنهم إيرن، صاحب الهندسة والمقادير، وكتاب جراثيق، والحيل  
الروحانية، وعمل البنائيم والآلات لقياس الساعات.

ومنهم فيلون البرنطلي، وله عمل الدواليب والأرجحة والحركات بالحيل اللطيفة.

ومنهم أرشميدس، صاحب الحيل والهندسة والمرايا المحرقة وعمل المجانيق  
ورمي الحصون. والحيل على الجيوش والعساكر براً وبحراً.

(١) ورد هذا الاسم في الأصل هكذا: "أنطوليوس" وليس هناك رجل بهذا الاسم. وإنما المشهور  
بتكابه في الفلاحة هو "أنطوليوس الأفريقي". وقد ذكره ابن العوام في كتاب الفلاحة الأندلسية،

- ومنهم ماريه وقلبطره، أصحاب الطلسمات، والخواص للطبائع .
- ومنهم أبلونيوس، وله كتاب المخروطات وقطع الخطوط .
- ومنهم ثيودوسيوس، وهو صاحب كتاب الأكر .
- ومنهم ذيوفنتس، وله كتاب الحساب .
- ومنهم أوطوقيس، وله كتاب الكرة والأسطوانة .
- ومنهم المشاءون<sup>(١)</sup>، أصحاب الرواق .
- وبمصر من العلوم التي عمّرت بها الدنيا علم الطب اليوناني، وعلم النجوم، وعلم المساحة، وعلم الهندسة، وعلم الكيمياء، وغير ذلك وبها الطلسمات العشرة .
- وبأدى الاسكندراني صاحب الزيج<sup>(٢)</sup> .
- والذين نشروا الطب وشرحوه جالينوس، صاحب الطب، تعلمه بمصر، ومن كتبها أخذ .
- ومنهم ديسقريد : صاحب الحشائش، وديوجانس . واركغانس ، وأرباسيوس، وفريقونوس، وروفس، هؤلاء أصحاب الطب اليوناني .
- فهؤلاء حكماء الأرض وعلمائهم الذين ورثوا الحكمة . من مصر خرجوا ، وبها ولدوا، ومنها أنتشرت علومهم في الأرض .
- قال الحسن بن إبراهيم : وكانت مصر يسير إليها في الزمن الأول طلبة العلم وأصحاب العلم الدقيق لتكون أذهانهم على الزيادة وقوة الذكاء ودقة الفطنة . والله تعالى أعلم .

(١) في الأصل : "المشائير" . ولعله يشير إلى أتباع ارسطو الذين يسميهم العرب "المشائين" .

(٢) لعل هذا الاسم محرف عن "تاون" الذي سبقت الإشارة إليه .

## ومن فضائل مصر

أنها تميم الحرمين الشريفين ، ولولا مصر لما أمكن أهل الحرمين وأعمالها المقام  
 بهما ، ولما توصل إليهما من يرد من أقطار الأرض .

ومنها أنها فُرْضة الدنيا ، يجعل من خيرها إلى سواحلها ، وذلك أن من ساحلها  
 بالقلم ينقل إلى الحرمين ، وإلى جُدّة ، وإلى عُمان ، وإلى الهند ، وإلى الصين ،  
 وصنعاء ، وعدن ، والشَّحر ، والسَّند ، وجزائر البحر .

ومن جهة تَنيس ، ودمياط ، والفرما فُرْضة بلد الروم ، وأقاصى الأفرنج ، وقبرس ،  
 وسائر سواحل الشام ، والنغور إلى حدود العراق .

ومن جهة الإسكندرية فُرْضة أقریطش ، وصقلية ، وبلد الروم ، والمغرب كله  
 إلى طنجة ، ومغرب الشمس .

ومن جهة الصعيد فُرْضة بلد الثوبة ، والبجة ، والحبشة ، والحجاز ، واليمن .

وفيه من نغور الرباط : البرلس ، ورشيد ، والإسكندرية ، ورباط ذات الحمام ،  
 ورباط البحيرة ، ورباط إخنا ، ورباط دمياط ، وشطّا ، وتَيس ، والأشتوم ، والفرما ،  
 والوزاده ، والعريش ، والشَّجرتين ، ورباط الحرس . وجهة الحبشة ، والبجة .

(١٢٤)

ورباط أسوان على الثوبة . ورباط الواحات على البربر والسودان . ورباط قوص .

وبها من المساجد والمشاهد والآثار الصالحة ، ما لم يكن في غيرها . ولو استقصينا  
 ذلك ، اطال به الشرح وأنبسط القول .

وقال سعيد بن عقبة : كنتُ بمحضرة المأمون حتى قال ، وهو في قبة الهواء :

لعن الله فرعونَ حين يقول ﴿ أليس لي ملكٌ مصر ﴾ فلورأى العراق ! . فقلت :

يا أمير المؤمنين لا تقل هذا فإن الله عز وجل قال ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ . فما ظنك يا أمير المؤمنين بشيء دمره الله، هذا بقيته؟ .

قال : ثم قلت : لقد بلغني أن أرضاً لم تكن أعظم من مصر، وجميع أهل الأرض يحتاجون إليها . وكانت الأنهار بقناطر وجسور وتقدير حتى إن الماء يجري تحت منازلهم وأفنياتهم : يحبسونه متى شاءوا، ويرسلونه متى شاءوا . وكانت البساتين بجافتي النيل من أوله إلى آخره، ما بين أسوان إلى رشيد إلى الشام متصلة لا تقطع . ولقد كانت الأمة تضع المِثْل على رأسها فيمتلئ مما يسقط من الشجر . وكانت المرأة تخرج حاسرة لا تحتاج إلى حمار لكثرة الشجر .

ومن فضائلها النيل ، وقد تقدم ذكره في باب الأنهار .

ومن عجائبها الهرمان وسيأتي ذكرهما في باب المباني القديمة إن شاء الله تعالى .

ومن عجائبها أن أهلها مستغنون عن كل بلد، حتى لو ضرب بينها وبين بلاد

الدنيا بسور، استغنى أهلها بما فيها عن سائر بلاد الدنيا .

وفيهما ما ليس في غيرها، وهو حيوان السَّقَنْقُور، والنَّس . ولولاه لأكلت الثعابين

أهلها، وهو لها كقنافذ سِيستان لأهلها .

وفيهما سمك يسمى الرَّعَاد . وهو سمك إذا أمسكه إنسان أو أمسك ما يتصل به

من خيط الصنارة أو الشبكة التي يقع فيها، ارتعدت يده .

والحَطَبُ السَّنَط الذي لو وقِد منه يوماً وجمع ما وجد من رماده كان ملء

كف . وهو صُلب العود، سريع الوُقُود، بيطيء الخُود . ويقال : إنه الآبنوس،

وإنما البُقعة قصرت عن الكيان بفناء أحر شديد الحمرة .

وَدَهْنُ الْبَاسَانِ . وَالْأَفْيُونُ ، وَهُوَ عَصَاةُ الْحَشْخَاشِ . وَكَانَ بِهَا اللَّبَّخُ ، وَهُوَ ثَمَرٌ فِي قَدْرِ اللُّوزِ الْأَخْضِرِ إِلَّا أَنْ الْمَأْكُولَ مِنْهُ الظَّاهِرُ . وَرَأَيْتُهُ أَنَا بِهَا وَأَكَلْتُ مِنْهُ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتَسْعِينَ وَسَمَائَةَ .

وَبِهَا الْأَثْرَجُ الْأَبْلَقُ .

٥ . وَبِهَا مِنَ الْمَعَادِنِ : مَعْدِنُ الزُّمُرُودِ ، وَمَعْدِنُ النَّقْطِ ، وَالشَّبِّ ، وَالْبِرَامِ ، وَالرُّخَامِ . وَقِيلَ : إِنْ بِهَا سَائِرُ الْمَعَادِنِ كُلِّهَا .

وَأَهْلُهَا يَا كَلُونَ صَيْدُ بَحْرِ الرُّومِ وَبِحَرْ فَارَسَ طَرِيًّا <sup>(١)</sup> .

١٠ . وَفِي كُلِّ شَهْرٍ مِنْ شَهْرِ الْقَبْطِ صِنْفٌ مِنَ الْمَأْكُولِ وَالْمَشْرُوبِ وَالْمَشْمُومِ ، يُوجَدُ فِيهِ دُونَ غَيْرِهِ . فَيُقَالُ : رُطْبُ تَوْتٍ ، وَرُمَّانُ بَابِهِ ، وَمَوْزُ هَاتُورٍ ، وَسَمَكُ كَيْهَكٍ ، وَمَاءُ طُوبَةِ ، وَخُرُوفُ أَمْشِيرٍ ، وَلَبَنُ بَرْمَهَاتٍ ، وَوَرْدُ بَرْمُودِهِ ، وَنَبِقُ بَشْنَسٍ ، وَتَيْنُ بَثُونَةٍ ، وَعَسَلُ أَبِيبٍ ، وَعَنْبُ مَسْرَى .

وَمِنْهَا أَنْ صَيْفُهَا تَحْرِيفٌ ، وَشَتَاؤها رِبْعٌ ، وَمَا يَقْطَعُهُ الْحَرُّ وَالْبَرْدُ فِي سَائِرِ الْبِلَادِ مِنَ الْفَوَاكِهِ يُوجَدُ فِيهَا فِي الْحَرِّ وَالْبَرْدِ : لِأَنَّهَا فِي الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ وَالرَّابِعِ ، فَسَلِمَتْ مِنْ حَرِّ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي ، وَبَرْدِ السَّادِسِ وَالسَّابِعِ <sup>(٢)</sup> .

١٥ . وَيُقَالُ : لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ فَضْلِ مِصْرَ إِلَّا أَنَّهَا تَغْنَى فِي الصَّيْفِ عَنِ الْخَيْشِ وَالتَّلْجِ وَبَطُونِ الْأَرْضِ ، وَفِي الشِّتَاءِ عَنِ الْوَقُودِ وَالْفِرَاءِ .

(١) يشير إلى البحر الأحمر المتصل بالخليج الفارسي بواسطة بحر الهند .

(٢) قارن ذلك بما ورد في المقرئ (طبع بولاق ج ١ ص ٢٨)

ومما وصفت به

أن صعيدها حجازي : حَجْرُه كحجر الحجاز ينبت النخل والدُّوم (وهو شجر المقل)،  
والعُشْر، والقَرْظ، والإهليلج، والفلفل، والحيار شنبْر. وأسفل أرضها شامي : يخطر  
كقطر الشام ، وتقع فيه الثلوج، ويُنبت التين والزيتون والعنب والجوز واللوز  
والفسق وسائر الفواكه، والبقول والرياحين .

وهي ما بين أربع صفات : فضة بيضاء، أو مسكة سوداء، أو زبرجدة خضراء،  
أو ذهبية صفراء . وذلك أن النيل يعم أرضها فتصير كالفضة البيضاء ، ثم ينصب  
عنها فتصير مسكة سوداء، ثم تُزرع فتصير زبرجدة خضراء ، ثم تستحصد فتصير  
ذهبة صفراء<sup>(١)</sup>

وحكى ابن زولاق في "فضائل مصر" أن أميرها موسى بن عيسى [المشيمي]  
وقف بالميدان عند بركة الحبش، فالتفت يمينا وشمالا، وقال لمن كان معه : أترون  
ما أرى؟ قالوا: وما يرى الأمير؟ قال : أرى عجبا ما في الدنيا مثله ! فقالوا : يقول  
الأمير! فقال: أرى ميدان رهان، وحيطان نخيل، وبستان شجر، ومنازل سكنى،  
وذروة جبل، وجبانة أموات، ونهرا عججا، وأرض زرع، ومراعى ماشية،  
ومراتع خيل، وساحل بحر . [وصائد نهر] وقانص وحش، وصائد سمك، وملاح  
سفينة، وحادي إبل، ومغازة رمل، وسهلا، وجبلا ! فهذه ثمانية عشر متزها  
في أقل من ميل في ميل .

(١) قارن ذلك بما ورد في المقرئ في (طبع بولاق ج ١ ص ٢٦) .

(٢) هو والى مصر في أيام الرشيد سنة ١٧٥ هجرية . والزيادة عن المقرئ في (طبع بولاق ج ٢ ص ١٥٢) .

- وأين هذه الأوصاف من وصف الواصف اقتصرت أنس بالبصرة حيث يقول :
- زُرْ وادِي الْقَصِيرِ نَمِّ النَّصْرُ وَالْوَادِي ! \* لَا بُدَّ مِنْ زُورَةٍ مِنْ غَيْرِ مِيعَادِ .  
 زُورَةٌ فَلَيْسَ لَهُ شَيْءٌ يَشَاكِلُهُ \* مِنْ مَنَزِلٍ حَاضِرٍ إِنْ شَتَّتَ أَوْ بَادِي .  
 تَرَى بِهِ الشُّفْنَ وَالظُّلْمَانَ حَاضِرَةً \* وَالضُّبَّ وَالنُّونَ وَالْمَلَّاحَ وَالْحَادِي .
- وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسي، يصف جبل الرصد مثل ما وُصف به قصر أنس :

يَا نُزْهَةَ الرَّصْدِ الْمِصْرِيَّ قَدْ جَمَعْتَ \* مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَلَا فِي جَانِبِ الْوَادِي .  
 فَذَا غَدِيرٌ، وَذَا رَوْحٌ، وَذَا جَبَلٌ : \* فَالضُّبُّ وَالنُّونُ وَالْمَلَّاحُ وَالْحَادِي .

فهذه نبذة من فضائل مصر. ولولا الرغبة في الاختصار، لكانت فضائلها تكون

كتابا مفردا .

### وأما جزيرة الأندلس

- فقد اقتصرْتُ في وصفها على رسالة وصفها ابن حزم فيها، فقال :
- ”... أرضها شامية في طبيها، تهامية في اعتدالها وأستوائها، أهوازية في عظم نراجها  
 وجبايتها، عدنية في منافع سواحلها، صينية في معادنها، هندية في عطرها وطيبها  
 ودكاها . وأهلها عرب في الأنساب والعزة والأثقة، وفصاحة الألسن، وطيب  
 النفوس، وإباء الضيم، وقلة احتمال الذل والإهانة، والتزاهة عن الخضوع، هندیون  
 في فرط عنايتهم بالعلوم وحُبهم لها، بغداديون في ظرفهم ونظافتهم، ورقة أخلاقهم

(١) هذه رواية المقرئ. أما الاصل فقد ورد فيه الشطر الأول غير موافق في الوزن للبقية هكذا :

يَا نُزْهَةَ الرَّصْدِ الَّتِي قَدْ تَزَمَتْ \* عَنْ كُلِّ شَيْءٍ الْخِ



ونباهتهم ، ولطافة أذهانهم ، وحادثة أفكارهم ؛ نَبَطِيُونٌ في آسْتِنْبَاطِ المِياه ، ومُعَانَاتِهِمْ لِلْغِرَاسَةِ ، وتَرْكِيبِ الشَّجَرِ وَالْفِلاحَةِ ؛ صِينِيُونٌ في إِتْقَانِ الصَّنَاعِ الْعَامِيَةِ ، وإِحْكَامِ المَهَنِ الصُّورِيَةِ ؛ تَرْكِيبِيُونٌ في مَعَانَاةِ الحُرُوبِ وَمَعَالِجَةِ آلاَتِهَا ، والنَّظَرِ في مَهْمَاتِهَا .

قال إبراهيم بن خفاجة ، يصفها :

إِنِّ لِلْجَنَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ \* مَجْتَلَى عَيْنٍ وَرِيًّا نَفْسِ !  
فَسَنَا صُبَّحَتْهَا مِنْ شَنَبٍ \* وَدُجِي لَيْلَتِهَا مِنْ لَعَسِ .

وقد أظهرت الأندلس جماعة من الفضلاء والأعيان والأكابر ، ذكروهم ابن بسام في كتابه المترجم "بالذخيرة" ، في محاسن أهل الجزيرة . وذكروهم الفتح بن خاقان في كتابه "المطمح" و "قلائد العقيان" وغيرهما .

وسنذكر إن شاء الله تعالى حال الأندلس وأبتداء عمارتها وملوكها عند ذكرنا فتحها ، وهو في الباب الخامس من القسم الأول من الفن الخامس في التاريخ من اخبار الدولة الأموية في خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان في سنة ٩٢ من الهجرة .

وأما البصرة وما آخذ

فمن خصائصها أن للغربان بها ضربا من العجب . وذلك أنها تقع إليها بالخريف حتى تكون الأرض بها سوداء ، وتقع على كل نخلة أضرم ثمرها ، ولا تقع على ما لم تُصْرَمَ ، ولو بقي عليها عنق واحد .

ومن عجائبها أيضا ، أن التمر يكون مصبوبا في بيادره ، فلا يقع عليه شيء من الذباب

لا في الليل ولا في النهار .

وأهل البصرة يتخذون المظلات على التمر والعجوة خوفاً عليها من الخفاش . ومن عادة الذباب الفرار من الشمس إلى الظل ، فلا يوجد في تلك الظلال شيء منه آتية . فيتوهم المتوهم أن هاتين الحالتين من طلسم ، له من الخاصية ما يمنع الغربان والذباب . وليس كذلك ، وإنما هو من حماية الله ووقايته .

- ووصف خالد بن صفوان البصرة ، فقال : منابتها قصب ، وأنهارها عجب ، وسماؤها رطب ، وأرضها ذهب .
- وفي الكوفة عدم الوفاء .

### وأما بغداد وما أختصت به

- فإنه يقال : إنها جنة الأرض ، ومجتمع الوافدين : دجلة والفرات ، وواسطة الدنيا ، ومدينة السلام ، وقبة الإسلام ، لأنها عمرة البلاد ، ودار السلام والحلافة ، ويجمع الطرائف والطيبات ، ومعدن المحاسن واللطائف ، وبها أرباب النهايات في كل فن ، وآحاد الدهر في كل نوع .

وكان أبو إسحاق الزجاج يقول : بغداد حاضرة الدنيا ، وما عداها بادية .

وكان أبو الفضل بن العميد إذا طرأ عليه أحد وأراد امتحان عقله سأل عن

- بغداد . فإن فطن لفضائلها وخواصها ، جعل ذلك مقدمة فضله وعنوان عقله .

﴿١٦٦﴾

وقال ابن زريق الكوفي ، الكاتب :

سأقرتُ أبنِي لبغدادِ وساكنها \* مثلاً ، فحاولتُ شيئاً دونَه اليأس .  
هيهات ! بغدادُ الدنيا بأجمعها \* عندي ، وسكانُ بغدادٍ همُ الناس .

وقال آخر :

سقى الله بغداداً من جنة \* غدت للورى زُهة الأنفس .  
على أنها مئنة الموسرين ، \* وليكنها حصرة المفلِس .

### وأما الأهواز وما أختصت به

٥ فقال أبو عثمان " عمرو بن بحر الجاحظ " : إن قَصَبَةَ الأهواز مخصوصة بالحمى  
الدائمة اللازمة ، حتى إنها ليست إلى الغريب بأسرع منها إلى الغريب .

وقال إبراهيم بن العباس عن مَشِيخة من أهلها عن القوابل بها : إنهن ربما قبِلن  
الطِّفل المولود بها فيجدنه محوماً ، ولا تكاد تُوجد بها وجنة حمراء لصبي ولا صبية ،  
ولا دمٌّ ظاهر .

١٠ ومن عجائب خصائصها : أن جميع أصناف الطَّيب تستحيل رائحته فيها جداً ،  
حتى لا تكاد توجد له رائحة . وذلك من كثرة الرُّطوبات ، وغلظ الهواء ، والأبخرة  
الفاسدة . ( وهذا موجود بأنطاكية والقُسطنطينية ) . ويقال : إن الخيل لا تنزوها  
ولا تفهل ، وإنها تعتلف الحشيش دون التبن ، لما يلحقها من الربو ، لنداوة البلد  
وعفونته .

### وأما فارس وما أختصت به

١٥ فمن خصائصها : ماء الورد الذي لا يُوجد مثله في سائر البلاد طيباً ، والجورى  
الموصوف من أحد بلادها يُجلب إلى أقاصى البلاد ، ويضرب به المثل .  
ولشيراز من بلاد فارس فَنمة طيبة ليست فيما عداها من بلاد فارس .

## وأما أصفهَان وما آخِطت به

فهى موصوفة بصحة الهواء، وجودة التربة، وعدوبة الماء .

وحكى أن المجاح ولّى بعض خواصه أصفهَان، فقال له : قد وليتك بلدة حَجْرها الكحل، وذبابها النحل، وحشيشها الزعفران .

ومن خصائص الرّى : بُرودها موصوفة كبرود اليمن، وتسمى العَدَنِيّات تشبيها لها ببرودِ عدن . وفيها الثياب المنيرة .

قالوا : واللص الحاذق ينسب إلى الرّى .

## وأما جُرْجان وما آخِطت به

فهى سُهْلِيَّة جَبَلِيَّة، بَرِيَّة بَحْرِيَّة . وأهلها يعدّون زيادةً على مائة نوع من أنواع الرياحين، والبُقُول، والحشائش الصّحراوية، والثمار والحبوب السّهْلِيَّة التى هى مبدولة بها للفقراء والغرباء .

ومن خصائصها : العُتَاب الذى لا يكون فى سائر البلاد مثله، ويقال : هى بغداد الصّغرى، إلا أنها وبيّة، مختلفة الهواء فى اليوم الواحد، قتّالة للغرباء، كثيرة الأنداء . ويقال : جُرْجان مقبرة أهل نُحْرَاسان .

وفى بعض الكتب القديمة أن بنحراسان بلدة يقال لها جرجان، يُساق إليها قصار الأعمار من الناس .

وكان أبو تراب النيسابورى يقول : لما قُسمت البلادُ بين الملائكة، وقعت جُرْجانُ فى قسم أبى يحيى (يعنى ملك الموت) .

وأما نيسابور وما أختصت به

فحكى عن عمرو بن الليث الصفار أنه كان يقول : كيف لا أقاتلُ عن بلدة  
حشيشها الرّيباس ، وتُرابها النُّقل ، وحجرها الفيروزج . أراد بقوله : "تُرابها النُّقل"  
طين الأكل الذي لا يوجد مثله في الأرض ، ويحمل منها إلى أقاصي البلاد وأدانيها ،  
ويُتخف به الملوك . قالوا : وربما بيع الرُّطل منه بدينار . قال المأمون يصفه :  
جُد لي من النُّقل ، فذاك الذي \* منه خُلِقنا وإليه نصيرُ .  
ذاك الذي يُحسب في مثله \* أجمار كافورٍ عليها غيرُ .

قالوا : والفيروزج لا يكون إلا في نيسابور ، وربما بلغت قيمة القَص منه - الذي  
إذا أربى وزنه على مثقال ، وجمع الخضرة والاستدارة ، وصبر على النار ، وأمتنع  
على المبرد ، ولم يتغير بالماء الحار - مائتي دينار .

ويقال إن له خاصية في تقوية القلب بالنظر إليه ، كما أن للياقوت خاصية  
في مسرة النفس .

ولما دخلها إسماعيل بن أحمد الساماني ، ملك ما وراء النهر ونخراسان ، آستحسنها  
وآستطابها ، وقال : يا لها من بلدة جليلة ، لو لم يكن لها عيبان ! كان ينبغي أن تكون مياها  
التي في باطن الأرض على ظاهرها ، وأن تكون مسالحها التي على ظهرها في بطنها .  
ومن خصائصها الثياب النيسابورية الرقاق .

وأهلها لا يكرمون الغريب . قال المرادي :

لا تترنّب بنيسابور مغترباً \* إلا وحبلك ، ووصول بسُطان .

أولاً ، فلا أدب يُغنى ولا حسب \* يُجدي ولا حرمة تُرعى لإنسان .

(١) في الأصل "مشايخها"

وقال أيضا فيها :

قال المرادى قولا غير متهم ، \* والنصح ما كان من ذى الألب مقبول :  
لا تنزلن بنيسابور مغتربا ، \* إن الغريب بنيسابور مخذول .

وأما طوس وما آختصت به



- فمن خصائصها السبج الذى لا يكون إلا بها ، ومنها يُنقل إلى الآفاق ، والمجر الأبيض الذى يتخذ منه القدور .

ويقال : إن الله عز وجل ألان لأهلها الحجارة كما ألان لداود الحديد، حتى إنهم يتخذون منها ما يتخذ غيرهم من الزجاج من سائر الأواني .

وأما بلخ وما آختصت به

- فيقال : هي من أقدم البلاد وأخصها بالملوك ، وهي شبيهة بالعراق ، وخراسان ، والهند . وإليها ينسب جيحون ، فيقال : نهر بلخ .

• وكان سعيد بن الحسن يقول : العيش فى الصيف ببلخ كتصحيحها (١) .

• ومن خصائصها البغاقى والنيلوفر (٢) .

(١) أى مثل تلج .

(٢) فى الأصل : النجادى . [وهو تحريف لاشك فيه] . "والبغاقى" هى نوع من النياق أشهرت بها هذه المدينة . قال ابن حوقل الرحالة البغدادى الشهير فى كتابه "المسالك والممالك" (ص ٣٢٨ ، ٣٢٩)

: هـ

"ويرتفع من بلخ وأعمالها فى نفسها النوق المتقدمة على ما فى جنسها وتعرف بالبغاقى ولا نظير لها من جنسها فى جميع الأرض . وبها الأترج والنيلوفر وقصب السكر وما لا يكون إلا بالبلدان الحارة إلا أنه لا تخيل بها" .

وأما بُسْت وما أختصت به

فيقال : إن هواءها كهواء العراق ، وماءها كماء الفُرات ؛ ومن خصائصها الإجاص الذي لا يوجد مثله في غيرها . ويقال : إن مَنْ مات بُسْت مغفوراً له فقد آتقنل من جَنَّة إلى جَنَّة .

وأما غَزَنَة وما أختصت به

فهي موصوفة بصحة الهواء ، وجودة التربة ، وعذوبة الماء ، وهي جبلية شمالية ؛ ومن خصائصها أن الأعمار بها طويلة ، والأمراض قليلة . قالوا : وهي أرض تنبت الذهب ، ولا تولد الحيات والعقارب والحشرات المؤذية . ومنها نرح الأجلاء الأنبجاء من الرجال .

وقال أبو سعيد منصور زعيم جرجان : لم أربلدة في الصيف أطيب ، وفي الربيع أشبه ، ومن الحشرات أنظف من غزنة . ثم قال : إن قلة ثمارها من منافعها ، لأن كثرة الثمار مقترنة بكثرة الأمراض . وقد وصفها صاحب كتاب "لطائف المعارف" فقال :

وَأَهَا لَفَزَنَةٌ إِذْ غَدَّتْ \* لِلذِّكِّ وَالْإِسْلَامِ دَارًا .

مِنْ كَعْبَةٍ قَدْ أَصْبَحَتْ \* لِلجِدِّ وَالْعَلْيَا مَدَارًا .

فِي صَدْرِهَا الْمَلِكُ الَّذِي \* قُطِبُ السُّعُودِ عَلَيْهِ دَارًا .

وقال أيضا فيها :

يَا دَارَ مُلْكٍ نَرَى كُلَّ الْجَمَالِ بِهَا \* وَأَسْعَدُ الدَّهْرِ تَبْدُو مِنْ جَوَانِبِهَا .

كَأَنَّهَا جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ قَدْ نَزَلَتْ \* بِأَرْضِ غَزَنَةَ تَعْجِيلًا لِصَاحِبِهَا .

وأما سيجستان وما أختصت به

فيقال فيها : ماؤها وشل ، وثمرها دقل ، ولصها بطل .  
وما تختص به الطاسات وجلجل البزاة ، والطبول الموكبية ، والفُرش الدياج

وأما الهند وما أختصت به

- فيقال : الهند بجرها دتر ، وجبلها ياقوت ، وشجرها عود ، وورقها عطر .  
• وعود الهند يذكر مع أمهات الطيب .  
• وفي الهند القيل ، والكركدن ، والببر ، والطاوس ، والبيغاء .  
• وفيه الياقوت الأحمر ، والصندل الأبيض ، والعاج ، وأصناف العطر ، والياب  
المخملة وغيرها ، والألبس<sup>(١)</sup> ، والأقمشة .

وأما الصين وما أختصت به

- ١٠ فإن العرب تقول لكل طرفة من الأواني : صينية كائنة ما كانت : لأختصاص  
الصين بالطرائف .  
وأهل الصين خُصوا بصناعة الطرف ، والملح ، ونحط التماثيل ، والإبداع  
في عمل النقوش والتصاوير ، حتى إن مصورهم يصور الإنسان فلا يغادر شيئاً  
إلا الروح ، ثم لا يرضى بذلك حتى يفصل بين ضحك الشامت وضحك المتجمل ، وبين  
١٥ المتبسّم والمستغرب ، وبين ضحك المسرور والهازي ، ويركّب صورة في صورة .  
• وفيه مناديل الغمر التي إذا أُنسخت وأُثقيت في النار ، نُقيت ولم تحترق .

(١) كذا بالأصل ولعلها محرقة عن القلائس .



وفيه الحديد . وربما أشتري بأضعاف وزنه فضة .  
 وفيه السنجاب الفارحاني الذي هو من أنفاس الأوبار . وفيه اللبؤد الجياد .  
 قال الجاحظ في كتاب "النظر في التجارة" : إن خير اللبؤد الصينية ، ثم المغربية  
 الحمر ، ثم الطالقانية البيض .

### وأما سمرقند وما اختصت به

قال قتيبة بن مسلم ، لما أشرف على سمرقند لأصحابه : شبهوها ، فلم يأتوا فيها  
 بشيء ، فقال : كأنها السماء في الحضرة ، وكان قصورها النجوم الزاهرة ، وكان أنهارها  
 الحجرة . فاستحسنوا هذا التشبيه .

ومن خصائصها : الكواغد التي عطلت قراطيس مصر ، والجلود التي كان الأوائل  
 يكتبون عليها ، لأنها أحسن وأنعم وأرق وأرق . ولا تكون إلا بها وبالصين .  
 ومن خصائصها : الثياب الودارية ، والنشادر ، والزئبق ، والبندق .

### وأما بلاد الترك وما اختصت به

فانه يقال . إنها توازن بلاد الهند في كثرة الخصاص .  
 وفيها المسك والسنجاب والسمور والقائم والفنك والثعالب السود والأرانب البيض  
 وغير ذلك . وفيها البزاة البيض والحليل .

وتثبتت من بلاد الترك خاصية : أنه من أقام بها اعتراه سُورور لا يدري ما سببه ،  
 ولا يزال متبسما ضاحكا ، وأن الميت إذا مات فيها لا يدخل على أهله كبير حزن كما  
 يلحق غيرهم عند موت محبوب .



## وأما خُورَازْم وما آخِطَصَتْ به

فإنها تقارب بلاد الترك، بل تنافسها في الخصاص والمتاجر .  
ومن خصائصها البطح الذي يقال له "النارنج" يقال إنه أحلى البطاطيخ وأطيبها .  
وكان يحمل منها إلى المأمون وإلى الواثق في قوالب الرصاص، معبأة في الثلج . فكانت  
تقوم الواحدة منه — إذا سلمت ووصلت — بسبعائة درهم . والله أعلم .

## ذكر الخصاص التي تجرى مجرى الطلسمات

منها :

- مدينة "خبيص" من مدن كerman . لا يُمطر المطر فيها داخل السور أبدا حتى  
إن الرجل يُخرج يده من سورها إلى خارجها، فبتل يده ولا يتل ساعده .
- ١٠ وبقرية من قرى كerman أيضا "حصن عادي" ليس فيه فار . وإذا دخل إليه  
فار، مات
- ومدينة "حصص" لا يوجد فيها عقرب . وإذا نُثر ترابها على ظهر عقرب، ماتت .  
وكذلك قلعة أعزاز من أعمال حلب . ويقال إنه لا يدخل مدينتها حية . ومتى  
نُثر عليها من ترابها، ماتت لوقتها . ولا يوجد فيها بعوض آلتة . وإن الرجل متى أخرج  
يده من السور، وقع عليها، فإذا أدخل يده، طار عنها .
- ١٥ و"بمصر" أن التماسيح إذا ساقها الماء إليها وحاذتها، انقلبت على ظهرها . فإذا  
بعدت عنها . لا تضر أحدا . بخلاف ماهي في بلاد الصعيد، فإنها تفتس جميع ما تظفر  
به من الحيوان حتى الخيل . ولا يقوى على قتالها إلا الجاموس  
ومدينة "سجلماسة" لا يوجد فيها ذباب آلتة .

(١) كذا ذكرها أيضا في التقرير بالهمزة . وفي المعجم "عزاز" بدونها .

(٢) يعني مصر العتيقة أي القسطنطينية .

### ذكر خصائص البلاد في أشياء مختلفة

(وهي العلم، والعمل، والجواهر، والملابس، والأوبار، والقروش، والمراكب،

والحيوانات ذوات السموم، والحلوى، والثمار، والرياحين،

والخلق، والأخلاق، والأمراض، والآثار العلوية)

٥ أما خصائصها العلمية والعملية، فيقال: حكماء اليونان، وأطباء جنديسابور، وصاغة حران، وحاكة اليمن، وكتّاب السواد.

ومن خصائصها في الجواهر، يقال: فيروزج نيسابور، وياقوت سرنديب، ولؤلؤ عُمان، وزبرجد مصر، وعقيق اليمن، وجزع ظفار، وجمادى بلخ، ومرجان

١٠ ومن خصائصها في الملابس، يقال: برود اليمن، ووشى صنعاء، وريط الشام، وقصب مصر، وديباج الروم، وقز السوس، وحرير الصين، وأكسية فارس، وحل أصبهان، وسقلاطون بغداد، وعمائم الأبلّة، ومنيّر الري، وملمح مرو، وتكك أرمينية، ومناديل الدامغان، وجوارب قزوين.

١٥ ومن خصائصها في الأوبار، يقال: سنجاب نخرخيز، وسمور بأغار، وتعالب الخزر، وفنك كاشغر، وحواصل هراة<sup>(١)</sup>، وقاقم تغزغر.

(١) ورد هذا اللفظ في كثير من كتب العرب بمعنى الجلود السنية التي يتدفأ بها أهل الترف والتعميم

فقد ذكر الهمداني (ص ٢٣٥) الفنك والسمور والقاقم والحواصل والوشق والدائق الخ. وذكره

ابن البيطار فقال: «أنه طائر يكون بمصر كثيرا يعرف بالكنى (بضم الكاف وإسكان الباء) المنقوطة

بأثنين من أسفل) ... ولياسه يصلح للشباب وذوى الامزاج الحارة ومن يغلب عليه البعد ...»

٢٠ وذكر السيوطي في الجزء الثاني من "حسن المحاضرة" لطائف مصر وأورد من جنتها الحوصل (بغير

ألف في النسخة المطبوعة طبع حجر بمصر ص ١٧٦) حيث قال ما نصه: «وطير الحوصل يعمل

من جلده الخفاف الناعمة والفرا الأبيض الذي يقوم مقام الفنك في لينة ورقته».

ومن خصائصها في الفرش، يقال : بُسَطَ أرمينية، وزَلَّالِيٌّ قَالِيَقْلَا، ومَطَارِحٌ مَيْسَانٌ، وحُصْرٌ بَغْدَادٌ .<sup>(١)</sup>

ومن خصائصها في المراكب ، يقال : عِتَابُ البادية ، ونَجَائِبُ الحِجَازِ ، وبرَازِينِ طَخَارِسْتَانِ ، وحَمِيرِ مِصْرَ ، ويُقَالُ بَرْدَعَةٌ .

ومن خصائصها في الحيوانات ذوات السموم، يقال : أفاعي سِجِسْتَانِ ، وحياتِ أَصْفَهَانَ ، وتَعَايِينُ مِصْرَ ، وَعَقَارِبُ شَهْرُزُورِ ، وجرارات الأهواز ، وبرَازِيثِ أرمينية ، وفَارِ أَرْزَنِ ، ونَمَلٌ مِيًّا فَارِقِينَ ، وذبابُ تَلِّ قَافَانَ ، واقْدَاحُ نَلْدِ .<sup>(٢)</sup> <sup>(٣)</sup>

ومن خصائصها في الحلواء، يقال : سُكَّرُ الأهوازِ ، وَعَسَلُ أَصْفَهَانَ ، وقَانِيذِ مَا كِسَانَ وَدِبْسُ أَرْجَانِ .<sup>(٤)</sup>

- ١٠ (١) لعله مصحف عن "حصر عبادان" لأن المقرئى طالما يتكلم عن الحصر العبدانية في مواضع كثيرة جدا من خطه . وكذلك السيوطى قال في لطائف مصر : «وبها من الحصر العبدانى ومن سائر أصناف الحصر ما لا يوجد في غيرها» . وقال المقدسى ص ١١٨ «ان أكثر أهل عبادان صناع الحصر من الخلقاء» وكانت هذه الحصر في غاية من الجمال حتى كان أهل مصر يقدونها كما رأيتان من عبارة السيوطى .
- (٢) مفردة "قندح" وقال في القاموس : «والقندح والقادح أكال يقع في الشجر والاسنان... والقادحة الدودة» . وقال ابن البيطار في كلامه على "التربد" نوع من النبات مانصه : «والتربد اذا طال به الزمان عمل فيه القادح كما يعمل في الخشب ... تراه مقببا كأنه ثقب برأس ابرة» . ثم قال في بقية الكلام مانصه : «لا يجب أن يستعمل منه (أى التربد) إلا ... السليم من السوس» .
- (٣) هكذا في الأصل . وربما كان محرفا عن "بلد" المدينة المشهورة في العراق .
- (٤) كذا بالأصل وصوابه "مأسكان" وقد أوردتها ياقوت فقال «انها بلد مشهور بالنواحي المجاورة لمكران وراء سجستان» ثم قال «ولا يوجد الفانيد بغير مكان إلا بهذا الموضع ... واليه ينسب الفانيد الماسكاني» .
- ٢٠

ومن خصائصها في الثمار ، يقال : رُطَبُ العراق ، وتمر كَرْمَان ، وَعُنَابُ جُرْجَان ،  
وإِجَاصُ بُسْت ، وَسَفَرَجَلُ نَيْسَابُور ، وَتُقَاحُ الشَّام ، وَمِشْمِشُ طُوس ، وَكُثْرَى  
نَهَاوَنْد ، وَأَثْرُجُ طَبْرِسْتَان ، وَنَارَنْجُ البَصْرَة ، وَتَيْنُ حُلْوَان ، وَعَنْبُ بَغْدَاد ، وَقِشْمِشُ  
هَرَاة ، وَمَوْزُ اليَمَن ، وَجَوْزُ الهِنْد ، وَبِطِّيخُ خُوَارِزْم ، وَبَاقِلَاءُ الكُوفَة .

ومن خصائصها في الرياحين ، يقال : نَرِيْجِسُ جُرْجَان ، وَوَرْدُ جُور ، وَنِيلُوفَر  
السِّيْرَوَان ، وَمِثْوَرُ بَغْدَاد ، وَزَعْفَرَانُ قُمْ ، وَشَاهِسُقْرَمُ سَمَرْقَنْد .

ومن خصائصها في الخلق والأخلاق ، يقال : سُقْرَة الرُّوم ، وَسَوَادُ الرُّنْج ، وَغَلْظُ  
التُّرْك ، وَجَفَاءُ الحَيْل ، وَدَمَامَة الصِّين ، وَفِصْرُ يَأْجُوج .

ومن خصائصها في الأمراض ، يقال : طَوَاعِينُ الشَّام ، وَطِحَالُ البَحْرَيْن ،  
وَدَمَامِيلُ الجَزِيرَة ، وَحُمَى خَيْبَر ، وَجُنُونُ حَمْص ، وَعَرَقُ اليَمَن ، وَوَبَاءُ مِصْر ،  
وَبُرْسَامُ العِرَاق ، وَالنَّارُ الفَارِسِيَّة ، وَقُرُوحُ بَلْخ .

ومن خصائصها في الآثار العلوية ، يقال : شِتَاءُ أَرْمِينِيَّة ، وَمَصِيفُ عُمَان ،  
وصَوَاقِعُ تِهَامَة ، وَزَلَازِلُ دَبِيل .

وقال الجاحظ في "كتاب الأمصار" : الصناعات بالبصرة ، والفصاحة بالكوفة ،  
والتخنيث ببغداد ، والطرمذة بسمرقند ، والنقى بالرّي ، والجفاء بنيسابور ، والحسن  
بهرآة ، والمروءة ببلخ ، والبخل بمرو ، والعجائب بمصر .

وحكى عن عمرو بن عامر مُزَيِّقِيَا ، أنه قال لقومه لما تحقق كون سبيل العريم :  
من كان ذا شيءٍ وبغير وجهٍ غير شرود ، فليالحق بالشعب من كوفان ، فاحقت به

- همدان ؛ ومن كان ذا سياسة وصبر على أزمات الدهر فليحق ببطن مرّ، فلحقت به  
نخاعة . ومن كان يريد الراسخات في الوحل ، المطاعم في المحل ، فليحق بيثرب  
ذات النخل ، فلحقت بها بنو قبيلة ، وهم الأوس والخزرج ؛ ومن كان يريد التمر والتخدير  
والأمر والتأمر فليحق ببصرى وسدير (وهي من أرض الشام) ، فلحقت به غسان ؛  
ومن كان يريد الثياب الرقاق ، والخيل العتاق ، والذهب والأوراق ، فليحق  
بالمراق ، فلحقت به لحم . والله سبحانه وتعالى أعلم .

## الباب الثالث

من القسم الخامس من الفن الأول

(في المباني القديمة)

- ١٠ والمباني القديمة كثيرة ، فلنذكر منها ما عظم خطره ، وشاع في الآفاق ذكره

### ذكر أول بناء وضع على وجه الأرض

- قيل : أول ما بنى على وجه الأرض "الصرح" ويسمى "المجدل" بناء الثمود الأكبر  
أبن كوش بن حام بن نوح ، بكوثر ربي من أرض بابل . قيل : وبها إلى هذا العصر  
من أثره كالجبال . وكان طوله في الهواء خمسة آلاف ذراع ، وعرضه ثلاثة آلاف  
ذراع . وكان مبنيًا بالحجارة والرصاص واليكتس والشمع واللبن . بناه ليمنعه وقومه  
١٥ من بأس الله عز وجل . وكان قد كفر وطنفى وادعى الألوهية ، فأرسل الله تعالى

إليه جبريل ، فضربه بخافقة جناحه فهدمه ، وهام من كان حوله على وجهه ، وقد تلبلت ألسنتهم من الدهش والدُّعْر ، فكانت عنه هذه اللغات التي يتكلم بها سائر الأمم ، وهي آثتان وسبعون لغةً ، وسميت تلك الأرض التي كان بها بابل .

### ذكر خبر إرم ذات العماد

وهي التي ذكرها الله عز وجل في كتابه العزيز ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾ .

وكان سبب عمارتها أن شداد بن عاد بن إرم لما سمع وصف الجنة سؤلت له نفسه أن يبني مثلها . فبنى مدينة بين حضرموت وصنعاء ، طولها اثنا عشر فرسخاً ، وعرضها مثل ذلك . وأحاط بها سوراً ارتفاعه نحو مائة ذراع ، غشاه بصفائح الفضة المموجة بالذهب ، فلا يدركه البصر إذا أشرقت عليه الشمس . وبنى داخلها مائة ألف قصر ( بعدد رؤساء أهل مملكته ) من الذهب والفضة ، وكذلك جُدوع سُقُوفها وأعمدتها . وأجرى في وسطها نهراً صَفَّحَ أرضه بالذهب ، وجعل على حافته أنواع الجواهر واليواقيت بدلاً من الحصباء وألقى فيه المسك والعنبر بدلاً من الحمأة . وفروع منه جداول إلى تلك القصور والمنازل ، وغرس على شطوطها من الأشجار ما كان لزهرة عَرَفَ طيبٌ ورائحةٌ ذكيةٌ .

زعموا أنه أقام في بنائها ثلاثمائة سنة ، فلما تم بناؤها ، زاد في طغيانه وخرج من حضرموت إليها ليسكنها . فلما أشرف عليها جاءتته صيحة من السماء فأهلكته هو وجنوده .

ويروى أن عبد الله بن قلابة نرج في طلب إبل له نذت فوق عليها، فحمل ما قدر عليه، فبلغ معاوية خبره، فاستحضره وسأله فقص عليه قصته. فبعث معاوية إلى كعب الأبحار، فقال: هي إرم ذات العماد، وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك: أحمراً قصيراً، على حاجبه خال، وعلى عقبه خال، يخرج في طلب إبل له نذت. ثم ألتفت فرأى ابن قلابة فقال: هذا والله ذاك الرجل.

وزعم الأخباريون أنه كان بها أربعائة ألف وأربعون ألف عمود، ولهذا سميت ذات العماد. وقد ذهب قوم إلى أنها دمشق.

وسند ذكر إن شاء الله تعالى خبر إرم ذات العماد بما هو أبسط من هذا عند ذكرنا لخبر شديد وشداد، أبني عاد، وهو في الباب الخامس من القسم الأول، من الفن الخامس في التاريخ، وذلك في السفر الحادي عشر من هذه النسخة من كتابنا هذا فتأمله هناك. والله تعالى أعلم.

### ذكر خبر سدّ ياجوج وماجوج

هو في الإقليم السادس في آخر الجزء التاسع من تجزئة عشرة أجزاء.

قال صاحب كتاب "تنزهة المشتاق إلى اختراق الآفاق" إن الواثق بالله لما رأى في المنام كائن السد الذي بناه ذو القرنين مفتوحاً، أحضر سألماً الترجمان وقال له:

(١) إن ابن خرداذبة هو أول من روى خبر هذه البعثة العلمية عن نفس رئيسها ثم استلهاه من الكتاب

الذي كان كتبه في هذا المعنى للخليفة الواثق بالله (انظر المسالك والممالك طبع ليدن سنة ١٣٠٦ هـ -

سنة ١٨٨٩ م من صفحة ١٦٢ - ١٧٠). وعن ابن خرداذبة نقل جميع المؤلفين الذين

جاءوا بعده مثل الإدريسي وابن رسته وابن الفقيه الهمداني والمقدسي. وقد نقل النويري عن

الإدريسي. وكلهم قد يزيد وينقص بعض الكلمات أو يبدلها بغيرها.



أذهب فانظر إلى هذا السدّ وجئني بنخبره وحاله وما هو عليه ، ثم أمر له بأصحاب يسرون معه ، عددهم خمسون رجلا ، ووصله بخمسة آلاف دينار ، وأعطاه ديتة عشرة آلاف درهم ، وأمر أن يعطى كل واحد من أصحابه الخمسين ألف درهم ورزق سنة ، وأمر لهم بمائة بغل تحمل الماء والزاد . قال سلام الترخمان : فشخصنا من سامرا بكتاب الواثق إلى إسحاق بن إسماعيل صاحب أرمينية بالنظر إلى تنفيذنا من هناك ؛ فكتب لنا كتابا إلى ملك السريير وأنفذنا إليه . فلما وردنا عليه ، أشخصنا إلى ملك الألان . فلما وصلنا إليه ، أشخصنا إلى صاحب فيلان شاه . فلما وردنا عليه [أرسلنا إلى ملك الخزر وهو] آختر لنا خمسة أدلاء يدلون على الطريق . فسرنا من عنده سبعة وعشرين يوما في تخوم بلاد بسجرت إلى أن وصلنا إلى أرض سوداء طويلة ممتدة كريمة الرائحة ، فشققناها في عشرة أيام . وكنا قد تزودنا لقطعها أشياء نسمها خوفاً من أذى روائحها الكريهة . ثم انفصلنا عنها . فسرنا مدة شهر في بلاد خراب قد درست ابنتها ولم يبقَ منها إلا رسوم يُستدل بها عليها . فسألنا من معنا عن تلك المدين ، فأخبرونا أنها المدين التي كان ياجوج وماجوج يفتنونها ويخربونها . ثم سرنا إلى حصون بالقرب من الجبل الذي في شعبة السدّ وذلك في ستة أيام . وفي تلك الحصون قوم يتكلمون بالعربية والفارسية . وهناك مدينة يدعى ملكها خاقان بن أدكش ، وأهلها مسلمون لهم مساجد ومكاتب . فسألونا من أين أقبلنا ، فأخبرناهم أننا رُسل أمير المؤمنين الواثق بالله ، فعجبوا منا ومن قولنا "أمير المؤمنين" ثم سألونا عن أمير المؤمنين : أشيخ هو أم شاب ؟ فقلنا : شاب ، فعجبوا أيضا . ثم قالوا : وأين يكون ؟ قلنا : هو بالعراق بمدينة سُرْمَن رأى . فعجبوا أيضا

- من ذلك، وقالوا : ما سمعنا هذا قط . فسألناهم عن إسلامهم من أين وصلهم  
 ومن علمه لهم ؟ فقالوا : وصل إلينا منذ أعوام كثيرة رجل راكب على دابة طويلة  
 العنق طويلة اليدين والرجلين ، لها في موضع صلبها حدّبة ، ( فقلنا أنهم يصفون الجبل )  
 قالوا : فنزل بنا وكلمنا بكلام فهمناه ، ثم علمنا شرائع الإسلام فقبلناها ، وعلمنا  
 أيضا القرآن ومعانيه فتعلمناه وحفظناه . قال سلام : ثم خرجنا بعد هذا إلى السّد  
 لتبصره ، فسرنا عن المدينة نحواً من فرسخين ، فوصلنا السّد . فإذا جبل مقطوع بوادي  
 عرضه مائة وخمسون ذراعاً ، وله في وسط هذا الفناء باب من حديد طوله خمسون  
 ذراعاً قد أكتنفته عضادتان ، عرض كل عضادة منهما خمسة وعشرون ذراعاً . والظاهر  
 من تحتها عشرة أذرع خارج الباب . وكله مبنى بلبن الحديد مغيب بالنحاس . وارتفاع  
 العضادتين خمسون ذراعاً ، وعلى أعلى العضادتين درّوند حديد ، طوله مائة وعشرون  
 ذراعاً . والدروند للعتبة العليا ، وقد ركب منها على كل واحدة من العضادتين مقدار  
 عشرة أذرع . ومن فوق الدروند ببيان متصل بلبن الحديد المغيب بالنحاس إلى رأس  
 الجبل ، وارتفاعه مد البصر . وفوقه شرفات حديد ، في طرف كل شرفة قرنتان  
 تتّنى أطراف كل واحدة منهما على الأخرى ، وللباب مصراعان مُغلّقان ، عرض كل  
 مصراع خمسون ذراعاً في ثخن خمسة أذرع ، وقائمتاهما في دوّارة على قدر الدروند . وعلى  
 الباب قفل طوله سبعة أذرع في غلظ ذراع في الاستدارة ، وارتفاع القفل من الأرض  
 خمسة وعشرون ذراعاً . وفوق القفل بنجسة أذرع غلّقت طوله أكثر من طول القفل ،

(١) هذه رواية ابن خردادبة . وفي الأصل « قرنان يتنى الأطراف بعضها الى بعض » . ورواية

المقدسي : « قرنان يتنى كل واحد الى صاحبه » .

وعلى الغلق مفتاح طوله ذراع ونصف ، وله اثنتا عشرة دنداجة ، كل دنداجة منها <sup>(١)</sup> كأغظ ما يكون من دساجج الهواوين ، مُعلق كل واحد منها بسلسلة على قدر حلقة المنجنيق . <sup>(٢)</sup> وعتبة الباب السفلى عشرة أذرع بسط مائة ذراع سوى ماتحت العضادتين ، الظاهر منها خمسة أذرع . وكلها مكالة بالذراع السوادى . ورئيس ذلك الحصن يركب في كل جمعة مع عشرة فوارس ، مع كل فارس إرزبة حديد ، كل إرزبة خمسة أمتان . فيضرب القفل بتلك الإرزبات في كل يوم ثلاث مرات ليسمع من خلف الباب . فيعلم أن هناك حفظة ، وليعلم هؤلاء أن يأجوج وماجوج لم يحدنوا في الباب حدنا . وإذا ضرب أصحاب الإرزبات القفل ، وضعوا آذانهم ليسمعوا ما وراء الباب ، فيسمعون من ورائه دويًا يدل على أن خلفه بشرا . وبالتقرب من هذا الموضع حصن يكون عشرة [فراخ] في عشرة [فراخ] . ومع الباب حصنان يكون كل واحد منهما مائتي ذراع في مائتي ذراع ، وبين هذين الحصنين عين ماء عذبة ، في أحد الحصنين آلة البناء التي بُني بها السد من قُدور الحديد ومعارف الحديد ، والقُدور فوق ديكدانات <sup>(٤)</sup> على كل ديكدان أربع قُدور مثل قُدور الصابون ، وهناك أيضا بقايا من لبن الحديد

(١) هذه رواية الإدريسي . والذي في ابن خردادبة "دندانكة" وهي كلمة فارسية معناها "سن" والمراد أسنان المفتاح .

(٢) المستج كلمة فارسية معناها "يد الهاون" أى المدق الذى تدق به الأشياء فى الهاون .

(٣) فى ابن خردادبة ما يفيد أن المفتاح وحده هو المعلق فى السلسلة وهذا نص روايته : « معلق فى سلسلة ملحومة بالباب طولها ثمانى أذرع فى استدارة أربعة أشبار والحلقة التى فيها السلسلة مثل حلقة المنجنيق » وهى رواية معقولة أكثر مما ورد فى المتن لأن المفتاح فقط هو الذى يصح تعليقه دون القفل والغلق .

(٤) كلمة فارسية يقابلها عند العرب "الأثافي" .

التي بُني بها السد وقد آلتصق بعضها ببعض من الصدا، وطول اللبنة ذراع ونصف  
في ارتفاع شبر .

قال سلام الترجان : وقد سألنا من خاطبناه من اهل تلك الجهات هل رأوا أحدا  
من يأجوج ومأجوج قط ، فأخبرونا أنهم رأوا منهم [مرة] عددا فوق شرفات الردم ،  
فهبَّت عليهم ريح عاصفة ، فرمت منهم ثلاثة إلى ناحتنا <sup>(١)</sup> . وكان مقدار الرجل منهم  
شبرين ونصفا .

قال سلام : فكتبت هذه الصفات كلها ، ثم آنصرفنا مع الأدلاء من تلك الحصون ،  
فأخذوا بنا على ناحية نُرَاسان . فسرنا إلى مدينة بختان ، إلى غُريان ، إلى مدينة  
برساخان ، إلى انطارار ، إلى سمرقند ، فوصلنا إلى عبد الله بن طاهر ، ثم وصلنا إلى  
الري ، ثم رجعنا إلى سر من رأى بعد خروجنا عنها . فكان مغيبنا في سفرنا ثمانية  
وعشرين شهرا .

قال : فهذا جميع ما حدث به سلام .

وقال الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي في تفسيره : إن ارتفاع السد  
مائتا ذراع ونحسون ذراعا . قال : وروى في طوله ما بين طرفي الجبلين مائة فرسخ ،  
وفي عرضة نحسون ذراعا . نقله عن وهب بن منبه .

وسنذكر إن شاء الله تعالى من أخبار السد وكيفية بنائه وطوله وعرضه ، وغير  
ذلك مما هو متعلق به عند ذكرنا لأخبار ذي القرنين . فتأمله هناك ، وهو في الباب

(١) في ابن خردادبه : « فهبَّت ريح سوداء فألقتهم إلى جانبهم » أي إلى الجهة التي ظهر منها أولئك

الناس ، وهو المعقول ، لانه عقب بأن طول الرجل كان شبرين ونصفا ، ومعنى ذلك في رأى العين

من هذا العلو فنتبه .

الأول من القسم الرابع من الفن الخامس في التاريخ، وهو في السفر الثاني عشر من هذه النسخة من كتابنا هذا .

### ذكر مباني الفرس المشهورة

ومباني الفرس كثيرة : قديمة وحديثة .

فمن قديمها "سَدُّ اللَّيْلِ" . بناء قُبَاذ بن فيروز ، وقيل إن الذي بناه أبوه كسرى ابن قباد بن فيروز . كذا ورد في التاريخ .

وهذا السد من أرض شروان إلى بلاد الألان ، وبينهما مائة فرسخ ، بين شعاب جبل القبق . وهو جبل عظيم قد أشتمل على اثنتين وسبعين أمة ، لكل أمة لسان ومملك ، لا يعرف بعضهم بعضا لكثرة غياضه وأشجاره ، وفيه عيون وأنهار ، وتقدير مسافته طولا وعرضا نحو شهرين .

ومبدأ السور من جوف بحر الخزر على مقدار مسافة ميل ما زا إلى البر ، ثم يمتد إلى أن يتصل بقلعة طبرشروان . وهو مبنى بالصخر والحديد والرصاص . بناه على زقاق البقر المنفوخة ، فكان كلما ارتفع البناء نزلت تلك الزقاق إلى أن استقرت في قعر البحر ، فغاصت الرجال بالحناجر فشقوقها فتمكن البناء . وجعل بين كل ثلاثة أميال من السور وأقل وأكثر بابا من الحديد على حسب الطريق التي تجعل من أجله ، وبني عليه حصنا وأسكن فيه من يحفظ ذلك الباب ويحرسه .

وزعم المؤرخون أن سبب بنائه لهذا السور أن الخزر كانت تُغير على بلاد فارس إلى أن تبلغ همدان والموصل ، فجزهم بهذا السور .

## ومن مباني الفرس إيوان كسرى

زعم المسعودي أن سابورَ ذا الأكتاف بناه في نيف وعشرين سنة، وطوله مائة ذراع في عرض خمسين ذراعا في ارتفاع مائة ذراع، وطول كل شُرْفَةٍ منه خمسة عشر ذراعا .

ولما ملك المسلمون المدائن، أحرق ستر هذا الإيوان فأخرجوا منه مائة ألف دينار ذهباً .

ولما بنى المنصور بغداد، أحب أن يتقضه وبينها به، فاستشار خالد بن برمك في ذلك فنهاه، وقال: "هو آية للإسلام، ومن رآه علم أن الذي بناه لا يُزِيل ملكه إلا نبيّ والمؤونة على تقضه أكثر من الارتفاق به". فقال له: "أبيت إلا ميلا إلى العجم" فهُدِمَت منه ثلثة . فبلغت النفقةُ عليها مالا كثيرا، فأمسك المنصور عن هدمه، فقال له خالد: "أنا الآن، يا أمير المؤمنين، أشير بهدمه لئلا يتحتمت الناس بعجزك عن هدم ما بناه غيرك" فلم يفعل .

وحكى مثل هذه القصة أنها وقعت ليحيى بن خالد مع الرشيد، وهو إذ ذاك في اعتقاله . وكان الرشيد بلغه أن تحته كنزا فأراد هدمه وأستشار يحيى فأشار عليه بمثل هذا .

ومن عجيب ما يحكى من تقلب الأحوال أن بعض شُرْفاته هُدِمَت وجُعِلَت في أساس سور بغداد .

وقال ابن الأثير في تاريخه إن الإيوان باقٍ إلى الآن . ( وكان يوم ذاك في سنة

خمسة وعشرين وستمائة )، والله أعلم .

### ومن المباني القديمة الحضرة

وكان حصنا حصينا مبنيًا بالرَّخام، يسكنه ملوك الضَّيَّازن . وهو بين دجلة والفرات ،  
بجبال تكريت .

ويقال إن بانيه الساطِرون . وذِكْرُ أن قصر ملكه قائمٌ إلى وقتنا هذا في وسط  
المدينة ، وفي وسطه هيكلٌ مربعٌ مبنيٌّ بالصخر ، وفيه صور دقيقة المعاني .

حكى أن سابور الجنودِ حاصره أربع سنين فلم يقدر عليه . واتفق أن بنت ملكه  
وهي النضرة بنت الضَّيَّازن حاضت ، فَأُخْرِجَتْ من القصر إلى رَبَضِه لأجل ذلك .

فأرأت سابور ، وكان جميل الصورة ، فعشقتَه . فأرسلت إليه تقول : إن ملكك الحصن  
فما تجعل لي؟ قال : حَكْمَتِكَ . قالت : تتزوج بي . فأجابها إلى ذلك ، فقالت له : خُذْ

حمامة ورقاء مطوقةً ، فاخِضْ رجلها بدم حيض جارية بكر زرقاء ، وأرسلها . فإنها تقع  
على سور البلد فيقع لوقتِه . وكان ذلك حلَّ طَلَسِمَ له . ففعل ذلك ، فوقع السور

ودخل سابور الحصن وقتل ملكه وأصحابه وأصطفى ابنته لنفسه . فلما كانت ليلة  
دخولها عليه ، لم تزل متململة قلقة طول ليلتها ، فألتمس سابور ما الذي قلقت من أجله ،

فإذا ورقة آسٍ قد لصقتُ بعُكْنَتِه من عُكْنِها ، فقال لها : ما كان أبوك يغدوك؟  
فقالت : الزُّبْدُ والمُخُّ وشهد أبقار النحل والخمر ، فقال لها : أنا أحقُّ منكِ بشار

أبيك ، ثم أمر رجلاً أن يركب فرسا جُمُوحاً وأن يربط غدائرها في ذنبه ويركض به .  
ففعل ذلك ، فتقطعت .

(١) في ياقوت : "النضيرة"

وهذا الحصن قد اختلف في موضعه . فقيل : بحيال تكريت بين دجلة والفرات .  
وقيل : بالجزيرة . ويقال إنه كان حاجزا بين الروم والفرس ، وملكته الزباء بنت  
مليح<sup>(١)</sup> وأسمها فارعة .

وفيه يقول عدى بن زيد العبادي من قصيدة :

وأخو الحضرة إذ بناه وإذ دججته<sup>١</sup> تُججِي إليه والخابورُ .  
شاده مَرَمَرًا وَكَلَّاهُ كَلَّاسًا فَلَطَّيْرُ فِي ذُرَاهِ وَمُكُورُ .  
لم يَهَبْهُ رَيْبُ المُنُونِ فَبَادَ التَّمَكُّكُ عَنْهُ فَبَأْبُهُ مَهْجُورُ .

### ومن المباني القديمة القليس

وهي كنيسة كانت باليمن بناها أبرهة بن الصباح ، ملك اليمن بصنعاء . ونقل إليها الرخام  
المجزع والملون ، والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس . وكان أراد أن يرفع  
بناها حتى يشرف منها على بحر عدن . فلما أهلكه الله تعالى وفرق ملكه ، أقفر  
ما حول هذه الكنيسة ، وكثرت حولها السباع والحشرات . وبقيت إلى زمن  
السفاح فذكر له أمرها ، فبعث إليها من تحربها وأخذ ما كان فيها . حكى ذلك  
السهيلي في "الروض الأنف" .

١٥ وحكى أن كيفية بناء هذه الكنيسة أنه كان لها باب من نحاس طوله عشرة  
أذرع وعرضه أربعة أذرع ، يدخل منه إلى بيت طوله ثمانون ذراعا وعرضه  
أربعون ذراعا ، مسقف بالساج المنقوش ، مسمر بمسامير الذهب والفضة . ثم يدخل  
من البيت إلى إيوان معقود طوله أربعون ذراعا ، عن يمينه ويساره عقود من حرفة .

(١) كذا في الأصل "بنت فريخ" . وذكر في تاج العروس في مادة زبيب أنها بنت عمرو بن الطرب



ثم يُدخَل من الإيوان إلى قبة ، ثلاثون ذراعا في ثلاثين ذراعا ، جُدَّرها مموَّهة بالذهب والفضة . وفي صدر القبة منبر من الأبنوس المرصع بالعاج ، المصنَّع بالذهب والفضة . ولما تم بناؤها ، خرج رجلٌ من بني كنانة فقمعد فيها ليلا (أى أحدث) ، فأغضب أبرهة ذلك ، فخلف ليهدم الكعبة ، فخرج بجيش كثيف من الحبشة ، فكان من أمره ما قصه الله تعالى في كتابه العزيز في سورة النمل : ﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ .

وذكر لي أن الذي تحربها العباس بن الربيع بن عبد الله العامري ، عامل المنصور على اليمن .

### ومن المباني المشهورة قنطرة صنجة

وهي من مباني الروم على نهر عظيم يسمى بهذا الاسم ، يصبُّ في الفرات ، لا يمكن خوضه : لأن قراره رمل سائل متى وطئه الإنسان برجله سال . وهو ما بين حصن منصور وكنيسوم من ديار بكر .

وهذه القنطرة طاقٌ واحد ، ما بين جذرائها مائة خطوة . وهي مبنية بحجارة مهندمة ، طول الحجر منها عشرة أذرع في ارتفاع خمسة أذرع .

### ومن المباني القديمة ملعبا بعلبك

وهما كبير وصغير .

فالكبير ، يُحكى أنه من بناء سليمان بن داود عليهما السلام . وهو مبنى على عمدة شاهقة ، وحجارته منها ما هو عشرة أذرع وأكثر .

والمَلْعَب الصغير تهتم أكثره، وبقي منه حائط طوله عشرون ذراعا وارتفاعه كذلك .  
ليس فيه إلا سبعة أحجار : واحد من أسفله ، وحجران فوقه ، وأربعة أحجار فوقهما .  
ويقال إنه البيت الذي كان فيه الصنم الذي كان يدعى "بعلا" .

### ذكر مباني العرب المشهورة

وهي عُمدان، وحصن تيماء، والخورنق، والسدير، والغريان .

قال الجاحظ : أحببت العرب أن تشارك الفرس في البناء وتتفرد بالشعر، فبنوا :  
عُمدان، وكعبة نجران، وحصن مارد، والأبلق الفرد .

### فأما عُمدان

فكان بصنعاء . زعم بعض المؤرخين أن بانيه حام بن نوح . وزعم آخرون أن  
بيوراسب بناه على أسم الزهرة .

وقال ابن هشام إن الذي أسسه يعرب بن حَظَّان ، وأكمله بعده وائل بن حنيفة  
ابن سبي بن يعرب . وخرَّبه عثمان بن عفَّان ، رضى الله عنه .

وقيل في صفته إنه كان مُرَبَّعا ، أحد أركانه مبنى بالرخام الأبيض ، والثاني  
بالرخام الأصفر، والثالث بالرخام الأخضر، والرابع بالرخام الأحمر . وفيه سبعة سُقُوف  
طباقا ، ما بين السُّقُوف والآخري خمسون ذراعا . وعلى كل ركن تمثال أسد من نحاس ،  
إذا هبت الريح دخلت من دُبره وخرجت من فيه ، فيسمع لها صوت كزئير الأسد .

وقال ابن الكلبي : كان على كل ركن من أركان عُمدان مكتوب "اسلم عُمدان ،  
مُعاديك مقتولٌ بسيف العُدوان" .

ويقال : إن سليمان بن داود عليهما السلام أمر الشياطين أن يبنوا لِبَيْتِيسَ أربعة قصور : عُمدان ، وصُرواح ، وبيّنين ، وسلّحين . وكلّها باليمن .  
ويروى أن عمر بن الخطاب رضی الله عنه ، قال : لا يستقيمُ أمر العرب ما دام فيها عُمدانها . وهذا القول هو الذي حُصّ عثمان على هدمه .  
ويقال إن آثاره باقية إلى عصرنا هذا ، وإنه تَلَّ عالٍ مطلقاً على صنعاء .

### وأما حصن تيماء

فهو الأبلق الفرد . سُمي بالأبلق الفرد لأنه كان مبنيًا بحجارة مختلفة الألوان وهو بأرض تيماء .

بناه السمّوع بن عاديا اليهودي . ويقال إنه من بناء سليمان بن داود عليه السلام .  
وبه تضرب العرب المثل في المنعة والحصانة . وفيه يقول الشاعر :

طَلَبَ الأَبْلَقَ العَقُوقَ فَلَمَّا \* لم يَنَلْهُ فرام بِيضَ الأَنُوقِ .

وقصدت الزبّاءُ هذا الحصن وحِصْنَ مَارِدٍ فلم تقدر عليهما ، فقالت : "تمزّد مَارِدٌ وَعَزَّ الأَبْلَقُ" .

ومارد حصن كان بدومة الجندل ، مبنيًا بحجارة سود . ويقال إنه أيضا من بناء السمّوع بن عاديا ، اليهودي .

### وأما الخورنق والسدير

فكان الخورنق على ثلاثة أميال من الحيرة ، والسدير في بَرِيَّةٍ بالقرب منها . بناهما النعمان بن أمريّ القيس . وهو النعمان الأكبر . ويقال في سبب بنائه لهما : إن يَزْدَ جُرْدَ بن سابور كان لا يعيش له ولد ، فسأل عن مكانٍ صحيح الهواء . فذكر له

ظَهَرُ الحِيرَةِ . فدفع آبنه بهرام جُور إلى النعمان وأمره ببناء الخورنق . فبناه على نهر سِنْدَادٍ في عشرين سنة . بناه له رجل يسمَّى سِنِمَار .

فلما فرغ من بنائه ، عَجِبَ النُّعْمَانُ من حسن بنائه وإتقانه ، فأمر أن يلقى سِنِمَار من أعلاه حتى لا يبنى مثله لأحد . ويقال إنه إنما فعل ذلك به لأنه لما أعجبه ، شَكَرَهُ على عمله ووصَّله ، فقال : لو علمتُ أن الملك يحسن إلى هذا الإحسان ، لَبَنَيْتُ له بناء يدور مع الشمس كيفما دارت ، فقال له النعمان : وإنك لتقدر على أن تبني أفضل منه ، ولم تبنيه ؟ فأمر به ، فطرح من أعلاه .

وقيل : بل قال : أنا أعرف فيه حجرا متى أخذ من موضعه ، تداعى البناء . نخاف النعمان إن هو لم يتصفه في أجرته فعل ذلك ، فقتله .

والعرب تضرب المثل بفعل النعمان مع سِنِمَار في المكافأة على الفعل الحسن بالقبيح ، فيقال : جازاه مجازاة سِنِمَار .

وفيه يقول بعض الشعراء :

جَزَانِي جَزَاهُ اللهُ شَرَّ جَزَائِهِ \* جَزَاءَ سِنِمَارٍ ، وَمَا كَانَ ذَا ذَنْبٍ .

سوى رفعه البنيان عشرين حجة \* يعلى عليه بالقراميد والسكب .

والخورنق تعريب خورنقاء ، وهو الموضع الذي يؤكل فيه ويشرب . والسدير

تعريب سادل أى قبة في ثلاث قباب متداخلة .

وفي هذه الأبنية يقول الأسود ابن يعفر :

مَاذَا أَوَمَّلَ بَعْدَ آلِ مُحَرِّقٍ \* تَرَكَوْا مَنَازِلَهُمْ ، وَبَعْدَ إِيَادٍ ؟

أهل الخورنق والسدير وبارق \* والقصر ذي الشرفات من سِنْدَاد .

وقال عدى بن زيد العبادي :

وتفكر رب الخورني إذ أشرف يوماً ، وللهدي تفكير .  
سره ملكه وكثرة ما ينجويه والبحر معرضاً والسدير .  
فأرعوى قلبه ، فقال : فما غبطة حتى إلى الممات يصير ؟

### وأما الغرياب

فهما أسطوانتان كانتا بظاهر الكوفة .

بناهما النعمان بن المنذر بن ماء السماء ، على جاريتين كانتا قينتين تغنيان بين يديه .  
فانتا ، فأمر بدفنهما وبني عليهما الغريين .

ويقال إن المنذر غزا الحارث بن أبي شمر الغساني ، وكان بينهما وقعة على عين  
أباغ ، وهي من أيام العرب المشهورة . فقتل للحارث ولدان ، وقتل المنذر وأنهزمت  
جيوشه . فأخذ الحارث ولديه وجعلهما عدلين على بعير ، وجعل المنذر فوقهما ،  
وقال : "ما العلاوة بدون العدلين ! " فذهبت مثلاً . ثم رحل إلى الحيرة فآتتها وحرقها  
ودفن آبنيه بها ، وبني الغريين عليهما . حكاه ابن الأثير في تاريخه "الكامل" .

وأمر المنصور بهدم أحدهما ، لكثرة توهم أنه تحتها . فلم يجد شيئاً .

وقيل في سبب بنائهما غير ذلك . والله أعلم .

### ذكر الأبنية القديمة التي بالديار المصرية

وهي الأهرام ، وحائط العجوز ، وملعب أنصنا ، ومدينة عين شمس ، والبرابي ،  
وحنية اللازورد ، ومنازة الإسكندرية ، ورواق الإسكندرانيين .

## فأما الأهرام

التي بأرض مصر فهي كثيرة . وأعظمها الهرمان اللذان بالجيزة غربي مصر .  
وقد اختلف في بانيهما .

فقال قوم : بانيهما سُورِيد بن سهلوق بن سرناق . بناهما قبل الطوفان لرؤيا  
رآها ، فقصّها على الكهنة ، فنظروا فيما تدل عليه الكواكب النيرة من أحداث تحدث  
في العالم ، فأقاموا مراكرها في وقت المسألة . فدلّت على أنها نازلة من السماء تحيط  
بوجه الأرض . فأمر حينئذ ببناء البرابي والأهرام ، وصوّر فيها صور الكواكب  
ودرجها وما لها من الأعمال وأسرار الطبائع والنواميس وعمل الصنعة .

ويقال إن هرمس المثلث بالحكمة (وهو الذي يسميه العبرانيون أخنوخ ، وهو

إدريس عليه السلام) استدلّ من أحوال الكواكب على كون الطوفان . فأمر ببناء  
الأهرام وإبداعها الأموال وصحائف العلوم وما يُخاف عليه الذهبُ والدُّثور .

وكل هرم منها مربع القاعدة ، مخروط الشكل ، ارتفاع عموده ثلاثمائة ذراع  
وسبعة عشر ذراعاً ، يحيط به أربعة سطوح متساويات الأضلاع ، كل ضلع منها  
أربعمائة ذراع وستون ذراعاً ، ويرتفع إلى أن يكون سطحه مقدار ستة أذرع  
في مثلها .

ويقال إنه كان عليه حجر شبه المكّبة فرمته الرياح العواصف .

وهو مع هذا العظم من إحكام الصنعة وإتقان الهندسة وحسن التقدير بحيث إنه  
لم يتأثر إلى يومنا هذا بعصف الرياح وهطل الأمطار وزعزعة الزلازل ، وطول  
الجمر منه خمسة أذرع في سمك ذراعين .

ويقال إن بانيهما جعل لهما أبوابا على أزواج مبنية بالحجارة في الأرض ، طول كل أزج منها عشرون ذراعا . وكل باب من حجر واحد يدور بلولب ، إذا أطبق لم يعلم أحد أنه باب . فأزج الشرق منها في ناحية الجنوب ، وأزج الغربى في ناحية الغرب . يُدخَل من كل باب منها إلى سبعة بيوت ، كل بيت منها على أسم كوكب من الكواكب السبعة ؛ وكلها مُقفلة بأقفال . وحذاء كل بيت منها صنم من ذهب مجتوف ، إحدى يديه على فيه ، وفي جبهته كتابة بالمُسند إذا قرئت أُنفتح فوه فتوجد فيه مفاتيح ذلك القفل فيفتح بها .

والتقط يزعمون أنها والهرم الصغير الملقون قبور : فالهرم الشرقى فيه سوريد الملك ، وفي الهرم الغربى أخوه هوحيت <sup>(١)</sup> .

والصابئة تزعم أن أحدها قبر أغاثدِيمُون ، والآخر قبر هرمس ، والملقون قبر صاب ابن هرمس ؛ وإليه تنسب الصابئة على قول من زعم ذلك منهم ؛ وهم يحجون إليها ويذبحون عندها الدِّيكة والعجول السود ، ويُنحرون بدُخن ؛ ويزعمون أنهم يعرفون عند اضطراب ما يذبحون حالة الذبح ما يريدن عماله من الأمور الطبيعية .

وقصرت همُ الملوك والخلفاء عن معرفة ما في هذين الهرمين ، إلى أن ولى عبد الله المأمون الخلافة وورد مصر ، أمر بفتح واحد منها . ففتح بعد عناء طويل ، واتفق لسعادته أنه وقع النَّقب على مكان يسلك منه إلى الغرض المطلوب ، وهو زَلْأقة ضيقة من الحجر الصوّان الماتع الذي لا يعمل فيه الحديد ، بين حاجزين ملتصقين بالحائط قد نُقِر في الزَلْأقة حُفْر ، يتمسك السالك بتلك الحفرة ، ويستعين بها

(١) كذا بالأصل وكذلك في خطط المقرئى . وفي باقوت "هوجيب" .

على المشى في الزَّلَاقَة لثَلَا يَزَلُّ ، وأسفل الزَّلَاقَة بئر عظيمة بعيدة القعر . ويقال إن أسفل البئر أبواب يُدْخَلُ منها إلى مواضع كثيرة وبيوت ومخادع ومعجائب . وأتت بهم الزَّلَاقَة إلى موضعٍ مربعٍ في وسطه حوض من حجر صلدٍ مغطى . فلما كَشِفَ عنه غطاؤه ، لم يوجد فيه إلا رِقةٌ بالية . فأمر المأمون بالكف عما سواه .

وهذا الموضع يدخله الناس إلى وقتنا هذا .

❦

وسنذكر إن شاء الله تعالى خبر الأهرام عند ذكرنا لأخبار ملوك مصر الذين كانوا قبل الطوفان وبعده ، وذلك في الباب الثاني من القسم الرابع من الفن الخامس ، وهو في السفر الثاني عشر من هذه النسخة من كتابنا هذا فتأمله هناك .

وقال بعض أهل النظر ، وقد عاين الأهرام : "كُلُّ بِنَاءٍ يُخَافُ عَلَيْهِ مِنَ التَّهَرُّ ،

إِلَّا هَذَا الْبِنَاءُ فَإِنِّي أَخَافُ عَلَى التَّهَرُّ مِنْهُ" .

ونظم عمارة اليمنى هذا القول ، فقال :

خَلِيلِي ، مَا تَحْتَتِ السَّمَاءِ بِنْيَةٌ \* ثُمَّائِلُ فِي إِتْقَانِهَا هَرَمِي مِضْرِي !

بِنَاءٌ يُخَافُ التَّهَرُّ مِنْهُ ، وَكُلُّ مَا \* عَلَى ظَاهِرِ الدُّنْيَا يُخَافُ مِنَ التَّهَرُّ !

تَتَرُّ طَبْرِي فِي بَدِيعِ بِنَائِهَا ، \* وَلَمْ يَتَرُّ فِي الْمُرَادِ بِهَا فَكْرِي .

وقال بعض الشعراء :

حَسَرْتُ عَقُولَ ذَوِي النَّهْيِ الْأَهْرَامِ ، \* وَأَسْتَصَغَرْتُ لِعَظِيمِهَا الْأَعْلَامِ .

مَلَسْتُ مَنِيْفَةً الْبِنَاءِ شَوَاهِقُ ، \* قَصَّرْتُ لِعَالِ دُونِنِ سِهَامِ !

لَمْ أَدْرِ حِينَ كَمَا التَّفَكُّرُ دُونَهَا \* وَأَسْتَبْهَمْتُ لِعَجَبِهَا الْأَوْهَامِ ،

أَقْبُورُ أَمْلَاحِ الْأَعْجَامِ هُنَّ ، أَمْ \* طَلَسْتُ رَمَلِي هُنَّ ، أَمْ أَعْلَامُ ؟



وقال أبو الطيب المتنبّي :

أين الذي الهرمان من بُنيّاه؟ \* ما قومه؟ ما يومه؟ ما المصريح؟  
تخلف الآثار عن أصحابها \* حيناً ، ويذكرُها الفناء فتتبع.

وقال أمية بن عبد العزيز الأندلسي :

بعيشك هل أبصرت أحسن منظراً \* على طول ما عاينت من هرمي مصر؟  
أنافاً بأعنان السماء وأشرفاً \* على الجوّ إشراف السّمك أو النّسر.  
وقد وافياً نشزا من الأرض عاليًا \* كأنهما تديان قاما على صندير.

وقال آخر :

أنظر لي الهرمين إذ برزا \* للعين في علو وفي صعد!  
وكانما الأرض العريضة إذ \* ظمئت لفرط الحرّ والومد،  
حسرت عن التّدين بارزة \* تدعو الإله لفارقة الولد.  
فاجابها : لبيك ! يوسعها \* رياً ويشفيها من الكد.

وقال ابن الساعاتي :

ومن العجائب ، والعجائب جمّة \* دقت عن الإنكار والإسهاب.  
هرمان قد هرم الزمان وأدبرت \* أيامه ، وتريدُ حسن شباب.  
لله ! أيّ بنية أزيّنة \* تبغي السماء بأطول الأسباب؟  
ولربّما وقفت وقوف تباد \* أسفا على الأيام والأحقاب.  
كتمت عن الأسماع فضل خطاياها \* وغدت تُشير به إلى الألباب.

وقال سيف الدين بن جُبارة :

لله! أي غريبة وعجيبة \* في صنعة الأهرام للأبواب؟  
أخفت عن الأسماع قصة أهلها، \* ونضت عن الإبداع كل نقاب.  
فكأنما هي كالجياح مقامة \* من غير ما عميد ولا أطناب.

ومن رسالة أضياء الدين بن الأثير الجزري في ذكر مصر ووصف الأهرام، جاء منها:  
بلد أشهد بفضله على البلاد، ووجدته هو المصر وما عداه فهو السواد . فما رآه راء  
إلا ملأ عينه وصدوره، ولا وصفه واصف إلا علم أنه لم يقدره قدره . وبه عجائب  
من الآثار، لا يضبطها العيان ولا الإخبار . فمن ذلك الهرمان، اللذان هريم الدهر  
وهما لا يهرمان؛ قد آختص كل منهما بعظم البناء، وسعة الفناء؛ وبلغ من الارتفاع  
غاية لا يبلغها الطير على بُعد تحليقه، ولا يدركها الطرف على مدة تحديقه؛ فإذا أضرم  
برأسه قبس ظنه المتأمل نجما، وإذا استدارت عليه قوس السماء كان لها سهما .  
وبالقرب من الأهرام صنم على صورة إنسان، تسميه العامة "أبوالهول" لعظمه .  
والقبط يزعمون أنه طلسم للرمل الذي هناك، لكلا يغلب على أرض الجيزة .

١٣٦

### وأما حائط العجوز

والعجوز هي دُلوكا ملكة مصر .

١٥

وهذا الحائط من العريش (وهو حد مصر من جهة الشام) إلى أسوان (وهي حد  
مصر من جهة النوبة)، شاملا للديار المصرية من الجانب الشرقي .

وزعمت القبط أن سبب بنائها أن الله عز وجل لما أغرق فرعون وقومه ،  
خافت دُلوكا على مصر أن يطعم الملوك فيها . فبنته ، وزوجت النساء بالعبيد حتى  
يكثر النسل والذرية .

٢٠

وقيل في سبب بنائه : إن دُلوكا ولدت ولدا فأخذت لمولده رصدا ، فرأت أن التماسح يقتله ، فبنت هذا الحائط وقايةً له من التماسح . فلما شبَّ الغلام رأى في مولده ذلك ، فأحب أن يراه . فصُوِّر له من خشب . فلما رآه ، هاله منظره وأستولى على نفسه الوهم والفرع ، فمات <sup>(١)</sup> .

### وأما ملعب أنصنا

فإنه كان مقياسا للنيل .

ويقال : إنه من بناء دُلوكا . وكان بناؤه كالطيلسان ، وعليه أعمدةٌ بعدد أيام السنة من الصوان الأحمر الماتع ، بين العمود والعمود خُطوة . وكان النيل يدخل إليه من قُوْهةٍ فيه عند زيادة النيل . فاذا بلغ الحد الذي يحصل به الرى ، جلس الملك في مُشترف له ، ويصعد قوم إلى رؤوس الأعمدة فيتعادون عليها ما بين ذاهب وآت . فمن زلَّت به قدمه منهم ، سقط إلى البركة .

### وأما مدينة عين شمس

فهي من المباني التي درست .

وكانت مصرَ فرعونِ موسى ، ومنها نخرج بجنوده في طلب موسى وبني إسرائيل ؛ وكانت عدتهم ستمائة ألف ، ليس فيهم ابن عشرين سنة ولا ابن ستين سنة . وأستقل فرعون هذا العدد وقال كما أخبر الله تعالى عنه : ( إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ) . وكان بها هيكل الشمس فخرب .

(١) لم يرض ابن فضل الله بذكر هذه الخرافة في كتابه . وقد وصف لنا جزءا من هذا السور (أظن مسالك

والقُرس تزعم أن هرسيك بناها .

ويقال : إنه كان قد بقي منها عمودان من حجر صلد ، فلكأت طول كل عمود منهما أربعة وثمانون ذراعاً ، على رأس كل عمود صورة إنسان على دابة ، وعلى رأسيهما شبه الصومعتين من نحاس . فإذا كان (الليل) ، قَطَر من رأس كل واحد منهما ماء لا يتجاوز نصف العمود الذي هو مركب عليه . والموضع الذي يصل إليه الماء لا يزال أخضر رطباً .

وقد وقع العمودان بعد الخمسين وستائة .

### وأما البرابي

وهي بيوت حكمة القبط . ويقال : إنه كان لكل كُورة من كُور مصر برّابة ، يجلس

فيها كاهن على كرسيّ من ذهب .

ومن أعجب البرابي وأعظمها (برّابة إنحيم) . وهي مبنية بحجر المرمر ، طول كل حجر

خمسة أذرع في سمك ذراعين . وهي سبعة دهاليز ، سقفها حجارة ، طول كل حجر

منها ثمانية عشر ذراعاً في عرض خمسة أذرع ، مدهونة بالألّزورد وسائر الأصباغ ،

يخالها الناظر إليها كأنما فرغ الدهان منها . يقال إن كل دهليز منها على أسم كوكب

من الكواكب السبعة . وجُدران هذه الدهاليز منقوشة بصُور مختلفة الهيئات

والمقادير ، يقال إنها رموز على علوم القبط ، وهي : الكيمياء ، والسِّيمياء ، والطلّسمات ،

والطب . أودعوها هذه الصور .

ويقال إن ذا النون المصريّ العابد فكّ منها علم الكيمياء .

### وأما حنية اللازورد

وهي بأرض منف. ومنف هذه هي التي تسمى مصر القديمة .  
يقال إن عقد الحنية أحسن من عقد قنطرة صنجة التي تقدم ذكرها. والحنية معقودة من حجارة مهندمة ، طول كل حجر منها أكثر من خمسة عشر ذراعا . وفيها نقوش وكتابة وطلسمات مموهة باللأزورد . وهي من الشرق إلى الغرب ، وفي صدرها فضاء فيه بناء مرتفع ، عليه بلاطة من الصوان الأسود ، مكتوب فيها بالقلم البرباوي ثلاثون سطرا . يقال إنه قبر الذي بنى الحنية ، وأنه ديساره : ملك كان بمصر ، حكيم .

وللقبط عيد يسمى ديساره : وهو عيد هذا الملك ، ويسمى عيد العنب .

### وأما منارة الإسكندرية

فهي مبنية بحجارة مهندمة مضببة بالرصاص ، على قناطر من زجاج ، والقناطر على ظهر سرتان من نحاس . وفيها نحو ثلاثمائة بيت بعضها فوق بعض ، تصعد الدابة بجمالها إلى سائر البيوت من داخلها . وللببوت طاقات يُنظر منها إلى البحر .  
وبين أهل التاريخ خلاف فيمن بناها .

فزعم بعضهم أنها من بناء الإسكندر بن فيلبس المقدوني . وزعم آخرون أنها من بناء دلوكا ، ملكة مصر . ويقال إن على جانبها الشرق كتابة ، وإنها نقلت إلى اللسان العربي فوجدت "بنت هذه القنطرة فرتنا بنت مرتيوس اليونانية لرصد الكواكب" .

ويقال : إن طولها كان ألف ذراع .

وكان في أعلاها تماثيل من نحاس .

منها تمثال قد أشار بسببته اليمنى نحو الشمس : أيما كانت من الفلك ، يدور معها حيثما دارت .

ومنها تمثال وجهه في البحر متى صار العدو منهم على نحو من ليلة ، سُمِعَ له صوت هائل يعلم به أهل المدينة طروق العدو .

ومنها تمثال كلما مضى من الليل ساعة ، صوت صوتا مطربا .

ويقال : إنه كان بأعلاها امرأة تُرى منها قُسطنطينية ، وبينهما عرض البحر . وكلما جهز الروم جيشا رُؤى في المرأة .

وَحكى المسعودي في "مروج الذهب" أن هذه المنارة كانت في وسط الإسكندرية ، وأنها تعد من بناء العالم العجيب ، بناها بعض البطالسة من ملوك اليونان يقال له الإسكندر ، لما كان بينهم وبين الروم من الحروب في البر والبحر . فجعلوا هذه المنارة مرقبا ، وجعلوا في أعلاها امرأة من الأحجار المشقة ، تشاهد فيها مراكب البحر إذا أقبلت من رومية على مسافة تعجز الأبصار عن إدراكها .

ولم تزل كذلك إلى أن ملكها المسلمون ، فأحتال ملك الروم على الوليد بن عبد الملك بأن أنفذ أحد خواصه ومعه جماعة إلى بعض ثغور الشام على أنه راغب في الإسلام . فوصل إلى الوليد وأظهر الإسلام ، وأخرج كنوزا ودفائن كانت في الشام حملت الوليد على تصديقه فيما يتبعه . ثم قال له : إن تحت المنارة أموالا ودفائن وأسلحة ، دفنها الإسكندر . فصدقه وجهزه مع جماعة من ثقافته إلى الإسكندرية ، فهدم ثلث

المنارة وأزال المرآة ، ثم فطن الناس أنها مكيدة ، فاستشعر ذلك فهرب في مركب كانت معدة له . ثم بُني ما هُدم بالجص والآجر .

ثم قال المسعودي : وطول المنارة في هذا الوقت (يعني الوقت الذي وضع فيه كتابه ، وهو سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة) مائتان وثلاثون ذراعا . وكان طولها قديما نحوا من أربعمائة ذراع .

وهي في عصرنا هذا ثلاثة أشكال : فمنها تقدير الثلث مربع مبنى بالحجارة ، ثم بعد ذلك بناء مُشَمَّن الشكل بالآجر والجص نحو ستين ذراعا ، وأعلىها مدور الشكل .

ويقال إن أحمد بن طولون بنى في أعلاها قبة من الخشب فهدمتها الرياح . فبنى في مكانها مسجدا في الدولة الظاهرية الركنية ببيرس صاحب مصر رحمه الله تعالى . ثم هُدم في ذى الحجة سنة آثنتين وسبعمائة بسبب الزلزلة الحادثة . ثم بنى في شهر سنة ثلاث وسبعمائة في دولة السلطان الملك الناصر ولد السلطان الملك المنصور ، ثبت الله دولته ، وكان المندوب لذلك الأمير ركن الدين ببيرس الدوادار المنصوري ، نائب السلطنة الشريفة في الغيبة .

وقد وصف الشعراء منارة الإسكندرية .

فمن ذلك ما قاله الوجيه الدروي :

وسامية الأرجاء تُهدى أبا السرى \* ضياءً ، إذا ما حنِدِسُ الليلِ أظلمَا .  
ليست لها بُردا من الأُنسِ ضافيا \* فكانَ بتدكارِ الأحيّةِ مُعلَمَا .  
وقد ظللتني من ذراها بقُبّة \* ألاحظُ فيها من صحابي أنجَمَا .  
نُخِيتُ أنّ البحرَ تحتي غمامةً \* وأنى قد خيمنتُ في كيدِ السَمَا !

وقال أبو الفتح الأغر بن قلافس :

وَمَسْتَرِيلٌ جَاوَزَ الْجَوْزَاءَ مُرْتَقِيًا \* كَأَنَّهَا فِيهِ لِلنَّسْرِينِ أَوْكَارُ  
رَأْسِي الْقَرَارَةِ سَامِي الْفَرَجِ فِي يَدِهِ \* لِلنُّورِ وَالنُّونِ أَخْبَارٌ وَأَخْبَارُ<sup>(١)</sup>  
أَطْلَقْتُ فِيهِ عِنَانَ الْقَوْلِ فَأَطْرَدَتْ \* خَيْلٌ لَهَا فِي بَدْيِ الشَّعْرِ مِضْمَارُ.

### وأما رواق الإسكندرانيين

فهو ملعب كان بالإسكندرية .

كانوا حكماء يجتمعون فيه فلا يرى أحد منهم شيئاً دون الآخر ، ووجه كل واحد منهم — وإن اختلفت جهاتهم — تلقاء وجه الآخر . وإن عمل أحد منهم شيئاً أو تكلم ، سمعه الآخر . ونظر القريب والبعيد فيه سواء .

- ١٠ وقد بقيت منه بقايا عمدة تكسرت ، غير عمود منها يسمى عمود السوارى فى غاية الطول والغلظ من الحجر الصوان الأحمر .

### ذكر شيء من عجائب المباني

قال صاحب كتاب "مباهج الفكر ومناهج العبر" :

ذكر بعض المصنفين لكتب العجائب ، أن الفرس تزعم أن أوشهنج بنى بأرض

- ١٥ بابل سبع مدائن ، جعل فى كل مدينة منها أعجوبة ليست فى الأخرى .

(١) هكذا فى الأصل . وفى بدائع البداهة "أخبار وآثار" وفى مسالك الأبصار "إخبار وأخبار" وهذا

الوجه الأخير أولى ويكون المعنى أن هذه المنارة تخبر عن المراكب المضيفة القادمة الى الإسكندرية

وأن فيها أخباراً عن السمك الساج فى البحر حولها .



فكان في الأولى — التي يكون فيها الملك — مثال أنهار الدنيا كلها . فإذا أتوى عليه أحد من أهل مملكته بخراجهم ، نَحْرَج نَهْرًا من تلك الأنهار الشبيهة بنهر تلك الناحية فغَرِقُوا . فإذا أدُّوا الخراج ، سدَّ عليهم من عنده فأنسدَّ عنهم .

وفي الثانية حوض . فإذا أراد الملك أن يجمع الناس لشراب ، أتى من أحبَّ منهم بشراب له خاص فيصبه في الحوض . يفعل ذلك كل إنسان منهم ، فيختلط الجميع . ثم تقوم السقاة فتأخذ الأواني ويُسقى كل واحد من شرابه الذي جاء به .

وفي الثالثة طبل . فإذا غاب من البلد أحد وأراد أهله أن يعلموا خبره ، أحيَّ هو أو ميت ، ضربوا الطبل : فإن كان حيا صوت ، وإن كان ميتا لم يصوت .

وفي الرابعة المرأة . فإذا غاب الرجل عن أهله وأرادوا أن يعلموا حاله ، نظروا في المرأة فرأوه في الحالة التي هو عليها .

وفي الخامسة إوزة تُحَاس . فإذا دخل المدينة غريب ، صَفَّرت . فيعلمون أن غريبا دخلها .

وفي السادسة قاضيان جالسان على الماء . فيجىء المحقُّ والمبطل ليجلسا معهما . فيجلس المحق ، ويرسب المبطل .

وفي السابعة شجرة . لا تظل إلا ساقها . فإذا جلس تحتها واحد أظلمته إلى ألف . فإن زاد على الألف واحد ، قعدوا كلهم في الشمس .

وكنت قد أنكرت هذه الحكاية وقصدت حذفها وإلغاءها والإضراب عنها ، فرأيت ابن الجوزي وضعها في كتابه الذي سماه "سلوة الأحران" فأوردتها .

وحكى أنه كان بمدينة قيسارية - لما كانت في أيدي الروم - كنيسة بها امرأة .  
إذا آتهم الرجل أمراته بزناً ، نظر في تلك المرأة ، فبرى وجه المتهم فيها . وأن بعض  
الناس آتهم فراوه فيها فقتله الملك ، بقاء أهله إلى المرأة حمية فكسروها .

وحكى الواقدي في فتوح السند : أن عبد الله العبدى عامل معاوية على السند  
غزى بلد القيقان ، فأصاب منهم غنائم كثيرة ، وأن ملك القيقان بعث إليه يطلب منه  
الفداء وحمل إليه هدايا كان فيها قطعة من امرأة ، يذكر أهل العلم أن الله تعالى أنزلها  
على آدم عليه السلام ، لما كثر ولده وانتشروا في الأرض ، فكان ينظر فيها فبرى  
من بعد منهم على الحالة التي هو عليها من خير أو شر ، فحملها عبد الله إلى معاوية ،  
فبقيت في ذخائر بني أمية إلى أن انتقل الملك عنهم إلى بني العباس ، فصاعت فيما  
فقد من الذخائر .<sup>(١)</sup>

وقيل : إن ينهاوند حجرا يسمى الكيلان ، بالقرب منه صخرة ، من أراد أن  
يتعرف حال غائب أو آبق أو سارق ، آتى إلى تلك الصخرة فنام تحتها ، فبرى  
في النوم حال ما تعرف به على ما هو عليه . وعجائب المباني كثيرة ، سند ذكر  
إن شاء الله تعالى منها جملة في أخبار ملوك مصر الذين كانوا قبل الطوفان وبعده ،  
فتأمله هناك تجده .

(١) بهامش الأصل مانصه : " قد ذكر أبو جعفر الطبرى في تاريخه أن هذه المرأة كانت عند أبي جعفر

فأله أعلم اين صارت بعده

## الباب الرابع

### من القسم الخامس من الفن الأول

( فيما وصفت به المعامل والحصون )

وهذا الباب قد ترجمت عليه في الفن الثاني الذي يلي هذا الفن فيما يحتاج إليه الملك . وإنما ضمته إلى هذا الفن لمناسبته له وشبهه به ، وأستثنيته من الفن الثاني وأقتصر فيه على مجرد الترجمة . وبالله التوفيق .

وقد أوسع الفضلاء والأدباء والكتّاب والبلغاء القول في هذا المعنى وتواردوا فيه ، فاقصرنا على ما نوره من ذلك ، وهو قليل من كثير .

فن ذلك ما قاله بعض الأندلسيين يصف قلعة فتحت من غير حصار :

« ... وهذه القلعة التي آتينا إلى قوارها ، وأستولينا على أقطارها ، أرحبُ المدن أمدا للعيون ، وأخصبها بلدا إذا أمحلت السّون ، فروعها فوق الثريا شامخه ، وعروقها تحت الثرى راسخه ، تباهى بأزهارها نجوم السماء ، وتناجى بأسرارها أذن الجوزاء ، وكانت في الزمن الغابر ، عتت على عظيم القياصر ، فنازلها بأكثر من النجوم عددا ، وطاولها بأوفى من البحر مددا ، فأبت على طاعته كل الإباء ، وأستعصت على مقارعتة أشدّ أستعصاء ، ومردت مرودا على الزباء ، فأمكننا الله من ذروتها ، وأنزل ركبها لنا عن صهوتها » .

وقال القاضي الفاضل عبدالرحيم البيساني رحمه الله ، يصف أمدا من رسالة جاء منها :

«... وأمد ذكرها بين العالم متعالم ، وطالما صادم جانبها من تقادم ، فرجع عنها مقدوعا أنه وإن كان فخلا ، وفر عنها فريدا بهمه وإن أستصحب خيلا ورجلا ،

ورأى حجرها فقدر أنه لا يُفكُّ له حجر، وسوادها فظن أنه لا ينسخه بحر، وحمية أنف  
أنفها فاعتقد أنه لا يستجيب لزجر، من ملوك كلهم قد طوى صدره على الغليل  
إلى مؤردها، ووقف وقفة المحب السائل فلم يفز بما أمل من سؤال معهدا .

وقال من أخرى يصفها :

« ... وهى العقيلة التى صدرُ الصدورِ الأولِ مُحَلَّلاً عن وِردِها ، والطريدة التى حصل  
منها على راحة يأسه وتعب طردِها ، والمحجبة التى كشفت ستورها ، ودار لعصمتها  
كسوارٍ معصمها سُورها ، وغلت على أنها السوداء على خُطابها لأن المَهج مُهورها ،  
ولربما نأى بجانبها الإعراض ، ونبأ جواهرها عن الأعراض ، وطاشت دون أوصافها  
سهام الأعراض ؛ ودرجت الملوك على حسرتها فلم تحسرها لثاماً ، وما استطاعت  
لغيرها ثلماً ولا له الثاماً » .

وقال من أخرى يصف قلعة نجم ، وهى من عيون الرسائل ، جاء منها :

« ... هى نجم فى سحاب ، وعقاب فى عقاب ؛ وهامة لها الغامة عمامه ، وأنملة إذا  
خضبها الأصيل كان الهلال لها قلامه ؛ عاقدة حُبوة صالحها الدهر أن لا يحلها  
بقرعه ، بادية عصمة صالحها الزمن على أن لا يروعا بجُلعه ؛ فاكتفت بها عقاربُ  
منجنيات لم تُطبع طبع حمص فى العقارب ، وضربت بها بحجارة أظهرت فيها العداوة  
المعلومة فى الأقارب ؛ فلم يكن غير ثلاثة إلا وقد أثرت فيها الحجارة جُدرياً بضرِبها ،  
ولم يصل إلى السابعة إلا والبحر مؤذن بتقبها ؛ فاتسع الخرق على الراقع ، وسقط سعه  
عن الطالع . إلى مولد من هو إليها طالع ؛ وفتحت الأبراج فكانت أبواباً ، وسُيرت  
الجبال فكانت سَراباً » .

وقال من أخرى في فتح بيت المقدس ، جاء منها :

« ... زاوَل المدينة من جانب ، فاذا هو أودية عميقة ، ولجج وعير غريقة ؛  
وسور قد آنعطف عطف السوار ، وأبرجة قد نزلت مكان الواسطة من عقر الدار ؛  
وقدم المنجنيقات التي تتولى عقاب الحصون عصيها وحبأها ، وأوترلم قسيها التي  
تضرب ولا تفارق سهامها ولا سهامها نصالها ؛ فصاحت السور فإذا سهامها في ثأيا شرفاتها  
سواك ، وقدم النصر بشرى من المنجنيق تُخلد إخلاده إلى الأرض وتعلو علوه إلى  
السماء ؛ فشجّ مزاج أبراجها ، وأسمع صوت عجيجها ، ورفع مئارجها ؛  
وأسفر النقاب عن الخراب النقاب ، وأعاد الحجر إلى خلقتة الأولى من التراب ؛  
ومضغ سرد حجارتها بانياب مغوله ، وأظهر من صناعته الكثيفة ما يدل على لطافة  
أعماله ، وأسمع الصخرة الشريفة أيبنه إلى أن كادت ترق لمقتله » .

وقال أيضا من أخرى :

« ... فنصبنا عليها المنجنيقات تمطر سماؤها نبل الوبال ، وتملأ أرضها بالنكابة  
والنكال ، وتهتد بساريات حجارتها راسيات الجبال ؛ وتنزل نوازل الأسواء بالأسوار ،  
وتوسع مجال الدوائر في الديار ، وتخطف بخطافات أعمار الأعمار ؛ وتطير حمامها بكتب  
الحمام ، وتديم إغراء سهامها في أهلها بتوفير سهام الإرغام ؛ وكشف النقابون نقاب  
السور المحجوج المحجوب ، فتهدم بنيانه ، وتداعت أركانه ، بتظاهر المنجنيقات عليها  
والنقوب » .

ووصف القاضي الفاضل المنجنيق من رسالة فقال :

« فسأمت كأنها بنان ، ونضنضت كأنها لسان ، وأطت كأنها مرنان ، وأهترت كأنها  
جانق ، وتقومت كأنها سنان ، وأنعطفت كأنها عنان ، وأقدمت كأنها شجاع وأجمعت

كأنها جبان . ورمت رءوسهم الموقرة من أحجارها بأمثال الرعوس المحلقة ، فأعادتهم  
إلى الحلقة الأولى محلقة وغير محلقة .

ووصف النامي المنجنيق فقال :

وَحِصْنٍ زِيَادٍ غُدْوَةَ السَّبْتِ نَائِفًا \* سَمَامًا، أَرَاكَ آبْنَ الْأَرَاقِمِ أَرْقَا .  
نَصَبْتُ لَهُ فِي الْأَرْضِ بَيْتَ حَدِيقَةٍ \* تَمُدُّهَا فِي الْجَوِّ كَقَفَا وَمِعْصَا .  
لَهَا أَخَوَاتٌ لِلنَّيَا كَكَوَامِنٍ \* وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَا أَضْمَرْتَهُ مَكْتَمًا .  
عَدَارِي ، وَلَكِنْ قَدْ وَجِدْنَ حَوَامِلًا \* بَعْرَسَ تَرَاهُ لِلجَنَادِلِ مَأْتَمًا .  
تَرَى الصَّخْرَ فِيهِ الصَّخْرُ وَهُوَ نَسِيهِ \* عَدْوًا بِيَوْمِ أَرْضِهِ مُنْطَرِ السَّمَاءِ .  
إِذَا أَقْعَدْتَ جُدْرًا قِيَامًا ، رَأَيْتَهَا \* تُنَبِّهُ قِيَعَانًا مِنَ التُّرْبِ نُومًا !

ومما وصفت به المعقل والحصون نظما .

فن ذلك قول كعب الأشقرى ، يصف قلعة :

مُحَلَّقَةٌ دُونَ السَّمَاءِ كَأَنْهَا \* غَمَامَةٌ صَيْفٍ زَالَ عَنْهَا سَحَابُهَا .  
وَلَا يَبْلُغُ الْأَرُوى شِمَارِيحَهَا الْعُلَى ، \* وَلَا الطَّيْرُ إِلَّا نَسْرُهَا وَعُقَابُهَا .  
وَلَا خُوفٌ بِالذَّنْبِ وَلِدَانُ أَهْلِهَا ، \* وَلَا نَبْحٌ إِلَّا النَّجُومَ كِلَابُهَا .

وقال أبو تمام ، يصف عمورية :

وَبَرَزَةُ الْوَجْهِ قَدْ أَعَيْتَ رِيَاضَتُهَا \* كِسْرَى وَصَدَّتْ صُدُودًا عَنْ أَبِي كَرِب .  
يَكْرَهُ ، فَمَا أَفْتَرَعْتَهَا كَفَّ حَادِثَةٌ \* وَلَا تَرَقَّتْ إِلَيْهَا هَمَّةُ النَّوْبِ .  
مَنْ عَهْدَ إِسْكَانِدِرٍ أَوْ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَقَدْ \* شَابَتْ نَوَاصِي اللَّيَالِي وَهِيَ لَمْ تَسِبْ !

وقال الخالديان :

مَنْ يَرُومُنَا \* بِمَرْقِيهَا الْعَالَى وَجَانِبِهَا الصَّعِيبِ .

يزر عليها الجوّ جيبَ غمّامه \* ويلبسها عقداً بانجمه الشهب .  
 إذا ما سرى برقٌ ، بدت من خلاله \* كما لاحت العذراء من خلل الحجب .  
 سموت لها بالرأي : يُشرق في الدجى ، \* ويقطع في الجلى ، ويصدع في الهضب .  
 فأبرزتها مهتوكة الجيب بالقنا \* وغادرتها ملصوقة الخمد بالترب !

وقالا أيضا في قلعة :

وقلعة عاتق العيوق سافلها ، \* وجاز منطقة الجوزا أعاليها .  
 لا تعرف القطر ، إذ كان الغمام لها \* أرضا توطأ قطريه مواشيسها .  
 إذا الغمامة لاحت ، خاض ساكنها \* حياضها قبل أن تهيم عزاليها .  
 يعد من أنجم الأفلاك مرقبها ، \* لو أنه كان يحيرى في تجاريسها .  
 على ذرى شامخ وغيره : قد امتلأت \* كبرا به ، وهو مملوء بها تيبها .  
 له عقابٌ : عُقابُ الجوّ حائمة \* من دونها ، فهي تخفى في خوافيها .

وقال أبو بكر الخوارزمي :

ويكبر تحامتها البعول مخافة ، \* فقد تركت من كثرة المهرأيمها .  
 ممنعة لم يغلط الدهر بأسميها ، \* ولم يرها في النوم إلا توهمها .  
 تزل عُقابُ الجوّ عن شرفاتها ، \* وتبغى إليها الریح مرقى وسلمها !  
 ويسمع في الأفلاك صيحة ديكها ، \* فتحسب ديك العرش صاح ترثما .  
 عجوز ، ترى في صحّة الجسم كاعبا ، \* ولو أرخت ، كانت من الدهر أقدمها !  
 توارى أساسا بالتخوم مؤزرا ، \* وتبرز رأسا بالنجوم معما .  
 تزارعها الأرض السماء وتدعى \* لديها بها حقا لها متهضما .  
 وتحسبها زهر الكواكب كوكبا \* هوى خلف شيطان رجيم ، فخيما !

## الباب الخامس

من القسم الخامس من الفن الأول

(فيما وصفت به القصور والمنازل)

ولنبداً بذكر ما بناه المتوكل من القصور وما أنفق عليها، ثم نذكر ما قيل في وصفها،  
وما وُصفت به المنازل الخالية، وما قيل في حُبِّ الوطن .  
فأما قصور المتوكل، فهي: الكامل، والجعفرى، وبركوانا، والعروس، والبركة،  
والجوسق، والمختار، والغريب، والبديع، والصبيح، والمليح، والقصر، والبرج،  
والمتوكلية، والقلاية .

حكى المؤرخون أنه أنفق في بنائها مائة ألف دينار وخمسون ألف دينار عينا،  
ومائتا ألف ألف وثمانية وخمسون ألف ألف وخمسة آلاف درهم .  
قالوا: وكان "البرج" من أحسنها . كان فيه صور عظيمة من الذهب والفضة،  
وبركة عظيمة غشى ظاهرها وباطنها بصفائح الفضة، وجعل عليها شجرة من الذهب  
فيها طيور تصوت وتصفر سماها "طوبى" بلغت النفقة على هذا القصر ألف ألف  
دينار وسبعائة ألف دينار .

وقد وصفه الشعراء، فمن ذلك قول السرى:

مجلس في فناء دجلة، يرتنا \* ح إليه الخليل والمستور.  
طار في الهواء، فالبرق يسرى \* دون أعلاه والجم يطير.  
إذا الغيم سار، أسيل منه \* حلل دون جذره وسُتور.  
وإذا غارت الكواكب صبحاً، \* فهو الكوكب الذي لا يغور!

(١) كذا بالأصل . وفي معجم ياقوت "يزكوار" .



وقال أيضا :

مَنْزِلُ كَالرَّبِيعِ حَلَّتْ عَلَيْهِ \* حَالِيَاتُ السَّحَابِ عَقْدَ النَّطَاقِ .  
يُمْتَعِ الْعَيْنَ فِي طَرَائِفِ حُسْنِ \* تَحَامَى بِهَا عَنِ الإِطْرَاقِ .  
بَيْنَ سَاجٍ كَأَنَّهُ ذَائِبُ التَّبْرِ عَلَى \* مِثْلِ ذَائِبِ الأَوْرَاقِ .

وقال أيضا :

وَالْقَصْرُ يَتَسَمَّى عَنْ وَجْهِ الضُّحَى ، قَتْرَى \* وَجْهَ الضُّحَى عِنْدَ مَا أْبْدَى لَهُ شَجَابَا .  
بَيْتُ أَعْلَاهُ بِالْحَوْزَاءِ مُنْتَطِقَا ، \* وَيَغْتَدِي بِرِدَائِ الغَيْمِ مُحْتَجِبَا !

وقال أبو سعيد الرستمي ، يصف دارا بناها الصاحب بن عباد :

وَسَامِيَةِ الأَعْلَامِ تَلَحُّظُ دُونَهَا \* سَنَا النُّجْمِ فِي آفَاقِهَا مُتَضَائِلَا .  
نَسَخَتْ بِهَا إِيوَانَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزٍ ، \* فَأَصْبَحَ فِي أَرْضِ المَدَائِنِ عَاطِلَا .  
فَلَوْ أَبْصَرْتُ ذَاتُ العِبَادِ عَمَادَهَا ، \* لِأَمَسْتُ أَعَالِيهَا حَيَاءً أَسَافِلَا .  
وَلَوْ لَحِظْتُ جَنَاتُ تَدْمَرَ حُسْنَهَا ، \* دَرَّتْ كَيْفَ تَبْنِي بَعْدَهُنَّ المَجَادِلَا .  
مَتَى تَرَاهَا خِلْتَ السَّمَاءَ سُرَادِقًا \* عَلَيْهَا وَأَعْلَامَ النُّجُومِ تَمَائِلَا .

وقال علي بن يوسف الإيادي ، يذكر دارا بناها المعز العبيدي بمصر وسمها

”العروسين“ :

بَنَى مَنظَرًا يُسَمَّى ”العُرُوسَيْنِ“ رِفْعَةً ، \* كَأَنَّ الثُّرَيَّا عَرَّسَتْ فِي قِبَايِهِ .  
إِذَا اللَّيْلُ أَخْفَاهُ بِحُلْكَةِ لَوْنِهِ ، \* بَدَأَ ضَوْؤُهُ كَالْبَدْرِ تَحْتَ سَحَابِهِ .  
تَمَكَّنَ مِنْ سَعْدِ السُّعُودِ مَحَلَّهُ ، \* فَأَضْحَى وَمِفْتَاحُ الغِنَى فَتَحَ بَابِهِ .  
وَلَوْ شَادَهُ عَزَمَ المِعْزُ وَرَأْيُهُ \* عَلَى قَدْرِهِ فِي مُلْكِهِ وَنِصَابِهِ ،  
لَكَانَ حَصِي البَاقُوتِ وَالتَّبْرِ مُفْرَعًا \* عَلَى المِسْكِ مِنْ أَجْرِهِ وَتُرَابِهِ .

وقال عبد الجبار بن حمديس الصقلي، يصف دارا بناها المعتمد بن عباد من أبيات:

ويا حَبَّذا دارَ قَضَى اللهُ أَنها \* يُجَدِّدُ فِيها كُلَّ عِزٍّ وَلَا يَبْلَى!

وما هِيَ إِلَّا خِطَّةُ الْمَلِكِ الَّتِي \* يُحِطُّ إِلَيْها كُلُّ ذِي أَمَلٍ رَحِلا.

إِذا قُبِحَتْ أَبوابُها ، خِلَتْ أَنها \* تَقُولُ بِتَرْجِيْبٍ لِدَاخِلِها : أَهْلا.

وقَدْ نَقَلَتْ صُنائِعُها مِنْ صِفائِهِ \* إِلَيْها أَفانِينا ، فَأَحْسَنَتِ النَّقْلا.

فَمِنْ صَدْرِهِ رُحْبا ، وَمِنْ نُورِهِ سَناء ، \* وَمِنْ صِيْتِهِ قَرعاً ، وَمِنْ حِلْمِهِ أَصْلا!

فَأَعْلَتْ بِهِ فِي رُتْبَةِ الْمَلِكِ نَادِيًا ، \* وَقَلَّ لَهُ فَوْقَ السَّمائِكِينَ أَنْ يُعْلَى.

فَسَيِّتَ بِهِ إِيوَانَ كَسْرِي ، لِأَنَّي \* أَرأُهُ لَهُ مَوْلىً مِنَ الْحُسْنِ لَا مِثْلا.

تَرى الشَّمْسَ فِيهِ لِيَقَّةً تَسْتَمِدُّها \* أَكْفً ، أَقامَتْ مِنْ تَصاوِيرِها شِكْلا.

لِها حَرَكَاتٌ أُودِعَتْ فِي سَكُونِها ، \* فَمَا تَبِعَتْ مِنْ تَقْلِيهِنَّ يَدٌ رِجْلا.

ولِما عَشِينا مِنْ تَوْقَدِ نُورِها ، \* تَنجِدُنا سَناءُ فِي نواظِرِنا كُحْلا.

وقال أيضا من قصيدة يصف فيها دارا بناها المنصور بجاية، جاء منها :

وَأَعْمُرُ بِقَصْرِ الْمَلِكِ نَادِيكَ الَّذِي \* أَضْحَى بِجَمْدِكَ بَيْتَهُ مَعْمُورا!

قَصْرٌ لَوْ أَنَّكَ قَدْ حَكَلْتَ بِنُورِهِ \* أَعْمَى ، لَعادَ عَلَى المَقامِ بَصيرا.

وَأَسْتَقُّ مِنْ مَعْنَى الحِياةِ نَسِيمُهُ ، \* فَيَكادُ يُحَدِّثُ لِلِعِظامِ نُشُورا.

فَلَوْ آتَ بِالِإِيوانِ قُوبِلَ حُسْنُهُ ، \* ما كانَ شَيْئاً عِنْدَهُ مَذْكُورا.

لَسِيَّ "الصَّبِيحُ" مَعَ "المَلِيحِ" بِذِكرِهِ ، \* وَسَمَّا فِفاقَ "خَوْرَنَقا" وَ"سَدِيرا" .

أَعَيْتَ مَطالِعُهُ عَلَى الفُرْسِ الألى \* رَفَعُوا البِناءَ وَأَحْكَمُوا التَّدْبيرَ .

وَمَضَتْ عَلَى القَوْمِ الدُّهُورُ وَمابَنُوا \* لِمَلُوكِهِمْ شَبَهاً لَهُ وَنَظِيرا .

أذْكَرْتَنَا الفِرْدَوْسَ حِينَ أَرَيْتَنَا \* غُرْفا رَفَعْتَ بِبِناءِها ، وَقُصُورا .

فَلَكَ مِنَ الْأَفْلاكِ ، إِلَّا أَنَّهُ \* حَقَرَ الْبُدُورَ فَأَطْلَعَ "الْمَنْصُورًا".  
 أَبْصَرْتَهُ فَرَأَيْتُ أَبْدَعَ مَنظَرًا \* ثُمَّ أَنْتَنَيْتُ بِنَاطِرِي مَحْسُورًا.  
 وَظَنَنْتُ أَنِّي حَالِمٌ فِي جَنَّةٍ \* لَمَّا رَأَيْتُ الْمُلْكَ فِيهِ كَبِيرًا.  
 وَإِذَا الْوَلَائِدُ فَتَحَتْ أَبْوَابَهَا ، \* جَعَلَتْ تُرْحَبُ بِالْعَفَاةِ صَرِيرًا.  
 عَضَّتْ عَلَى حَلَقَاتِهِنَّ ضَرَاغِمٌ \* فَفَرَّتْ بِهَا أَفْوَاهَهَا تَكْشِيرًا.  
 فَكَانَتْهَا لَبَّدَتْ لَتَهِيْرٍ عِنْدَهَا \* مَنْ لَمْ يَكُنْ بِدُخُولِهِ مَأْمُورًا.  
 تَجْرِي الْخَوَاطِرُ مُطْلَقَاتٍ أَعْنِي \* فِيهِ ، فَتَكْبُؤُ عَنِ مَدَاهُ قُصُورًا.  
 بِمَرْخَمِ السَّاحَاتِ تَحْسَبُ أَنَّهُ \* فَرَشَ الْبَهَا وَتَوَشَّحَ الْكَافُورًا.  
 وَمُحْصَبٌ بِالْذَّرِّ تَحْسَبُ تَرْبَهُ \* مِسْكًَا تَضَوَّعَ نَشْرُهُ وَعَيْبَرًا.  
 يَسْتَخْلِفُ الْإِضْبَاحُ مِنْهُ إِذَا أَنْقَضَى \* صُبْحًا عَلَى غَسَقِ الظَّلَامِ مُنِيرًا.  
 صَحَّكَتْ مَحَاسِنُهُ إِلَيْكَ كَأَنَّهَا \* جُعِلَتْ لَهُ زُهْرُ النُّجُومِ نُفُورًا.  
 وَمُصَفَّحَ الْأَبْوَابِ تَبْرًا نَظَرُوا \* بِالنَّقْشِ بَيْنَ سُكُوكِهِ تَنْظِيرًا.  
 تَبْدُو مَسَامِيرُ النُّضَارِ كَمَا عَلَتْ \* فَلَكَ الْتَهُودِ مِنَ الْحِسَانِ صُدُورًا.  
 خَلَعَتْ عَلَيْهِ غَلَائِلًا وَرَسِيَّةً \* شَمْسٌ تَرُدُّ الطَّرْفَ عَنْهُ حَسِيرًا.  
 فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى غَرَائِبِ حُسْنِهِ ، \* أَبْصَرْتَ رَوْضًا فِي السَّمَاءِ نَضِيرًا.  
 وَعَجِبْتَ مِنْ خُطَافِ عَسْجَدِهِ الَّتِي \* حَامَتْ لَتَبْنِي فِي دُرَاهِ وَكُورًا.  
 وَضَعَتْ بِهِ صُنَاعَهُ أَقْلَامَهَا ، \* فَارْتَكَ كُلَّ طَرِيدَةٍ تَصْوِيرًا.  
 فَكَأَنَّهَا لِلشَّمْسِ فِيهِ لَيْقَةٌ \* مَشَقُّوا بِهَا التَّرْوِيقَ وَالتَّشْجِيرًا.  
 وَكَأَنَّهَا فَرَشُوا عَلَيْهِ مَلَأَةً \* تَرَكُوا مَكَانَ وَشَاحِهَا مَقْصُورًا.  
 يَا مَالِكَ الْمُلْكِ الَّذِي أَحْضَى لَهُ \* مَلِكُ السَّمَاءِ عَلَى الْعُدَاةِ نَصِيرًا .

٤١

٥

١٠

١٥

٢٠

كَمْ مِنْ قُصُورٍ لِلأُلُوكِ تَقَدَّمَتْ \* فَاسْتَوْجَبَتْ بِقُصُورِكَ التَّأخِيرًا .  
فَعَمَّرْتَهَا وَمَلَكَتْ كُلَّ رِيَّاسَةٍ \* مِنْهَا ، وَدَمَّرْتَ العِدَا تَدْمِيرًا .

وقال عمارة اليميني ، يصف دارا بناها فارس الإسلام من أبيات :

فَتَمَلَّ دَارًا سَيِّدَتِهَا هِمَّةٌ ، \* يَغْدُو العَسِيرُ بِأَمْرِهَا مَتَيْسِرًا .  
فَأَقَّتْ عَلَى الإِطْلَاقِ كُلَّ بَنِيَّةٍ ، \* وَسَمَتْ بِسَعْدِكَ عِزَّةً وَتَكْبَرًا .  
أُنشَأَتْ فِيهَا لِلعُيُونِ بَدَائِمًا \* دَقَّتْ ، فَأَذْهَلَ حُسْنُهَا مِنْ أَبْصَارِ .  
فِي الرِّخَامِ : مُسِيرًا ، وَمَسَهْمًا ، \* وَمَنْمَمًا ، وَمُدْرَهَمًا ، وَمُدَنْرًا .  
وَسَقِيَتْ مِنْ ذَوْبِ النُّضَارِ سُقُوفَهَا \* حَتَّى يَكَادَ نُضَارُهَا أَنْ يَقْطُرَا .  
لَمْ يَبْقَ نَوْعٌ صَامِتٌ أَوْ نَاطِقٌ \* إِلا غَدَا فِيهَا الجَمِيعُ مُصَوَّرًا .  
فِيهَا حَدَائِقُ لَمْ تَجْذِهَا دَيْمَةٌ ، \* كَلَّا وَلَا نَبَتَتْ عَلَى وَجْهِ الثَّرَى .  
لَمْ يَبْدُ فِيهَا الرُّوضُ إِلا مُزْهِرًا ، \* وَالنَّخْلُ وَالرَّمَانُ إِلا مُثْمِرًا .  
وَالطَّيْرُ مُدُّ وَقَعَتْ عَلَى أَغْصَانِهَا \* وَثَمَارُهَا ، لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَنْفِرَا .  
وَبِهَا مِنَ الحَيَوَانِ كُلِّ مُشْبِهٍ \* لَيْسَ الحَرِيرُ العَبْقَرِيُّ مُصَوَّرًا .  
لَا تَعْدَمُ الأَبْصَارُ بَيْنَ مَرُوجِهَا \* لَيْثًا وَلَا ظَبْيًا بُوَجْرَةَ أَعْفَرَا .  
أَلَسْتَ نَوَافِرُ وَحْشِهَا لِسَبَاعِهَا : \* فِظْبَاؤُهَا لَا تَنْتَقِي أُسْدَ الشَّرَى .  
وَكَأَنَّ صَوْلَتِكَ الحَيْفَةَ أَمَنْتَ \* أُسْرَابُهَا أَنْ لَا تَخَافَ فَتُدْعَرَا .  
وَبِهَا زَرَافَاتٌ كَأَنَّ رِقَابَهَا \* فِي الطُّولِ أَلْوِيَّةٌ تَوْمُ العَسْكَرَا .  
نُويبَةُ المَنْشَا تُرِيكَ مِنَ المَهَا \* رَوْقًا ، وَمِنْ بُزْلِ المَهَارِي مِشْفَرَا .  
جُبِلَتْ عَلَى الإِقْعَاءِ مِنْ أَعْجَازِهَا ، \* فَتَخَالَمُ فِي التِّيهِ تَمَشِي القَهْقَرَى !

وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز، يصف قصرا بناه علي بن تميم بن المعز بمصر:

لله، مَجْلِسُكَ الْمُنِيفُ ! فَبَابُهُ \* بِمُوطِدٍ فَوْقَ السَّمَاءِ مَوْسِسٌ .  
 مُوفٍ عَلَى حُبِّكَ الْمَجْرَةَ تَلْتَقِي \* فِيهِ الْجَوَارِي بِالْجَوَارِ الْكُنُوسِ .  
 تَتَقَابَلُ الْأَنْوَارُ فِي جَنَابَتِهِ \* فَالْلَيْلُ فِيهِ كَالنَّهَارِ الْمُشْمِسِ .  
 عَطَفَتْ حَنَائِيهِ دَوَيْنَ سَمَائِهِ \* عَطَفَ الْأَهْلَةَ وَالْحَوَاجِبِ وَالْقَيْسِي .  
 وَأَسْتَشْرَفَتْ عَمْدَ الرَّخَامِ وَظُوهِرَتْ \* بِأَجَلٍ مِنْ زَهْرِ الرَّبِيعِ وَأَنْفِيسِ .  
 فَهَوَاؤُهُ مِنْ كُلِّ قَدٍّ أَهْيَفِ، \* وَقَرَارُهُ مِنْ كُلِّ خَدٍّ أَمْلَسِ .  
 فَلَكَ تَحْيِيرٌ فِيهِ كُلُّ مُنَجِّمٍ، \* وَأَقْرَبُ بِالتَّقْصِيرِ كُلُّ مُهَنْدِسِ .  
 فَبَدَا لِلْعَيْنِ أَحْسَنَ مَنَظَرًا، \* وَغَدَا لِطَيْبِ الْعَيْشِ خَيْرَ مَعْرِيسِ .  
 فَاطَّلَعَ بِهِ قَمَرًا، إِذَا مَا أَطْلَعَتْ \* شَمْسُ الْخُدُورِ عَلَيْكَ شَمْسَ الْأَكْوَاسِ .  
 فَالنَّاسُ أَجْمَعُ دُونَ قَدْرِكَ رُتَبَةً، \* وَالْأَرْضُ أَجْمَعُ دُونَ هَذَا الْمَجْلِسِ !

وقال الوزير أبو سليمان بن أبي أمية :

يَادَارُ، آمَنِكَ الزَّمَانُ \* نِ حُطُوبِهِ وَنَوَائِبِهِ .  
 وَجَرَّتْ سَعُودُكَ بِاللَّيْلِ \* يَهْوَى نَزِيلُكَ دَائِبَهُ .  
 فَلَنِعْمَ مَأْوَى الضَّيْفِ أَنْتَ، إِذَا تَحَامَوْا جَانِبَهُ .  
 خَطَرَ شَأْوَتِ بِهِ الدِّيَا \* رَا، فَادْعَنْتِ لَكَ قَاطِبَهُ .

وقال أبو صخر القرطبي :

دِيَارٌ عَلَيْهَا مِنْ بَشَاشَةِ أَهْلِهَا \* بِقَائِيَا، تَسُرُّ النَّفْسَ أَنْسَا وَمَنْظَرًا .  
 رُبُوعٌ كَسَاهَا الْمَزْنُ مِنْ خَلْعِ الْحَيَا \* بَرُودًا، وَحَلَاهَا مِنَ النُّورِ جَوْهَرًا .

وقال الشريف الرضى:

مازلت أطرقُ المنازلَ باللّوى \* حتى نزلتُ منازلَ النّعمانِ .  
بالحسرةِ البيضاءِ حيثُ تقابلتُ \* ثمَّ العبادِ، عريضةَ الأعطانِ .  
شهدتُ بفضلِ الرّافعينَ قبابها . \* وبيّنَ بالبنيانِ فضلَ الباني !  
ما يتّفقُ الماضينَ أنّ بقيتُ لهم \* خِطَطُ معمورةٍ بعمرِ فاني !

وأما ما وُصفت به المنازل الخالية

فمن ذلك ما قاله البحترى يشير إلى "الكِرْمَان" الذي بناه كسرى أنوشروان من أبيات:

فكانَ الكِرْمَانُ من عَدَمِ الأُنْجِسِ وإخْلالاتِهِ بِنِيَّةِ رَمِيسِ .  
لو تراه ، علمتَ أنّ اللّيلَى \* خلعتُ فيه ما مآءًا بعد عُرْسِ .  
وهو يُنيكُ عن عَجائبِ قومِ ، \* لا يُسَابُ اللَّيْلُ فيها بلبسِ .  
وإذا ما رأيتَ صُورَةَ أَنْطُكَاكِيَّةَ، أرتعتَ بينَ رُومِ وفُرْسِ .  
والنّايَا موائِلُ وأنوشروانُ يُزجِي الصُّفوفَ تحتَ الدَّرَقْسِ !

وقال أيضا من قصيدة يرثي فيها المتوكل، ويذكر قصره "الجعفرى":

مَحَلٌّ على القَاطُولِ أخلقُ دارُهُ، \* وعادتُ صُروفُ التّهرِجِ جِيشًا تُعاوِرُهُ .  
كانَ الصَّبَا تُوفى نُدُورا، إذا أنبرتُ \* تجرُّ به أذيالها وتبَاكِرُهُ .  
وربَّ زَمَانٍ ناعِمٍ تمَّ عَهْدُهُ، \* ترقُّ حواشيه ويونقُ ناظِرُهُ .  
تغيَّرَ حُسنُ "الجعفرى" وأُنسُهُ، \* وقوَّضَ بادى "الجعفرى" وحاضِرُهُ .  
تَمَلُّ عنه ساكنوه بجماعةٍ، \* فعادتُ سِواءَ دُورِهِ ومقارِبُهُ .  
إذا تَمَحَّنُ زُرُناه، أجدُ لنا الأسي، \* وقد كانَ قبلَ اليومِ يهيجُ زائِرُهُ .

ولم أنس وحث القصر اذ ربيع سريره ، \* واذا دُعِرت اطلأوه وجاذره .  
 واذا صيح فيه بالرحيل فهتكت \* على عجل استاره وسرايره .  
 واوحشه حتى كأن لم يكن به \* أنيس ، ولم تحسن لعين مناظره .  
 كأن لم تبت فيه الخلافة طلقه \* بشاشتها ، والملك يشرق زاهره .  
 ولم تجمع الدنيا إليه بهاءها \* وبهجتها ، والعيش غص مكاسره .  
 فإين الحجاب الصعب حيث تمتعت \* بهيتها أبوابه وستائره ؟  
 وأين عمود الملك في كل نوبة \* تتوب ، ونهى الدهر فيه وأمره ؟  
 وقال عمر بن أبي ربيعة :

يادار، أمسى دارسا رسمها \* وحثا قفارا ما بها أهل .  
 قد جرت الريح بها ذيلها ، \* وأستن في اطلالها الوايل .

وقال شاعر أندلسي :

قلت يوما لدار قوم تفانوا : \* أين سكاك الكرام لدينا ؟  
 فأجابت : هنا أقاموا قليلا \* ثم ساروا ، ولست أعلم أين !

وقال عبد الله بن الخياط الأندلسي :

يادار علوة ، قدهيجت لي شجنا \* وزدني حزنا ! حيت من دار !  
 كميت فيك على اللذات معتكفا ، \* والليل مدرع ثوبا من القار !  
 كأنه راهب في المسح ملتحف ، \* شد الحجر له وسطا بزوار !

وقال أبو حامد أحمد الأنطاكي :

إن ربا عرفته مألوفاً \* كان للبيض مربعا ومصيفا .  
 غيرت آية صروف الليالي ، \* وغدا عنه حسنه مصروفا .

مامررتنا عليه ، إلا وقتنا \* وأطلقنا شوقاً إليه الوقوفاً .  
 آتياً للبكاء فيه ، كأني \* لم أكن فيه للغواني أليفاً .  
 حاسداً للبخون لما أذالت \* في معانيه دمعها المذروفاً !

وقال الشريف الرضي من أبيات :

ولقد رأيت بدير هنيذ منزلاً \* ألياً من الضراء والحدان !  
 بالي المعالم ، أطرقت شرفاته \* أطراق منجذب القرينة عاني .  
 أمقاص الغزلان ، غيرك البلي \* حتى غدوت مراتع الغزلان !  
 وملاعب الأنس الجميع طوى الردى \* منهم ، فصرت ملاعب الحنان !

وقال أبو الحسن علي القابوسي ثنا :

- ١٠ « قد كان منزله مألّف الأضياف ، ومأنس الأشراف ؛ ومُنتجع الركب ، ومقصد  
 الوُفد ؛ فاستبدل بالأنس وحشه ، وبالنضارة غُبره ، وبالضياء ظلمه ؛ وأعتاض  
 من تراحم المواكب ، بالأدم النوادب ؛ ومن ضجيج النداء والصهيل ، عجيج البكاء  
 والعويل . »

ومن رسالة لضياء الدين بن الأثير الجزري ، جاء منها :

- ١٥ « ... دارٌ لعبت بها أيدي الزمن ، وقرقت بين الساكن والسكن . كانت  
 مقاصير جنّه ، فأضحت وهي ملاعب جنّه . وإقد عميت أخبار قُطانها ، وعفت  
 آثارها آثاراً وطانها ، حتى شابهت إحداهما في الجفا ، الأخرى في العفا . وكنت  
 أظن أنها لا تُسقى بعدهم بغام ، ولا يُرفع عنها جلبابُ ظلام ؛ غير أن السحاب بنكاهم  
 وأجرى بها سوافح دموعه ، والليل شقّ عليهم جيوبه فظهر الصباح من خلال  
 صدوعه »



### ومما قيل في حب الأوطان

قال ابن الرومي (وهو أول من بين السبب في حب الوطن) :

ولي منزل، آليت أن لا أبيعهُ \* وأن لا أرى غيري له الدهر مالكا!  
عهدت به شرح الشباب ونعمة \* كنعمة قوم أصبحوا في ظلالكا.  
فقد ألفتَه النفس حتى كأنهُ \* لها جسد، إن غاب غودرت هالكا.  
وحب أوطان الرجال إليهم \* مارب قضاها الشباب هالكا.  
إذا ذكروا أوطانهم، ذكرتهم \* عهود الصبا فيها فحنوا لذلك!

### ذكر شىء مما قيل في الحمام

قال إبراهيم بن خفاجة الأندلسي :

أهلاً بييت النار من منزل \* شيد لأبرار وبخار!  
يدخله ملتمس لذة \* فيدخل الجنة في النار!

وقال أبو عامر بن شهيد الأندلسي :

إنعم، أبا عامر ببلدته \* وأعجب لأمرين فيه قد جمعا!  
نيرانه من زنادكم قدحت، \* وماؤه من بناينكم نبعا!

وقال علي بن عطية البلنسي :

رب حمام تلظي \* كتلظي كل وامسق.  
ثم أذرت عبرات \* صوبها بالوجد ناطق.  
فقداني مني ومنه \* عاشق في جوف عاشق!

وقال أبو طالب الماموني، شاعر اليتيمة :

وبيت كأحشاء المحب دخلته \* ومالي ثياب فيه غير إهابي.

أرى مُحَرَّمًا فيه وليس بَكَعْبَةٍ ، \* فَمَا سَاغَ إِلَّا فِيهِ خَلْعٌ نِيَابِي .  
 بِنَاءٍ كَدَمَعَ الصَّبِّ فِي حَرِّ قَلْبِهِ \* إِذَا آذَنْتَ أَحْشَاءَهُ بِذَهَابِ .  
 تَوَهَّمْتُ فِيهِ قِطْعَةً مِنْ جَهَنَّمَ \* وَلَكِنَّهَا مِنْ غَيْرِ مَسِّ عِقَابِ .  
 يُشِيرُ ضَبَابًا بِالْبُخَارِ مُجَدَّلًا \* بُدُورِ زُجَاجٍ فِي سَمَاءِ قِبَابِ !

وقال آخر:

إِنَّ حَمَامَكَ هَذَا \* غَيْرَ مَذْمُومِ الْخَوَارِ .  
 مَا رَأَيْنَا قَبْلَ هَذَا \* جَنَّةً فِي وَسْطِ نَارِ !

وأشدني جمال الدين محمد بن الحكم لنفسه :

قالوا: نَرَاكَ دَخَلْتَ حَمَامًا، وَمَا \* حَلْفُ الطَّوَى يَلْتَذُّ بِالْأَهْوَاءِ .  
 فَأَجَبْتَهُمْ: لَمْ تَكْفِ أَدْمَعُ مَقَاتِي \* حَتَّى بَكَيْتُ بِجُمْلَةِ الْأَعْضَاءِ .

### تم السفر الأول

(نسخة ما هو مكتوب في آخر الأصل بخط المؤلف)

نجز السفر الأول من "كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب" على يد مؤلفه فقير رحمة ربه أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم البكري التيمي القرشي، عرف بالنويري عفا الله عنه؛ ووافق الفراغ من كتابته في يوم السبت المبارك لعشر بقين من ذي القعدة عام إحدى وعشرين وسبعمائة أحسن الله تقضيه، وذلك بالقاهرة المعزية عمرها الله تعالى يتلوه إن شاء الله تعالى في أول السفر الثاني "الفن الثاني في الإنسان وما يتعلق به" والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه، وآله وصحبه وسلم آمين، وحسبنا الله ونعم الوكيل !

# فهرس

السفر الأول

من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب

للنویری

صفحة

مقدمة الكتاب ... .. ١

## الفرس الأول

في السماء والآثار العلوية، والأرض، والمعالم السفلية ... .. ٢٧

### القسم الأول

في السماء وما فيها، وفيه خمسة أبواب

#### الباب الأول :

مبدأ خلق السماء ... .. ٢٨

ذكر ما قيل في أسماء السماء وخلقها ... .. ٢٩

» ما حكى في سبب حدوثها ... .. ٢٩

#### الباب الثاني :

في هيئة السماء ... .. ٣٠

في الأمثال التي ورد فيها ذكر السماء ... .. ٣٢

في وصف السماء وتشبيهها ... .. ٣٣

ما قيل في الفلك ... .. ٣٤

صفحة

	الباب الثالث :
٣٦ ... ..	في ذكر الملائكة ... ..
	الباب الرابع :
٣٨ ... ..	في الكواكب السبعة المتخيرة ... ..
٤٠ ... ..	ذكر ما قيل في الشمس ... ..
٤٢ ... ..	» ما يتمثل به مما فيه ذكر الشمس ... ..
٤٤ ... ..	» ما جاء في وصف الشمس وتشبيها ... ..
٤٦ ... ..	» شيء مما وصفت به على طريق الظم ... ..
٤٨ ... ..	» ما قيل في الكسوف ... ..
٤٨ ... ..	» أسماء الشمس اللغوية ... ..
٤٩ ... ..	» عباد الشمس ... ..
٤٩ ... ..	» ما قيل في القمر ... ..
٥٠ ... ..	» » (من استهلاله الى انقضاء الشهر وأسماء لياليه) ... ..
٥١ ... ..	» أسماء القمر اللغوية ... ..
٥٢ ... ..	» ما يتمثل به مما فيه ذكر القمر ... ..
٥٣ ... ..	» ما قيل في وصف القمر وتشبيها ... ..
٥٦ ... ..	» شيء مما قيل فيه على طريق الظم ... ..
٥٧ ... ..	» عباد القمر ... ..
٥٨ ... ..	» ما قيل في الكواكب المتخيرة ... ..
٥٨ ... ..	» عباد الروحانيات ... ..
٦١ ... ..	» بيوت الهياكل وأماكنها ونسبتها الى الكواكب ... ..

## الباب الخامس :

- ٦٣ ... .. في الكواكب الثابتة ...  
 ٦٤ ... .. ذكر ما يمثل به مما فيه ذكر الكواكب ...  
 ٦٥ ... .. « ما قيل في وصف الكواكب وتشبيهها »

## القسم الثاني

في الآثار العلوية، وفيه أربعة أبواب

## الباب الأول :

- ٧١ ... .. في السحاب، وسبب حدوثه، وفي الثلج والبرد ...  
 ٧٢ ... .. ذكر ما قيل في ترتيب السحاب، وأسمائه اللغوية وأصنافه ...  
 ٧٤ ... .. « في ترتيب المطر ... »  
 ٧٤ ... .. « في فعل السحاب والمطر ... »  
 ٧٥ ... .. « أسماء أمطار الأزمنة ... »  
 ٧٥ ... .. « المطر اللغوية ... »  
 ٧٧ ... .. « ما يمثل به مما فيه ذكر المطر ... »  
 ٧٨ ... .. « شيء مما قيل في وصف السحاب والمطر ... »  
 ٨٢ ... .. « ما ورد في وصفها نثرا ... »  
 ٨٦ ... .. « شيء مما وصف به الثلج والبرد ... »

## الباب الثاني :

- ٨٧ ... .. في النيازك، والصواعق، والرعد، والبرق، وقوس قزح ...

صفحة

الباب الثالث :

- في أسطقس الهواء ... .. ٩٥
- ذكر ما قيل في حد الهواء ... .. ٩٥
- « أسماء الرياح اللغوية ... .. ٩٨
- فصل فيما يذكر منها بلفظ الجمع ... .. ٩٩
- ذكر ما يمثل به مما فيه ذكر الهواء ... .. ٩٩
- « ما جاء في وصف الهواء وتشبيهه ... .. ١٠٠

الباب الرابع :

- في أسطقس النار، وأسمائها، وعبادها، وبيوت النيران ... .. ١٠٣
- ذكر أسماء النار ... .. ١٠٤
- « عباد النار ... .. ١٠٥
- بيوت النيران ومن رسمها من ملوك الفرس ... .. ١٠٧
- ذكر نيران العرب ... .. ١٠٩
- « النيران المجازية ... .. ١١٤
- « النيران التي يضرب بها المثل ... .. ١١٥
- « ما جاء منها على لفظ أفعال ... .. ١١٦
- « ما قيل في وصف النار وتشبيهها ... .. ١١٧
- « شيء مما قيل في الشمعة والشمعدان، والسراج، والقنديل ... .. ١٢٠
- ماورد في وصفها نثرا ... .. ١٢٣
- ما قيل في السراج ... .. ١٢٤
- رسالة القنديل والشمعدان ... .. ١٢٤

القسم الثالث من الفن الأول

في الليالي والأيام، والشهور والأعوام، والفصول والمواسم والأعياد،  
وفيه أربعة أبواب

الباب الأول :

- في الليالي والأيام... .. ١٣٠
- ذكر ما قيل في الليل وأقسامه... .. ١٣١
- فصل وقد عبر بالليالي عن الأيام... .. ١٣٢
- ذكر الليالي المشهورة... .. ١٣٢
- « ما يتمثل به مما فيه ذكر الليل... .. ١٣٣
- « ما قيل في وصف الليل وتشبيهه... .. ١٣٤
- « ما وصف به الليل من الطول... .. ١٣٥
- « من القصر... .. ١٤٠
- « من الإشراق... .. ١٤٢
- « من الظلمة... .. ١٤٢
- « شيء مما قيل في تبشير الصباح... .. ١٤٣
- « ما قيل في النهار... .. ١٤٧
- « الايام التي خصت بالذكر... .. ١٤٨
- « أيام أصحاب الملل الثلاث... .. ١٥٠
- « ما يتمثل به مما فيه ذكر النهار... .. ١٥٠
- « شيء مما قيل في وصف النهار وتشبيهه... .. ١٥١
- « « « وصفت به الآلات الموضوعه لمعرفة الأوقات... .. ١٥٣

صفحة

الباب الثاني :

- في الشهور والأعوام ... ١٥٦ ...
- ذكر الشهور وما قيل فيها ... ١٥٦ ...
- « الأشهر العربية وما يختص بها من القول ... ١٥٧ ...
- شهور اليهود ... ١٥٩ ...
- الشهور العجمية ... ١٥٩ ...
- ذكر ما يختص بالسنة من القول ... ١٦٤ ...
- « النسيء ومذهب العرب فيه ... ١٦٥ ...
- « الستين التي يضرب بها المثل ... ١٦٧ ...

الباب الثالث :

- في الفصول وأزمنتها ... ١٦٩ ...
- ذكر ما قيل في وصف فصل الصيف وتشبيهه نظماً ونثراً ... ١٧١ ...

الباب الرابع :

- في ذكر مواسم الأمم وأعيادها، وأسباب آتخاذهم لها، وما قيل في ذلك ١٨٤
- ذكر الأعياد الإسلامية ... ١٨٤ ...
- « أعياد الفرس ... ١٨٥ ...
- « النصارى القبط ... ١٩١ ...
- « اليهود ... ١٩٥ ...



## القسم الرابع من الفن الأول

في الأرض، والجبال، والبحار، والجزائر، والأنهار، والعيون،

والغدران، وفيه سبعة أبواب

## الباب الأول :

في مبدأ خلق الأرض ... .. ١٩٨

## الباب الثاني :

في تفصيل أسماء الأرضين وصفاتها، في الاتساع، والأستواء، والبعد،

والغلظ، والصلابة، والسهولة، والحزونة، والارتفاع، والانخفاض،

وغير ذلك ... .. ١٩٩

ذكر تفصيل أسماء التراب وصفاته ... .. ٢٠٢

» » الغبار وأوصافه ... .. ٢٠٣

» » الطين ... .. ٢٠٣

» » الترمال ... .. ٢٠٤

» ترتيب كمية الرمل ... .. ٢٠٥

» تفصيل أسماء الطرق وأوصافها ... .. ٢٠٦

## الباب الثالث :

في طول الأرض ومسافتها ... .. ٢٠٧

## الباب الرابع :

في الأقاليم السبعة ... .. ٢٠٩

ذكر ما يمثل به مما فيه ذكر الأرض ... .. ٢١٣

» شيء مما قيل في وصف الأرض وتشبيهها ... .. ٢١٤

صفحة

الباب الخامس :

- ٢١٨ ... .. في الجبال
- ٢٢٠ ... .. ذكر أسماء ما ارتفع من الأرض الى أن يبلغ الجليل
- ٢٢١ ... .. » ترتيب أبعاض الجبل
- ٢٢٣ ... .. » » مقادير الحجارة
- ٢٢٦ ... .. » ما يمثل به مما فيه ذكر الجبال والحجارة
- ٢٢٧ ... .. » شيء مما قيل في وصف الجبال وتشبيهها

الباب السادس :

- ٢٢٨ ... .. في ذكر البحار والجزائر
- ٢٢٩ ... .. ذكر بحار المعمور من الأرض
- ٢٣١ ... .. » ما يتفرع من البحر المحيط
- ٢٣٥ ... .. » الخليجان التي تخرج من البحر الرومي
- ٢٣٧ ... .. بحر الهند وجزائره
- ٢٤٣ ... .. ذكر خليجان البحر الهندي
- ٢٤٦ ... .. بحر مانيطش
- ٢٤٧ ... .. بحر الخزر وجزائره
- ٢٥٠ ... .. ذكر ماني المعمور من البحيرات المالحة المشهورة وما بها من العجائب...
- ٢٥٤ ... .. » ما يمثل به مما فيه ذكر البحر
- ٢٥٥ ... .. » شيء مما قيل في وصف البحر وتشبيهه
- ٢٥٦ ... .. » » وصف به البحر والسفن
- ٢٥٨ ... .. » ما وصفت به البحار والسفن ثرا

## الباب السابع :

في العيون والأنهار والغدران وما وصفت به البرك ، والدواليب ،

والتواعير، والجداول ... .. ٢٦١

نهر النيل ... .. ٢٦٢

» القرات ... .. ٢٦٦

» دجلة ... .. ٢٦٨

» سجستان ... .. ٢٦٩

» مهران ... .. ٢٧٠

» جيحون ... .. ٢٧٠

» سيحون ... .. ٢٧١

» الكلك ... .. ٢٧٢

» الكر ... .. ٢٧٣

» إتل ... .. ٢٧٣

ذكر ما في المعمور من الأنهار والعيون التي يتعجب منها ... .. ٢٧٤

» ما يمثل به مما فيه ذكر الماء ... .. ٢٧٧

» شيء مما قيل في وصف الماء وتشبيهه ... .. ٢٨١

» » وصفته به الأنهار ... .. ٢٨٢

» » البرك ... .. ٢٨٥

» » الدواليب والتواعير ... .. ٢٨٨

» » » » » شرا ... .. ٢٨٩

صحيفة

٢٩٠ ... .. ذكروا ما وصفتم به الجداول

٢٩١ ... .. « عبادة الماء ... .. »

### القسم الخامس من الفن الأول

في طبائع البلاد ، وأخلاق سكانها ، وخصائصها ، والمباني القديمة ،

والمعاقل ، وما وصفتم به القصور والمنازل ، وفيه خمسة أبواب

#### الباب الأول :

٢٩٢ ... .. في طبائع البلاد ، وأخلاق سكانها

#### الباب الثاني :

٢٩٧ ... .. في خصائص البلاد

٢٩٧ ... .. مكة المشرفة ... ..

٢٩٨ ... .. ذكر ما كانت الكعبة عليه فوق الماء قبل أن يخلق الله السماوات والأرض

٢٩٩ ... .. « بناء الملائكة الكعبة قبل خلق آدم عليه السلام ومبدأ الطواف ... .. »

٣٠٠ ... .. « زيارة الملائكة البيت الحرام ... .. »

ذكر هبوط آدم عليه السلام الى الأرض ، وبنائه الكعبة المشرفة وحجه

٣٠١ ... .. وطوافه بالبيت

٣٠٤ ... .. ذكر فضل البيت الحرام ، والحرم ... ..

٣٠٧ ... .. « ما جاء في طواف سفينة نوح عليه السلام بالبيت ... .. »

٣٠٧ ... .. « من تخير إبراهيم عليه السلام موضع البيت ... .. »

٣٠٨ ... .. « حج إبراهيم عليه السلام وإذنه بالحج وحج الأنبياء بعده وطوافهم ... .. »

ذكر ما جاء من مسألة إبراهيم عليه السلام الأمن والرزق لأهل مكة

٣١١ ... .. والكتب التي وجد فيها تعظيم الحرم

٣١٣	... ..	ذكر أسماء الكعبة ومكة
٣١٤	... ..	« ما جاء في فضل الركن الأسود
٣١٦	... ..	« استلام الركن الأسود، واليماني
٣١٧	... ..	« الطواف بالكعبة
٣١٧	... ..	« زمزم
٣١٩	... ..	« من أتساع منى أيام الحج، ولم سميت منى
٣١٩	... ..	« في فضائل مقبرة مكة
٣١٩	... ..	« شيء من خصائص مكة
٣٢٠	... ..	المدينة المشرفة (على ساكنها أفضل الصلاة والسلام)
٣٢٣	... ..	ذكر شيء من خصائص المدينة المشرفة وأسمائها
٣٢٥	... ..	البيت المقدس، والمسجد الأقصى
٣٢٥	... ..	البدء بذكر الأرض المقدسة
٣٢٨	... ..	فضل بيت المقدس
٣٣٠	... ..	« زيارة بيت المقدس، وفضل الصلاة فيه
٣٣٢	... ..	ما ورد في بيت المقدس من مضاعفة الحسنات والسيئات فيه
٣٣٢	... ..	فضل السكنى فيه والإقامة والوفاء به
٣٣٣	... ..	ما بيت المقدس من قبور الأنبياء، ومحراب داود وعين سلوان
٣٣٤	... ..	ما ورد في أن الحشر من بيت المقدس
٣٣٥	... ..	« في فضل الصخرة والصلاة الى جانبها
٣٣٦	... ..	« في أن الله عز وجل عرج من بيت المقدس الى السماء

صيفة

- ٣٣٩ ... .. ثواب الإهلال من بيت المقدس
- ٣٣٩ ... .. ما ورد من أن الكعبة تزور الصخرة يوم القيامة
- ٣٤٠ ... .. اليمن وما يختص به
- ٣٤٠ ... .. الشام وما يختص به
- ٣٤٠ ... .. مسجد دمشق وما قيل فيه
- ٣٤٤ ... .. مصر وما يختص بها من الفضائل
- ٣٤٩ ... .. ذكر من ولد بمصر من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومن كان بها منهم
- ٣٤٩ ... .. « كان بها من الصديقين والصدقات ، رضى الله عنهم »
- ٣٥٠ ... .. « صاهر أهل مصر من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام... »
- ٣٥٠ ... .. « أظهرته مصر من الحكماء »
- ٣٥٤ ... .. ومن فضائل مصر
- ٣٥٧ ... .. ما وصفت به مصر
- ٣٥٨ ... .. جزيرة الأندلس
- ٣٥٩ ... .. البصرة وما آختصت به
- ٣٦٠ ... .. بغداد وما آختصت به
- ٣٦١ ... .. الأهواز وما آختصت به
- ٣٦١ ... .. فارس وما آختصت به
- ٣٦٢ ... .. أصفهان وما آختصت به
- ٣٦٢ ... .. جرجان وما آختصت به
- ٣٦٣ ... .. نيسابور وما آختصت به

٣٦٤	طوس وما أختصت به
٣٦٤	بلخ وما أختصت به
٣٦٥	بست وما أختصت به
٣٦٥	غزنة وما أختصت به
٣٦٦	سجستان وما أختصت به
٣٦٦	الهند وما أختصت به
٣٦٦	الصين وما أختصت به
٣٦٧	سمرقند وما أختصت به
٣٦٧	بلاد الترك وما أختصت به
٣٦٨	خوارزم وما أختصت به
٣٦٨	ذكر الخصائص التي تجرى مجرى الطلسمات
	ذكر خصائص البلاد في أشياء مختلفة (وهي العلم ، والعمل ، والجواهر ، والملايس ، والأوبار ، والقرش ، والمراكب ، والحيوانات ذوات السموم ، والحلوى ، والثمار ، والرياحين ، والخلق ، والأخلاق ، والأمراض والآثار العلوية)
٣٦٩	

### الباب الثالث :

٣٧٢	في المباني القديمة
٣٧٢	ذكر أول بناء وضع على وجه الأرض
٣٧٣	» خبر إرم ذات العماد
٣٧٤	» خبر سدّ ياجوج وماجوج

صفحة

- ٣٧٩ ... .. ذكر مباني الفرس المشهورة
- ٣٨٠ ... .. من مباني الفرس إيوان كسرى
- ٣٨١ ... .. « المباني القديمة الحضر
- ٣٨٢ ... .. « « القليس
- ٣٨٣ ... .. « المشهورة قنطرة صنجة
- ٣٨٣ ... .. « القديمة ملعبا بعلبك
- ٣٨٤ ... .. ذكر مباني العرب المشهورة
- ٣٨٤ ... .. غمدان
- ٣٨٥ ... .. حصن تيماء
- ٣٨٥ ... .. الخورنق والسدير
- ٣٨٧ ... .. الغريان
- ٣٨٧ ... .. ذكر الأبنية القديمة التي بالديار المصرية
- ٣٨٨ ... .. الأهرام
- ٣٩٢ ... .. حائط العجوز
- ٣٩٣ ... .. ملعب أنصنا
- ٣٩٣ ... .. مدينة عين شمس
- ٣٩٤ ... .. البرابي
- ٣٩٥ ... .. حنية اللازورد
- ٣٩٥ ... .. منارة الاسكندرية





(ف)

من نهاية الأرب

صفحة

رواق الإسكندرانيين ... .. ٣٩٨

ذكر شيء من عجائب المبانى ... .. ٣٩٨

الباب الرابع :

فيما وصفت به المعادل والحصون ... .. ٤٠١

الباب الخامس :

فيما وصفت به القصور والمنازل ... .. ٤٠٦

ما وصفت به المنازل الخالية ... .. ٤١٢

ذكر شيء مما قيل في حب الأوطان ... .. ٤١٥

» » » » في الحمام ... .. ٤١٥

نسخة ما هو مكتوب في آخر الأصل بخط المؤلف ... .. ٤١٦

تمّ فهرس السفر الأول

من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويرى

(مطبعة دارالكتب المصرية ٢٠/١٩٢٢/٢٥٠٠)

To: [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)